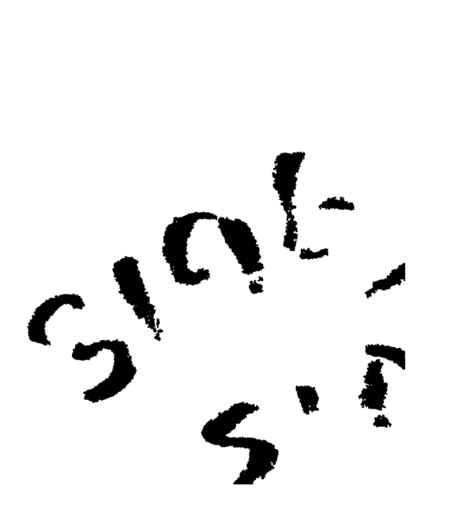
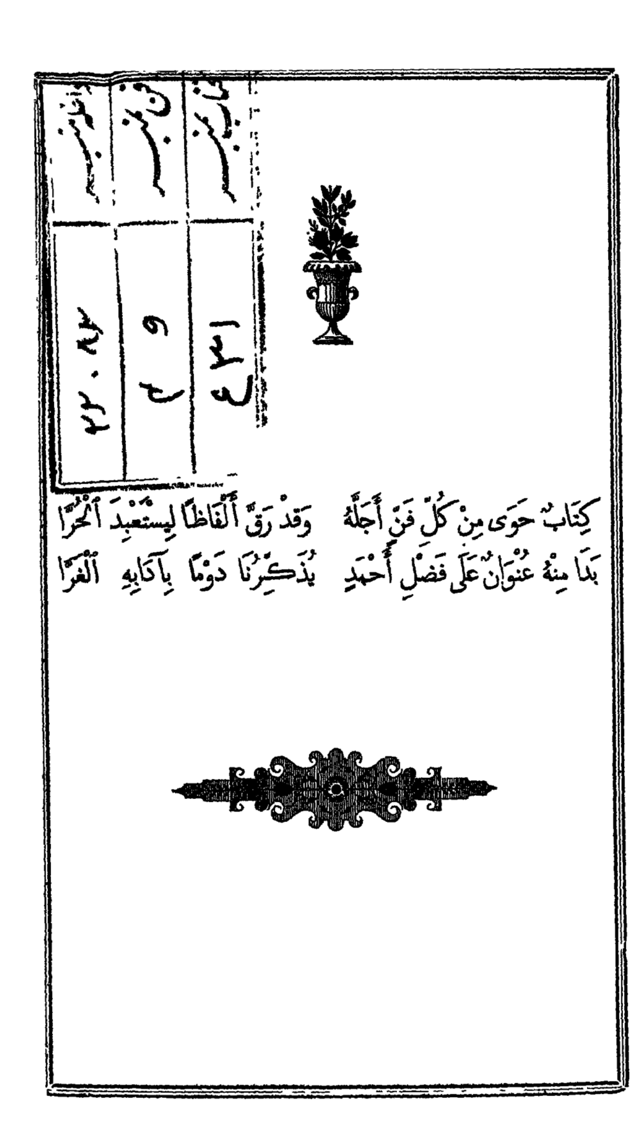
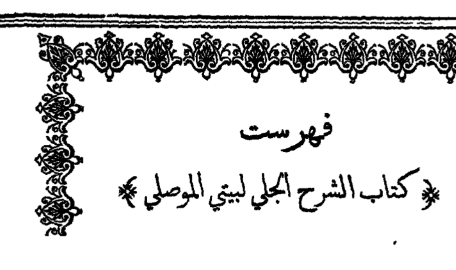




كِتَابٌ حَوَى مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَجَلَّهُ   وَقَدْ رَقَّ أَلْفَاظًا لِيَسْتَعْبِدَ الْحُرَّا

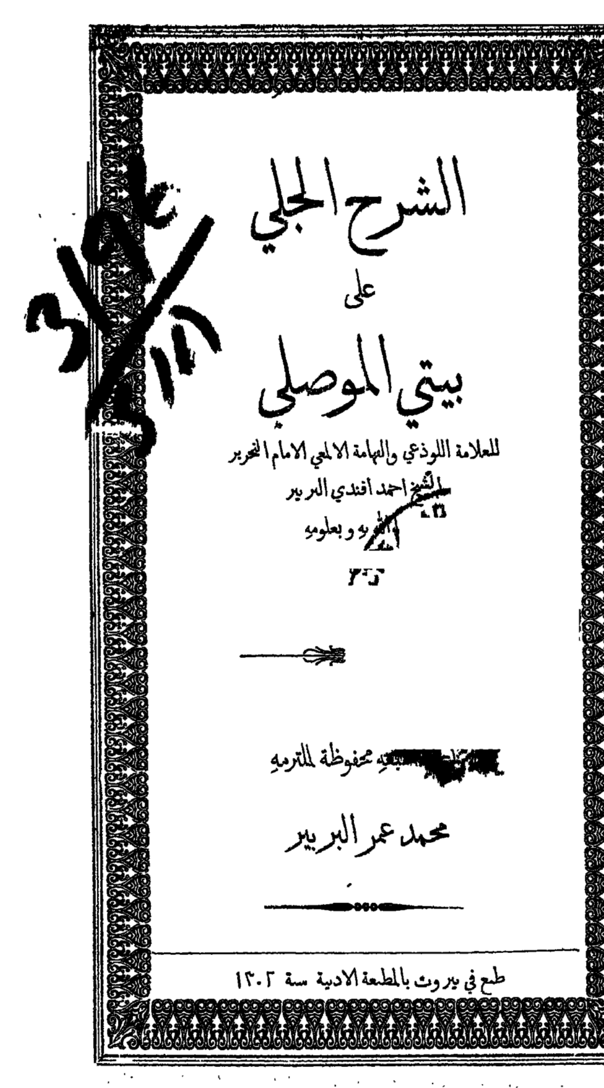
بَدَا مِنْهُ عُنْوَانٌ عَلَى فَضْلِ أَحْمَدٍ   يُذَكِّرُنَا دَوْمًا بِآدَابِهِ الْغُرَّا



فهرست

كتاب الشرح الجلي لبيتي الموصلي

وجه



الشرح الجلي

على

بيتي الموصلي

للعلامة اللوذعي والفهامة الالمعي الامام النحرير

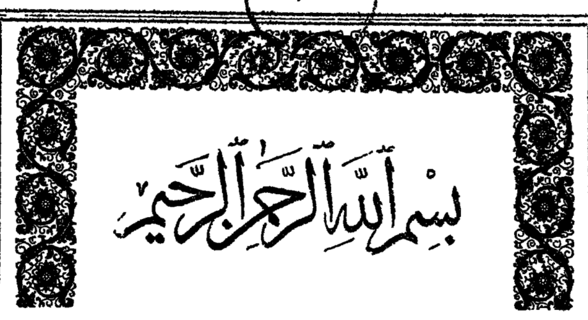
الشيخ احمد افندي البربير

[illegible]به و بعلومه

[illegible]

محمد عمر البربير

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٣٠٢



حمدًا لمن اطلع من فلك البلاغة في كل عصر شمسًا ونجمًا وبدرًا . وقوّى بهم متون الآداب حتى شرحوا من المجالس والمجالس صدرًا . وجنوا بافكارهم من رياض البلاغة زهورًا فملئوا بها الكون عطرًا . وصلاةً وسلامًا على افصح من نطق بالضاد . فاعجز بجوامع كلمه الاضداد . حتى اقرت له بالعجز قسرا . القائل ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا . وعلى آله واصحابه الذين اتوا بيوت الشعر من ابوابها . وميزوا خطأها من صوابها . حتى قال كل بيت منه لكل بليغ منه انت من صاحب البيت ادرى . (وبعد) فان الادب في عصرنا هذا قد يبست رياضه . ونضبت حياضه . حتى خرست بلابله السواجع . وتجاوبت بومه ونقت فيه الضفادع . كيف لا وقد ركد نسيمه . وتحرك سمومه ولا سيما روض الشعر الذي طالما طالت افنانه . وتهدلت اغصانه . وانتظمت على بحار الكرم ابياته . وتليت على المسامع آياته . وظهرت في الرسائل معجزاته . حتى حسدت درره الدراري . وازدانت بجوره بمنشآت ابكار تلك الجواري . فاصبح وقد نزلت على مخدراته آية الحجاب . ولم يبق لفكر الالمعي طاقة ان يدخل الى بيت من بيوته من باب . وذلك لفقد من كانت لمَّاتهم تفتح به اللّهى . وتظهر منشئه وان كان اخفى من السهى . ولذلك نراه تكفل بحياتهم وان كانوا في القبور . وخلّد حسن مآثرهم الى يوم النشور . كما قال ابو الطيب

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ماقاته وفضول العيش اشغال

وكما قال الاخر

ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور

فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الادب . وهربوا منه هروب العرب من الجرب لا يشعرون لمطف الاشعار . مستيقظين الى نيق حميرهم وتنام اعينهم عن الاوتار

يهربون من المديح هروب من سلف من الهجا . ولا يجد من هجا فيهم له منهجا . هذا وباب كل منهم تراه مرتجًا غير مرتجى . كما قيل

عن الخير موتى ما تبالي ازرتهم — على طمع ام زرت اهل المقابر

وكما قيل

خلقوا وما خلقوا لمكرمة — فكانهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا نوال يدٍ — فكانهم رزقوا وما رزقوا

ظاهرهم ملائكة وباطنهم ابا ليس . وهم جياد اذا كانوا مناحيس . تليق بهم النقم . وتثقل عليهم النِعم . وعندهم تصفير الوجوه خير من حُمر النَعم . وقد شقت الاباَء السنتهم بقول لا ولم يلقنوهم قول نعم . قد ضاع فيهم حسن حسان . ومعاني بيان بديع الزمان . وخافوا من امتداد اليد ولم يخافوا من امتداد اللسان . ومالوا الى ابن درهم ومالك ابن دينار . وتأوَّلوا خبر قدِّموا قريشًا فما اصبرهم على النار . واشتغلوا عن اللذات الدينية وهي العلوم والمعارف بدفع الآلام . فانهمكوا على المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والمساكن واغتروا من الدنيا باضغاث الاحلام . وذلك لغلبة شهواتهم البهيمية . على ارواحهم الانسانية . فغبنوا في تجارتهم الخاسرة . وفاتتهم لذات الدنيا والآخرة . وحرموا ما جل بما قل . اولئك كالانعام بل هم اضل . فلو راهم لبيد لمدح خلفه . ولأسبل عليه طرفه . فلقد سُلبوا المنافع كما سلبتها الخمر . والمستجير بهم كالمستجير بعمرو . وهم على من عظَّمهم نار المجوس . والراجي بهم كالراجي ان يحلب اللبن من ضروع التيوس . فلا تغرنك بشاشة نفاقهم . ومداهنة اخلاقهم . ولا يكن لك ثقة . الأَ بشاشة المقة . كما قلت

لا يعجبنَّك ما ترا — هُ من البشاشة في المجالس

كم غر ذو بشر وكم — سمح العبوس لكل بائس

والسيف يقتل ضاحكًا — والجو يُحيي وهو عابس

فلا اجد حنوهم الأ كحنو القسي لرمي النبال . او كحماة العقارب للدغ الرجال . وما اشبههم بالمنائر . في اعوجاج البواطن واستقامة الظواهر . فهم باعراضهم كرام وبحطامهم شحاح . قد جمعوا بين خفة العقول وثقل الارواح . فهم اثقل من الامانة . واخس قدرًا من بنى غُدانه . والأم من بنى تميم . واعظم من تراكم العذاب الاليم . قد اشتغلوا بالمعاش عن المعاد . وزادوا في الطغيان والفساد . حتى كانهم بقية ثمود وعاد . وقد حقق انهم حمير . عدولهم عن الشعِر الى الشعير . وما ذاك الا لجهلهم بفضائله ومزاياه . كما قال تعالى في

امثالهم بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمهِ اشارة الى ان من جهل شيئًا عاداه . كما قلت فيهم

اذا انتقصوا شاعرًا ولم يعرفوا فضل نظمه

فذرهم فقد كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه

فلو انهم قالوا ما قالهُ الاديب الشاهيني في الدخان . لم يكونوا اغراضًا لسهام اللسان . حيث قال فيهِ ولم يكن يشربهُ

قد قلت في شرب دخا نٍ مفخم واصفهُ

آمنت بالسرّ الذي فيهِ ولا اعرفهُ

وذلك لان العجز عن درك الادراك ادراك . والتذلل للحق اقرب الى العز من التعزز بالباطل وان حثك الطبع على التعزز بالباطل واغراك . هذا وقد شرد منهم القرآن وهم عنهُ ساهون لاهون . ولم يبق في حفظهم منهُ الّا قولهِ تعالى والشعرآء يتبعهم الغاوون . فوقفوا على هذا كوقوف ابليس على قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لاتقربوا الصلاة وقولهِ فويل للمصلين . ولم يبالوا بقبح هذا الوقف الذي لايتعمد الوقف عليهِ الّا رؤس المضلين . ولو كانوا من اصحاب الفطن والافكار . وتركوا الجحود والانكار . لأَ ذعنوا ان قولهُ تعالى والشعرآء يتبعهم الغاوون من العام المخصوص بالكفار . بدليل الاستثناء بعده الذي هو للعموم معيار . ومما يدل على تخصيصهِ ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا معدِن الشعر ومنبعَه . وكان اشعرهم الخلفاء الاربعه . وكان اشعر الخلفاء الصديق الاكبر . والكبريت الاحمر . ثاني اثنين في الاسلام والعريش والغار والضريح . ومن ثبتت صحبتهُ في القرآن بالنص الصريح . واختاره النبي صلى الله عليهِ وسلم لامر الدين في حياته . فكان احق الصحابة بالخلافة بعد وفاته . وشيَّد الله بهِ الدين اولاً وآخرًا . وباطنًا وظاهرًا . فلولاه لانمحت عينه واثره . ولم يبق منه الّا خبره . وقد رأَيت شيخ مشايخنا الكرام . وائمتنا الاعلام . قطب دائرة الشريعة والحقيقه . الآتي من حرّ المعاني بكل رقيقه . ولده السيد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي صاحب ورد السحر . ومن اتى من خوارق العادات بما خلب العقول وسحر . ومن البلاغات بما فاق منظومهُ الزّهرَ ومنثوره الزّهَر . قد جمع لجده الصديق من كلامهِ ديوانًا تعجز عن تقريظهِ افواه المحابر والسنة الاقلام . ويجتني من لطائفهِ الزهر في الاكمام . وتجر ذيولهُ السوابغ . على رؤوس النوابغ . وقد احببت ان اثبت منهُ هنا قصيدتهُ التي اختار لرويها حرف الثاء . حتى افتخر على سائر الحروف من الالف الى الياء . وهي قولهُ . رضى الله عنهُ

أمن طيف سلمى في البطاح الدمائث ... أرقت وأمر في العشيرة حادث
ترى في لؤي فرقة لا يردها ... عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول اتاهم صادق فتكذبوا ... عليه وقالوا لست فينا بماكث
اذاما دعوناهم الى الحق ادبروا ... وهرّوا هرير المجرات اللواهث
فكم قد مننا فيهمُ بقرابة ... وترك التقى شيء لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم ... فما طيبات الحل مثل الخبائث
وان يركبوا طغيانهم وضلالهم ... فليس عذاب الله عنهم بلابث
ونحن اناس من ذوآبة غالب ... لنا العز منها في الفروع الاثائث
يمينًا برب الراقصات عشيةً ... حراجيج تخدي في السريح الرثائث
كأدْم ظباء حول مكة عكف ... يردن حياض البئر ذات النبائث
لئن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم ... ولست اذا آليت قولاً بحانث
لتبتدرنْهم غارة ذات مصدق ... تحرم اطهار النساء الطوامث
يغادرن قتلى تعصب الطير حولهم ... ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث
فابلغ بني سهم لديك رسالةً ... وكل كفور يلتغي الحرب باحث
فان تشعثوا عرضي على سوء رأيكم ... فانيّ عن اعراضكم غير شاعث

وهي مطولة وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق . ومن الدراري ما طلع في الافق . وقد كانت ابنته عائشة رضى الله عنها اشعر من الخنساء . وكانت تروي من كلام الشعراء مالا تحفظهُ الرجال فضلاً عن النساء . ولا يخفى ان من شعراء الصحابة حسان بن ثابت الذي كان اذا مد لسانهُ بلغ انفهُ وكان يحلف بالله انهُ لو امرّهُ على شعر لحلقهُ . او على صخر لحرقهُ . ومنهم النابغة الجعدي . وكعب بن زهير . وكعب بن مالك . والزبرقان . والعباس بن مرداس . وعمرو بن العاص . وعبدالله بن رواحه . وضرار بن الخطاب . والعباس عم النبي صلى الله عليهِ وسلم . وابنهُ عبدالله بن عباس . ولبيد . ومعاوية بن ابي سفيان . وابوه ابو سفيان . والمغيرة بن شعبه . وغيرهم من الشعراء الفحول . الذين اتوا من سحر البلاغة بما يذهل العقول . فان قيل قد قال الله تعالى في حق نبيهِ صلى الله عليهِ وسلم . وما علمناه الشعر وما ينبغي لهُ . فالجواب . ان ذلك نزل ردًا لقول من يقول انهُ شاعر وان القرآن شعر فاخبرهم تعالى انهُ كلام قديم وليس بشعر حادث . وان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم مقبل على ترتيله وتبليغهِ ومن كان مقبلاً على الكلام القديم لا ينبغي لهُ الاقبال

على كلام حادث . فظهر بهذا ان قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له غير ذم للشعر ولا غض منه كما ان كونه صلى الله عليه وسلم أُميًّا غير ذم للكتابة ولا غض منها . كيف وقد كان يحث حسان على انشاء الشعر وهجو المشركين ويقول انه انكى لهم من وقع الحسام . وكان يستنشد اصحابه الاشعار . وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم حقن بالشعر دم كعب بن زهير بعد الاهدار . وانه اجاز حسان بشيرين القبطية جاريته . واجاز كعب ابن زهير بمائة من الابل ومن عليه ببردته . وقد اشترى تلك البردة منه معاوية رضى الله عنه بثلاثين الف درهم . وكانت عنده من اجل ملكه واعظم . وكانت خلفاء بني امية يتبركون بلبسها في الاعياد والمواسم ويعدونها افخر لباس . حتى وصلت مع الدولة لبني العباس . حتى انني رأيت الفاضل الاديب غلام علي الهندي البلكرامي الحسيني الحنفي قال في كتابه المسمى بسبحة المرجان لايخفى ان في قوله تعالى وما ينبغي له اشعارًا بان النبي صلى الله عليه وسلم كان قادرًا على انشاء الشعر ولم يقله بناء على انه ما كان ينبغي له فنفى تعالى الانبغاء دون القدرة عليه ثم ايده بقوله تعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين اي كتاب سماوي ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز . اه . ولقد الف الفاضل الكامل السيد محمد البرزنجي المدني رسالة في اثبات الكتابة والقراءة والشعر له صلى الله عليه وسلم قال فيها قد ثبت في الحديث ان الشعر حكمة وهي كمال ولا ينبغي ان يخلو صلى الله عليه وسلم من كمال ما لانه النسخة الكاملة الجامعة لجميع صفات الكمال الانسانية بل والملكية وايقاع النفس في التهمة بالنظر الى القرآن انما يرد بالنسبة لما قبل نزول الوحي وثبوت النبوة اما بعده فلا كما قيل في الكتابة والقراءة وكل ما صدر عنه من النطق بالشعر انما هو بعد النبوة ولم يقل احد قط انه صلى الله عليه وسلم كان ينظم الشعر ويرويه او يجالس الشعراء قبلها واما بعد النبوة فقد نطق صلى الله عليه وسلم به ورواه واستنشده الصحابة وانشدت القصائد بحضرته واصلح من كلامهم كما اصلح قول كعب من سيوف الهند بقوله من سيوف الله فلا اخلال في نبوته بل هو معجزة اخرى وكمال آخر فلا مانع في تجويزه له . اه . قلت . وقال علماء البيان في حديث ان من الشعر لحكمة ان من فيه للتبعيض والكلام فيه تشبيه وحقه ان يقال ان بعض الشعر كالحكمة فقلب وجعل الخبر مبتدا للاهتمام بحال الشعر وجعل الحكمة خبرًا عنه للمبالغة في مدح الشعر والاصل ان يكون التقدير الحكمة بعض الشعر ولا مبالغة اعظم من ذلك حيث جعل الحكمة كلها بعض الشعر ومندرجة تحته ووجه الاتيان بالمبالغة لطيف جدًّا وهو ان المبالغة لها مناسبة بالشعر وفيه ان

المبالغة جائزة اذا اقتضتها مصلحة دينية ومما يدل على ما قررناه من المبالغة . ما قال . الطيبي في تبيانهِ في حديث ان من البيان لسحرا فانهُ قال فيهِ ان من فيهِ للتبعيض والكلام فيهِ تشبيه وحقهُ ان يقال ان بعض البيان كالسحر فقلب وجعل الخبر مبتدا مبالغة في جعل الاصل فرعًا والفرع اصلاً .اه .وقال المنطقيون اذا ركبنا قياسًا من الشكل الاول فقلنا بعض الشعر حكمة والحكمة ضالة المؤمن انتج بعض الشعر ضالة المؤمن وحسب الشعر ذلك مدحًا وشرفًا ولذلك تنافست الافاضل في انشائهِ سلفًا وخلفًا فان قيل كيف قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم اشعر من لبيد

فالجواب انهُ ليس مراده ان انشاء الشعر يزري بالعلماء وانما مقصده ان التفرغ لهُ وحده بحيث يُعرض العالم بهِ عن غيره من العلوم الدينية كالاصول والفروع الفقهية مما يعد نقصًا في مقامهِ .ومخلاً بتوقيره واحترامهِ .اذ لو كان مقصوده رحمه الله ان نظم الشعر يزري بالعالم لما تعاطى هو انشائهُ لانهُ قد ثبت انهُ قيل لهُ لم لا تشرب النبيذ فقال لو علمت ان شرب الماء يخل بمروّتي لتركت شربهُ . وقد وقع الاجماع انهُ كان اشعر اهل عصره لما روى ان العباس الازرق شاعر عصره جاء اليهِ فقال لهُ يا ابا عبدالله اننا قد تركنا لك الاجتهاد والفقه والحديث ولم نشاركك فيها ونراك قد شاركتنا في الشعر وقد نظمت ابياتًا ان انت اجزت لي مثلها لاتوبن عن قول الشعر ما بقيت فقال لهُ الشافعي رحمهُ الله إيهِ فانشاء يقول

ما همتي الا مقارعة العدى خلق الزمان وهمتي لم تخلق
والناس همتهم الى طلب الغنى لا يسألون عن الحجى والاولق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي
لكنّ من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق

فلما فرغ من انشائهِ قال الامام الشافعي رحمه الله مرتجلاً

ان الذي رزق اليسار فلم يصب حمدًا ولا اجرًا لغير موفق
فالجد يدني كل امر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بان مجدودًا حوى عودًا فاثمر في يديهِ فصدق
واذا سمعت بان محرومًا اتى ماء ليشربهُ فغاص فحقق
واحق خلق الله بالهمّ امروءٌ ذو همة يبلى بعيش ضيق

ومن الدليل على القضاء وكونه   بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

فلما سمع الازرق انشاءه تاب عن قرض الشعر : ومن حكم الامام الشافعي الشعرية قوله رحمة الله تعالى ورضي عنه

ما حك جسمك مثل ظفرك   فتول انت جميع امرك
واذا قصدت لحاجة   فاقصد لمعترف بقدرك

وقوله

لسانك لاتذكر به عورة امرىء   فعندك عورات وللناس السنُ
وعينك ان ابدت اليك معايباً   بقوم فقل ياعين للناس اعينُ
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى   وفارق ولكن بالتي هي احسنُ

وكم له من نظم يزري بنظم العقود . ولطافة بنت العقود . فمن اراد ذلك فليطلبه من الكتاب الذي الفه الامام البيهقي في مناقبه الشريفة . ومكارمه اللطيفة . او من كتاب الحافظ ابن حجر المسمى بالتأنيس . بمعاني ابن ادريس . ولم تزل الائمة بعد الشافعي رحمة الله ينظمون جواهر الاشعار . ويجلون على مِنَصَّات الاسماع ابكار الافكار . حتى وصل الدور للحافظ شهاب الدين احمد بن حجر . فاتى من النظم البديع بالدرر والغرر . واما اهل الحقائق . فقد سبحوا في بحر المعارف وغاصوا فاخرجوا من منظوم دره ما يبهر الخلائق . كالجنيد . والشبلي . وابن ادهم . وذي النون المصري . وحجة الاسلام الغزالي . وابي مدين . وشيخنا ابن العربي . وسلطان العشاق ابن الفارض . والعفيف التلمساني . وجملة من الاقطاب لايحصى عددها . ولا يعد مددها . حتى انتهى الدور الى هزار روض المعارف . والبحر المورود لكل غارف وراشف . صاحب المقام القدمي . سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي . اعاد الله علينا من عواطف امداده . ونفعنا به وبسائر اولاده . فغرد في تلك الرياض الاريضة . واهدت الينا نسمات اخلاقه نفحات زهورها الغضيضة . حتى البس الاشعار من المعارف الالهية اجل شعار . واطرب بها آلة السماع حتى قطعت الاوتار . وجمع لها بين حسن يوسف وحزن يعقوب . فلذلك اخذت بمجامع جميع القلوب . وجذبت السالك في طريق القوم وناهيك بالسالك المجذوب . وللجنابه ديوانا الحقيقة والغزل . السائران في الاقطار سير النيرين او سير المثل . وبعده لاح النجم الهادي . والبحر المحيط الذي اروى كل صادي . شمس المعارف الكبرى . الذي من اتبع طريقه فله البشرى . في الدنيا والاخرى . صاحب السر الحقيقي . جناب شيخنا السيد مصطفى بن

كمال الدين البكري الصديقي . اذاقنا الله قطرة من شراب معارفهِ الرحيقي . ولا يخفى ما لجنابهِ من نظم العقود الثمينه . التي اصبحت في نحور حور المعارف احسن زينه . ثم بعد افول ذلك النجم الزاهر . ونضوب ذلك البحر الزاخر . اطلع الله من افق اليمن سهيل الولايه . بل القطب الذي كان عليهِ مدار كل آيه . بل الجواد الذي يبلغ في كل فن اقصى غاية . منشي الدروس بعد الدروس . وتاج رؤس الرؤس . ومحيي ميت النفوس . من كحل بمراود اقلامه عيون السطور والطروس . شيخي واستاذي صاحب الكرامات الظاهره . والاسرار الباهره . السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس . عم الله ضريحهُ بالرحمة والرضوان . وبوأهُ اعلى فراديس الجنان . فانه سيد من سادة كانهم العقد المنضد . بحيث يقر لسان الدهر بفضل كل منهم ويشهد . ويتولى القطبية حين يخرج من بطن امه ويولد . وكان شيخنا المذكور واسطة عقدهم الفريد . وكوكب فلك شرفهم السعيد . فقد نظم ونثر . وظهر فضله واشتهر . والف وصنف . وبدت منهُ الكرامات التي تعرف ولا تعرّف . اجتمعت بهِ وهو كالسيف في كنانهِ . فرأيت فيهِ من علوم الشريعة والحقيقة والطريقة والادب ما يسلب عقل البليغ ويخرس لسانه . واطلعني على ديوان نظم لهُ ارق من الراح . والطف من نسيم الصباح . يكاد من عذوبة الفاظهِ تنشر به مسامع الحفاظ فرأيت عليهِ من تقاريظ فضلاء العصر . ما لا يدخل تحت حصر . ثم امرني بعد تأملي في عقود دررهم . باقتفاء اثرهم . فما وسعني الا مقابلة امره الشريف بالامتثال . وان كنت لست من ابطال ذلك المجال . فكتبت على ذلك الديوان هذه الابيات وهي قولي

لله ديوانُ حبرٍ ... كالامن للمستجيرِ
يفوق روضًا نضيرًا ... وما لهُ من نظير
وكيف لا وهو اصلٌ ... ومنبع للبحور
واسطر فوق ماءٍ ... وجنـة في حرير
فيا لهُ من بديعٍ ... يزري بنظم الحرير
وينتمي في المعالي ... للعيدروس الشهير
فيافؤادي تنبـه ... لنشق ذاك العبير
وانظر ذوات قصورٍ ... ليست بذات قصور

فلما قرأ هذه الابيات مال طربًا . وابتسم فرحًا وعجبًا . واشار الى الابيات التي قُرظت بها ابيات ديوانه البهيجة . وقال لي تلك مقدمات وابياتك هي النتيجة . فقلت راحتهُ

وقلت رهب ياسيدي انها الدر اليتيم . فهل اجتليها عبدكم الاّ من بحر فضلكم العظيم . ومن غزله الذي هو ارق من الجريال . مزج بالماء الزلال . قوله

قالوا لسان الثور فيهِ الشفا في طبنا من كل داء عضال
قلت لسان الثور لم ابغهِ ما بغيتي الا لسان الغزال

ومن كلامهِ في الحقيقة يصف فوارة ماء قوله

ان في الفوار معنىً يظهر العرفان قدره
ان تعلّى فهو فرد او تدلىّ فهو كثره

وله مطلع قصيدة وهي قوله

تكثّر الورد وهو واحد فاشرب على هذه المشاهد

ولما شرف دمشق الشام . خضعت له علماؤُها الاعلام . وهرعت اليهِ الخواص والعوام . وفي ليلة المولد الشريف دعاه مفتيها علي افندي المرادي . الى داره التي عم فضلها الحاضر والبادي . وكان في مثل تلك الليلة تجتمع عنده علماء دمشق وقضاتها . واكابرها وساداتها . حتى واليها امير الحجيج . ومع ذلك تجدها مملوءة بالوقار خالية من الضجيج . فمن الاتفاق العجيب انهُ في تلك الليلة هبط في تلك الدار تخت كان فوقهُ جماعة وتحتهُ جماعه . فما مدّ الدهر بالاذى لاحدٍ منهم باعه . فارتجل شيخنا العيدروس في ذلك بيتين يستعير رقتهما طرف الزهر الغض . ويغار منهما نظم كل عقد فيرفض . وهما قوله

وما كان مهوى التخت الا للمعة تبدت لهُ من نور اشرف من نُبّي
كما قيل دُكّ الطور من نور ربنا وحسبي بهذا شاهدًا يا اولي اللب

وكان شيخنا الامام . واسدنا الضرغام . من تاه بهِ المغرب على المشرق . وامست السنة الاقلام والانام بفضلهِ تنطق . شمس الدنيا والدين . الشيخ محمد المغربي التافلاتي بلغ الله روحه الرفيق الاعلى في عليين . حاضرًا في تلك الليلة السعيده . فانشا يقول هذه الابيات الفريده . وهي قوله

تخشع التخت لمّا اصغى لذكر الحبيبِ
فارتجّ يبدي حنينًا كجذع طه المنيبِ
فطاف كاس سرور على جميع القلوب

قلت ولو كنت حاضرًا لقلت

سمعت ذكر حبيبي ممن نظرت اليهِ

فكدت اسقط و... الغرام عليهِ

اما ترى التخت امسى يخر بين يديهِ

فعلم بكل ما قدمتهُ من الحجج الواضحة . والبراهين الراجحة . ان الشعر من اكبر المناقب عند اولي العقد والحل . وانهُ كما قال ابن الوردي في لاميتهِ عنوان على الفضل . وانهُ لا يذمهُ الاّ كل من عجزت قريحتهُ القريحة عن استنباط عيونهِ . واستخراج يتيم دره وثمينهِ . كما قال سيدنا العارف بربهِ تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي

انظم الشعر وخالف كل من حذّرمنهُ

لا يعيب الشعر الاَّ كل من يعجز عنهُ

لكنهُ الان قد تقطعت اسبابه . وتقلعت اوتاده . وهوت فواصلهُ وعماده . وتكدر بحره الوافر الوافي . واصبحت السنة الذم لهُ قوافي . وباتت الطباع الفاسدة تنفر منهُ وتسأم . وكسد جوهره في سوق الفسوق فلا يسام بدينار ولا بدرهم . وقد تكسد اليواقيت . في بعض المواقيت . فلما رأيت الدهر وفساده . والشعر وكساده . خلعت النباهه . ولبست البلاهة . وقلت لعل بهذه المشاكلة . يحصل بيني وبين ابناء عصري مداخلة . فلم يزدهم ذلك مني الا فرارًا . وغلظة واستكبارًا . فلما خاب الامل . ونفدت الحيل . وحرت في تلك الاشخاص . ورأيت ان لات حين مناص . اقبلت على الله تعالى بالاخلاص وسألتهُ باسمائهِ العظام . ان يريني كريمًا من ابناء الكرام . ولو كان اضغاث احلام في المنام . فاجاب ذلك الكريم دعوتي . ورحم عبرتي وغربتي . ونفّس كربتي . وجمعني بمولًى ينشد كل من رآه من الناس . قول الحسن بن هانيء المعروف بابي نواس . حيث يقول

ليس على الله بمستنكرٍ ان يجمع العالمَ في واحد

ولما صرت في جواره . ورأيتهُ كالبدر في دارة داره . وتأملت رقة شمائلهِ التي هي ارق من نسيم الشمال ورحيق الشمول . ايقنت انه هو الذي عناهُ القاضي الفاضل في قولهِ حيث يقول

لقيتهُ فرأيت الناس في رجلٍ والدهر في ساعة والارض في دار

فان قلت ايها السامع . من هذا المولى الذي ملأت بمدحه المسامع . فاكشف لنا عن حقيقة امره . حتى نضرع الى الله تعالى ان يطيل عمر الفضل والكرم بطول عمره . لان عين دهرنا محتاجة الى مثل هذا الانسان . ودر الادب لا يتكون الا من مطر نيسان . فلقد بعثنا وصفهُ من مرقدنا واحيانا . والاذن تعشق قبل العين احيانا . قلت يا لله العجب

كيف تسألون عن ذلك البدر . وقد اشتدت ظلمة هذا العصر . واذا اشتد الظلام . زاد ظهور البدر التمام . فقالوا هذا دليل على ان خفاءهُ علينا ليس من قلة نوره . وانما اختفى عنا لشدة ظهوره . فدعنا من الاشارة الى ذلك المولى المحترم . وصرح لنا باسمهِ المفرد العلم . قلت ذلك هو الشبل الذي فاق كل ضرغام . والهلال الذي اخجل بدر التمام . والفتى الذي حوى حكمة الشيوخ وهو غلام . والجواد الذي تكذّب اياديهِ من قال مات الكرام . الفرع النابت من دوحة الوزارة . والقلب الذي مسكتهُ الصدر ومجلسهُ الصدارة . والفطن الذي تغنيهِ فطانتهُ عن العبارة والاشارة . النبيهُ النبيل . من لا يحتاج نهار فضلهِ الى دليل . الالمعي اللوذعي حاوي الصباحة والسماحة . والبلاغة والفصاحة . والهيبة والوقار . والتواضع مع عظم المقدار . بهجة جنة دمشق ونعيمها . وواسطة عقد بني العظم وعظيمها . جناب محمد بك بن علي بك بن محمد باشا . بلغهُ الله في الدنيا والآخرة ما شا . فانهُ المشذّب المهذّب . والعذيق المرجب . والشاب الذي نشأ في الطاعة . وارتضع ثديَ المكارم حتى اتم الرضاعة . وعشق القناعة . حين كشف لهُ التوفيق قناع القناعة . وسحب ذيول ملابس التقوى . واعرض عن الاسباب الواهية وتمسك بالسبب الاقوى . فهو القِدْحُ المعلّى . واصبع السيادة المحلى . حوى مع صغر سنهِ كبر الحزم والعزم . ونصب نفسهُ لرفع صبوة الصبا وجزم ببلوغ الكمال فلم يحطّ منهُ ذلك الجزم . وحقق لنا ان الكمال من مواهب الكريم المنان . وانهُ ليس متوقفًا على كبر سن الانسان . كما قال ابن المعتز

ان الحداثة لا تقصّـــر بالفتى المرزوق ذهنا
لكنْ تذكّي عقلهُ فيفوق أكبر منهُ سنّا

ولله در من قال

لقد عظم البعير بغير لُبٍ فلم يستغن بالعظم البعير

وكم من كبير صغير كما قيل . جسم البغال واحلام العصافير . ومن العجب العجب . حيازة ذلك الممدوح مع اليتم وافر الادب . وان شئت فقل . لا عجب في ذلك للمتأمل الناظر . فان باليتم تزداد قيمة الجواهر . وما احقهُ بقول الشاعر

بحرٌ غنيٌّ عن الاصداف لؤلؤهُ ونفس همتهِ العليا تربّيهِ

فالمدار كلهُ على وجود الهمم العلية . والنفوس العصامية . كما قيل

نفس عصام سودت عصاما وعلمتهُ الكرّ والاقداما
وصيرتهُ ملكًا هماما

ولما رأى الكسائي من المامون مع صغرسنهِ ما بهرهُ من الادب . حتى قضى منهُ با لعجب . قال لهُ المأمون لا تعجب ايها الشيخ فانّا اناس يولد ادبنا معنا . فاشار المامون الى ان ادبه خلقي لا مكتسب يحتاج الى المشقة والعنا . ولما رأيت المكارم لجنابهِ عاشقه . والسن الخلق بمدحه ناطقه . انشات اقول في جنابهِ

كأن اباهُ لما بشروهُ بمولدهِ الحريّ بكل سودد
تفرس فيهِ كثرة مادحيهِ فعظمهُ وسماهُ محمد

وقلت فيهِ

فتىً كم نعمنا في ظلال جنابهِ زمانًا ظننا انهُ زمن المهدي
وكم فاه فينا وهو طفلٌ بحكمةٍ فقل في بليغٍ قد تكلم في المهدِ

وقلت فيهِ

بيكٌ هو البحر الذي يهب الجواهر للعفاةِ
في وجههِ ماء الحيا وبكفهِ ماء الحياةِ

وقلت فيهِ

بروحي صغير السن دانت لقدرهِ كبار البرايا من فصيح واعجمِ
وليس عجيبًا فالهلال ابن ليلةٍ يفوق الثريا وهي سبعة انجم

وقلت فيهِ

بيكٌ كبدر كمال يبدو فيزري الشموسا
لهُ يدان علينا لم يتركا قط بوسا
بيضاء كالفجر هذي وتلك تحيي النفوسا
لم يبرحا يُذْكراني بفضل موسى وعيسى

وقلت فيهِ

دعوهُ محمدًا لما رأوهُ حوى حمد الاماثل في لداتهِ
فلم ارَ مثلهُ مولىً كريمًا فقد امسى اسمهُ وصفا لذاتهِ

فيا لهُ من شاب قطع طريق المشايخ سلوكا . ومن كانت عين الكمال لهُ جارية كان القلب لهُ مملوكا . وجوادٍ تودّ دراهم الكواكب ان تكون في راحتهِ دنانير . ولو صرف منها ما لا

ينصرف في غير اسراف ولا تبذير . واعلم ان اول اجتماعي بذلك الممدوح . الذي هو لجسم الادب والكمال بمنزلة الروح . وفي فلك السعادة والسيادة كوكب يلوح . وجدت لجنابهِ هيبة الاسود . ويقظة الفهود . وابّهة الملوك . وتواضع المملوك . ومحاضرات الاصمعي والقاضي الفاضل والعماد . ومطارحة ابن مطروح ومصاحبة الصاحب ابن عباد . ونفس عصام وحياء عثمان . وهمة آصف وزير سليمان . وكرم اولاد جفنة ملوك غسان

فلو رأى هَرِم معشار نائلهِ　　لقيل في هرم قد جُنَّ او هَرِما

كأن الكرم قد احبهُ وعشق . فلو وقع كل جوادٍ في ضحضاح بحر كرمهِ لغرق

تراهُ اذا ما جئتهُ متهللاً　　كانك تعطيهِ الذي انت سائله

مع ذكاء نتوقد كذكا رابعة النهار . وخطاب الطف من دموع الندا على الورد والجلنار ومحاسن اخلاق اقسمت انها لغيره لا تجتمع . ورقة طبعٍ ترق ولا تنقطع

من كان يعلم قدر رقة طبعهِ　　هو مقسم ان الهواء ثخينُ

فجاره كجار ابي دواد ومجالسهُ كمجالس القعقاع بن شور . وهو في فلك السعادة الاسد ومن يضاهيهِ فانما هو الحَمَل او الجدي او الثور . مؤدب الخدام . يحيطون بهِ احاطة النجوم ببدر التمام . يتوسم الناظر فيهِ الخير . ويقفون بين يديهِ بالوقار كانما على رؤُسهم الطير . يخدمونهُ بالاشارة . ولا يحوجونهُ للعبارة . يكثرون عند مجيء الضيف واقبالهِ . ويقلون عند ذهابهِ وارتحالهِ . ولا بدع في ذلك فمولى القوم منهم . لانهُ ياخذ الاخلاق عنهم . والمجاورة لها تأثير . ولا ينبئك مثل خبير . وقد جرت عادة الله في جميع الازمان . ان سريرة الموالي تظهر في وجوه الغلمان . قال الشاعر

واذا ما جهلت ودّ كبير　　فاختبر وده من الغلمان

ان عين الغلام تنبيك عما　　في ضمير المولى من الكتمان

وكان ممدوحنا اطال الله بقاءهُ حين اجتماعي بهِ جالساً في دارٍ اخذت سعتها من صدره . وتعلمت مياهها الجريان من انامله وجريان وفْره . حتى كانها دارة هو زبرقانها . او جنة هو رضوانها . قد جمعت من المزايا ما تلذ الحواس . فما اشبهها بدار العباس . فلما ساح فكري في ساحتها . وجال في مساحتها انشأت اقول

يادار اسعد باشا　　لك النعيم المخلد

بطلعة ابن عليٍّ　　ابي السعود محمد

بدر يزيد كمالاً　　من النجوم تولد

ذو همة غاز منهــــا حد الحسام المجرد
اما ترى السيف منها في جفنهِ بات مغمد
ولطفة في البرايا مما فشا وتأكـد
حتى غدا كل شخص بهِ يقر ويشهـد
كانــه من نسيم ال قبول بات مجسد
اما ترى ورد خد ال رياض منه تورد
والبحر لما رآهُ بجود ارغى وازبد
والدهر بات غلامًا لمن عليـهِ تردد
فتى بهِ ابيضّ حظي من بعد ما كان اسود
وبيت شعري بجدوى يمينهِ قد تشيد
من بعدما كان اقوى في دهرنا وتهدد
ياسيدي عش سعيدا فان جدك اسعد
وسوف ترقى لأوجٍ من الكواكب ابعد
فاحفظ بشارة عدل بها الفراسة تشهد
واسلم ودم في سرور ما طائر الصبح غرد

وقولي بها الفراسة تشهد . فيهِ ايماء . لقول بعض البلغاء

ان الهلال اذا رايت نموّهُ ايقنت ان سيصير بدرًا كاملاً

ثم امتدحت جنابه بقصيدة طالت فقصرت عن بلوغ كمالاته وما القصد بمدح جنابه الاّ تحلية ابكار افكاري بعقود جواهر صفاته كما قيل

فتى لم نزنه بالقوافي وانما مدحنا علاه كي نزين القوافيا

فلما جليت عليهِ ابكار مبناها . وانكشف لهُ لثام معناها . ترنح ترنح الغصن الخضل . ومال ميل الشارب الثمل . وطرب والكريم طروب . واقبل عليّ بشمس ذاتهِ التي ارجو الله تعالى ان يصونها من الكسوف والزوال والغروب . واجازني جوائز هرم بن سنان . وملوك غسان لحسّان . حتى ظننت اني في الدولة العباسيه . ووزرائها البرمكيه . ولا عجب في فيض البحر الزخار . ولا في نوء السعد اذا اتى بغزير الامطار . فاقل ما في الكريم اطلاق بره . واكثر ما في اللئيم كف شره . ثم احضر ديوان نظم صغير الحجم . جميل الرقم . وقال ان هذا الديوان كبير مع صغرهِ . يكتفي بهِ النبيه في حضرهِ وسفرهِ . لما حواه من عقود الجمان .

وبديع المعاني والبيان . فقلت جعلت فداك . وقصر كل جواد سابق عن غاية مداك .
انما يكبر الشيء بوجود المزايا وكثرتها . وانما يصغر بعدمها وندرتها . وكيف ينكر فضل
الصغير مع عظم شانه . وفي الحديث انما المرء باصغريه قلبه ولسانه . فلولا اختصاص
الانسان . بالقلب واللسان . لم يكن له مزية على جنسه من الحيوان . فلمن هذا الديوان .
الذي مدحك اياه دليل على حسنه وبرهان . فقال هو لشيخ اهل الموصل وعميدها . وسيد شيخها
ووليدها . من انفرد بالفضل الجزئي والكلي . ونسخ آية الصبيّ الحلي . وفاق بجماله وجلاله
اللؤلؤ والجلال الحلي . الامام الاصولي . الفقيه الصوفي الاريب الناظم الناثر الشيخ
عبد الرحمن الموصلي . فهل لك وقوف على ترجمته . ونسبته وعام ولادته . فقلت نعم
هذا الامام ممن تأخر عصرًا . وتقدم ذكرًا . فكان كالشمس بعد الفجر . والدِّيمة بعد
القطر . فما احقه بقول القائل

وانّي وان كنت الاخير زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الاوائلُ

وقد ذكره المحبي في تاريخه عند ما ترجم والده الشيخ ابراهيم استطرادًا فقال هو والد مولانا
الشيخ عبد الرحمن الموصلي الصوفي الاريب الذي بهر واشتهر وفاق على اهل عصره في الادب
كروض اطل على نهر . وانت خبير ان المحبي لم يترجم في تاريخه الا اهل القرن الحادي
عشر . وقد ذكر وفاة والده الشيخ ابراهيم انها بالمدينة المنورة سنة اربع وخمسين والف
فعلى هذا يحتمل ان ولده الشيخ عبد الرحمن المذكور ادرك القرن الثاني عشر واما نسب
الشيخ فهو الشيخ عبد الرحمن بن ابرهيم . بن عبد الرحمن . بن ابي الفضل . بن بركات . بن
ابي الوفا . بن عبد الله بن محمد . بن ناصر الدين الميداني . الصوفي المعروف بالموصلي .
ينتهي نسبه الى الشيخ العارف بالله تعالى ابي بكر الشيباني . قال المحبي وكان الشيخ ابرهيم والد الشيخ
عبد الرحمن المذكور فقيهًا شافعي المذهب فرضيًا حسن الخلق جم الطول مبذول النعم
وله ثروة وافرة واملاك وعقارات وكان مبجلاً بين الناس وله حفدة ومريدون يرجعون
الى نعمته الدارّة . وخيراته القارة . انتهى . فعلم بهذا ان الشيخ عبد الرحمن كان ممن افتخر
به آخر الزمان على اوله . وانه حظى من قسم الفضل باوفره واكمله . وديوانه اللطيف .
يدل على مقامه المنيف . دلالة العرف على الزهر . ومخضل النبات على القطر . كما قيل

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

فقال لقد رفعت الحجاب . ونطقت بالصواب . وقد وجدت في ديوانه هذا بيتين .
اخا لهما الفرقدين . بل النيرين . لايمكن ان بليغًا يعززهما بثالث . ومن حلف ان لهما

نظير فهو حانث . هذا ولم يجد فكري طاقة بالدخول الى معناها من باب . وقد سألت كثيرًا عن قصده فيها فأجبت بما اظن انهُ غير الصواب وهما قولهُ من قصيدة

إِنْ مَرَّ وَٱلْمِرْآةُ يَوْمًا فِي يَدِي * مِنْ خَلْفِهِ ذُو ٱللُّطْفِ اَسْمَى مَنْ سَمَا
دَارَتْ تَمَاثِيلُ ٱلزُّجَاجِ وَلَمْ تَزَلْ * تَقْفُوهُ عَدْوًا حَيْثُ سَارَ وَيَمَّمَا

فهل يمكنك حلُّ رمزها . وفتح كنزها . ورفع لثامها . ودفع ابهامها وابهامها . ليتمتع رائيها بجمالها الموفور . وحسنها المستور . فانك اعلم ببنات الافكار من آبائها . وابلغ من ذلَّل معانيها للفكر بعد اِبائها . قلتُ يمكن ان شآء الله بلوغ مرغوباتك . ان امددتني بنور مصباح مشكاتك . غير ان كنز معنى هذين البيتين خفي لا يحل طلسمهُ الا بالعزائم . ولا يُتوصل الى جوهره الا بمقدمات تكون امامها كالنجوم ليهتدي بها اليها كل ضالّ عنها وهائم . ﴿المقدمة الاولى﴾ ان يستحضر كل هام . ان شاربي المدام انقسموا في شربها ثلاثة اقسام . قسم لا يشربها الا صرفًا وهم العرب الا النزر القليل منهم . وقسم لا يشربها الا ممزوجة وهم العجم كما اشتهر ذلك عنهم . وقد انقسم هذا القسم الى قسمين . قسم اكتفى من مزجها بقليل من الماء وقسم يرى كثرة الماء فرض عين . وهناك قسم رابع وهو الطف الاقسام وأظرفها . واعرفها بالشراب والساقي واشرفها . المشار اليهِ في ابكار افكار خمرية ابن الفارض . لا زال روض ضريحهِ تحت ذيل العارض . بقولهِ

عليك بها صرفًا وان شئت مزجها   فعدلك عن ظَلم الحبيب هو الظُلم

يقول الزم شرب الخمرة صرفًا وان رمت مزجها ولا بد فامزجها بريق حبيبك لا بالماء فان اعرضت عن ريقهِ الى الماء فاعراضك عنهُ ظلم اي وضعٌ للشيء في غير محلهِ وهذا البيت اسلس من الماء الزلال . يسلب الالباب بسحره الحلال . ويرقص سامعهُ ويطرب ويفصح عن بلاغة ناظمهِ ويعرب . فيهِ من انواع البديع المطابقة بين الصرف والممزوج . وايهام المطابقة بين قولهِ فعدلك وقولهِ هو الظلم لانهُ اراد بالعدل الاعراض تقول عدلت عن الشيء اذا اعرضت عنهُ ومثلهُ قول الشاعر

لا تعجبي يا سليم من رجلٍ   ضحك المشيب برأسه فبكى

وفيهِ المبالغة لانهُ اتى فيهِ بتعريف المبتدا وهو قولهُ فعدلك والخبر وهو قولهُ هو الظلم مع اتيانهِ فيهِ بضمير الفصل وهو قولهُ هو الظلم ومرادهُ بذلك حصر المبتدا في الخبر مبالغةً اي هو الظلم لا غيره وفيهِ الجناس المحرّف بين الظَلم والظُلم وفيهِ الايجاز وذلك في قولهِ

وان شئت مزجها الخ لان التقدير كما تقدم وان شئت مزجها فامزجها بريق حبيبك فان عدلت عن ريق حبيبك الى الماء فعد الك عن ذلك ظلم وحذف هذا المقدر هو الايجاز وفيهِ التمكين وهو ان تكون القافية مستقرة في محلها غير قلقة وفيهِ الاشارة وهو الاتيان بلفظ قليل .ومعنىً جليل .وفيهِ الابداع بالباء الموحدة وهو الاتيان في البيت الواحد اوالقرينة بعدة ضروب من البديع وقد تقدم عدة ضروب من انواع البديع في هذا البيت وفيهِ غير ذلك مما يحير الافكار .ويملاء بشرحه الاسفار .وتنادي على نفسها انها من الفيوضات الالهية التي لاتحصل بالكسب واتعاب الاسرار. كما قال سيدنا العارف بربهِ عبد الغني النابلسي قدس سره

وما انا شاعر وكلام مثلي بعيد عن مدى قول المغني

فان قلت كيف يقول الشيخ وما انا شاعر وشعره مما شاع وذاع .وملأ القلوب والاسماع . فالجواب ان الشعر لايكون شعرًا الا اذا اجتمع فيهِ ثلاثة اشياء الوزن والقافية والقصد فان فقد واحد من هذه الثلاثة فلا يسمى حينئذٍ شعرًا وشعر الشيخ قدس سره وُجد فيهِ اثنان وهما الوزن والقافية ولم يوجد فيهِ القصد وذلك لان كلام امثالهِ من الواردات الالهية التي هي عندهم كالعطاس لايمكن رده فاذا تكلم صاحب الوارد بكلام يكون كلامهُ غير مقصود لهُ لانهُ امر اضطراري كحركة الارتعاش فلذلك قال وما انا شاعر اي كلامي الذي تسمعونهُ موزونًا ليس بشعر لانهُ من الواردات الالهية التي لايقصدها الشخص بل تأتيهِ قهرًا عليهِ ولذلك قال الشيخ الاكبر قدس سره

كلامنا ليس بحرف ولا صوتٍ ولكنْ وارث المصطفى

انطقنا الله بهِ مثلما انطق اهل الفضل والاصطفا

فقولهُ ليس بحرفٍ ولا صوت يعني مدلول كلامنا وهو كلام الله القديم النفسي الذي هو ليس بحرف ولا صوت وان دل عليهِ بالحرف والصوت فكلام القوم بالنسبة الى الدال حرف وصوت و بالنسبة الى المدلول لاحرف ولا صوت اذا عرفت ذلك عرفت مقدار كلام القوم لا سيما كلام ابن الفارض الذي قال فيهِ بعض الائمة حين سمعهُ هذا كلام فوق كلام المخلوقين وتحت كلام الخالق فان قلت انهُ اذا كان فوق كلام المخلوقين يكون فوق كلام الانبياء فالجواب ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلامهم من كلام الخالق بدليل قوله تعالى في نبينا صلى الله عليهِ وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واذا كان كلامهم من كلام الخالق فلا اشكال *ثم نعود الى ما كنّا بصدده فنقول اذا عرفت ان

شاربي المدام منقسمون ثلاثة اقسام فاعلم ان العرب ميزت بين المدام الممزوجة بالماء الكثير
والممزوجة بالماء القليل فقالوا في الاولى مقتولة وفي الثانية مشجوجة فسموا الماء الكثير لها
قتلاً والقليل شجًا وسموا الاول قتلاً لانهُ يخرجها عن طبعها لان طبعها الحرارة واليبس فاذا
اكثر لها الماء تحولت حارّةً رطبةً وحينئذٍ تذهب نشوتها ومسرتها التي هي لها بمنزلة الروح
ولذلك شبهوها بالقتيل الذي تغير طبعهُ وذهب نفعهُ وسموا مزجها بالماء القليل شجًا تشبيهًا
لها بالانسان الذي شج رأسهُ لان من شج رأسهُ ذهب بعض خواصهِ وهو الدم الذي يخرج
من شجتهِ ويبقى فيهِ بعض خواصهِ كما انهُ يذهب من المشجوجة بعض خواصها وهو شدة
اسكارها . وثقل خمارها . ويبقى بعض آخر وهو نشوتها وسرورها . وغبطتها وحبورها .
ويقال للمشجوجة المقطوبة والمعرّقة والمشعشعة والمجدوحة ومماشة ومشابة وممزوجة فهي سبعة
اسماء ذكرها ابن خالويه وذكر للخمر نحو سبعين اسماً في شرح الدريدية ﴿ اسماء الخمرة ﴾
منها الخندريس . والزنجبيل . والاسفنط . والزرجون . والخرطوم . والرساطون . والسيئة
والكميت . والعقار . والشموس . والمصطار . والعانية . والحانية . والجريال . والسلسال .
والمانع . والسلسل . والنشوة . والقهوة . والصهباء . والطلا . والسلاف . والسلافة . والمدام
والمدامة . والراح . والمزّة . والضريع . واما الضريع في قولهِ تعالى ليس لهم طعام الا من
ضريع فهو نبات مرٌّ يقال لهُ الشبرق ومن اسماء الخمرة القرقف والبكر . والعجوز . وغير ذلك
وقد اختار بعض العرب المشجوجة اختيارًا منهم للاوسط التي هي ما بين التفريط والافراط
كما قيل حب التناهي غلطٌ خير الامور الوسطُ
وقال الآخر (كلا طرفي قصد الامور ذميم) ومن ذلك قول كعب بن زهير في بانت سعاد

شجت بذي شبَمٍ من ماء محنيةٍ صافٍ بأبطح اضحى وهو مشمولُ

قوله شجت اي الراح بذي شبم اي بماء ذي بردٍ وذلك الماء من ماء محنيةٍ اي ماء ما
انعطف من الوادي لان ماءه يكون اصفى ولذلك قال صافٍ وقوله وهو مشمول اي
ضربتهُ ريح الشمال فزادت في برودته وقد وافقهم على ذلك بعض الاعجام كما سبق ذلك
اول الكلام قلت وانما اختار العرب الصرفَ والمشجوجة اشارة الى غزارة عقولهم وانها
لا يذهبها الصرف من الجريال ولذلك قال عنترة

وإذا سكرت فانني مستهلك مالي وعرضي وافرٌ لم يكلمِ
وإذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

وهذا الايقوله من ذهب عقله . ولا من غلب عليه جهله . ولهذا قال بعضهم في ممدوحه

يعيد عطايا سكره حال صحوه   ليعلم ان الجود منه على علم

وانما اختار العجم الممزوجة لعلمهم ان عقولهم ليست كعقول العرب . اذا استولى عليها السكر والطرب . وذلك لان الصرف من المدام يذهب من العقل الكثير بأقله . و يذهب بالعقل القليل كله . قال الشاعر

العشق يسكر كالمدا   م اذا تمكن في العقول
يُنفي اليسيرَ من الكثي   ر فكيف ظنك بالقليل

وممن صرح بكراهة المقتولة من فحول الشعراء حسان ابن ثابت رضي الله عنه حيث قال

ان التي ناولتني فرددتها   قُتلت قتلتَ فهاتها لم تقتل
كلتاهما حَلَب العصير فعاطني   بزجاجة ارخاهما للمفصل

المعنى ان الخمر التي ناولتنيها قتلت اي مزجت بالماء الكثير وقوله قتلت جملة دعائية معترضة دعا بها على قاتلها بالقتل ليكون جزاؤه من جنس عمله وقوله كلتاهما اي الخمر والماء الذي مزجت به حلب العصير بفتح الحاء واللام بمعنى المفعول كالخبط والقبض بمعنى المخبوط والمقبوض اي ان الخمر حلب عصير العنب والماء حلب عصير السحاب قال تعالى وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا فان قلت لم غلب هنا الخمر على الماء على غير القياس لان القياس ان يغلب المذكر على المؤنث الا في التاريخ فانهم يغلبون فيه المؤنث وهو الليالي على المذكر وهو الايام فيقولون جرى ذلك الامر لاربع مضين او بقين من شهر كذا قلت قد غلب العرب المؤنث على المذكر في غير التاريخ لشرف المؤنث ومنه حديث حبب اليّ من دنياكم ثلاث بحذف التاء من ثلاث لانه على ثبوت ورود لفظة ثلاث في الحديث يكون غلب فيه المؤنث وهو النساء على المذكر وهو الطيب وقوله ارخاهما للمفصل هو بوزن منجل اللسان سمي به لانه آلة فصل الخطاب والمعنى فناولني الخمر صرفا لانها ارخى الشيئين وهما الماء والخمر للسان وفي قوله ارخاهما بحثان (الاول) ان ارخى افعل تفضيل فيقتضي مشاركة الماء للخمر في ارخاء اللسان وليس هذا في الواقع فان الماء لايرخي اللسان واجيب بان افعل التفضيل قد يستعمل على وجه لايقتضي المشاركة كما قيل في قول المؤذن الله اكبر لان معناه الله كبير على بعض الاوجه . (البحث الثاني) ان افعل التفضيل لايبنى الامن الفعل الثلاثي وهنا بناه من الرباعي وهو قولهم ارخيت الحبل مثلا ولا يقال رخيته (واجيب) بان منعه عند الاكثر وهو مقيس عند بعضهم فيتخرج على لغتهم فان قلت قد

قدمت ان كعب بن زهير ذكر المشجوجة في شعره وشعرهُ انشده بحضرة النبي صلى الله عليهِ وسلم فكيف وصف الخمريين يديهِ وتغزل فيها وسكت عنها النبي عليهِ الصلاة والسلام وتحريمها سابق على اسلامهِ لان تحريمها كان سنة ثلاث واسلامهُ كان سنة ثمان (فالجواب) انهُ جرى في ذلك على عادة العرب في اشعارهم مع قرب عهده بالاسلام وقد قالوا الاديب من يخوض في كل فن ولذلك الف الحافظ السيوطي كتاب الايك وكتاب تشقيق الاترج الى غير ذلك ولذا اباحوا للاديب انشاء وانشاد الخمريات والتغزل بالمرد والتشبب بالنساء المشبهات الحاظهن بالسيوف وقد ودهن بالسمهريات بشرط عدم تعيين من يتغزل بهِ او يشبب لما يترتب على تعيينهِ من المفاسد التي تشيع فتملأ ما بين المشرق والمغرب ومن الطف ما نظم في المشجوجة قول صدر الدين بن الوكيل حيث يقول

ما الكاس عندي باطراف الانامل بل بالخمس تقبض لا يحلو لها الهربُ
شججت بالماء منها الرأس موضحة فحين اعقلها بالخمس لا عجبُ

وقد اشار بهذا الى معنى خفي لطيف وهو انهُ لما شج رأس الكاس شجة موضحة خشي منها ان تهرب منهُ كما يهرب المضروب من ضاربهِ فعقلها ومنعها من الهرب باصابعهِ الخمس مضمومة عليها لان الخمر توصف عندهم بالخفة والخفيف يخشى هربهُ فكيف اذا كان خفيفًا ومشجوجًا فجعل علة ضم اصابعه على الكاس خوف هربها وعلة هربها شجة رأسها شجة موضحة وهذه نكتة بديعة يقال لها حسن التعليل وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى (وفي) كلامه ايضًا اشارة خفية فقهية وهي ان اعلى الشجاج عند الفقهاء الموضحة وهي التي تشق الجلد وتوضح العظم فان كانت عمدًا وجب فيها القصاص او خطأً او شبه عمدٍ وجب فيها خمس من الابل تحملها عاقلة الشاج كما تحمل عنهُ الدية في القتل ان كان خطأً او شبه عمد والكاس اذا تناولها الشارب عقلها باصابعهِ الخمس اي منعها من الحركة او من انصباب ما فيها على الارض فالمعنى على هذا انني شججت رأس الكاس موضحة فاذا عقلتها بالخمس فلا عجب لانهُ المطلوب مني في مقابلة شجها فبين شج الراس وشج الخمرة في الكاس مناسبتان ظاهرة وخفية فالخفية ما ذكرناه والظاهرة هي ان شج الكاس يوجب خروج الحبب منها وهو اي الحبب شيءٌ يظهر فوق الخمرة اذا مزجت بالماء في الكاس كالفقاقيع التي تكون من المطر اذا نزل على الماء كما في الاساس وقال المناوي في شرح القاموس الحباب بالفتح وخفة الباء وقال في شرحه على الجامع الصغير في شرح خبر كان يحب التمر بالزبد الزبد هو ما يستخرج بالخض من لبن البقر والغنم واما ما يستخرج من

لبن الابل فلا يسمى زبدًا بل يسمى حبابًا لخروج الحبب بالشج من الكاس مناسب لخروج الدم بالشج من الرأس وفرّق بعض اهل اللغة بين الحباب والحبب بان الحباب ماظهر بالمزج في الكأس مثل طرق النمل او جوهر النصل والحبب هو الفقاقيع والى هذا الفرق يشير قول ابي نواس الى الاوّل

كانها بزلال الماء اذ مزجت　　شباك درٍ على ديباج ياقوت

ويشير الى الثاني بقولهِ

كان صغرى وكبرى من فقاقعها　　حصباء درٍ على ارض من الذهبِ

وهذا البيت غاية في هذا الباب ومع كونه غاية لحنوه فيه لان صغرى وكبرى في شعره مؤنث اصغر واكبر وهو افعل تفضيل ولا يسوغ استعماله الا باداة التعريف قبلهُ او بمن الجارة بعده وهنا مجردة عن كل منهما واجيب عنهُ بانهُ لم يرد بقوله صغرى وكبرى افعل التفضيل وانما اراد الصغيرة والكبيرة ويجاب عن ابي نواس ايضًا بان من في قوله زائدة على مذهب من يرى زيادتها في الاثبات وان صغرى وكبرى مضافان وذلك على حد قول الشاعر (بين ذراعيْ وجبهة الاسد) ورد ذلك في المغني مان من لا تزاد في الايجاب ولا مع تعريف المجرور وهذا قول سيبويه . قلت لكن لهُ قول يناقض هذا وهو انهُ جوز لله دره فارسًا ومن فارس ورواه عن العرب فتناقض كلامهُ فتأمل وقد المّ بعض البلغاء بقول ابي نواس فقال

نوج الكأس بدر الحببِ　　واجلها في خلعةٍ من ذهبِ
بين صحبٍ كلما زفت لهم　　امهروهـــا عقلهم من طربِ
واذا ما نظمت شملهمُ　　نثرت فيهم عقول الادبِ
لا تؤخر لذةً ان امكنت　　انمـــا الدهر سريع العطبِ

وللشعراء في تشبيه الحبب والحباب . مالا يسعه سفر ولا كتاب . ومن الطف ما رايتهُ فيهِ قول الشهاب الخفاجي في ريحانته يصف قومًا من ابناء عصره

لا يعكفون على غير الحرام اذا　　تجمعوا كحباب الكاس واجتمعوا

وقد اقتديت بهِ فقلت في انسان

وغدٌ تولد من أُمٍ مدنسةٍ　　ومن ابٍ طاهرٍ زاهٍ كمصباحِ
شبهته بحباب الكاس حين علا　　وقد تولد من ماءٍ ومن راحِ

وفيهِ اشارة الى انهُ علا مع نجاسته كما يعلو الحباب المتولد من نجس وطاهر وقلت ايضًا

وقالوا فلان علا قدرهُ على ابنهٔ نجس كالكلاب
فقلت انظروا لكؤس الطلا اذا مزجت وعلاها الحباب

وقلت

يقول اولو الالباب والحذق قد علت اسافلنا فينا ولم ندر ما السبب
فقلت خاطئنا في الفعال فان علا على كاسنا ذاك الحباب فلا عجب

وقلت في المشجوجة

وبكر من الراح لوشامهـا بليد لفاق مزايا لبيـد
شججت بماء الندى وجهها فراحت بشجة عبد الحميد

قولي بشجة عبد الحميد هو عبد الحميد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهُ كان اجمل اهل زمانهِ فاصابتهُ شجة فزادتهُ حسنًا ذكره الزمخشري في ربيع الابرار قلت وهو اخو سالم بن عبدالله بن عمر وكان سالم هذا جميلاً جدًّا حتى كان ابوه عبدالله ابن عمر مغرمًا بهِ وفيهِ يقول

يديرونني عن سالم واديرهم وجلدة بين العين والانف سالم

وكتب عبد الملك للحجاج يومًا انت عندي كسالم فلم يعرف ما اراده حتى فسره لهُ رجل بليغ فقال معنى ذلك انك عنده بمنزلة سالم بن عبدالله بن عمر حيث قال فيهِ يديرونني عن سالم الخ واعلم ان جميع ما قدمناه هو المقدمة الاولى لمعرفة معنى بيتي الفاضل الموصلي وهي معرفة الفرق بين الكاس صرفًا ومشجوجة ومقتولة فاذا عرفت الفرق فتأهب لمعرفة ﴿ المقدمة الثانية ﴾ وهي ان المتقدمين كانوا يصورون صور الفرس وملوكهم في الكاسات بماء الذهب. وقد تفنن الشعراء في التغزل بذلك فكلٌّ اتى بما سنح فكره اليهِ وذهب. لكن اول من اخترع التغزل في تماثيل الكاس. ابو عذر الخمرة وابن بجدتها ابو نواس. فقال

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بانواع التصاوير فارسُ
قرارتها كسرى وفي جنباتها مهًا تدّريها بالقسيّ الفوارس
فللخمر ما زرت عليها جيوبها وللماء ما دارت عليهِ القلانسُ

يقول ان كاساتنا التي تدور علينا عسجدية اي ذهبية اللون مملوّة بتماثيل النساء الحسان. وقد ادّرتها بقسيها فوارس الولدان. وفي قرار تلك الكاسات صورة كسرى انوشيروان. وقد وضعت الفرس ذلك لتعرفك مقدار ما تمزج بهِ تلك الكؤس من الماء فجعلوا للخمر

ما زرت عليهِ جيوب تلك الصور وهو جميع اجسامها يعني اجسامها توارى با لراح الصرف ثم يصب عليها الماء حتى يعلوا الراح رؤُس تلك الصور وهو معنى قولهِ وللماء ما حازت عليهِ القلانس وهذا الاختراع لم يسبق اليهِ غير جواد فكره الطيار . الذي لا يلحق لهُ غبار . واعلم ان سبب وضع الصور في الكؤس ما ذكره ابن زيدون [1] في شرح رسالة ابن عبدون . ان الملك سابور ملك الفرس كان ملكًا مهابًا ذا راي وحكمة وكانت نفسهُ تتوق الى تملك مملكة قيصر وكان قيصر يعلم منهُ ذلك فمن شدة حذر قيصر منهُ امر اهل الصناعة ان يصوروا لهُ صورة سابور على جدرانه وحيطانه وفرشه واوانيه حتى على كؤس مدامه ففعلوا ذلك واتفق ان سابور ركب الغَرَر وسار بنفسهِ متنكرًا فدخل مملكة قيصر ليعرف من ابن تؤكل الكتف وتجاسر حتى دخل على قيصر واختلط بخدمه فرآه ساقي قيصر فلما ناول قيصر الكأس قال لهُ ايها الملك ان هذه الصورة التي في الكأس تخبرني ان صاحبها معنا في المجلس فتأمل قيصر فرأى سابور فامر ان يقبض وان يوضع في الحبس ففعل بهِ ذلك ولم يزل عنده حتى دبر لهُ بعض حكماء مملكتهِ تدبيرًا خلص بهِ من مخالب قيصر وركب عليهِ بجنوده فاستولى على مملكته وهذه هي الخمرة المشجوجة لان ماءها يكون قليلاً بيان ذلك ان التماثيل المذكورة موضوعة على صورة الانسان وكل انسان طولهُ من رأسه الى قدمه سبعة اشبار بشبر نفسه صغيرًا كان او كبيرًا طويلاً او قصيرًا فطول جسده ستة اشبار وعنقه ورأسه شبر واذا نسبنا رأسه الى بدنهِ كان سبع بدنه ومزج الكأس سبعها من الماء قليل فلذلك قلنا انها من المشجوجة وقد قال في هذا بعض البلغاء وهو ابن نباته

بروحي نديمًا تشهد الراح انهُ قضى العمر با للذات وهو خبيرُ
تذكر مزج الكأس عند وفاتهِ فاوصى لها با لثلث وهو كثير

اي ان مزجها بمقدار الثلث من الماء كثير فان العدل في ذلك مقدار سبعها الذي اشار اليهِ ابونواس وفي هذين البيتين تلميح الي ما روي ان احد الصحابة سأل النبي صلى الله عليهِ وسلم عن مقدار ما يوصي بهِ من ما لهِ فقال لهُ الثلث والثلث كثير فاذا زادت الراح في المزج على السبع الى النصف فهي المقتولة وفيها يقول الشاعر

لا تشرب الراح صرفًا فالصرف يورث حتفا
واجعل من الماء نصفًا ومن رحيقك نصفا

---

(1) قولهُ ابن زيدون الخ لعلهُ ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون

فانها بمزاج اهنى واشهى واشفى

وقال ابو نواس في التماثيل التي في الكؤس ايضًا

نصبنا على كسرى سماء مدامةٍ مكللة حافاتها بنجومِ

فلو رد في كسرى بن ساسان روحه اذن لاصطفاني دون كل نديمِ

يقول اني لما صببت على كسرى الراح . ومزجتها بالماء القَراح . فلو احياه الله تعالى ورأى ما صنعتهُ بهِ من الاحسان . لجازاني على فعلي واصطفاني نديمًا لهُ دون سائر الندمان . وقال اذن لاصطفاني نديمًا ولم يقل وزيرًا ونحوه لان غاية مطالبهُ ان يكون نديمًا يسقي ويشرب . لا وزيرًا يشقى وينصب . وقد جرى السريّ الرّفا خلف ابي نواس فقال

وموسومة كاساتها بفوارسٍ من الفرس تطفو في المدام وتغرقُ

اقبِّل منها كل شاكٍ سلاحه وفي يده سهمٌ اليَّ مفوّقُ

اي اني اذا شربت تلك الكأس يكون فمي على افواه صورها فكانني اقبلها وهي تفوق الى سهامها وللناشي

في كأسها صور نظن لحسنها . عُربًا برزن من الحجاب وغيدا

واذا المزاج اثارها فتقسمت ذهبًا ودرًا توأمًا وفريدا

فكانهن لبسن ذاك مجاسدًا وجعلن ذا لنحورهن عقودا

ولابن قلاقس

دارت زجاجتها وفي جنباتها كسرى انوشروان في ايوانهِ

فخلعت عن عطفيهِ حلة قهوةٍ وشربتها فغدوت في سلطانهِ

ولابن مكانس

اذا ما اديرت في حشا عسجديةٍ بها كل ذي تاج وملك تصورا

فحسبك نُبلاً في السيادة ان ترى نديمك في الكاسات كسرى وقيصرا

واذا عرفت تماثيل الزجاج . ظهر لك مقصود الشاعر الموصلي بلا انزعاجٍ ولا اعوجاج . ويكون مقصوده ان محبوبهُ اذا مرَّ والمرآة في كف ذلك المحب ووجهها لوجههِ وخلفها من قبل ذلك المحبوب فاذا مرَّ المحبوب والمرآة خلفهُ وهو خلفها فبالضرورة لا ينطبع فيها مثالهُ فاذا تأملتِ التماثيل التي في الكؤس في المرآة ولم تجد فيها تمثال ذلك الحبيب قامت تدور عليهِ لما تقرر من ميل الجنس الى جنسهِ لانها تماثيل في زجاج وصورة المحبوب في المرآة تمثال في زجاج ايضًا ولذلك تدور على تمثالهِ . وتبحث عن مستقر جمالهُ .

تنشد بلسان حالها لغلبة بلبالها

مازلت اطلبهُ في كل ناحيةٍ فينظر الناس مني فعل حيرانِ

ولم تعلم انهُ قريب منها غير بعيد . بل اقرب اليها من حبل الوريد . وذلك لفرط الحب الذي هو اعظم حجاب . بين المحب والاحباب . كما قيل

ومن عجبٍ اني احب لقاءهم واسأل عنهم دائمًا وهُمُ معي
وتشتاقهم عيني وهم في سوادها ويطلبهم قلبي وهم بين اضلعي

ولآخر

ولو ان روحي مازجت ثَمَّ روحهُ لقلت أدن مني ايها المتباعدُ

ومراد الشاعر ان تلك الكؤس لا تزال دائرة على المحبوب حتى تنتهي الى مركز جمالهِ . ونقطة خالهِ . وعند ذلك تغيب بجمالهِ عن مثالهِ . وتترك بالخُبْر الخَبَر . وبالعين الاثر . وعند فقد الجمال . يقنع الصب بطيف الخيال . بل بخيال الخيال . كما قال ابن الفارض قدس سره

فأبيت سهرانًا امثل طيفهُ للطرف كي الفى خيال خيالهِ

وقلت في دوران الكاس على المعشوق . وهو اقرب اليها من العين الى الموق

عجبت من كأسٍ غدت على الحبيب حائره
فالحب دومًا معها وهي عليهِ دائره

ولسيدي الشيخ عبد الغني في هذا المعنى قولهُ من المواليا

للحِب تطلب وانت الحب ياحائر اما سمعت الذي فيهِ المثل سائر
حبي معي وعلى حبي انا دائر

فالشاعر الموصلي رحمهُ الله ادعى ان علة دوران الكأس في مجلسهِ فقد صورة حبيبهِ في المرآة وان الكأس لما فقدت مثالهُ قامت تدور عليهِ حتى اهتدت على ذاتهِ وعند ذلك استقرت في يده فصار هو الساقي لا تألف الكأس سواه . ولا تميل الا مع هواه . ولا تخرج عن رقهِ وان كانت عتيقة العصر . ولا تبرح تحنو عليهِ حنوّ الوالدة وان قابلها بالقتل والشج والعصر . واعلم ان مرّ يكون متعديًا بحرف الباء كقولك مررت بهِ ويكون لازمًا كمر زيد ومعناه ذهب ومصدره مرًّا ومرورًا ومعنى مرّ بهِ جاوزه والشاعر الموصلي اراد المعنى الاول وهو الذهاب قال في المحكم مرّ يمرّ مرًّا ومرورًا جاز وذهب ومرّ بهِ وهو مما يتعدي بحرف قد يحذف وعلى الوجهين روي بيت جرير

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكمُ عليّ اذن حرامُ

وقال بعضهم انما الرواية مررتم بالديار وهذا فرارًا من تعديتهِ بغير حرف وقال ابن جني لايقال مررت زيدًا الا في شيء رواه ابن الاعرابي ولم يروهِ اصحابنا .(وفي) بيتي الفاضل الموصلي سلامة الاختراع لانهُ اول من اخترع هذا المعنى على ما اعلم .(وفيها) الاستعارة لانهُ شبه التماثيل بشخص لهُ ادراك غاب عنهُ من يحبهُ فقام يفتش عليهِ . وقولهُ تقفوه عدواً اي تتبعهُ عادية خلفهُ والعدو فوق المشي ودون الهرولة ومثلهُ السعي والرَمَل بفتح الميم والخفة تقارب الخطا في العدو قالهُ ابن الأنباري ومثلهُ العدو . والإعناق . والاغذاذ . والاهذاب . والارقال . والامعان . والايضاع . والاكماش . والانكماش . والخبب . والخب والقص . والرقص . والتقريب . كل ذلك سرعة السير .(وفيها) الجناس اللفظي الناقص بين اسمى وسما . واعلم ان اسمى لايكتب الا بالياء وان كان واويًا لانهُ من سما يسمو وذلك لانهُ جاوز ثلاثة احرف وما جاوزها يكتب بالياء ولو واويًا الا اذا اجتمع في اخره ياآن كالدنيا والعليا وقولك يعيا زيد بامره ويحيا حياة طيبة الا يحيي اسم رجل فانهُ يكتب بالياء فرقًا بين الاسم والفعل والقاعدة التي تعرف بها ذوات الواو من ذوات الياء احدامور ستة وهي الفعل الماضي والمضارع والمصدر والتثنية والجمع وحسن الامالة نحو دعوت وادعوه ودعوةً وفتيان وحصيات ومتى وبلى هذا ما لم يكن اول الفعل واوًا فان كان مثل ونى ووفى والوغى فانهُ يكتب بالياء اجماعًا لانهُ لم يعهد في كلام العرب كلمة اولها واخرها واو الاحرف الواو فتعين ان يكون آخرما اولهُ واوٌ ياء وزاد الكوفيون على هذا انهم يكتبون بالياء كل كلمة كان اولها مضمومًا كالضحى والتقى او مكسورًا كالرضى والربى ذكره ابن خالويه في شرح الدريدية وكذا يكتب الثلاثي بالياء اذا كان ثانيهِ الفًا مثل قولك شأوت رأسهُ اي فحتهُ كراهة اجتماع الفين وكذا يكتب الثلاثي بالياء اذا كان ما قبل آخره واواً كالجوى والهوى .(وفيها) التورية في قولهِ دارت لانهُ اما من دار الفلك اذا تحرك بحركةٍ لا يعقبها سكون أو من دار الشيء على الشيء اذا طاف عليهِ اومن دار عليهِ اذا طلبهُ .(وفيها) الابداع وهو كما تقدم ان يكون البيت او الفقرة تجمع ضروبًا من البديع .(وفيها) الاشتقاق في قولهِ اسمى من سما .(وفيها) الجناس المذيل في قولهِ مرّ والمرآة .(وفيها) حسن التعليل وهو ان يُعلل وصف بعلة تليق بالمقام باعتبار لطيف غير حقيقي ليستظرف ويستحسن اي لانهُ ان كان حقيقيًا موافقًا لما في نفس الامر لم يستحسن . وقد تقدم انهُ جعل علة دوران الكؤس عدم ظهور صورة محبوبهِ في المرآة وان التماثيل التي في الكؤس لما فقدت صورتهُ في المرآة قامت تدور عليها * وقد اتى الشعراء

من حسن التعليل بما يبرىء العليل . و يبرد الغليل . ومن النوادر المستظرفة ان بعض البلغاء رأى مع ولده إناء فسالهُ عما فيهِ فقال لبن فجآء الوالد وكشف عن الاناء فرأى فيهِ خمرًا فانفعل مزاجهُ من ولده فلما رآه ولده انفعل قال لهُ يا ابت لاتنفعل فانهُ لبن ولكنهُ لما رآك تخجل فاحمر وجههُ فلما سمع والده ذلك سُرِّي عنهُ وتركهُ وقد نظم في هذا المعنى يزيد بن معاوية في قولهِ

دعوت بماء في اناء فجاءني غلام بهِ خمرًا فاوسعتهُ زجرا
فقال هو المآء القراح وانما تجلى لهُ خدي فاوهمك الخمرا

ومن اظرف ما سمع في حسن التعليل قول الشاعر

واهوى الذي اهوى لهُ البدر ساجدًا اما تنظروا في وجههِ اثر الترب

ادعى هذا الشاعر ان علة السواد الذي في القمر انهُ سجد لمحبوبهِ لما رآه واقام على ذلك دليلاً وهو السواد الذي في وجههِ لانهُ اثر التراب الذي حصل لوجههِ من الارض حالة سجوده عليها للمحبوب . وقال آخر في المعنى

وما كلف الاقمار الا لانهُ حثا الترب في وجه البدور الكواملِ

ومن حسن التعليل قول بعضهم

ترآى ومرآة السماء صقيلة فاثر فيها وجههُ صورة البدرِ

وقول الاخر

وما اخضرَّ نبت الارض الا لانها عليهِ اذا مرَّت باقدامها تخطو
ولا طاب نشر الروض الا لانهُ يجر عليهِ من جلابيبها مِرطُ

ومنهُ قول الكتبي

يقول لي حين وافى قد نلت ما ترتجيهِ
فما لقلبك يأتي بخفقة تعتريـــهِ
فقلت وصلك عرس والقلب يرقص فيهِ

ومثلهُ قول ابن الفارض

ما القلب الا دارهُ ضربت لهُ فيها البشائر

وسأكتب الآن ما حضرني مما قلتهُ في حسن التعليل فمن ذلك قولي

افدي الرشا ربَّ الجمال الذي باللحظ كم اوحى الى عبدهِ
بدا لمرآة السما وجههُ يشف للناظرين وردهِ

فاخضرَّ آس الصدغ من لونها واحمرت الآفاق من خدهِ

ومنهُ قولي

بدرٌ حكى معدِنُ الياقوت وجنتَهُ كما حكي الدرُّ ثغرًا منهُ للمقلِ

فاحمر جوهر ذا في الدهر من خجلٍ واصفر جوهر ذا من شدة الوجلِ

[illegible]

قالوا لقد رمد الذي اعيتك كثرة صدهِ

فاجبت لا بل انما اعدتهُ حمرة خدهِ

وقلت ايضًا وقد رمدت عيناي

اطلت في المحمرِّ من خدهِ تأملي فاحمر مني الحدق

لا غرو ان يحمر طرف امرئٍ من حمرة منها احمرار الشفق

وقلت في سيدي القطب النبوي . والشريف العلوي . سيدي السيد احمد البدوي . قدس سره وقد كان يتلثم بلثامين احمرين وذلك لفرط ما كان يظهر فيهِ من تجليات الجمال . حتى كان اذا كشف اللثامين لشخص فرآه مات في الحال . فقلت في لون لثامهِ

وملثم ما احمرَّ لون لثامهِ الا لمعنًى ليس فيهِ خفاء

لما استحى من ربهِ حق الحيا دلت عليهِ علامةٌ حمراء

ومنهُ قولي

جد بالوصال لعاشقٍ اضحى بحبك مغرما

ذبح الكرى في مقلتيهِ فسال دمعها دما

ومنهُ قولي في جميل تعذر

ما انبت الله في اصداغه زغبًا الا ليأمر ذاك الحسن بالهربِ

اما ترى حسنهُ قد طار طائره فاعجب لهُ طائرًا قد طار بالزغبِ

ومن ذلك قولي

ومن رأى الانسان مستكبرًا يتيهُ بالطبع على ناسهِ

اصبح من دون الورى لاحظًا حكمة وضع الفاس في راسهِ

لفظة الفاس مشتركة بين معان ثلاثة اثنان عربيان و واحد عاميّ فالعربيان احدهما آلة من حديد يقطع بها الخشب والثاني هو طرف موءخر الرأس المشرف على القفا والعامي هو الذي يلبس في الرأس و بذلك تمت التورية ومن ذلك قولي في الهلال

مذ لاح شكل هلالنا — في الافق مثل المخلبِ
نفرت غزالتهُ وقد — وقعت بفخ المغربِ

والغزالة مشتركة بين الكوكب النهاري والحيوان المعروف وبذلك تمت التورية وعلى ذكر الغزالة ذكرت ابياتًا انشأتها في بحرة لها سبع يخرج الماء من فيهِ وهي قولي

تامل بحرة عظمت وجلت — فطاف بها الهوى سبعًا فسبعًا
وحاك بها شراكًا من لجينٍ — فصاد غزالة في الافق نسعى
ولما ان راها السبع صيدت — اسال لعابهُ حالاً واقعى
فشبههُ خيال الفكر مني — بثور حائمٍ قد قاء افعى

والتشبيه الاول والثاني من الاختراع الذي ما علمت اني سبقت اليهِ اما الاول فظاهر واما الثاني ففيهِ تلميح لامر بعيد وهو ان البقر الوحشى تقتات الحيات فاذا اكلت منها ثارت فيها الحرارة فتاتي الماء وتعلم انها ان شربت منهُ هلكت فتمتنع منهُ وتحوم عليهِ تعلل نفسها بهِ والى ذلك يشير الشاعر بقولهِ يخاطب محبوبهِ

تركتك لاقلىً مني ولكن — رأيت بقاء ودّك في الصدودِ
كترك الحائمات الوردَ لمّا — رأت ان المنية في الورودِ
تغيظ نفوسها ظماء وتخشى — هلاكًا فهي تنظر من بعيدِ

وسميت حائمات لانها تحوم حول الماء فاذا زاد عطشها خرجت الدموع من اعينها فتجتمع تلك الدموع في نقر تحت اعينها وتحجر وهي (البادزهر) المعروف بالحيواني فشبهتُ هيئة خروج الماء من فم السبع المنصوب على البحرة بثور وحشي يتقايا الحيات التي ابتلعها ومن ذلك قولي في بحرة يتدفق ماؤُها

ومن الجواري بحرة — رقصت لنا اجزاؤُها
ابدًا يقبلها الصبا — شغفًا فيدفق ماؤُها

وقد خطر لي ان العرب انما كرهت الخمرة الممزوجة لان الماء ابو الخمرة وهي ابنتهُ وهي لاترى نكاح البنات مع جاهليتها التي كانت ولا يرى ذلك الا المجوس ولذلك لم يصوروا التماثيل التي في الكؤُس المشار بها الى المزج بالماء كما تقدم في كلام ابي نواس الا على صور المجوس ومن الجوابات المسكتة ان بعض رؤساء المجوس قال لبعض الامراء من العرب العرباء . لم اجتنبها العرب دفن البنات فقال لتحليلكم نكاحهن للاباء . وقال الشاعر

بابي من اذا رآها ابوها — اقبلت قال ليت اني مجوسي

وقد قلت في ذلك

ساقي الراح لا تحلّ نكاح الـ ـماء يومًا للخمرة الخندريسِ

فهي بنت للماء قطعًا وما سن نكاح البنات غير المجوسِ

ولهذا ترى المصور ابدى صور الفرس في حواشي الكؤُسِ

صورٌ تجذب النفوس اليها مثل جذب الحديد بالمغنطيسِ

وما احسن قول بعضهم من الرباعيات

املأ قدحي صرفًا من الصهباء واحذر غلطًا من مزجها بالماء

فالماء لها في الاصل قد كان ابًا والابنة لاتحل للآباء

وقد تلاعبت بالمعنى فقلت

ادر كأسي فان الخمر نار لاحراق الوساوس في النفوسِ

ولولا ذاك ماعكفت عليها تماثيل الموابذ في الكؤس

الموابذ جمع موبذ ويقال له موبذان ومعناه بالفارسية خادم النار وهو عندهم من رؤساء دينهم واكبر عبادهم والمعنى ان الخمرة لو لم تكن نارًا لما وجدت صور الموابذ عاكفة عليها في كؤسها وقلت ايضًا

كأس كأن سلافها ياقوتة حمراء داخل درة بيضاء

جلبت لنا السراء حين بدت لنا ليلاً وانجتنا من الضراء

وتوقدت فحسبتها نار الغضا فشرعت في اطفائها بالماء

وقلت ايضًا رباعية

قم يا بأبي نشرب من الصهباء لاتخش وقود نارها الحمراء

فالنار اذا توقدت اطفاها ذو الفطنة والذكا بصب الماء

وقلت في ضد ذلك

صونوا كؤس مدامكم عن مزجها وأتوا بيوت السكر من ابوابها

لاتكسفوا بالماء شمس سلافها من اجل ان تبدو نجوم حبابها

شمس تدور بها الشموس كانما هي غادة تختال في اترابها

خافت على ابصارنا فتسترت بالكأس تبدو من وراء حجابها

وقلت ايضًا

قم وامزج الراح من رضابٍ ولا تشب صرفها بماء

راقت ورقَ الزجاج حتى ظننتها الماء في الهواء

وقلت ايضًا

لاتنكح الماء بكر الراح للحبب فالماء ليس بكفوء لابنت العنب
فالراح ياقوتة سالت فليس لها في در عقد حباب المزج من ارب
نعم ها ارب في در ثغر رشا يفتر عن در ثغرٍ زين بالشنب
شمس اذا غربت في فيهِ شمس طلا ابدت بهِ شفقًا في الخد كاللهب
وما رانهُ كؤس الراح في ملأ الا ودارت على الندمان من طرب
في طرفهِ دعجٌ في ثغره فلجٌ في خده بلجٌ يزرى سنا الشهب

واعلم ان التماثيل في قول البليغ الموصلي دارت تماثيل الزجاج هي جمع تمثال وهو كما في المصباح الصورة وفرّق في المغرب بينهما فقال الصورة عامة للحيوان والنبات . والتمثال الذي صور من ذوات الارواح فهو فرق لطيف ولذا اتى الموصلي بالتماثيل ولم يأْت بالصور في قولهِ . لان التمثال كما عرفت اخص من الصورة واما الدُّمية بضم الدال فهي اخص من التمثال لانها صورة تطلى بصبغ يشبه الدم في حمرته قال في المصباح والدمام بالكسر طلاء يطلى بهِ الوجه ودممت الوجه دمًا من باب قتل اذا طليتهُ باي صبغ كان ويقال الدمام الحمرة التي تحمر النساء بها وجوههن .اه .اي فسميت الصورة دَمية لما فيها من الدمام وهو الصبغ الاحمر ويقال للنساء دمى تشبيهًا لهن بتلك الصور قال الشاعر

ما دمية في مرمرٍ صورت او ظبية في خَمَرٍ عاطفُ
احسن منها يوم قالت لنا والدمع من مقلتها واكفُ
لَأنت احلى من لذيذ الكرى ومن امانٍ نالهُ الخائفُ

وقال بعض اللطفاء في بنات النصارى وفي الصور التي توجد في معابدها

لم ترَ الا صورًا ساجدة الى صور
سبحان من ابدعها جند القضاء والقدر

ومثلهُ قول الاخر

تكاد التماثيل من حسنها تعود مناطقة الانفسِ
فرنجية ساكنٌ عِقدها وزنارها قَلِقَ المجلس
اذا قبلت صورة اقبلت عليها نواظرها الاشوس
فاقسم لو انني استطيع تحولت صورة مارجرجس

واعلم ان بعض المصورين صوّر في الكأس صورة اسد وحية . فنظم الشعراء في ذلك ما يطرب النفس الشجية . فمما قاله بعضهم في ذلك

قال ثعبانٌ وليثٌ لنديم حين واجه
ما اتينا الكأس الاّ ولنا في النفس حاجه
فعسى نرجع ربحًا لمدام او مجاجه
ما عليكم ان نظرنا نحن من خلف زجاجه

وقال آخر

ما صوروا اسدًا وثعـ ـبانًا على الكاس التذاذا
الاّ لان سلافها من سم ذا ولعاب هذا

وقال ابن المعتز

وساقٍ يجعل المنديل منهُ مكان حمائل السيف الطوالِ
غلالة خده صبغت بوردٍ ونون الصدغ معجمة بخالِ
بدا والليل تحت الصبح بادٍ كطرف ابلقٍ مرخي الجلالِ
بكأس من زجاج فيهِ أُسدٌ فرائسهن الباب الرجالِ

وقلت في ذلك

لقد رقموا في الكأس صورة ضيغمٍ وحيةِ وادٍ خلتهـا انها تسعى
لتعلم ان الراح تعطي شجاعة وطول حياة للذي عبها كرعا

وقلت ايضًا

قيل ان الكؤس فيها تماثيـ ـل هوامٍ عنها بها النفس كُفَّت
قلت لاتعجبوا لذاك فهذي جنة الخلد بالمكاره حفت

وقد ذم بعضهم الكأس التي فيها الصور فمن ذلك قول ابن الوردي

احسن ما كانت كؤس الطلا سواذجًا يبدو بها الخافي
فالنقش نقصٌ ومن الرأي ان يرتشفَ الصافي من الصافي

وقال ايضًا

دع الكاس من نقشها فصافٍ بصافٍ احب
اذا ذهبت بالطلا فقد طليت بالذهب

وقال الصلاح الصفدي

كؤس المدام تحب الصفا　　فكن لتصاويرها　مبطلا
ودعها سواذج من نقشها　　فاحسن ما ذهبت　بالطلا

وقلت في ذالك على لسان الكأس الخلية من النقش والتصوير

انا كأس خليةٌ　　عن نقوش دوائر
فاتخذني لانني　　باطني مثل ظاهري

والكاس عند العرب لا يقال لها كأس الا اذا كانت ملأى فان قالوا للفارغة كأس فهو مجاز والفارغ عندهم يقال له قدح وجام ورَفد بفتح الراء وهو القدح الكبير واما الرِفد بكسر الراء فهو العطاء. واحسن ما يكون الكأس عندهم من صافي الزجاج لانه الطف من كل الجوهر لانه يقبل كل لون ولا يفقد معهُ وجه النديم ولا يثقل في اليد ولا يرتفع في السوم ولا يصدأُ ولا يرشح ولا يتخلله الوسخ واذا اتسخ فالماء وحده له جِلاء . ومن يشرب منه فكانما يشرب اناء وماء وهواء وضياء . الاّ انه سريع الكسر . بطيُّ الجبر. واعلم ان الخمرة عند ساداتنا الصوفية . قدس الله اسرارهم الزكية . واذاقنا من صافي ذوق شاربيهم . وجعلنا في الدنيا والآخرة من محبيهم . هي عبارة عن تجلي الحق بصفة الجلال والجمال التي لما تجلي بها للكليم غاب عن حسهِ . وذهل عن نفسهِ . فخرَّ وصعق . اي سكر فلم يفق . كيف لا وقد جعلت خمرتها ذالك الجبل دكّا . وسبكته في قالب المحو سبكًا . حتى زالت نقطة غينه . وانمحت صورة عينهِ . ولذلك عظمهُ الحبيب المصون . واقسم بهِ في كتابهِ المكنون . فقال والطور . تنويها بما هو على محبتهِ مفطور . وجعلهُ محلاًّ للمناجاه . وان من الحجارة لما يتفجر منهُ الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منهُ الماء وان منها لما يهبط من خشية الله . ولا تنكر المحبة من الجبال فقد ورد عمن اصطفاه ربه . ان أُحدًا جبل يحبنا ونحبهُ . واذا عرفت مراد القوم بالخمرة بقي عليك ان تعرف مرادهم بالكاس . ليحصل لك بادراك معاني كلامهم الايناس . وتزول عنك وسوسة الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . فتعرف معنى كأسهم ومدامهم . وتؤمن ببقية مالم تدرك معناه من كلامهم . كما قلت رادًّا على المعترض الغبي . على ما ادركهُ فهمهُ السقيم من كلام سيدي العارف ابن عربي . حيث اقول

هو الشيخ محيي الدين عارف وقتهِ　　وافكار اهل الجهل عن كتبهِ تقصرْ
وقد شاع ايماني بفحوى كلامهِ　　فمن شاء فليؤْمن ومن شاء فليكفرْ

واذا آمنت بكلام القوم شملتك العناية . وحسبك قول سيد الطائفة الجنيد الايمان بكلامنا هذا ولاية . فنقِّ نفسك من عللها واغراضها . والا جعلتك سهام الاعتراض من

اغراضها . وعاقبتك نعم الله تعالى بنفورها عنك واعراضها . فاذا وعيت ذلك فاعلم ان المراد بالكاس عند القوم مجالي جمال الحق تعالى وجلاله فشبه القوم الجمال والجلال المطلق بالخمر كما تقدم لانه يغيب من رآه . وشبهوا المجالي التي تكون مظهراً لذلك الجمال والجلال بالكؤوس التي تشف عن تلك الخمرة فيدرك كل طرف منها مناه . فجماله وجلاله تعالى يظهر في مرايا مخلوقاته . بسائر اسمائه وصفاته . كما ظهر في صورة النار لموسى الكليم . وورد به النص في كتابه الكريم . واياك ثم اياك ان تعتقد ان القوم يقولون ان الظاهر في الخلق هو عين جمال الحق او جلاله . وانما يريدون ان الظاهر هو مجرد مثاله . لان القول بالاول عندهم كفر صريح والحاد . لافضائه الى القول بالحلول والاتحاد . فعندهم الكون كله كمرآة ظهرت فيها صور اسماء الحق تعالى وصفاته ومن المعلوم ان المثال الذي ينطبع في المرآة ليس هو عين الصورة التي تقابلها . ولا حلّ في المرآة ولا اتحد بها . وانما هو مثالها فقط . فاحذر في هذا المحل من الكبوة والغلط . والى هذا اشار سيدي العارف الشيخ عبد الغني في قوله

ظهر الوجود الحق في مرآتنا ... اذ نحن في العدم المقدر لم نزلْ
فوجودنا هو صورة لوجوده ... لانه ذاك الوجود علا وجلْ
وكذا ظهرنا نحن في مرآته ... مع اننا عدم ومنه على وجلْ
وهو المقدر بالصفات ذواتنا ... وصفاتنا من قبل ما بدأ الازلْ
اذ نحن اجمعنا هو العدم الذي ... ما شم رائحة الوجود اذا نزل

وله من المواليا قدس سره قوله

اسماء ربي مرايا عقدها حلت ... ما حرّمت اظهرت فيها وما حلت
وذاته قط في الاكوان ما خلت ... وانما كل مرء في الهوى حالت

واذا عرفت ان مراد القوم بالخمرة تجلي الله بصفات الجلال والجمال . وان الكأس مظاهر تلك الصفات والاسماء والافعال . فاعلم ان من غاب منهم بتلك الخمرة عن الكأس فهو شارب الصرف وهو صاحب تمكين . ومن غاب بالكأس عن الخمر فهو شارب المزج وهو صاحب تلوين . ومن جمع بين مشاهدة الكاس والخمرة فهو في اعلى عليين . مع النبيين والصديقين . ويقال للاول صاحب جمعٍ . وهو رؤية الحق بلا خلق . وللثاني صاحب فرقٍ وهو رؤية الخلق بلا حق . وللثالث صاحب فرق الفرق . وجمعُ الجمع هو رؤية الحق والخلق . بحيث لا يحجب الرائي باحدهما عن الآخر وهو مقام المرسلين . صلوات الله

تعالى عليهم اجمعين .لانهم لو غابوا عن الخلق .بمشاهدة الحق .لم يكن عندهم من يبلغونه وسالة ربهم فاعطاهم الله تعالى قوةً جمعوا بها ما بين الرؤيتين في زمان واحد لافي زمانين كمن لم تحجبه روءية الصورة الظاهرة في المرآة عن روءية جرم المرآة وقد اشار شيخ شيوخنا السيد مصطفى الصديقي قدس سره الى ما قدمناه بقوله

فشرب الصرف تمكينٌ وشرب المزج تلوينُ
وشخص قد حوى جمعًا له في الحكم تبيينُ

وقد اختار الله تعالى لبعض احبابه شراب الصرف فهو لا يشهد الا الحق . ولا يعرف احدًا من الخلق . كما حكي ان الله تعالى امر ابا يزيد البسطامي قدس سره ان يخرج الى الخلق فلما خرج شهق شهقة كاد ان يقضي بها فلما علم الله منه ذلك قال للملائكته ردّوا عبدي عليّ فانه لا يستطيع فراقي وقد روي ان لله خلقًا لا يعرفون آدم ولا ابليس . لما هم فيه من استغراقهم في بحر ذلك الجمال النفيس . ومن اهل هذا المقام المتمكن الامكن . سيدي الشيخ ابو مدين . القائل لساقيه من خمرة الجمال . بلسان الحال والمقال

ادرها لنا صرفًا ودع مزجها عنا فانّا اناس لا نرى المزج مذ كنا

وقلت في ذلك

الى الراح برتاح الفوءاد لانها بها للندامى طال ما انتظم الشملُ
عليك بها ياصاح صرفًا وان تعف مرارتها فاختر لنفسك ما يحلو

وفي بيتي الثاني التورية في محلين في قولي ياصاح وفي قولي ما يحلو وفيه تضمين لقول ابن الفارض قدس سره وقلت ايضًا في الخمرة والكوءس . وشموس السقاة وسقاة الشموس

جمال بدا من عالم السر والجهرِ فغبنا به عن عالم الخلق والامرِ
فلا تحسبوهُ واقعًا عند قيدكم فما القيد الا صورة الوهم والفكرِ
وما الحسن الا واحد قد تكثرت مراياه تكثيرًا يجل عن الحصرِ
فغب عن مرايا الحسن اولا تغب وكن مصيخًا الى الإقسام بالشفع والوترِ
فقد قال شيخ العارفين بوقته لمثلك يهديه الى الرشد والبرِ
توضأ بماء الغيب ان كنت ذا سرٍّ والاّ تيمم بالصعيد وبالصخرِ
وصلِّ صلاة العارفين بربهم مدى الدهر واسجد بعدها سجدة الشكرِ
وصم قبل ان يبدو الصباح عن السوى لتحظى بروح الوصل في ليلة القدرِ
وزكِّ عن الاوهام نفسك علها تحن الى اوطانها حنة القمري

وحج لبيت الله فيك فانهُ مقام خليل الله من خص بالذكرِ
وحقق تجد فيك العوالم كلها وإنك مجلى طلعة الشمس والبدرِ
هنالك نستغني عن الخلق كلهم ولاسيما عن مثل زيدٍ وعن عمرو
فمن لاح في ليل الحوادث فجر من ينادمهُ يستغن عن مطلع الفجرِ

واعلم ان مراد العارف ابن عربي قدس سره بماء الغيب في كلامهِ الوجود القديم المطلق حتى عن الاطلاق تشبيهاً لهُ بالماء المطلق بجامع ان الماء بهِ حياة كل شيء واذا عرفت مراده اتضح لك معنى قول سيدي الشيخ عبد الغني قدس سره في وصف اهل الشام

زبلهم في الماء صيرهم شربهُ من غير افهام

وذلك لانهُ قدس سره جعلهم من اهل جمع الجمع الجامعين بين مشاهدة الخالق والمخلوق. الصحاة وهم سكارى من شرب كأس الصبوح والغبوق. المنوه بذكرهم باب مدينة العلم البطل الريبال. في قولهِ لا تسبوا اهل الشام فان فيهم الابدال. فشبه الشيخ رضي الله عنهُ الوجود المطلق بالماء كما تقدم وشبه الحوادث كلها بالزبل والنجاسات. لانها تمنع من الطاعات وتفسد العبادات. الا ما طهر منها بالاستحالة. وخرج عن طبعهِ بالاحالة. ولذلك قال الخليل امام العارفين والعالمين. فانهم عدوٌّ لي الا ربَّ العالمين. ومراد الشيخ قدس سره ان اهل الشام جمعوا كما تقدم بين الشرب صرفاً ومزجاً فهم لا يغيبون عن رؤية الماء بالزبل ولا عن رؤية الزبل بالماء وهم يرون الماء مطلقاً طاهراً ويرون الزبل زبلاً مقيداً نجساً وهذا حقيقة الكامل في المعرفة كما تقدم يرى الاشياء على ما هي عليهِ ولما كان هذا اعلى مقام المعرفة كان النبي صلى الله عليهِ وسلم يسأل ربهُ ذلك المقام فكان يقول اللهمَّ ارنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه. وارنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. وقد شرحت هذه القصيدة بتمامها في عدة كراريس. واتيتُ في شرحها بما يشبه اطواق الحمام واذناب الطواويس. واجازني ناظمها قدس سره على ذلك الشرح اجازات وافرة تؤذن بالقبول. وتشير الى ادراك المرجو من بحر كرمهِ والمأمول. وقد ذكرت بقول البليغ الموصلي (ان مرو المرآة يوماً في يدي) تغزلات الشعراء في المرايا. وما ذكروا لها من حسن المزايا. وحقيقة المرآة كل شيء مصقول تنطبع فيهِ صورة من يقابلهُ فهي اعم من ان تكون من الزجاج المعروف واصلها مرأيه بكسر الميم مفعلة لانها آلة الرؤية كالمِسقاه لانها آلة السقي والمِرقاة لانها آلة الرقي والمِنسأة آلة النساء بالمد او النسيء او النسيئة اي التأخير وهي العصا قال تعالى تأكل منسأته سميت بذلك لانها تنسأ بها الابل اي تؤخر عن الماء وقال في المصباح هي من قولك نسأت الابل نسأً من

باب نفع اي سقتها وكل ما كان من الآلات فهو مكسور الميم الا ما شذ كالمكحلة والمدهن والمسعط فانها بضم الميم على غير القياس واذا عرفت ان اصلها مرأية علمت انها تحركت ياؤها وانفتح ما قبلها فقلبت الفا وصارت مرآة وجمعها مراءٍ كجوار وغواش قال في المصباح وجمعها على مرايا خروج عن القياس ولا يكاد يثبت سماعه وقال في الاساس ترائيت في المرآة وفي السيف اذا نظرت فيها ورائيت الرجل ترئية اذا امسكت له المرآة لينظر فيها . اه واما المرآة بفتح الميم فهي رؤية العين تقول انت في مرآة عيني حسن اي في رؤيتها ومن اسماء المرآة الغريبة السجنجل قال امرء القيس (ترائبها مصقولة كالسجنجل) ومنها الوذيلة وجمعها وذائل ومن ذلك قول عمرو بن العاص لمعاوية ما زلت ارمّ امرك بوذائله شبه آراءه التي كان يراها لمعاوية بالمرائي التي يرى فيها وجوه صلاحه ومن اسمائها المدلة ففي الجامع كان له مرآة تسمى المدلة اي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم مرآة تسمى بذلك ومن اسمائها الماويه والوليحة والغرارة قاله الطبري في منظومته في اللغة وفي الحديث في جامع الصغير كان لا يفارقه في الحضر ولا في السفر خمس المرآة والمكحلة والمشط والسواك والمدرى قال شارحه المناوي والمدرى شيء يعمل من خشب او من حديد على شكل سن من اسنان المشط واطول منه يسرح به الشعر الملبد قلت ومما يشير الى ان النفوس البشرية مرآة يتراآى فيها الكون والمكون قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون ومما يفسر هذه الاشارة حديث المؤمن مرآة المؤمن وانت خبير بان المؤمن مشترك بين الرب والمربوب والمحب والمحبوب فالمح الاشارة الدقيقة . من العبارة الرقيقة . والحمد لله الذي ميزك عن الاغيار . وجعلك مرآة لتجلي اسمائه وصفاته ففقت الشموس والاقمار . والى ذلك يشير قول سيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني قدس سره حيث قال

وجهٌ تعدد في المرائي فغدا بحير كل رائي

وقد تقدم له ما فيه كفاية ومن امثال العرب قولهم هو انقى من مرآة الغريبة ضربوا المثل بمرآة الغريبة وهي المرأة التي تزوجت في غير قومها وذلك لانها لا ترى من تعتمد عليه فتحتاج ان تنقي مرآتها من كل ما يكدرها حتى تريها من نفسها ما يخفى عليها فتزيله ومن امثال العامة قولهم فلان اصدق من المرآة فيما يحكيه وقلت في ذلك

لي صاحب مع صدقه يروي الاحاديث الغريبه
فكانه في صدق ما يحكيه مرآة الغريبه

فان قلت ان المرآة تكذب فيما تحكي وذلك لانها تريك يمينك شمالاً وشمالك يميناً قلت

ليس هذا من الكذب فيما تحكيهِ وذلك لانها تواجهك بصورتك وانت اذا قابلك انسان بوجههِ كانت يمينهُ شمالك وشمالهُ يمينك فلم تكذب فيما حكتهُ ومن الحكم قول ارسطاطاليس وجهك مرآة قلبك . فانهُ يبين في الوجوه ما تضمر القلوب . وفي معنى قولهِ قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ ما اضمر انسان ضميرًا الا وظهر في صفحات وجهه وفلتات لسانهِ وفي الحديث من استسر سريرة البسهُ الله رداءها ومن الاشعار في المعنى

تريك اعينهم ما في صدورهمِ ... ان الصدور يؤدي سرها النظرُ

وقال الاخر

ان العيون ليبدو في نواظرها ... ما في القلوب من البغضاء والإحنِ

ومن الحكم في المرآة قول بعضهم

لا تتهم بالسوء دهرك انهُ ... جبل يجيب صداك منهُ صداهُ

مرآتك الدنيا وفعلك صورة ... فيها فما الشنعاء والحسناء

وقول الاخر

مرآتك العقل كل وقتٍ ... تريك من نفسك الخفايا

فلا تدنس هواك فيها ... ان الهوى يصدأُ المرايا

ومثلهُ قول منصور الفقيه المصري

ان المراءة لا تريــك خموش وجهك في صداها

وكذاك نفسك لا تريــك عيوب نفسك في هواها

وقلت في ذلك

في جنسك آشهد كمالاً ... ايضًا وفي غير جنسك

فالعالمون مرايا ... تريك صورة نفسك

وعلى كل حال . فالكامل لا يرى الا الكمال . لانهُ يرى بعين بصيرتهِ . والناقص يرى بعين طبيعتهِ . قال الشاعر

ومن كملت معانيهِ وتمت ... رأى الاشياء كاملة المعاني

وكيف لا يراها كاملة وهي آثار من تفرد بالكمال . وتردَّى برداء الجلال والجمال . قال بعض العارفين

اذا ما رأيت الله للكل فاعلاً ... رأيت جميع العالمين ملاحا

وان لا تجد الا مضاهئ فعلهِ ... غلطت فصيرت المساء صباحا

وما احسن قول سيدي العارف الشيخ عبد الغني من المواليا (ذا من صفانا رأ ولا اوصافهم فينا) . وقد حكى سيدي الشيخ ابن العربي قدس سره مرة انهُ رأى انسانًا يحب شخصًا ورأي عاذلاً يعذلهُ على حبهِ و ينتقص محبوبهُ قال الشيخ فانشد المحب في الحال

رأى وجه من اهوى عذولي فقال لي اعيذك من وجهٍ اراه كريها
فقلت لهُ وجهُ الحبيب مراءة وانت ترى تمثال وجهك فيها

ومن الحكم المنظومة في المرآة قول بعضهم

شاور اخاك اذا نابتك نائبة هذا وان كنت من اهل المشوراتِ
فالعين تلقي كفاحًا من نأى ودنا ولن ترى نفسها الا بمرآةِ

ومثلهُ قول الآخر

اذا عنَّ امرٌ فاستشر لك صاحبًا وان كنت ذا رأي تشير على الصحبِ
فاني رأيت العين تجهل نفسها وتبصر ما قد حلَّ في موضع الشهبِ

ومنها قول بعضهم

اقرن برأيك رأي غيرك تسترح فالحق لا يخفى على الاثنينِ
والمرء مرآةٌ تريهِ وجههُ ويرى قفاهُ بجمع مرآتينِ

وقلت ايضًا

تأمل تجد فيك الوجود باسرهِ ونبه عيون القلب من سنةِ الغمضِ
فنفسك مرآة اذا ما جلوتها رأيت بها ما في السماوات والارضِ

وقال الارّجاني

لاادّعي جور الزمان ولا ارى ليلي يزيد على الليالي طولا
لكنّ مرآة الزمان تنفسي للهمِّ اصدأ وجهها المصقولا

وقال منصور الفقيه

كل من اصبح في عصـ ـرك ممن قد تراهُ
هو في الغيبة مقرا ضٌ وفي الوجه مراهُ

وما الطف قول بعض الظرفاء (انا كالمرآة التي كل وجهٍ بمثالو)

وقال ابن المعتز يمدح المرآة

ممثلة لي كلما رمت رؤيتي وناصحة لي دون كل صديقِ

يقابلني منها الذي لا عدمتهُ بلجـــة ماءٍ وهو غير غريق

واهدي بعض الادباء الى بعض الكبراء هدية وكتب لهُ معها

صفا عبد مولانا فاهدى اليهِ ما حباه بهِ احسانهُ ونوالهُ

اذا صفت المرآة القت على الفتى محاسن القاها عليهِ جمالهُ

وهذا مثل قول الاخر

اهدي لمجلسك الشريف وانما اهدي اليهِ البعض من نعمائهِ

كالبحر يمطرهُ السحاب وما لهُ منٌّ عليهِ لانهُ من مائهِ

ومثلهُ قول الشاعر المنازي

اهدى الى المالك المملوك معتذرًا من بعض ما شملتهُ من عطاياه

مثل النسيم الذي اهدى ترددهُ الى رياض الربى من بعض رياهُ

وقد تغزل الشعراء في المرآة وتفننوا في ذلك فمن ذلك

وغزال يحكي الغزال بعينيـ ـهِ وخداهُ بالغزالة تزري

قابلتهُ مرآتهُ فـــارتنا عين شمس انسانها وجهُ بدر

وقال آخر

وظبي من الاعراب ريحهُ الصبا فمال ومن اعطافهِ تعصرا لخمرُ

اذا اخـــذ المرآة ينظر وجههُ ظننتهما شمسين بينهما بدر

وقال آخر

واهيفَ ظل بالمرآة مغريّ يحاول رؤية الوجهِ المليحِ

يقول طلبت معشوقًا مليحًا فلما لم اجدهُ عشقت روحي

وما احسن قول بعضهم

واذا اراد تنزهًا في روضةٍ اخـــذ المراة بكفهِ فتطلعا

وقال اخر

اخذ المراة بكفهِ كيما يرى فيها محاسن وجهه فتحيرا

ما كان يعلم ماجنت عيني على قلبي فحين رأى محاسنهُ درى

وقال اخر

يقول ماذا ترى وفي يدهِ مرآتهُ وهو ناظرٌ فيها

قلت ارى البدر في السماء وقد افاض نورًا على نواحيها

وفي المعنى قول الاخر

ما اخذ المرآة في كفهِ ينظر فيها الجمال المصون
الا رأى البدر وشمس الضحى ووجهة في فلك يسبحون

وقال ابن عبد الاعلى

يجري النسيم على غِلالة خدهِ وارق منهُ ما يمرّ عليهِ
ناولتهُ المرآة ينظر وجههُ فعكست فتنة ناظريهِ اليهِ

وقال آخر

رأى مثل صورتهِ في المراةِ فاصبح صبًا بها مدنفا
وصير يعقوب اسمالهُ يشيربانْ قد رأى يوسفا

وقال آخر

عجبت لبدر التم اصبح عاشقًا هلالاً وامسى مغرمًا فيهِ قلبهُ
ولو اخذ المرآة ينظر نفسهُ لابصرمن يُسليهِ عمن يحبهُ

وقال اخر

بدا لنا وازدهى باحسن صورته حتى امترينا بها في انهُ بشر
وقابلت وجههُ مرآتهُ فبدت كانها هالة في وسطها قمر

وقلت

لم يبد ريحان العذا روإسهُ من فوق ورده
بل ذاك مخضرُّ السما ءيلوح في مرآة خده

وقلت ايضًا

قالت وقد القت على وجهها نقاب حسن هام من قد رآه
لايطمع العاشق ان يجتلي غير خيالي في حجاب المراه

وقلت في قوس قُزح

أُفقنا قد صفت مرآتهُ وتراءت للروض حين نفح
ثم ابدت خيال صورتهِ للبرايا فقيل قوس قُزح

وقلت في قوس قزح وان لم يكن من شرط ما نحن فيهِ

زهت الحدائق واكتست من نسج جارية الغمامه
والجو بشّر بالربيـ ـعِ فجاءهُ طوق الحمامه

وقال بعض الظرفاء

برزت فقابل ناظري من خدها مرآة حسن بالجمال صقيل

ابكي فانظر ادمعي في خدها تجري فاحسب انها تبكي لي

وفي المعنى قول الاخر

قابلني حتى بدت ادمعي في خده المصقول مثل المراه

وقال اخر

قالوا عذار قلت لا والذي البسه السمور في الشتوه

ما ذاك الا ان صفا وجهه فلاح فيه يافة الفروه

وقوله فروه ليست لغة عامية كما زعم بعضهم قائلاً ان العرب لا تقول الا فرو بغير هاء ويرد عليه ما في الجامع الصغير كان يستحب ان تكون له فروة مدبوغة يصلي عليها والغاية في ذلك قول الشاعر

ارخت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي اربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتني القمرين في وقت معا

والمعنى انه لما كان وجه الحبيبة كالمرآة والسماء كالمرآة ايضًا وقابل وجهها ارتني قمرين حقيقي وهو وجهها وخيالي وهو خيال وجهها في السماء واذا عرفت ما فتح الله به من الشرح عرفت معنى قول الاخر

رأت قمر السماء فاذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين

كلانا ناظر قمرًا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

اي ان الذي انظر اليه وجهها وهو البدر الحقيقي ظهر في مرآة وجهها وهي انما نظرت الى بدر السماء المجازي له لانه صورة وجهها انطبعت في مرآة السماء فانا انظر بعينها لاني ارى البدر الحقيقي في وجهها وهي تنظر بعيني لانها نظرت الى ما في السماء من صورة وجهها هذا بلسان الظاهر. واما بلسان اهل الباطن والظاهر. فاقول قد ورد في الخبر المؤمن مرآة المؤمن وانت خبير بان المؤمن من اسماء الحق تعالى فعليه يصح ان تكون الاشارة الى ان الحق مرآة الخلق والخلق مرآة الحق فالحضرة الاحدية كالقمر لان نورها مكتسب من شمس الحضرة الواحدية والحضرة الاحدية التي هي كالقمر اذا صحت المقابلة بينها وبين مرآة المؤمن انطبع مثال المؤمن في مرآتها ومثالها في مرآة المؤمن وحينئذ يكون الحق ناظرًا بعين عبده المؤمن كما اشارت اليه آية انه كان بعباده بصيرًا والعبد ناظر بعين سيده

كما نشير اليه آية انك كنت بنا بصيراً وخبر كنت سمعهُ الذي يسمع بهِ وبصره الذي يبصر بهِ الحديث وهذا وما قبلهُ ما فتح الله حال الكتابة لهذا الشرح . وباب الله مفتوح لكل من اراد منهُ المنح . ومن الطف ما قيل في المرايا التي يقتبس بها النار من الشمس قول ابراهيم افندي السفرجلاني

اطلاق طرفي في محاسن وجههِ　　اذكى الجوى في القلب حتى برّحا
تحريق قلبي من زجاجة ناظري　　مذ قابلت من خده شمس الضحى

ولسيدي العارف الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره

يقولون ما نار بقلبك اضرمت　　ومن اين تأتي النار ادركك السلبُ
فقلت لهم بلورة العين قابلت　　اشعة شمس الحب فاحترق القلبُ

وقال الفاضل الكامل احمد افندي المنيني

لا تعجبوا أن قلبي عندما نظرت　　عيناي طلعتهُ يصلي لظى الوهجِ
فوجههُ الشمس منها العين قد قبست　　للقلب ناراً تسوق الحتف للمهجِ
والشمس ان قابل البلور طلعتها　　تذكو وتحرق ما مستهُ بالبلجِ

وللمولى خليل افندي الصديقي البكري

نظرتَ الى المراة وانت شمسٌ　　فكنت اذا نظرت لها مراتا
وقد البست صفحتها شعاعاً　　فاحرقت القلوب لها التفاتا

ولهُ تعريب بيتين بالفارسية

ترفُّ كغصن البان يعجب بالبها　　وبوجههِ الشمس المنيرة تشرقُ
فكأنّ عيني كلما نظرت لهُ　　بلورةٌ منها فؤادي يحرقُ

وقلت في ذلك

بلورة العين مذ امست مقابلة　　لشمس وجنة محبوبي التي شرفت
طارت فراشة قلبي نحوها وانت　　من خلفها فعلاها النور فاحترقت

وما الطف ما نقلهُ المحبي مما معناه انهُ تذاكر مع احد الادباء في قولهِ صلى الله عليهِ وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانهُ ينظر بنور الله قال فانشأ ذلك الفاضل يقول

الجسم بيتٌ وقنديل الفؤاد بهِ　　والرأس قبتهُ والمقلة الجامَ
فالعارفون بنور الحق ان نظروا　　صحت فراستهم والجام نمامَ

يعني اذا كان نور الحق في قلب المؤمن ظهر ما في قلبهِ على ظاهرهِ لان عينهُ لقلبهِ كالجام

والجام يَنمّ على ما فيهِ ويشفُّ عنهُ ومن الطف ما وجدتهُ في المرآة قول ابن زهر وقد نظر في المرآة بعد ان وخطهُ الشيب فقال

اني نظرت الى المرآة مذ جليت　　فانكرت مقلتايَ كل ما رأتا

رأيت فيها شويخًا كنت اعرفهُ　　وكنت اعهده من قبل ذاك فتى

فقلت اين الذي ب... ...　　متى ترحّل عن هذا المكان متى

فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة　　ان الذي انكرتهُ مقلتاك اتى

كانت سليمى تنادي يا اخي ولقد　　امست سليمى تقول اليوم يا أبتا

وفي البيت الاخير تلميح الى كراهة النساء للشيب . وانهُ عندهن اكبر عيب . كما قال الأول

من كان آدم جملًا في سنهِ　　هجرتهُ حواء السنين من الدُّمى

اي من بلغ خمسًا واربعين سنة هجرتهُ كل من كان سنها خمس عشرة سنه وقال آخر

فاذا دعونك عمهنَّ فانهُ　　نسب يزيدك عندهن خبالا

وذلك لانهُ وقع اجماعهن على كراهة الشيخ وان كان غنيًا او وليًا او نبيًا وذلك لانهن يملن الى الرجل لاجل بضاعهِ . ومن احبك لشيء كرهك عند انقطاعهِ . فقد روي ان ابا مسلم الخولاني كان متزوجًا بجارية صغيرة السن فقالت لهُ يومًا اظنك ساحرًا فقال ولِمَ قالت لاني اطعمتك السم مرارًا فلم اجده اثر فيك فقال لها اني اذا اكلت او شربت اقول بسم الله الذي لا يضر مع اسمهِ شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم فلا يضرني شيء ولكن ما حملكِ على ذلك فقالت صغر سني وكبر سنك فطلقها . نعم ان كان الشيخ غنيًا سترن بغضهن لهُ طمعًا فيما يجلبهُ لهن من الحلي والحلل والاثاث . وحرصًا على ما يخصهن بعدهُ من الميراث . وقد قلت في ذلك

ولرب غانية رداح مذ رأت　　صبح المشيب يشوب ليل عذاري

آلت يمينًا انها لا اشرقت　　من بعد ذلك في سماء دياري

فطفقت بالدينار املأُ كفها　　حتى حللت يمينها بيساري

فاذا جمع بين الشيب والافلاس . صرحن بكراهته بين الناس . وطلبن تعجيل فراقهِ . اما بموتهِ او طلاقهِ . والى ذلك يشير الشاعر بقولهِ

فان تسألوني في النساء فانني　　خبير بادواء النسا طبيبَ

اذا شاب رأس المرء أو قل مالهُ　　فليس لهُ في ودّهن نصيبُ

قلت فكيف اذا جمع بين الفقر والشيب . ولبس عيبًا على عيب . فهنا لك يرونهُ بعيون

الاحتقار - ويتسببن لصفاء عيشهِ بجلب الاكدار . ويستحيل حلوهن مرًّا . ووصلهن هجرًا . ومنطقهن فحشًا وهجرًا . كما قال الأول

كل انثى وان بدا لك منها آية الحب حبها خيتعورُ

والخيتعور هو السراب او الغول كما قالهُ ابن خالويه ويصح هنا ارادة المعنيين لان الغول تتلون كل وقت الوانًا كما قال كعب بن زهير

ولا تدوم على حال تكون بهِ كما تلون في اثوابها الغول

قال بعض العلماء الاعلام ولما علم الله كراهة النساء للشيب حمى من كثرتهِ نبيهُ عليهِ الصلاة والسلام لئلا تكرههُ نساؤهُ الغر . فتجرهم كراهتهُ الى الكفر . ولذلك كان جملة الشعرات البيض في لحيتهِ الشريفة وعنفقتهِ سبع عشرة شعرة فقط . كما رواهُ في شمائلهِ كل ثقةٍ مأمون من الغفلة والغلط . وعندي في ذلك بحث وهو ان الخليل . لا يخفى مقامهُ الجليل . وقد ورد في الحديث ان الشيب عم لحيتهُ . وغير حليتهُ . فاقول لِمَ لا حماهُ الله تعالى كنبيهِ محمد صلى الله عليهِ وسلم مما تكرههُ النساء والمحظور الذي يخشى من عموم الشيب في نبينا صلى الله عليهِ وسلم موجود فاحسن ما يقال ان كراهة الشيء تكون طبعية وعقلية والامور الطبعية لا يؤاخذ بها المكلف كما قالوا يغتفر للمرأة ما وقع منها في زمن الغيرة لانها ما جبلت عليهِ وقد اشار الله تعالى الى الكراهة الطبعية والعقلية بقولهِ وعسى ان تكرهوا شيأً ويجعل الله فيهِ خيرًا كثيرًا وقال تعالى وعسى ان تكرهوا شيأً اي طبعًا وهو خير لكم اي عقلاً فالله تعالى اكثر شيب الخليل لانهُ وان كره طبعًا لا يكره عقلاً وقد عرفت ان كراهة الطبع غير مؤاخذ بها فقد ورد في الحديث انهُ صلى الله عليهِ وسلم كان يكره رائحة الحناء لكن اختص الله نبيهُ بمجانبتهِ ما يكره ولو طبعا فقط فتامل ذلك منصفًا .

قال ابن خالويه انما سمي الشيب شيبًا لاختلاط بياض الشعر بسواده يقال شبت الشيء اشوبه اذا خلطتهُ وان كان هذا من الواوي والاول من اليائي فاصلها واحد . اه . وقد ذمهُ قوم ومدحهُ آخرون فقال من ذمهُ حسبك فيهِ ان اهل اللغة قالوا شاب فلان فهو اشيب ولم يقولوا فهو شائب الحاقًا لهُ بالعيوب كقولك عرج فهو اعرج وعور فهو اعور وعمي فهو اعمى فخالفوا فيهِ القياس لهذه النكتة وانما كرهتهُ النفوس لانهُ ينقص الاحلام ويضعف الاجسام . ويكثر الاسقام . ويذهب لذة الشراب والطعام . وينذر بالحِمام كما قال تعالى وجاءكم النذير قال بعض المفسرين هو الشيب وقال بعض الحكماء الشيب بريد الموت وذلك لان الزرع اذا ذهب سواده فقد آن حصاده . واستشهد بعضهم

على ان الشيب عيب بما رواه ابن خالويه . قال حدثنا ابن عرفة . قال حدثنا محمد ابن عبد الملك . قال حدثنا زيد بن هارون . قال اخبرنا حميد عن انس انهُ قيل لهُ هل اختضب رسول الله صلى الله عليهِ وسلم . فقال ما شانهُ الشيب . فقيل اوَشين هذا يا ابا حمزة . فقال كلكم يكرههُ (قلت) وهذا لاينافي مدح الشيب لان قولهُ كلكم يكرههُ لا يقتضي كونهُ معيبًا فقد تكره النفوس ما هو خير لها كما قدمنا . فان قلت لو لم يكن الشيب مكروها لمَّا امر النبي صلى الله عليهِ وسلم ان يغيروه بالخضاب لمَّا اسلم ابو قحافة يوم الفتح ورأى رأسهُ كالثغامة . فقال صلى الله عليهِ وسلم غيروا شيبهُ فغير . قلت هذا ايضًا لا يقتضي كراهتهُ صلى الله عليهِ وسلم للشيب لانهُ كان يحب مخالفة اهل الكتاب وكانوا لا يخضبون فكراهتهُ لموافقتهِ لاهل الكتاب وعلى تسليم كراهتهِ صلى الله عليهِ وسلم الشيب فكراهتهُ كراهة طبع كما تقدم من كراهتهِ رائحة الحناء واكل لحم الضب وغير ذلك وقولهُ كالثغامة . هي نبت ابيض كانوا يشبهون بهِ الشيب وشبهوه بالفجر وبالحمامة . قال الشاعر

فلناخذن من الزمان حمامةً ولندفعن الى الزمان غرابا

ومما قيل في ذمهِ من الاشعار قول ابي العتاهية

نعى لك ذكر الشباب المشيبُ ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعدًّا لداعي المنون فكل الذي هو آتٍ قريبُ

وقال المتنبي

ابعد بعدت بياضًا لا بياض لهُ لأنت اسود في عيني من الظلمِ

وقال الفرزدق

فليت الشيب حين عدا علينا الى يوم القيامة كان غابا
وافضح وافدٍ اسرى الينا وابغض غائب يرجي ايابا
فلم ارَ كالمشيب لباس قومٍ ولم ارَ مثل اثويهِ ثيابا
فلو ان المشيب يذاب يومًا بهِ حجرٌ من الجبلين ذابا

وقال الاخر

الا ليت الشباب يعود يومًا فاخبرهُ بما فعل المشيبُ

وقال الهيثم ابن الاسود الكوفي

ولو ان الشباب يباع بيعًا لاعطيت المبايع ما يريدُ
ولكنَّ الشباب اذا تولى على شرف فمرجعهُ بعيدُ

رأيت المرء تفنيهِ الليالي وصرف الدهر والزمن الجديدُ

وقال آخر

لاح في العارضين مني مشيبٌ كاد يقضي عليَّ منهُ النياحهُ

قلت ليل صباحهُ فيهِ يمشي سوف يفنى ظلامهُ وصباحهُ

وقال صاحب البرأة حين وصف نفسهُ

ولا اعدت من الفعل الجميل قرى ضيفٍ ألمَّ برأسي غير محتشمِ

لو كنت اعلم اني ما اوقرهُ كتمت سرًّا بدا لي منهُ بالكتمِ

وقلت

ما الشيب الا نكبة للفتى اذا تبدى في اللحى والروُس

ضيف اذا حل برأس امرءٍ فما قراهُ غير ذبح النفوس

وقلت ايضًا

قلت وقد بات شعر شيبي يجر فوق الخدود ذيلا

قد طلع الفجر يافؤادي فلن ترى بعد ذاك ليلاً

وقلت ايضًا

لا غروَ اذاما الشيب فشا في الرأس وضاق بهِ ذرعا

فجياد الدهر ركضن على فودي فاثرن بهِ نقعا

ومما جاء في مدح الشيب قولهُ عليهِ الصلاة والسلام طوبى لمن طال عمره وحسن عملهُ ومن شاب شيبةً في الاسلام استحيا الله منهُ ان يعذب نورهُ بالنار فقولهُ نوره اي شيبة فقد ورد في حديثٍ آخر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وانا لا اعذب نوري بناري وروى شهر بن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال سمعت رسول الله صلى عليهِ وسلم يقول من شاب شيبةً في الاسلام كانت لهُ نورًا يوم القيمة ما لم يخضبها او ينتفها قلت ويحمل الخضب في هذا الحديث على الخضب بالسواد قال ابن خالويه حدثنا ابو عبد الله النحوي قال حدثنا ابو قلابة عن ابي الرجال عن انس عن رسول صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال من اكرم ذا سنٍ لسنهِ قيض الله لهُ عند كبرهِ من يكرمهُ ورُوي ايضًا عنهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال البركة في اكابركم وحسب الشيب مدحًا كونهُ نورًا اضافهُ الله لنفسهِ تشريفًا لهُ ووقارًا كما رُوي ان اول من شاب ابراهيم عليهِ الصلاة والسلام فلما رأى الشيب قال يا رب ماهذهِ الشوهة التي شوَّهت بخليلك فقال الله عز وجل لهُ هذا الوقار فقال اللهمَّ زدني وقارًا و في رواية

ذكرها ابن خالويه ان الله اوحى اليه اشتعل وقارًا اي خذ وقارًا باللغة السريانية ولابن الرومي في مدح الشيب

لاح شيبي فظلت امرح فيهِ   مرح الطِرف في اللجام المحلّى
وتولى الشباب فازددت غيًا   في ميادين باطلي اذ تولّى
ان من ساءهُ الزمان بشيء   لاَحقٌ امرىء بان يتسلّي

وقال جرير

أتصحو ام فؤادك غير صاحي   عشية همَّ صحبك بالرواحِ
تقول العاذلات علاك شيبٌ   اهذا الشيب يمنعني مزاحي

وقال الفرزدق

والشيب ينهض بالشباب كأنهُ   ليلٌ يصيح بجانبيهِ نهارُ

قلت وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت فقال قوم إنَّ مرادهُ فيهِ بالليل والنهار حقيقتهما وان في قولهِ يصيح بجانبيهِ نهار استعارة وقال آخرون انهُ اراد بالليل ولد الكروان وبالنهار ولد الحبارى وهما طائران معروفان سمّوا الاول ليلاً لانهُ من طيور الليل ولانهُ لا ينام الليل ولا يغرد الا فيهِ وصوتهُ احسن اصواتَ الطيور المطربة واعلاها ويزداد تغريدهُ في نور القمر ولونهُ اقرب الى السواد وهو المراد بقول الشاعر

ونهارًا رأيت منتصف الليـ   ـل وليلاً رأيت وسط النهار

وممن مدح الشيب البحتري فقال

عيرتني بالشيب وهي جنتهُ   في عذاري بالجد والاجتنابِ
لاتريهِ عارًا فما هو بالشيـ   ـب ولكنهُ جلاء الشبابِ
وبياض البازيّ اصدق حسنًا   ان تأملت من سواد الغرابِ

وقال ابو دلف

انما شيبني الطيـ   ـبُ وانفاس الغواني
واهتمامي بنزيلٍ   او اسيرٍ او بعاني

قولهُ او بعاني هو الاسير وفي البيت شاهد على ان عطف التفسير قد يكون بأ و وقد اجمع النحاة انهُ لا يكون الّا بالواو فعلى هذا تكون او في البيت بمعنى الواو وقد اذكرني كلام ابي دلف نكتة وهي ان احد بني امية وكانوا كلهم يوصفون بالبخر في افواههم قال لاحد بني هاشم مالكم بسرع اليكم الشيب في عوارضكم فقال لان النساء يستطبن افواهنا فيقبلن عليها

بالتقبيل فلذلك يسرع الينا الشيب من انفاسهن يعرّض له بخز فيه وافواه قومه وقال عدي

والشيب يأمر بالعفاف وبالتقى والية آل العقل حيث يؤل

وقال آخر

تعجبت دُرٌّ من شيبي فقلت لها لا تعجبي فطلوع البدر في السدفِ

وزادها عجبًا ان رحت في سمَلٍ وما درت درٌّ ان الدرّ في الصدف

وقال آخر

لئن كان الشباب مضى حبيبًا فإِن الشيب ايضًا لي حبيبُ

ساصحبهُ بتقوى الله حتى يفرّق بيننا الاجل القريبُ

وقال آخر

لم ابدّل اذ عبت بالشيب الا عمة من عمائم الحكماء

مجتني سوددٍ وحلية مجدٍ ووقار بادٍ على العلماء

ان عمرًا عوضت فيه من المو ت بشيبٍ من اعظم النعماء

وقال منصور النميري

اهلاً وسهلاً بالمشيب فانهُ سمت العفيف وحلية المتحرّجِ

فكأن شيبي نظم دُرٍ زاهرٍ في تاج ذي ملك اعز متوجِ

وقلت انا

ان كان شيبي عمّ العارضين فما ازهى جمالاً يكون الشيب آخره

فحلية الليل أن تبدو زواهرهُ وحلية الغصن أن تبدو ازاهرهُ

ورُوي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ بقية عمرٍ ليس لها ثمن يستدركُ بها ما فات ويصلح بها ما هو آت . وقال ابن دريد في الشيب

ولي صاحب ما كنت اهوى اقترابهُ فلما التقينا كان آكرم صاحب

يعز علينا ان يفارق بعدما تمنيت دهرًا ان يكون مجانبي

وقال الفضل بن العباس رضي الله عنهما

تلك عرسي تقول انك شيخ ذاك عار عليّ غير ممضي

عيرتني ما حل بالناس قبلي وهي رهن بمثلهِ او ببعضي

وقلت

قد عيرتني بشيبي وبالغت في هجائي

فقلت ان كان عارًا ففي رؤس النساء

وقال بعضهم في المعني

الشيب يحسن بالفتى في رأسهِ والشيبُ في رأس الفتاة قبيحُ

كالخال يقبح بالفتى في وجههِ والخال في وجه الفتاة مليحُ

وقال محمد بن عبد الملك

وعائب عابني بشيبٍ لم يعدُ لما المّ وقته

فقلت ان عبتني بشيبي يا عائب الشيب لا بلغته

(فائدة) كان عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى بشيبة الحمد لانهُ لما ولد كان في رأسهِ شعرة بيضاء نادرة قال ابن خالويه حدثني ابن الانباري قال حدثني ابي قال حدثني احمد بن عبيد قال رأى قوم رجلا نصف لحيته ابيض ونصفها اسود فسألوه عن ذلك فقال هذا الجانب الذي شبت منهُ هو الذي تسارّني جاريتي منهُ في وقت فناء الدقيق تقول (اي خداوندا آرد تمام شد) بالفارسية يعني يا مولاي قد فني الدقيق اه قلت وقد رأيت ما يؤيد ذلك فقد روى ابن ابي الدنيا بسنده الى سعيد بن جبير في قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال همّ الخبز اه قلت وقد ورد في الحديث ان من الذنوب ذنوبًا لا تكفرها صلاة ولا صيام ولا حج يكفرها الهمّ في طلب المعيشة فلو لم يكن هم المعيشة امرًا عظيماً لما كفر هذه الذنوب العظيمة وقد رأيت الحافظ ابن عساكر ذكر في تاريخ دمشق ان مسعود الرازي حضر مجلس يزيد بن هارون فأملى عليه ثلاثين حديثًا فحفظها منهُ ثم عاد مسعود الى بيتهِ وهو يحفظها فقالت لهُ جاريتهُ ياسيدي نفد الدقيق فلما سمع ذلك تفقد الاحاديث فنسي منها سبعة وعشرين وبقي منها ثلاثة وذكر ابن عساكر ايضًا لبعضهم هذه الابيات

دخلت البيت اطلب منه خبزًا فجاوبني بسندان الدقيقِ

وقالوا قد فني ما كان فيه فأظلم ناظراي وجف ريقي

وأنسيت القضايا اذ رواها جرير عن مغيرة عن شقيقِ

وناح محابري وبكى كتابي ولم اعرف عدوي من صديقي

اذا فني الدقيق فقدت عقلي فواحزنا لفقدان الدقيقِ

قلت واحق الخلق بهم المعيشة من قل مالهُ . وكثرت عيالهُ . وكبرت همتهُ . وعجزت قدرتهُ . كما قال امامنا الشافعي رضي الله عنهُ

واحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همةٍ يبلى بعيش ضيقِ

وقد استعاذ نبينا صلى الله عليهِ وسلم من جهد البلاء وفسروهُ بكثرة العيال وضيق الحال (واعلم) ان بعضهم مدح الخضاب بالسواد فقال انهُ يستر عن البصر. ما تكرههُ النفوس من بياض الشعر. ويعيد حلية الشباب. ويَغر كل ذات خمار ونقاب. و بعضهم ذمهُ فمن ذلك قول الصّديق او علي رضي الله عنهما (لا يعود الشباب بالخضاب) وصدق فانهُ وان رد من الشباب حليتهُ. فما ردّ رونقهُ وقوتهُ. وقد ذكروا ان شيخًا تزوج شابة وكان يخضب فلما دنا منها رأت عجزهُ فقالت عند ذلك سبحان الله اراك قد جمعت بين حلية الشباب وهمة الشيوخ. فما خطبك ايها الذق الذي هو بالهواء منفوخ. فعند ذلك نزل بهِ من الخجل. ما تمنى معهُ انقضاء الاجل. قلت ويكفي مَنْ تزين بالخضاب وحليتهِ. انهُ يكذب في لحيتهِ. ومن ابلغ ما رأيتهُ في ذم الخضاب. قول بعض البلغاء

نسوّد اعلاها وتأبى اصولها ولا خير في الاعلى اذا فسد الاصل

وقال آخر

وقائلة تبيّضْ والغواني نوافر عن معالجة القتيرِ
عليك الحظر علّك ان تداني الى بيضٍ ترائبهنّ حورِ
فقلت لها المشيب نذير عمري ولست مسودًا وجهَ النذيرِ

وقلت في مدحهِ

اكرمت ضيف الشيب اذ البستهُ حلل العرائس لحن في الاعراس.
حتى توهم من رآه بأنهُ خير الخلائق من بني العباس

وقلت في ذمه

يامن يسود شعره جزعًا ليأمن سلّ سيفه
الشيب ضيفك فاقروا اكرام تأمن شؤم حيفه
فدع الخضاب ولا تكن ممن يسود وجهَ ضيفه

وقلت ايضًا في ذمهِ

يامن يسوّد شعره ليروج في ابناء جنسه
لم الق مثلك احمقًا امسى يسود وجهَ نفسه

ولما رأيت اول شعرةٍ بيضاء بدت في عذاري. وحلت في جواري. كتبت لشيخنا شيخ الفقهِ والحديث والأدب. ومن تنسل اليهِ المستفيدون من كل حَدَب. شيخ الاسلام.

وقدوة الانام . اول من حنكني بلبان الفضائل . ولقنني الوسائل لفهم المسائل . الشيخ عبد الحي بن ابي بكر بن احمد البيروتي اصلاً الدمياطي مولداً وسكناً . زاده الله تعالى جمالاً وكمالاً ورفعةً وسناً . وهذا الذي كتبته لجنابه وهو قولي

ياسيداً قد ساد في عصرنا ورمّ اركان المعالي وشاد

شيبة العارض مانت فهل البسة بالخضب ثوب الحداد

فاجاب واجاد

يابارعاً يسأل عن خضب ما بدا من الشيب بلون السواد

ان كنت قد جاهدت عذالكم فقد اباحوا الخضب حال الجهاد

وقال آخر

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها حجبته عنك يا سمعي ويابصري

فقهقهت ثم قالت وهي ضاحكةٌ تكاثر الغش حتى صار في الشعَرِ

وابلغ من ذلك كله قول محمود الوراق

ياخاضب الشيب الذي في كل ثالثة يعود

ان النصول اذا بدا فكأنه شيب جديد

والنصول هو انكشاف لون الصبغ وزواله . ولابي قاسم القشيري قوله معتذراً عن الخضاب

ما خضا بي بياض شعريَ الا حذراً ان يقال شيخ حليمُ

واحسن منه قول البوشيخي

وما كل حزني للنساء الذي هوى به الشيب عن طود من الانس شامخِ

ولكنّ قول الناس شيخ وليس لي على نائبات الدهر صبر المشايخِ

وقال الخفاجي

يقول الشيخ ان سودتُ وجهي خضاباً ان لي حسن اعتذارِ

لان الشيب قد قالوا وقار واخشى ان اشيب بلا وقارِ

ولابي علي الفارسي

يامن يخضّب شعرهُ بسوادهِ لعساهُ من اهل الشبيبة يحصلُ

ها فاختضب بسواد حظي مرةً ولك الامان بانها لاينصُلُ

ولبعض البلغاء

خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيب اولى ان يعابا

ولم اخضب مخافة هجر خلٍ ... ولا عيبًا خشيت ولا عتابا

ولكنَّ المشيب بـدا ذميماً ... فصيرت الخضاب لهُ عقابا

ولمحمد بن عبدالله بن طاهر في قص الشيب بالمقراض قولهُ

ياشعرةطلعت في الرأس ضاحكة ... كانما طلعت في ناظر البصرِ

لئن قصصتك بالمقراض عن بصري ... لماقصصتك عن وهمي وعن فكري

وقد اختلف في سبب الشيب فقال قوم هو غلَبةُ البلغم وقال آخرون انهُ غلبةُ الهم وقالوا الهمُّ كالسم وهم ساعة هرم سنة والهم يشيب القلب كما ان الهرم يشيب الرؤُس والصحيح ان سبب الشيب نقص الرطوبة من بدن الانسان وابتداء نقصها بعد مجاوزة الاربعين لان الشعر كالزرع ومادتهُ التي يشرب منها هي الرطوبة فاذا نقصت مادة الزرع وانقطعت جف ويبس وابيض فان قلت ان نقصان الرطوبة لايكون الا بعد الاربعين كما قدمت وقد نرى ابناء العشرين والاطفال يشيبون وكيف نقول ان سبب الشيب نقصان الرطوبة فالجواب ان نقصان الرطوبة الذي هو بعد الاربعين هو نقصانها الطبيعي وقد يعرض الطبيعة ما ينقص رطوبتها من مرض او عرض قبل بلوغ الاربعين فيكون ذلك سببًا للشيب فالشيب الطبيعي لايكون الا بعد الاربعين والشيب العرضي يكون قبلها ومثل ما يحدث الشيب بعد الاربعين فكذلك يحصل الصَّلع بتحريك اللام وهو انحسار شعر الرأس من مقدمهِ وهو فوق النزع وتحت الفرع فالانزع هو الذي انحسر شعر رأسه قليلاً وهو ممدوح للرجل لانهُ دال على الكرم وضده الغمم وهو كثرة الشعر على القفا قال الشاعر يوصي زوجتهُ عند موتهِ

ولا تنكحي ان فرق الدهر بيننا ... اغم القفا والوجه ليس بأنزعا

وقد قيل في صفة امير المؤْمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ الانزع الكرار فان زاد انحسار الشعر فوق النزع فهو الصلع وصاحبهُ اصلع قال الاعشى

وانكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث الا الشيب والصلعا

وفي هذا البيت شاهد لغويٌّ على انهُ يقال انكر كذا ونكره فهو منكر وناكر وانها لغة صحيحة ويقال لهُ الجلى بالفتح والقصر ولصاحبهِ اجلى ويقال لهُ الجلح واما الجلاء بالفتح والمد فهو مفارقة الوطن قال تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء والجلاء بالكسر والمد جلاء السيف وجلاء العروس ويقال للكحل ايضًا الجلى بالفتح والقصر كالاول فان زاد انحسار الشعر عن الصلع فهو الفرع وصاحبهُ افرع * ثم نعود بعد هذا الاستطراد الطويل الى ذكر المرايا

فتذكر غريبة ذكرها الشهاب الخفاجي في سوانحهِ قال رأيت في فتاوي الحافظ السخاوي
ان ابن عباس رأى النبي صلى الله عليهِ وسلم في منامهِ اي بعد انتقالهِ صلى الله عليهِ وسلم
فتفكر في ذلك ثم دخل على بعض امهات المؤمنين واظنها ميمونة فاخرجت لهُ مرآة النبي
صلى الله عليهِ وسلم فنظر فيها فرأى صورة النبي صلى الله عليهِ وسلم ولم يرَ صورة نفسهِ .اه .
قال الشربادو في ثبوت ذلك نظر فليحرر .اه . قلت وفي هذا النظر نظر لانهُ ان كان
وجهُ النظر من حيث ثبوت الرواية فذكرُ مثل الحافظ السخاوي لها يدفع ذلك الوجه اذ
لوكان فيها مقال من حيث المتن او السند لنبه عليهِ لانهُ معدود من الحفاظ . الحافظين
لأحاديث الرسول صلى عليهِ وسلم من اختلال المعاني والالفاظ .لاسيما وقد ذكر هذا الاثر
النجم الغزي في منبر التوحيد . ونسبهُ الى ابن العربي المالكي من هو في ذلك الفن الجوهر
الفريد . ولا يقدح في الحافظ السخاوي ما قالهُ الحافظ السيوطي ولا ما قالهُ هو فيهِ لان
المعاصرة . توجب المنافرة . والاتحاد في الصنعه . يغير من كل من المتعاصرين طبعه . وقد
ورد ان عدو المرء من يعمل بعمله . وذلك لشدة حرص الانسان على الانفراد وفسحة امله .
وان كان وجه النظر من حيث معنى ذلك الخبر. ففي ذلك النظر ايضاً نظر . لانهُ ثبت لنبينا
صلى الله عليهِ وسلم من المعجزات . والامور الخوارق للعادات . ما هو اعجب من هذا
خُبْرًا وخبرًا . لاسيما والمرآة المذكورة منسوبة اليهِ وقد ذكر في شمائلهِ انهُ كان لايفارقها
حضرًا ولا سفرًا . وقد حكي لي جماعة من ثقاة طرابلس الشام . منهم الفاضل الكامل
الاديب الاريب محمد بك يجن ذاده اسكنهُ الله دار السلام . انهم رأوا في مدينة اسلامبول
في زينة السلطان سليم بن السلطان مصطفى بن عثمان . بوأهُ الله اعلى الجنان . عجيبة
تدهش الابصار . وتحير الافكار . وهي مرآة اذا قابلها الانسان ابدت لهُ صورة نفسهِ
مجردة عن الملابس غير مستورة . حتى لو كان لابساً الف حلة لانظهر فيها صورتهُ الامكشوفة
العورة . قالوا فذهب قوم من اهل الخير والصلاح . واخبروا بها السلطان مصطفى
فامر بكسرها لما يترتب على ابقائها للرجال والنساء من الافتضاح . وقد اشتهرت مرآة
الاسكندرية . التي كانت موضوعة في رأس منارتها العلية . وما كانت تنعلهُ اشعتها من
من احراق سفائن اعداء الدين . وكيف احتال الكفرة على زوالها بعد دخول
الاسكندرية في ايدي المسلمين . وقد اتى الحكماء من المرايا بالغرائب . واظهروا بها وفيها
مالا يعد من العجائب . واذا ثبت ذلك وهو من فعل المخلوق الكثيف الضعيف . فما بالك
بفعل الخالق القوي اللطيف . فسبحانهُ من الهٍ لايعجزه ابراز شيء من المخزون . انما امرهُ اذا

اراد شيئًا ان يقول لهُ كن فيكون . وقد قرأت في بعض التواريخ ان آدم عليهِ السلام لما كثرت اولادهُ شكا الى الله من ضيق المساكن فامرهُ الحق بتفريق ذريتهِ في الاقطار فلما تفرقوا عنهُ اشتاق اليهم فشكا ذلك الى الله تعالى فأمر الله تعالى جبريل عليهِ السلام أن يخرج لهُ مرآةً من مراءِ الجنة فكان يبصر فيها اولادهُ واحوالهم وما هم عليهِ ولم يزل كذلك في هذه الدار حتى انتقل الى دار القرار* واعلم ان الناظم انث الفعل في قولهِ دارت تماثيل الزجاج الخ لانهُ اسندهُ الى جمع التكسير وهو التماثيل لانها كما تقدم جمع تمثال وقد ذكر اللغويون والنحاة هنا قاعدة فقال صاحب المصباح قال الزجاج كل جمع لغير الناس سواءٌ كان واحدهُ مذكرًا او مؤنثًا كالابل والبغال فانهُ مؤنث وكل ما جمع على التكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيرهُ وتأنيثهُ مثل الرجال والقضاة والملوك والملئكة فان جمع بالواو لا يجوز فيهِ الا التذكير نحو الزيدون قاموا وكل جمع يكون بينهُ و بين واحدهِ الهاء نحو بقر و بقرة يذكر و يؤنث وكل جمع في آخره تاء فهو مؤنث نحو حمامات وجرادات وثمرات ودريهمات ودنينيرات اما تذكير الزيدون قاموا فلأن لفظ واحدهِ موجود في جمعهِ بخلاف جمع التكسير نحو قامت الزيود حيث يجوز التأنيث لان لفظ الواحد غير موجود في الجمع فاجتريَ على الجمع بالتأنيث باعتبار الجماعة واجاز ابن باب شاذ قامت الزيدون بالتانيث باعتبار الجماعة وقياسًا على قامت الزيود قال ومثلهُ قولهُ تعالى الا الذي آمنت بهِ بنو اسرائيل فانث مع الجمع السالم وهو ضعيف سماعًا واما قياسهُ على قامت بنو فلان فالواحد المستعمل في الافراد غير موجود في الجمع فأشبه جمع التكسير حتى نقل عن الجرجاني ان البنين جمع تكسير وانما جمع بالواو والنون جبرًا لما نقص كالارضين والسنين وفيهِ نظر اه وقال في آخر كتاب المغرب وكل جمعٍ مؤنث الا ما صح بالواو والنون في من يعلم تقول جاء الرجال والنساء وجاءت الرجال والنساء وفي التنزيل اذا جاءك المؤمنات يبايعنك واسماء الجموع مؤنثة نحو الابل والذود والخيل والغنم والوحش والعرب والعجم وكذا كل ما بينهُ و بين واحده التاء او ياء النسبة كتمر ونخل ورمان وروم وبخت . انتهى

(تنبيه) وُجد على احدى نسخ هذا الكتاب بخط احد الافاضل حاصل ما ذكرهُ المؤلف من شرح بيتي الموصلي فاستحسنا ادراجهُ في محلهِ وهو

ان مقصود البليغ الموصلي رحمهُ الله ان محبوبهُ اذا مرّ والمرآة في كف ذلك المحب ووجهها لوجههِ وخلفها من قبل ذلك المحبوب فاذا مرّ المحبوب والمرآة خلفه وهو

وليعلم الواقف على هذا الشرح انني ما سلكت فيهِ طريق الاسهاب . وعدلت عن الايجاز الى الاطناب . الا لأ نوه بمقام الشعر . ولانشر ما حوتهُ زهور رياضهِ من نفحات العبير والعطر . ولانبهَ على انهُ علم نفيس . وان مَنْ مَنَّ الله عليهِ بهِ من العلما رئيس . يدلك على ذلك تسميتهُ شعرًا وذلك لانه مشتق من الشعور والشعور علم خاص مستفاد من الحس لانك تقول شَعَرت بكذا اذا ادركتهُ بحسك فاذا لم تدركهُ من طريق الحس تقول علمت بهِ ولا تقول شعرت بهِ فعلم ان بين الشعر والعلم عمومًا وخصوصًا مطلقًا لانهما يتصادقان من احد الطرفين كالانسان والحيوان اذ الانسان يصدق على الحيوان ولا عكس كما ان الشعور يصدق على العلم ولا عكس فكل شعرٍ علم وكل شاعر عالم ولا عكس ولذا سمي الشاعر شاعرًا لانهُ يشعر بما لم يشعر بهِ غيره اذا تقرر ذلك علمت حكمة عدولهِ تعالى عن وصف الكفار بقولهِ لايعلمون الى قولهِ لايشعرون وذلك لان نفي الشعور يستلزم نفي العلم بخلاف العكس قال في الحجة شعر بمعنى علم علم حس من الشعار وهو ما يلي الجسد اي من الثياب فهو علم مخصوص ولذلك قال تعالى في الشهداء بل احياء ولكن لا تشعرون ولم يقل لاتعلمون لانهُ اخبر بحياتهم فعلموها فلا يجوز نفي العلم عنهم وانما الجائز نفي مشاهدة الحواس . اه . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنهُ من افضل ما اوتيتهُ العرب الشعر يقدمهُ الرجل بين يدي حاجتهِ يستمطر بهِ الكريم . ويستنزل بهِ اللئيم اه . وقال ابن الوردي في خطبة كتابهِ الكلام على مائة غلام ولعمري ان صال من اساء بي الظن . وقال كيف رضي لنفسهِ بهذا الفن . فالصحابة كانوا ينظمون وينثرون . ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون اه واذا علمت ان الشعر علم خاص فاعلم انهُ

خلفها فبالضرورة لاينطبع فيها مثالهُ فاذا تأمَّلتِ التماثيل التي في الكؤس في المرآة ولم تجد فيها تمثال ذلك الحبيب قامت تدور عليهِ لما تقرر من ميل الجنس الى جنسهِ لانها تماثيل في زجاج وصورة المحبوب التي في المرآة تمثال في زجاج ايضًا ولذلك تدور على تمثالهِ وتبحث عن مستقر جمالهِ فالشاعر الموصلي ادعى ان علة دوران الكأس في مجلسهِ فقد صورة حبيبه في المرآة وان الكأس لما فقدت مثالهُ قامت تدور عليهِ حتى اهتدت على ذاتهِ وعند ذلك استقرت في يده فصار هو الساقي لاتألف الكأس سواه . ولا تميل الا مع هواه . ولا تخرج عن رقه وان كانت عتيقة العصر . ولا تبرح تحن عليهِ حنوّ الوالدة وان قابلها بالقتل والشج والعصر . اه . جمعًا من كلام المؤلف

يحتاج الى علوم شتى . حتى تستقيم طرقه فلا ترى فيها عوجاً ولا امتا . وانما رخص فريده . وكسدت عقوده . لموت من كان يعلم قيمة جواهره من الكرام . و بفضل نظامه على جميع النظام . حتى تبرأ منه الاذكياء . وادّعاه الاغبياء . امّا الذكي فتركه لعدم وجود من يُمدح . ولأنه اذا تكلف ومدح من لايستحق المدح فلا يسمح . قال الشاعر

والشعر ليس بمُجْدٍ والانام لهم   ايدٍ صخورٌ واعراضٌ قواريرُ

وقلت من قصيدةٍ

والشعر مثلُ النوق لايَجْدِي   الا بحادي الذهب الاحمر

ولأنه اذا اراد ان يمدح من في زماننا من الروُس . احتاج ان يتنزل لأجل إفهامهم عن مرتبة اللغات العربية الى لغات الحمير والتيوس . كما نقل انه قيل لابي تمّام لِمَ لاتقول ما يفهم فقال لِمَ لاتفهم ما يقال وقيل لآخر قد خرف شعرك فقال انما خرف الزمان وقيل لآخر لِمَ تأتي في شعرك باللغات الغريبة فقال انما آتي بالمتعارف وانما انتم الغرباء كل ذلك لقصور الفهوم . عن ادراك معاني العلوم . ولكل زمان لسان لاتطرب اهاله الا بسماعه . ولا ترقص الا بايقاعه . ولذلك اعرض بعض العقلاء فيما تقدّمنا من الزمان . عن نظم النابغة . حكمة لقمان . الى قوله

عجبٌ عجبٌ عجبٌ عجب   قطا سَوْدا ولها ذنبُ
تصطاد الفارَ من الأوكا   رِ تحوشُ الدّارَ وتنقلبُ

ومن اعجب ما رأيت في زماننا انني لما دخلت مكة سنة ثلاثة ومائتين بعد الالف كان الشريف غالب جدّد الفضة التي يوضع فيها الحجر الاسود فنظم له البلغاء تواريخ في التجديد فلم يقبل منها شيئاً حتى جاء رجل جاهل وقدم له ما يزعم انه نظم وعمل فيه تاريخاً وهو قوله

بنى وشيد*السلطان المؤيد *تاريخه عالم الغيب*بعد زيادة واحد في العدد

فلما سمعه الشريف هش له و بش واجازه جائزة الاكابر . وامر ان يكتب ذلك التاريخ دون غيره على ما وضعه على الحجر من الدائر . ولا عجب في هذا الشان . لانه في كل زمان تتناقص العقول كما تتناقص الابدان . ولذلك تسابقت عرج الحمير في حلبة الشعر وميدانه . وتحتوا من جبال طباعهم بيوتاً يفتخرون بها على كسرى وايوانه . وسيف ابن ذي يزن وغمدانه على انها اوهن من بيوت العناكب . وانتن من بيوت اخلية الاعاجم والاعارب . كما قيل

وما هي الا مثل بندق فارغ   خليّ من المعنى ولكن يفرقعُ

ولكن استولى الزكام على ممدوحيهم فلم يشموا من اشعارهم تلك الروائح القذرة. ووراجت بضاعتهم في سوق فسوقهم فما احقهم بقول الشاعر (عند الخنازير تنفق العذره) . هذا وان وجدت بين خَرَزِهِم درة يتيمة . فاعلم انها مسروقة من عقود الاشعار القديمة . فهم اللصوص . السارقون بخيوط لِحَاهم جواهر الفصوص . ولذلك قوبلوا بالصفع . كما قوبل سارق المال بالقطع . ولعمري ان من استغنى بمال غيره فهو الفقير . وان جمع منهُ الجم الغفير . واعجب من هذا انك ترى بعضهم يسرق ما سرقهُ غيره من اللفظ والمعني . وينسبهُ لنفسهِ كما تنسب الاباء الى الابنا . فلهذا ترى شعره رجيع الرجيع . وخليع الخليع . كما قلت في بعضهم

شاعرٌ يعدي السجايا شِعرُهُ　　كلما أُنشِدَ عَدْوَى الجرب

كل بيت منهُ ان حققتهُ　　ترَ فيهِ خـانةً للأدب

وقلت ايضاً

سمعت شِعرَ شاعرٍ　　يشبهُ صوت الججله

الفاظـهُ مهملـةٌ　　لكنَّها مستعملـه

وما احق شعرهم بقول ابي لبيد الرياحي

وشعرٍ كبعر الكبش فرَّق بينهُ　　لسانُ دعيٍّ في القريض دخيل

هذا وان اعرب في شعره واغرب . اتى فيهِ بألفاظ كأنما هي عزيمة الجن او رُقْيَة العقرب . فاخلى الله منهم المساكن والمغاني . كما اخلى بيوت اشعارهم من المعاني . وجعلهم اغراضاً لسهام الردى . كما جمَّدوا ببرودة نظامهم ما بقي من الندى . فانهم هوامُّ العوام . بل هم اضلُّ من الانعام . ففي حكى ان الخوارزمي عرض بعض شعره على بديع الزمان فقال لهُ رأيت القِطَّ اعقلَ منك لانهُ يدفن ما خرج منهُ وانت تنشره وهذا الخوارزمي شيخ الصاحب ابن عبّاد . الذى اقرت بفضلِهِ اهل الانشاء والانشاد . فما بالك بمثل هولاء الاوغاد الذين نشأُوا في مهود الجهل . ولم يذوقوا مصة من ثدي الفضل . فكيف ساغ لهم ان يرفعوا رؤُسهم . وان يعدُّوا بين اهل الفضل نفوسهم . ما ذاك الا لفرط وقاحه . وغلظة وشقاحه . وعدم تمييز وادراك . ودعوة عظيمة ينحط عندها سمك السماء واوج السماك . وعدم حياء يصادفك منهم اينما فنت . وفي الحديث اذا لم تستحي فاصنع ما شئت . فعلم بما مهدناه . وما اسلفناهُ وقدمناه . ان الانسان لا يستحق الوصف بالشاعر الموجب لهُ العز والشرف . الا اذا احتوى من كل علم من العلوم على طرف . وذلك لان الشاعر من ينظم في كل فن . ولا ينظم في كل فن الا من دخل حانات العلوم فشرب ولو كأساً من كل دن . وسأجلي عليك ما نقرُّ

بهِ العيون مما نظمهُ الشعراء في جميع الفنون

﴿مطلب تعلقات علم الاصول﴾

فمما قالوهُ من علم الاصول قول بعضهم

قالوا فلانٌ عالمٌ فاضلٌ فاكرموهُ مثلما يرتضي
فقلت لما لم يكن عاملاً تعارض المانع والمقتضي

اي علمهُ يقتضي اكرامهُ وتعظيمهُ وعدم عملهِ بعلمهِ مانع من اكرامهِ وتعظيمهِ فتعارض المانع من اكرامهِ والمقتضي لهُ والقاعدة الاصولية انهُ اذا تعارض المانع والمقتضي قدم المانع على المقتضي . مثال ذلك الصلاة في الاوقات المكروهة عند ابي حنيفة مطلقاً وعندنا معاشر الشافعية هي ذات السبب المتأخر كصلاة الاستخارة بيان ذلك ان دخول وقت الصلاة مقتضٍ لفعلها ووقت الكراهة مانع منهُ فتعارض مانع ومقتضٍ فقدم المانع على المقتضي ومن علم الاصول قول بعضهم

سننت السهاد لمنع الكرى فاظهرت في حالةٍ بدعتين
وصيرت تكرار دمعي على خدوديَ من فوقها فرض عين

فقد ورّى في بيتيهِ بالسنة والبدعة و بفرض العين * ومن علم الاصول ايضاً قول بعضهم

في خدهِ ضل علم الناس فاختلفوا أَللشقائق ام للورد نسبتـــهُ
فذاك بالخال يقضي للشقيق وذا دليلهُ انَّ ماء الورد ريقتهُ

ومنهُ قول الآخر

بدا فَرق من اهواهُ كالصبح في دجا غدائرهِ فازداد في حسنهِ عشقي
فوحّدت حبي فيهِ طوعـاً لأنني تيقنت جمع الحسن في ذلك الفرق

بيان ذلك ان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس . والفرق والجمع المورّى بهما من متعلقات القياس ومثل ذلك قول المعمار

قاس الورى وجهَ حبيبي بالقمر لجـامعٍ بينهما وهو الخفر
قلت القياس باطلٌ بفرقهِ وبعد ذا عنديَ في الوجهِ نظر

وقلت من علم الاصول

قالوا الْتحي من جننت فيهِ فاترك هواهُ ولا تعارض
فقلت ان الجمال اصلٌ فيهِ وهذا النبات عارض

فيهِ اشارة اصولية وهي ان المعتبر الاصل لا العارض ولذلك قالوا ان الصائم اذا هجم

وافطر قبل تحقق الغروب فسد صومهُ واذا هجم وشرب في الليل صح صومهُ لان الاصل في الاولى بقاء النهار وفي الثانية بقاء الليل واحتمال دخول الليل في الاولى والنهار في الثانية امر عارض والعارض لا يعتد بهِ وقلت من الاصول ايضًا

لم أسلُ في الدهر عن هواهُ ولو احرمني من سلاف ريقتهِ
فان أقلْ تبت عن هواك يُقلْ قد يصرف اللفظ عن حقيقتهِ

اي وهنا يصرف قولي عن حقيقتهِ تبت عن هواك الى مجاز تبت عن غير هواك وهو مجاز مرسل علاقتهُ النقص مثل قولهِ تعالى واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وقولهِ فقبضت قبضة من اثر الرسول وقولهِ تالله تفتؤ تذكر يوسف قال الاصوليون قد يصرف اللفظ عن حقيقتهِ الى مجازه لقرينةٍ في مثل ما لو قال رهنت الخريطة ولم يتعرض لما فيها والخريطة لا يتعرض لرهنها في مثل هذا الدَّيْن فهل يجعل رهنا لما في الخريطة وان كان مجازًا للقرينة الجارية . قال الشيخ صدر الدين ابن الوكيل في النظائر والاشباه الشافعية فيه وجهان والله اعلم وقلت

بروحيَ مجتهدًا قد رمى نبالاً اصابت صميم الفؤاد
وعادت بأجرين فيا برا هُ اجر الاصابة والاجتهاد

وفي هذا اشارة الى الخلاف الاصولي في ان المصيب واحد وكل مجتهد مصيب ويبنى على الخلاف ما اذا حكم الحاكم في المسائل المجتهد فيها فهل ينفذ حكمهُ باطنا وفيهِ وجهان المعتمد انهُ ان صادف الحكم كل ما لا بد منهُ نفذ باطنا قطعا والا فان انبنى على اصل فاسد يمكن الوقوف على فسادهِ كما لو حكم بشهادة زور او في محل مجتهد في ظنهِ وكان فيهِ نص قد حكم بخلافهِ لم ينفذ باطنًا قطعًا حتى اذا ظهر ذلك نقض حكمهُ وان لم يكن كذلك كسائر المجتهد فيهِ اذا لم يمكن ان يتعين الخطأ في حكمهِ ظاهرًا فلا ينقض وهل ينفذ باطنًا فيهِ خلاف وابو حنيفة رحمهُ الله يلحق القسم الثاني بالثالث عنده ويدعي فيهما انهُ ينفذ باطنا كما ندعي نحن في الثالث على احد الوجهين وقلت ايضًا

حمرة خديك ياحبيبًا بهِ جراح الغرام توسى
قرينة اعلمت ودلت مثلي على قتلك النفوسا

وقد اشرت بهذا الى قاعدة اصولية وفيها خلاف وهي ان القرائن هل تفيد العلم اولا فذهب النظام وامام الحرمين الى افادتها وانكر الجمهور قال صدر الدين بن الوكيل والمختار افادتها في بعض المواضع منها الاعتماد على قول الصبي المميز في الاذن في دخول

الدار وايصال الهدية على الاصح وقلت ايضاً

قالوا عُبيدُك قد وافاك معتذرًا يرجو البراءة فضلاً وهو صعلوكُ
فقلت ان كان عبدي مثلما زعموا فكيف يبرأ والأبراء تمليكُ

اشرت الى قاعدة اصولية فيها خلاف وهي ان الابراء هل هو تمليك او اسقاط قال ابن الوكيل ظاهر المذهب انهُ تمليك لانهُ لو قال ملكتك ما في ذمتك صح من غير نية ولا قرينة بخلاف قوله للعبد ملكتك رقبتك وللزوجة ملكتك نفسك فانهُ يحتاج الى النية قال ابن اخيه . قلت قال النووي في كتاب الرّجعة المختار ان لا يطلق الترجيح في اصل هذه القاعدة وانما يختلف باختلاف الفروع وعليها صور منها لو ابرأه عن مجهول صح ان قلنا انهُ اسقاط فان قلنا انهُ تمليك فلا يصح ومنها لو عرف المبريء قدر الدّين ولم يعرف من عليه الحق صح على الأول دون الثاني ولو جاء المغتاب الى من اغتابهُ فقال اغتبتك فاجعلني في حلٍ ففعل وهو لا يدري بما اغتابهُ فوجهان احدهما يبرأُ لان هذا اسقاط محض والثاني لا لأن المقصود حصول الرضى ولا يمكن الرضى بالمجهول اه . وعلى انهُ تمليك اشرت في بيتيّ المتقدمين وان كان تمليكًا فيتفرعُ عليه انهُ لا يصح من السيد لعبده لان العبد لا يملك شيئًا والى ان الابراء اسقاط اشرت بقولي ايضًا

بباب حلمك عبد قد جنى ولهُ في مدح فضلك أشناف وأقراط
ان كان عبدك حقًا فافتحنّ لهُ باب البراءةِ فالأبراء اسقاط

وقلت رباعية

ياملك الوري بجفن مكسور ارحم دنفًا بهدب لحظك مأسور
واسمح يومًا لهُ بقبلة خدٍ فالشارع ربما اباح المحظور

فيه اشارة الى ما يبيح المحظورات كالمرض والاكراه بشروطه فيباح بالثاني شرب الخمر والافطار في رمضان واتلاف مال الغير والخروج من فرض الصلاة وتباح به كلمة الردة كما قال تعالى الا من اكره وقلبهُ مطمئن بالايمان ولا يباح به القتل المحرم اتفاقًا ولا الزنا وان صح تصوره فيه اذ لا يشترط في الزنا الانتشار والايلاج بدونه ممكن وقلت ايضًا

ياسيدي عُدْ للوصال الذي قد كان يحييني وان لم يَطُل
فالزائل العائد في شرعنا وحكمنا مثل الذي لم يَزُل

فيه اشارة لمسألة اصوليةٍ خلافيةٍ وهي ان الزائل العائد كالذي لم يزل او كالذي لم يعد وبنى على ذلك مسائل . منها اذا فسق القاضي او الوصي او قيم اليتيم ثم تاب هل تعود

ولايتهٔ بمجرد توبتهِ فيكون الزائل العائد كالذي لم يزل اولا تعود بناء على انهٔ كالذي لم يعد والاصح انها لا تعود بخلاف الاب والجد لان ولايتهما شرعية بوصف الابوّة • ومنها اذا كان لزوجتهِ عليهِ حق مبيت ليالٍ وطلقها طلاقًا بائنًا ثم تزوجها بشرطهِ فهل يجب عليهِ القضاء كانّ النكاح لم يزل او لا كانهٔ لم يعد وجهان

ﷻمطلب تعلقات علم الفروعﷻ

ومما يتعلق بعلم الفروع

خذوا بدمي هذا الغزال لانهُ ... تشبع قتلي في الانام على عمدِ
ولا تقتلوه انني انا عبدهُ ... وفي مذهبي لا يقتل الحرُّ بالعبدِ

وقال بعضهم

رأيت بخده المبيضّ خالاً ... كمسكٍ فوق كافور ذكيِ
تحير ناظري لما رآه ... فقال الخال صلّ على النبيّ
فقلت لهُ ملكت نصاب حسن ... فادِّ زكاة منظرك البهيّ
فقال ابو حنيفـــة لي امامٌ ... يرى ان لا زكاة على الصبي
فقلت الشافعيّ قضى بهذا ... فنأخذها بقول الشافعيّ
فقال نعم ولكني صبيٌّ ... فخذها يا متيم من وليي
فقلت لهُ سيغني الله عنها ... وكم لله من لطفٍ خفيّ

ومنهُ

قلتُ لمن يبسم عن لؤلوءٍ ... وقد حشا بالجوهر الفرد فاه
ادّ زكاة الحسن تقبيلـة ... فقال لي دع عنك ذا الاشتباه
ألست تدري يا فقيه الورى ... ان اللآلي ليس فيها زكاه

وقال آخر

صرفتَ زكاة الحسن لِمْ لا بدأت بي ... واني لها المحتاج لو كنت تعرفُ
فقيرٌ ومسكينٌ وغازٍ وغارمٌ ... ورقٌ سبيلٌ عاملٌ ومؤلفُ

وما احسن قول بعضهم

وشهودي على الهوى ادمع العيـ ... ـن ولكني قذفت شهودي

ومنهُ قول الآخر

لما لبست عليهِ اثواب الضنا وغدوت من اثواب صبري عاريا
اجريت وقف مدامعي من اجلهِ وجعلتهُ وقفًا عليـــهِ جاريا

ومنهُ قول الآخر

غريبٌ سبوا نومي ولم تدرِ مقلتي كما سلبوا قلبي ولم تشعر الاعضا
وطلقت نومي والجفون حواملٌ فمن اجل ذا في الخد ابقت لها فرضا

يشير الى ان المطلقة الحامل يجب لها فرض النفقة ومنهُ قول الآخر

اوجبت غسلاً على عيني بادمعها فكيف وهي التي لم تبلغ الحلما

اراد بالحلم ما يراهُ النائم وهو المعنى البعيد واما المعنى القريب فهو البلوغ بالسن او بغيره

ومنهُ قول الآخر

وقائلةٍ ما بال عينك مذ رأت محاسن هذا الظبي ادمعها هطلُ
فقلتُ زنت عيني بنظرة وجهه فحق لها من فيض ادمعها غسلُ

قلت وفي الحديث زنى العين النظر . وما الطف قول بعضهم

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم قفوا فمدامعي تغني عن الانوآء
قالوا صدقت وفي دموعك مقنعٌ لولم تكن ممزوجةً بدمآء

وللقاضي عبد الوهاب الثعلبي

ونائمةٍ قبلتهــا فتنبهت وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحدّ
فقلت لها اني فديتك غاصب وما حكموا في غاصب بسوى الرد
خذيها وكفي عن اسيرِ ظـلامةٍ وان انت لم ترضى فالفًا على العدّ
فقالت قصاص يشهد العقل انهُ على الكبد الحرّى الذّ من الشهد

ومن ذلك قول بعضهم

تيممتكم لما فقدت ذوي الندى ومن لم يجد ماء تيم بالترب

وقول الآخر

الحاظكم تجرحنا في الحشا ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرحٌ بجرحٍ فاجعلوا ذا بذا فما الذي اوجب هذا الصدود

وقلت من ذلك

خدك روض كم هام فيهِ متيمٌ كالبها زهير
غرست باللحظ فيهِ وردًا فكيف يجنيهِ ثغر غيري

وقلت ايضًا

وغزالةٍ حاولت ان اصطادها　　بفخاخ شعري او شراك تبتي
قالت من الدينار قد احرمتني　　والصيد عندي لايحل لمحرم

وقلت ايضًا

قلت للاهيف الذي رام سلبي　　عند شهر الصيام ثم جفاني
لِمَ قاطعتني فقال مجيبًا　　لايحلُّ الوصال في رمضانِ

وقلت ايضًا

ابناء جلق مذ رأتهم جلق　　قومًا مؤلفة القلوب علانيه
عطفت عليهم بالغصون واصبحت　　صدقات انهرها عليهم جاريه

وقلت ايضًا

وروض نظمنا بهِ شملنا　　كعقدٍ غدا سلكه الايتلاف
مسائل انهاره قد جرت　　ولكنها في محل الخلاف

والخلاف شجر الصفصاف وبهِ صحت التورية والعامة تشدده وهو لحن

وقلت من قصيدةٍ

لاتلمني اذا اكلت لحومًا　　فمن اضطر غير باغٍ وعادي

ومن علم الفروع على سبيل اللغز قول بعضهم

واربعة كانوا على الطهر كلهم　　وما منهم الا فتىً طاهرٌ حرٌّ
فان أمَّهم منهم فتىً فصلاتهم　　خداج وما فيها لفاعلها اجرُ
وان فعلوا تلك الصلاة جميعهم　　فرادى فقد صحت وليس بها نكرُ

قلت هولاء اربعة اشخاص اجتهدوا في القبلة واختلفوا في جهتها فلا تصح صلاة كل منهم خلف صاحبهِ لانهُ يرى صلاة امامهِ باطلة فاذا صلى كل منهم بمفرده صحت صلاتهُ ومن ذلك قول الآخر

ألا خبروني عن صلاة امرءٍ غدت　　بحار بسيط عندها ووجيز
تجوز اذا صلّى امامًا ومفردًا　　وان كان مأمومًا فليس تجوز

قلت وهذا لايتصور الا في رجل اعمى شديد الصمم لايرى انتقالات الامام ولا يسمع صوتهُ ولا صوت المبلغ فصحت صلاتهُ امامًا ومنفردًا لا مأمومًا ومنهُ قول بعضهم

اذا اكل الناسي وغالب ظنهِ　　على انهُ بالأكل قد صار مفطرا

ودام على اكل الطعام تعمداً فقد صح منه الصوم ليس به مرا
وان ظن ان الشمس غابت ولم تغب لكون سناها كان عنه تسترا
فنال طعامًا لايصح صيامه فما الفرق في هذين ان كنت مخبرا

اقول الفرق ان الاول غير مفطرٍ لان عدم ابطال صوم من اكل ناسيًا مما يخفى على العوام فعذر فيه بخلاف معرفة الاوقات فانه غير معذور بعدم معرفتها وانما صح صيامه فيما اذا ظنّ بقاء الليل فاكل فتبين له ان الفجر قد طلع كما تقدم لان الاصل بقاء الليل اذهو المحقق وطلوع الفجر عارض والاصل لايعتد بالعارض ومن ذلك قول الآخر

ما يقول الفقيه ايده اللـ ـه ووفّى من فضله في نصيبه
في اديب عدل له غاية الحر مة لايجترى على تكذيبه
ما رأيناه بالمصلي ومع ذا ترك الصوم جاحداً الوجوبه

قلت هو رجل شاخ وهرم او مرض مرضًا لايرجي برؤهُ ولا يستطيع مع ذلك الصوم فلا يجب عليه الصوم لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه اي لا يطيقونه فدية وان جحد وجوب الصوم عليه والحالة هذه فانه لا يضرهُ الجحود وقوله مارأيناه بالمصلي اراد بالمصلي مصلي الخيل وهو الذي يجيء بعد السابق ويكون عند صلويه وهما محل مغرز ذنبه ومن ذلك قول الآخر

مايقول الفقيه ايده الـ ـه واعلاهُ في السيادة قدرا
في فتيّ مسلم كريم المحيّا عاقل زوج امهُ وهي عذرا

قلت هذا رجل ارضعته اخته قبل بلوغهِ حولين و بعد بلوغها سن الحيض فهي اخته من النسب وامه من الرضاع فزوجها بالولاية عليها وهي بكر ومنه قول الآخر

ايا فقهاء العصر هل من مخبّرٍ عن امرأة حلت لصاحبها عقدا
اذا طلقت بعد الدخول تربصت ثلاثة اقراء حدُدن لما حدا
وان مات عنها زوجها فاعتدادها بقرءٍ من الاقراء تأتي به فردا

قلت هذه لقيطة اقرت انها رقيقة بعد النكاح وقد الّفوا في الالغاز الفقهية مؤلفات اجلّها ما الفه الاسنوي رحمه الله فانه قد اكثر فيه مع مزيد الافادة وتجنب الهجنة . وجاء فيه بزيادة كزيادة كبد الحوت لاهل الجنة

مطلب تعلقات علم التوحيد

ومما نظم من الاشعار في علم توحيد الخواص وهو ان لايرى احدهم موجوداً الا ذات

الله تعالى وصفاته واسماءه وافعاله واحكامه ويرى ماعدا ذلك من العالم عدماً صرفا متوهم الوجود يعني انــه لايرى موجوداً الا بالوهم وذلك الوهم نشأ من كونه ممسوكاً للوجود لان الموجود اذا امسك المعدوم ظهر المعدوم بصورة ذلك الموجود مثال ذلك انك ترى الخاتم يتحرك بتحرك الاصبع وذلك لان الاصبع ممسكــة للخاتم فظهر الخاتم بصورتها وهي الحركة والله تعالى ممسك العالم كله قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فظهر العالم المعدوم بصورة الحق الموجود وفي الحديث ان الله خلق آدم على صورة الرحمن اي قدر وجوده وفرضه على صورة وجوده ولا شك ان المقدر المفروض لاوجود له الا في الوجود العلمي فقط لا في الوجود الخارجي قال ولد سيدي محمد البكري قدس سره قد فتح الله على الوالد ببيت جمع جميع ما في كتاب الفصوص وهو قوله

دوائر اوهام بها وقف الفلك فظاهرها خلق وباطنها امر

فتلق ما تلقفه القلم من فيوضات الغيب . وسل الله لي ولك التحقيق بهذا التوحيد الخالي عن الشيب والريب . وانما اخرت هذا التوحيد في الذكر عن اصول الفقه وفروعه لانها له وسيلة وهو المقصد الاعظم والوسائل مقدمة على المقاصد يدلك على ذلك خبر ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث وقولهم من عمل بما يعلم . اورثه الله علم مالم يعلم . فالحقيقة بلا شريعة باطلة . والشريعة بلا حقيقة عاطلة . والموفق من جمع بين العلمين . وكان مظاهراً لعدوه بين درعين . وقد نظم كثير في علم وحدة الوجود واجل ذلك كلام حجة الاسلام الغزالي . وسيدي الشيخ محيي الدين ابن العربي . وسلطان العشاق ابن الفارض . وسيدي على وفاء . وسيدي محمد البكري وسيدي زين العابدين البكري . وسيدي عبد الغني النابلسي وسيدي مصطفى البكري . وشيخنا الشيخ عبد الرحمن العيدروس قدس الله اسرارهم . وضاعف انوارهم . واذاقنا قطرة من شرابهم . وجعلنا في الدنيا والآخرة من محبيهم واحبابهم . فزهور دواوينهم بروائح توحيدهم فائحه . وابحر اشعارهم بالمعارف طافحه ودلائل القبول والاخلاص والصدق عليها لائحه . وقد تطفلت على موائدهم . رجاء الظفر بواردهم والورود على مواردهم . ومن تشبه بقوم فهو منهم . وان كان بعيد المقام عنهم . والمرء مع من احب . والمحبة اقرب نسب . فقلت بلسان السالكين تشبهاً باقوالهم . وان تعدت عن اعمالهم . فقد يتشابه الوصفان . والموصوفان متباعدان . ولكن المحبة تقرب البعيد وان لم يكن في مصاحبه

زيت . بدليل خبر سلمان منا اهل البيت . فمن ذلك قولي

اخلع ملابس ذي الجها لة والبس التقوى كثوبك
تب قبل موتك يابلي د ولا تمت من قبل توبك

ومنهُ قولي

يا ايها الانسان اقرأ هل اتى واجعل فناء النفس منك خلقا
فاي انسان علاهُ عجبهُ فلينظر الانسان ممَّ خلقا

ومنهُ قولي

يا اناسًا اراهمُ بالملاهي تولعوا
اخرجوا عن نفوسكم واتقوا الله واسمعوا

ومنهُ قولي

ارجع لله وتب وابرأ من هذا الخلق
ولكثرة باطلهِ قل رب احكم بالحق

ومنهُ قولي

ان الذين يجاهدو ن النفس شبانًا وشيبا
مَنَّ الالهُ بنصرهم واثابهم فتحًا قريبا

ومنهُ قولي

بادر الى الله مع اناس قد جاوزوا الهول والمخاوف
فبئس من قد رضوا سفاها بأن يكونوا مع الخوالف

ومنهُ قولي

اظهر الفقر والتمسكن للـ ـه لتحظى من فضلهِ بالعطاء
وتأمل في قولهِ عز قيلاً انما الصدقات للفقراء

ومنهُ قولي

لقد مزج الناس توحيدهم بشركٍ لهُ خفي المدرَكُ
وذاك بتقدير مولاهم ولوشاء ربك ما اشركوا

ومنهُ قولي

عميتمُ عن واحدٍ تشهدهُ البصائر
وذلكم لأنكم الهاكم التكاثر

وقلت

اذا حركات القضا   توالت فكنْ في سكونْ
اذا لم يكن ما تروُ   مُ فسلم ورُمْ ما يكونْ

وقلت

اذا رمت توحيدهُ صادقًا   فمت ميتة العاشق المدنف
فزعمك توحيدهُ باطلٌ   لديهِ فكلك شرك خفي

وقلت

ياسالكي منهج الموالي   موتوا تروا نشأت الحياةِ
لولا دعاوي الوجود فيكم   ما ذقتم غصة المماتَ

وقلت تشبهًا بلسان العارفين

قد كان شرك خفيٌّ   ولا يكاد يبين
ولم يزل يعترينا   حتى اتانا اليقين

وقلت مع الاقتباس

لقد آمنت بالله   واصبحت بهِ آمن
هو الاوّل والآخرُ والظاهر والباطن

وقلت

ياشيخ اهل الله قد بايعتنا   بيدٍ تفوق الغيث فيضًا ان هما
فمددت كفي عند ذلك قائلاً   ان الذين يبايعونك انما

وقلت ايضًا وفيهِ الاقتباس والاكتفاء

اقبل على الجميلِ   لاتخش من عذولي
وان لحا الفضوليّ   قل هذه سبيلي

وقلت

خرجت من سجن نفسي   ومن حظوظيَ والجاه
وفي جميع اموري   اسلمت وجهيَ لله

وقلت

يا ايها الذين آ   منوا اصبروا وصابروا
ووحّدوا فانكم   الهاكم التكاثرُ

وقلت

لاتعجب من قوم تاهوا عن نور الخلّاق الحقِ
ما كانوا مذ كانوا عُميًا بل هم في لبس من خلق ٍ

وقلت

المرء روح وجِا يعدم مهما عدما
فان يبهما الفتى فالله اولى بهما

وقلت

انما الكون سراب يطلب الجاهل ورده
فاذا لم ترَ شيئًا لوجدت الله عنده

وقلت

الكونِ كالجبل العظيم مكانهُ عدم وانت مثبت اركانهُ
فاشهدهُ ياهذا كما هو وارتقب فجر الوصال ان استقرَّ مكانهُ

وقلت

حبيبتي قد تعالت ذاتًا ووصفًا واسما
فاترك سُعادَ ودعدًا فانما هي اسما

والتورية في قولي فانما هي اسما ثلاثية فتأملها وقلت من ارجوزة

اغسل بماء الغيب والشهود عن الفؤاد نقطة الوجود
فنقطة الواحد في الاعداد تخرجهُ عن رتبة الآحاد
وقل لمن بمثلهم تفاخروا ياقومنا الهاكم التكاثر
فانتبهوا لما وعاهُ السالك من قول ربي كل شيءٍ هالك
وان نظرتمُ لشخصٍ حيٍّ ادركتمُ معناهُ كلُّ شيّ ٍ

وقلت

فُزْ بِلُبِّ اللُّبابِ ان كنت صائم واترك القشر فهو اكل البهائم
وانتبه فالجهول من شَغَلَتْهُ عن ألذِّ اللذّات اضغاث حالم
يحسب النار كالفراشة نورًا فلهذا يرى على النار حائم
لو تصفّى لكانت النار بردًا وسلامًا عليهِ ضربة لازم
فاعتمد وحدة الوجود وغب عن كثرة الوهم واطّرح لوم لائم

لاتكن احول العيون ترى الوا	حد مثنى ولا ضعيف العزائم

ومتى ما قبلت حكمة نصحي	ووصاتي فانت بالله قائم

وقلت

الا ايها الناس ان رمتمُ	نجاةَ من المرض الهائلِ

فقولوا بوحدة هذا الوجودِ	ولا تلبسوا الحق بالباطلِ

وقلت

عليك بتوحيد هذا الوجودِ	وكن من أكابر اهل النهى

فإنّا الى ربنا راجعون	وانّ الى ربك المنتهى

وقلت

لاتلبس الحق بالباطلِ	ورِغب عن المفعول بالفاعلِ

وانظر الى الشاخص دومًا ولا	تنظر الى ظل له زائلِ

فليس في الكون سوى واحدٍ	كثّرهُ وهْم الغبي الجاهل

فان امتّ الوهم ياسيدي	كنت من التوحيد في الحاصل

مطلب تعلقات علْم الفرائض

ومن الشعر المتعلق بعلم الفرائض قول الشاعر

لله خال على خد الحبيب له	بالعاشقين كما شاء الهوى عبثُ

ورّثته حبة القلب القتيل به	وكان عهديَ ان الخال لايرثُ

ومنه قولي

ياقاتلي بالحاظ عمدًا	ومشمتًا بي عدى العواذل

كيف ورثت الثناء مني	وانت لي بالحاظ قاتل

فيه اشارة الى ان القاتل ولو كان بحق او خطأ او بغير مباشرة لايرث المقتول ومن صور القتل بحق ان يحكم القاضي بقتل قريبه شرعًا فان القاضي لايرثه والحالة هذه بخلاف المفتي اذا افتى بقتله على الاصح وذهب ابو حنيفة الى توريث القاتل بحق وكذا الامام احمد وابو حنيفة الى توريث القاتل خطأ على المال دون الدية واليه ذهب مالك وابو حنيفة ايضًا الى توريث الشاهد وحافر البئر ومنه قولي

ربّ خودٍ تمرّضت ثم قالت	مذ رأتني يامرحبًا بطبيبي

عصبت رأسها دلالاً الحِان　　فرضت وجنتي بدمع صبيب
واراني ان مت منها بدائي　　ورثتني بالفرض والتعصيب

فيهِ اشارة الى ان الوارث اما ذو فرض واما عصبة والعصبة هو من لا مقدَّر لهُ وهذا التعريف يشمل العصبة بسائر انواعهِ . واعلم ان العصبة اسم يسمى بهِ الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما قالهُ المطرزي وغيره وهو ينقسم الى ثلاثة اقسام عصبة بنفسهِ و بغيره ومع غيره والقسم الاول لا يكون في انثى الا لذات الولاء وهي المعتقة واما العصبة بغيره فكالأخت من الابوين او من الاب مع الاخ المماثل لها وكابنة الابن مع ابن ابن في درجتها او أنزل منها وكالبنت مع الابن والعصبة مع غيره اخت فاكثر لغير ام معها بنت او بنت ابن فالمعصب لها اجتماعها مع ذكر فلو خلف بنتاً او بنت ابن واحدى الاختين فالبنت او بنت الابن النصف والباقي للاخت بالتعصيب ولو خلفهااي البنت و بنت الابن مع الاخت فللبنت النصف ولبنت الابن السدس تكملة للثلثين والباقي وهو الثلث للاخت بالتعصيب . واعلم ان العصبةَ يسقط باستغراق اهل الفروض التركة الا الاخ الشقيق مع زوج وام ٍ وولدي ام ٍ فيضم معهما في فرضهما ولو مع مساويهِ من الاخوة والاخوات عندنا معشر الشافعية وعند مالك لاشتراكهِ معهما في ولادة الام و يسقط عند احمد وابي حنفيه واصحابهِ وتسمى هذه المسألة عندنا وعند مالك بالمشركة بفتح الراء المشددة وقد تكسر وتسمى الحمارية والمنبرية واليميه ومن اجتمع فيهِ جهتا فرض وتعصيب ورث بهما كزوج هو ابن عم والى هذا النوع اشرت بقولي ورثتني بالفرض والتعصيب ومن ذلك قولي

واصيل فاتهُ ادب　　فجفاه كل انسان
لم يرث من جده مدداً　　شاع للقاصي وللداني
قلت للاصحاب اذا عجبوا　　منهُ في سر واعلان
انهُ مذ نفسهُ خبثت　　حجبتهُ حجب حرمان

فيهِ اشارة الى الحجب وهو من متعلقات علم الفرائض وهو قسمان حجب حرمان وحجب نقصان فالاول كحجب الاخوة بالاب والابن وابنهِ والثاني كحجب الأُم بالولد وولده و باثنين من الاخوة او الاخوات من الثلث الى السدس وكحجب الزوج بابن الزوجة وابن ابنها من النصف الى الربع والزوجة مع ابن الزوج وابن ابنهِ من الربع الى الثمن ومن ذلك قولي

نقول الوری قد فاته ارث جده من الفضل والتقوی وذلك مثبتُ

فقلت لهم شرط المواريث عندنـا وجود حياةٍ وهو بالجهل ميتُ

اشرت الى ان شرط الميراث تحقق وجود الوارث حيًا حياة مستقرة عند موت الموروث ويكفي في الجنين انفصاله حيًا حياة مستقرة وقد مشيت على ان تحقق وجود الحياة في الوارث شرط في ارثهِ كما مشى على ذلك جماعة في عدهِ شرطا ومشى قوم على ان عدم تحقق وجود حياة الوارث عند موت موروثهِ مانع من موانع الارث لانتفاء شرطٍ وهذا احد موانع الارث والثاني الرق والثالث القتل والرابع اختلاف الدِّين فلا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر والخامس الدور الحكمي على الاصح من مذهبنا وهو ان يلزم من التوريث عدم التوريث كأن يقر وارث حائز في ظاهر الحال من يحجبهُ حرمانًا كأخ ليس معهُ وارث اقرّ بابنٍ للميت فيثبت لنسب الابن ولا يرث ظاهرًا لانهُ يلزم من ارثهِ عدمهُ . بيانهُ اننا لو ورثنا الابن لحجب الاخ فلا يكون الاخ وارثًا حائزًا فلا يصح اقراره بالابن فلا يثبت نسب الابن فلا يرث ويجب على الاخ باطنًا ان يدفع لهُ التركة اذا كان صادقًا في اقراره ولنا قول مرجوح انهُ يثبت نسبهُ ويرث وبهِ قال احمد ونقل عن ابي حنيفة وقال ابو يوسف لا يثبت نسبهُ الا بأقرار اثنين من الورثة ذكرين كانا او انثيين عدلين او فاسقين او باقرار احدهما وتصديق الآخر وعند مالك واصحابهِ يرث الابن المقرّ بهِ مواخذة للمقر باقراره ولا يثبت نسبهُ الا اذا اقر بهِ عدلان من الورثة او عدل وصدقهُ آخر منهم ولا يشترطون كون المقر حائزًا للتركة . والسادس موت المتوارثين معًا او مرتبًا وجهل سبق موت احدهما فلا يتوارثان بل تركة كل منهما لباقي ورثته فلو علم سبق موت احدهما ونسي وقف الميراث الى البيان او الاصطلاح وعدّ آخرون مانعًا سابعًا وهو اللعان فانهُ يمنع من ميراث الملاعن من ولد الملاعنة وعكسهُ بخلاف الام فان الولد يرثها وترثهُ لانهُ ولدها على كل حال ومثلهُ ولد الزني المعلوم الاب ومما يتعلق بالفرائض على سبيل اللغز قول بعضهم

قال لي قائل ابن لي هداك اللـــهُ عن مشكلٍ تحيرت فيهِ

ايّ جدٍ أودى الردى بابنهِ الاد نى فحاز الميراث دون ابيهِ

وصورة ذلك ان يقتل رجل ابنهُ وللقاتل اب فان الجد يرث ابن ابنهِ ولا يرثهُ ابوه لانهُ منع عن ارثهِ بالقتل . ومنهُ قول الآخر

لي اخ ايها الفقيهُ شقيق من ابي قد عرفتَ ذاك وامي

فورثنا ميتًا فاعطانيَ الربــعَ وحاز الباقي خلافًا لسهمي
افهذا يجوز في الشرع قل لي ام ترى ذاك غائبًا عنهُ فهمي

قلت هذا الميت كان امرأة تزوج بها ابن عمها فماتت عنهُ وعن اخ لهُ شقيق فالزوج لهُ النصف بالزوجية فرضا ويقسم النصف الثاني بينهُ وبين شقيقهِ وقلت في ذلك

ياذوي الفضل في بلاد الشام ورؤس الائمة الاعلام
اخبروني عن عمة مع خال لايعدان في ذوي الارحام
واجيبوا عن حال جد وعم عجبت منها جميع الانام
خليا من موانع الارث لكن لم يورثها ذوو الاسلام
فاعجلوا بالجواب وانتظروا الاجــر من الله الواحــد العلام

قلت وهذا فيهِ التورية والمراد بالعمة النخلة لما ورد في الحديث اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من فضلة طينة آدم . واعلم ان قولهُ فانها خلقت الخ يقتضي ان علة كونها عمة لنا انها خلقت هي وابونا من اصل واحد وهو الطين فهي اختهُ وعمتنا نسبًا وما ذكرتهُ احسن ما تكلفهُ بعضهم من ان المراد بكونها عمة لنا هو مشابهتها لنا في اشياء كثيرة جريا على عادة العرب في اطلاقهم مثل ذلك على المشابهة فقد ورد عنهم انهم يقولون هذا السيف اخو ذاك السيف اي مشابههُ قال شاعرهم

شهدت بان التمر بالزبد طيّب وان الحبارى خالة الكروان

اي تشبهُ الكروان وكل من الحبارى والكروان طائر . قلت وفي الحديث في الجامع الصغير ذكر عمتين لنا اخريين فقد روى مؤلفهُ بسنده الى ابن عساكر عن ابي سعيد الخدريّ قال شارحه المناوي ورواه الديلمي بسند مطعون فيهِ خلقت النخلة والرمان والعنب من فضلة طينة آدم قال المناوي فبينها وبين آدم قرابة وتشابه معنوي .اه فتامل قولهُ قرابة تجده صرح بما قدمناه واخترناه وقولهُ وتشابه معنوي بيانهُ انها اذا قطع رأسها لاتعيش وفيها ذكور واناث ويعتريها العشق والميل الى الذكور ولاتحمل الا بعد البلوغ والتلقيح ورائحة طلعها كرائحة المنيّ رطبًا وحملها يتطور اطوار جنين الانسان فيكون بعد ان كان طلعا ابيض حملاً اخضر ثم يصير بسرا اصفر او أحمر ثم رطبًا ثم تمرًا وذلك ككون الجنين منيًا ثم علقة ثم مضغة ثم بشرًا سويًا وهذه المشابهة لاتظهر في الرمان ولا في العنب فالاحسن حمل كون ما ذكر عمات لنا لما بينها وبين ابينا آدم من القرابة والنسبة في الطين كما ذكرنا وقد ظهر لك وجه ذلك (فائده) روى الترمذي في نوادرهِ عن ابن عمر

ان الله خلق الف امة ستمائة منها في البحر واربعمائة في البر وان اول هلاك هذه الامم الجراد قال الترمذي وذلك لان الجراد خلق من الطينة التي فضلت من طينة آدم وانما تهلك الامم لهلاك الآدميين لانها سخرت لهم والمراد بالخال في قولي مع خال هو الشامة التي تكون في بدن الانسان وقد ذكر ثعلب في اماليه قصيدة ذكر فيها من معاني الخال نحو ثلاثين معنىً واستدرك عليه صاحب الروض الانف في الشعر الصلف . معاني اخر فائتة في الخال منها العجل الاسود ذكره ابن الاعرابي فيما ذكره عنه السخاوي في سفر السعادة ومنها الرجل القائم بالمال ومنها ناحية الجنوب ورأس الخير والكرم ذكره الاوسي في كتاب الوجوه ومنها داءٌ يصيب الدابة كالظلع وهو اقل من العرج حكاهُ الازهري في التهذيب وابن سيده في المحكم قال الازهري وتقول العرب من خالُ هذه الفرس اي صاحبها ومنها البرق ومنها السحاب تقول رأيت خالاً في خال حكاه ابن سيده عن ابن زكريا قال واختلفوا في الخال اذا اطلق على السحاب فمنهم من قال السحاب الذي لايختلف مطرهُ وقيل هو الذي اذا رأيتهُ خلتهُ ماطرًا ولا مطر فيهِ قلت واول القصيدة التي ذكرها ثعلب في اماليهِ

أتعرف اطلالاً شجونك في الخال   وعيشَ زمانٍ كان في العصر الخال

ذكر فيها الخال اخا الام . والخال الخيلاء . والخال الجمل الضخم وكلّ شيءٍ ضخم . والخال ضرب من البرود من ثياب اليمن . والخال الرجل الحسن القيام على العيال . والخال اللوآء الذي يعقد للامير على الجيش . والخال ضرب من النبت . والخال اسم مكان ذكرها الزمخشري في كتاب الجبال والامكنة وذات الخال مواضع اخر في قول ابن معدي كرب (وهم قتلوا بذات الخال فيا ً) ذكرهُ ياقوت في كتاب المشترك . قلت وذات الودع والخال محبوبة من العرب شبب بها الشعراء وقد رأيت في كتاب مختصر العين للزبيدي ان الخال اسم للخلالة بالضم وهي بقية الطعام في الفم . والخال المختال وفي الحديث ان الله ليبغض الخال المقل وغير ذلك مما استشهد لهُ بكلام العرب . واما قولي عن حال جد وعم فمرادي بالجد احد معانيهِ اللغوية غير اب الاب لان الجد مشترك بين معان منها القطع فتقول جددت الشيء فهو مجد وداي مقطوع وكذلك جذذتهُ بالذال المعجمة فهو مجذوذ ومنهُ عطاء غير مجذوذ اي مقطوع ومنهُ جذاذ النخل اي قطعهُ تقول جذ الشيء جذًا من باب قتل اذا قطعهُ ومنهُ الاجتهاد تقول جد فلان في الامر اذا اجتهد فيهِ وهو من بابي ضرب وقتل ومنهُ العظمة تقول جد فلان في عيون الناس جدا

اذا عظم من باب ضرب ومنهُ الحظ تقول جد فلان بالشي يجد من باب تعب اذا حظى بهِ فهو جد يد عند الناس فعيل بمعنى فاعل وجد بالبناء للمفعول فهو مجدود ومنهُ الغنى ومن ذلك ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجد اي لا ينفع صاحب الغنى منك غناه وانما تنفعهُ تقواهُ ومنهُ مصدر قولك جد فلان يجد من باب ضرب ضد الهزل والاسم من ذلك الجد بالكسر ومن ذلك حديث ثلاث جدّهن وهزلهن جد ومثلهُ بالكسر قولهم فلان احسن الحّ جدّاً اي نهاية ومبالغة واما الجد بالضم فهو البئر في موضع كثير الكلام والجدّة بالضم الطريق وبهِ سميت المدينة المعروفة جدة لانها طريق للبحر ومنهُ قولهُ تعالى ومن الجبال جدد بيض اى طرائق جمع جدة بالضم . ومرادي بالعم الجماعة من الناس وقد ورّى ابو العلاء المعري بالجد والعم والخال في قولهِ

اذا اصدق الجد افترى العم للفتى محاسن لا تكرى وان كذب الخال

لان مراده بالجد الحظ وبالعم الجماعة من الناس وبالخال المخيلة وهي الظن والمعنى اذا صدق حظ الانسان افترى لهُ جماعة من الناس محاسن اي اختلقوها ونسبوها اليهِ وهو خال منها وان كذب فيهِ الظن وقولهِ لا تكرى اي لا تنتقص قال في مجمع البحار اكريت في الحديث اذا اطلتهُ وقصرتهُ وزدتهُ ونقصتهُ اي فعليهِ يكون الاكراء من الاضداد . قلت ويصح قراءة قولهِ لا تكدى بالدال بدل الراء فيكون معناهُ محاسن لا تنقطع ومنهُ قولهُ تعالى واعطى قليلاً واكدى اي قطع عطاءهُ .

فصل في علم الانساب

ومما يتعلق بعلم الفرائض علم الانساب فقد يحتاج اليهِ الشاعر ليتوصل الى اغراضهِ كما اتفق لكعب بن زهير شاعر بانت سعاد رضي الله عنهُ فانهُ لما وصل بقصيدتهِ التي امتدح بها نبينا صلى الله عليهِ وسلم الى وصف ناقتهِ التي ركبها عند التوجه اليهِ قال في وصفها

حرف ابوها اخوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليلُ

وصورة ذلك ان جملا نزا على ناقة هي ابنتهُ فجاءت منهُ ببعيرين فاحبلها احد ابنيها فأتت منهُ بناقة هذا الشاعر فهذه الناقة اخوها من امها هو ابوها وعمها هو البعير الثاني الذي هو اخ ابيها من امها خالها وهو ايضاً اخوها لأمها ومراد كعب بالحرف الناقة شبهها بحرف الهجاء في الضمور لان الضمور وهو خفة اللحم مما تمدح بهِ الخيل والنوق لانهُ يلزم منهُ سرعة السير المقصودة من كل مركوب فعلى هذا يكون وصفهُ اياها بالضمور من باب الكناية

التي هي ذكر الشيء وارادة لازم معناه فان قلت قد وصف الناقة في البيت الذي قبل هذا بعظم الجسم وذلك مما يناقض وصفه اياها في هذا البيت حيث يقول .(غلباء وجناء علكوم مذكرة) .
البيت: لان الغلباء هي العظيمة العنق والوجناء هي العظيمة الوجنتين قال تعالى وحدائق غلبا . قلت لا مناقضة لانه وصف في البيت الاول بعض اعضائها بالغلظ وباقيها بالضمور ويمكن ان يقال شبهها بحرف الجبل في الصلابة والشدة والضخامة لا بحرف الهجاء بالضمور فلا مناقضة وعلى هذا يكون قد اتى في وصفها باعظم مدحة لانه وصفها بعظم الجثم مع سرعة السير حيث قال قوداء شمليل لان القوداء هي الطويلة والشمليل سريعة السير والوجناء مأخوذة من الوجين وهو الغليظ من الارض وما الطف قول بعضهم

اذا ما انخنا حُرَّةً فوق حَرَّةٍ بكى رحمة الوجناء منها وجينها

فالحرة بضم الحاء الناقة وبفتحها الارض ذات الحجارة السود يقول هذا الشاعر اذا ما انخنا ناقة من نوقنا فوق ارض بكى غليظ تلك الارض على تلك الناقة رحمة لها لما رآه من كلالها وتعبها وحنينها وانينها وقد جنّس هذا الشاعر بين الحُرَّة والحَرَّة والوجين والوجناء وفيه معنى لطيف وهو ان وجين الارض وهو الغليظ منها اذا بكى مع غلظه عليها فما بالك بالرقيق اللطيف وقول كعب من مهجنة اي منسوبة الى الهجان وهو مأخوذ من الهجنة وهي صفة مدح في الابل فقط لان معناها فيها البياض الذي فيه بعض الحمرة كما قال الشاعر

هجان عليها حمرة في بياضها تروق لها العينان والحسن احمر

اي انه لا يزول بتلك الحمرة كرمها بل يزيد بها قال ابن هشام في شرح بانت سعاد الهجان في الابل صفة مدح والهجين صفة ذم وفي ذلك قول بعض البلغاء . زمان ناهيك من زمان . لا يفرق بين هجين وهجان . واما الهجنة في غير الابل فصفة ذم لان معناها فيه لؤم الامّ وكرم الاب والمقرف عكسه والاصيل من طرفاه كريمان ويقال له عتيق وبذلك لقب ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما يقال للئيم الطرفين برزون قال في المصباح والهجنة في الكلام العيب والقبح اه والكلام المستهجن هو القبيح المنكر . واعلم ان قول كعب اخوها ابوها يحتمل انه حقيقة وصورته ما قدمناه ويحتمل كونه مجازًا فيكون من التشبيه البليغ الذي حذفت منه اداته والتقدير اخوها كابيها وعمها كخالها اي في كرم الاصل . واعلم ان كون الاخ ابًا لا يتصور في النكاح الشرعي واما كون العم خالاً فيتصور وصورة ذلك ان يزوج شخص اما ابيه بأم امه فتأتي بغلام فهذا الغلام عم للشخص المزوّج وخال له

لانهُ اخو ابيهِ واخو امهِ من امها وصورة اخرى وهي ان يزوج شخص اختهُ من امهِ باخيهِ من ابيهِ فتأتي بولد فذلك الولد يكون المزوِّج عمالهُ لانهُ اخو ابيهِ وخالاً لهُ لانهُ اخو امهِ ومن ذلك قول بعضهم

ولي خالة وانا خالها ولي عمة وانا عمها
فاما التي انا عم لها فان ابي امهُ امها
ابوها اخي واخوها ابي . ولي خالة وكذا حكمها

وصورة ذلك ان يزوج الرجل اخاه لام جدتهِ ام ابيهِ فتأتي ببنت فالرجل المزوّج يكون عماً لهذه البنت لانهُ اخو ابيها لامهِ وتكون تلك البنت عمتهُ لانها بنت جدتهِ ام ابيهِ فهي اخت ابيهِ من امهِ واما التي هي خالتهُ وهو خالها فصورتها ان رجلاً زوج جده ابا امهُ اختهُ لابيهِ فأولدها بنتًا فهذه البنت خالة الرجل المزوِّج لانها اخت امــهِ لابيها والرجل خالها لانها بنت اختهِ لابيهِ . قلت ومثل قول كعب بن زهير كثير لكثير من شعراء العرب منهم قيس بن حجر والنابغة ومثلهُ قول ذي الرمة في الزندة التي توريها العرب لاجل النار وهي غصن من شجرة تطرحها العرب على الارض ويقال لشجرتها العفار كسحاب بالعين المهمله ثم يأتون بغصن آخر يضعونهُ فوقها يسمونهُ الزند وشجرتهُ تسمى المرخ وهو بمنزلة الذكر والزندة بمنزلة الانثى فيحكونهُ على الزندة فتخرج منها النار هذا اذا ارادوا ان تخرج نار كثيرة لان المرخ والعفار اكثر الشجر نارًا والّا اخذوا غصنين من شجرة واحدة فيجعلون احدهما زندًا والاخر زندة كما تقدم وفي هذا الاخير قال ذو الرمة

اخوها ابوها والضوى لا يضيرها وام ابيها ساقها اعتقرت عفرًا

اراد ان هذه الزندة اخوها ابوها وذلك انهُ اخذ غصنًا من شجرة فقطع من ذلك الغصن زندة وجعل الباقي زندًا فالزند اخو الزندة لان امها واحدة وهي الشجرة وابوها لانها اقتضبت منهُ واراد بام ابيها الشجرة ومعنى قولهِ والضوى لا يضيرها يعني ان الضوى وهو الهزال الناشئ عن نكاح الاقارب ما ضرها ولا ساط عليها مع كونها منكوحة اخيها الذي هو ابوها وهو الزند بل خرج نسلها في غاية القوة والنشاط وهو النار وفي الحديث تزوجوا في الغرباء ولا تضووا وبروى اغتربوا لا تضووا وفي حديث عمر رضى الله عنهُ يخاطب بني السائب يابني السائب قـد اضويتم فاغتربوا ولا يرد على ذلك نكاح علي لفاطمة رضى الله عنها لان عليًا ذو قرابة بعيدة لانهُ ابن عم ابيها لا ابن عمها ولذلك نص اصحاب امامنا الشافعي بانهُ يسن لمريد النكاح ان يتزوج بذات قرابة غير قريبة وقد

نحا نحو قول ذي الرمة ابن دريد في مقصورته حيث قال

ومنتج ام ابيهِ امهُ   لم يخون جسمهُ مس الضوى

افرشتهُ بنت اخيهِ فانثنت   عن ولد يورى بهِ و يشتوى

اراد بالمنتج الزند وبابيهِ الفرع الذي قطع منهُ وبامهِ الشجرة وببنت اخيهِ الزندة وهي الغصن الذي يوضع تحت الزند كما تقدم اي ورب زناد منتج امُّ ابيهِ وهي الشجرة امهُ جعلتهُ فوق بنت اخيهِ وهي الزندة التي توضع تحتهُ واوريتهُ فجاءت ابنت اخيهِ بمولود وهي النار ولذلك قال يورى بهِ و يشتوى وقولهُ لم يخون جسمهُ مس الضوى اي لم ينتقص جسمهُ الضوى وهو الهزال الناشئ من النكاح في الاقارب كما تقدم مع ان هذا المنتج المذكور نكح اقرب الاقارب اليهِ وهي بنت اخيهِ وذلك من العجب تقول تخونت الشيء اذا تنقصتهُ ومثلهُ تخوفتهُ بالفاء بدل النون قال تعالى او ياخذهم على تخوف اي على تنقص وقد قلت سابقًا من هذا القبيل

فتاة انت من فتي كالغزال   وقد شبهوا امها بالمهـــا

عريقة اصلٍ ارى خالها   بمسك روائحهِ عمهـــا

﴿فصل في علم الحساب﴾

ومما يتعلق بالفرائض وعِلم الانساب علمُ الحساب وهو مما يحتاج اليهِ الشاعر لاسيما في نظم التاريخ والتواريخ المنظومة اكثر من ان تحصر فلا حاجة لنا في ايراد شيءٍ منها . واعلم ان الحروف ظروف وتلك الظروف لابد لها من مظروف فاذا كتبت حرفًا او نطقت بهِ تصورلهُ من كتابتك او نطقك جسم وعند ذلك يخلق الله لذلك الجسم روحًا فان كنت ممن سبق لهُ العطاء . وكشف لهُ الغطاء . خَدَمَكَ ذلك الروح فيما تريد . وصار لك من جملة العبيد . ولقد منَّ الله عليَّ باجتماعي على استاذ من الهنود يعرف بالشيخ احمد الاحدي . نفعني الله باسراره في يومي هذا وفي غدي . رأيت من تصريفهِ في علم الحرف سرًّا غريبًا وشيئًا عجيبًا فلما رآني تعجبت من ذلك اخذ يلاطفني ثم قال لاتعجب فوالذي نفسي بيده ان سائر الحروف اخاطبها وتخاطبني فقلت لهُ اسأل مَنْ منَّ عليك بهذا السر العظيم ان يمنَّ عليَّ بهِ انهُ جواد كريم

﴿موافقة الاسماء في الاعداد﴾

واعلم ان لكل حرف من الحروف عددًا خاصًا وان لموافقة الاسما في الاعداد اسرارًا

تعرفها الخواص فاهل الفراسة يعرفون خير كل مسمى وشره من اسمه كما يعرف الطبيب الحاذق صحة الانسان ومرضه من سحنته ونبض عروق جسمه وذلك انهم ينظرون مبلغ عدد الاسم بحساب الجمل الكبير. و ينظرون ما يوافقه في العدد من الاسماء فيحكمون انه شبه لما وافقه في العدد والنظير. وذلك كالقلم لان عدده مائتان وواحد بوافقه من الاسما نافع فيحكم بنفعه ولا سيما اذا حولت صيغته من فاعل الى صيغة المبالغة وهي نفاع وقد نصوا على ان العددين اذا كان بينهما موافقة في الكم او الكيف فهما من الاعداد المتحابة فكيف اذا كان بينهما الموافقة كما وكيفا واما الاعداد التي ليس بينهما كم ولا كيف فهي الاعداد المتباغضة فمن منّ الله عليه بتلك الاسرار. تصرف فيها كما يحب ويختار. وقد نصوا على ان اسم الله الاعظم ان يوافق اسم الشخص اسما من اسماء الله تعالى في العدد فيكون ذلك الاسم هو الاسم الاعظم لذلك الشخص اذا دعا الله به اجابه واذا سأله به اعطاه قال الغزالي الالف قطب الحروف قال صاحب المفتاح يؤيده توافقهما في العدد اه. قلت بيان ذلك ان عدد لفظ الألف بالتعريف مائة واثنان واربعون وذلك كعدد لفظ قطب وما توافق في العدد السماق والنافع وهذا التوافق يشعران في السماق نفعا عظيما والامر كذلك حتى ان من اكل منه زمن الطاعون لا يطعن وانه ما وجد في جوف مطعون ومثل ذلك القهوة توافق من اسماء الله تعالى القوى. قال بعض الاكابر فمن تلا عليها عدد الاسم المذكور مائة واحد عشر مرة وهو عدد الاسم بلا تعريف وشربها جعل الله فيه قوة عظيمة ومما توافق في الاعداد العشق ولفظ نعيما وملكا كبيرا قال الشاعر

كفى العشق من شرف أنه   بعد نعيماً وملكا كبيرا

ومنه توافق العاشق والكتان وقد اشار الى ذلك بعض الظرفا في قوله

لاغروان قمر بالعشق اضنانا   اما ترى عاشقا قد عد كتانا

وقد اشار في هذا البيت الى شيء آخر غير توافق العدد وهو ان نور القمر يبلي ملابس الكتان وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى في ذكر الخصوصيات وقد اتفق لاحد البلغاء من اصحابنا انه امتدحني بقصيدة يقول فيها

ارى البر ببحر الدر حقا   فلا تعجب اذا نظم العقودا

وقد قلت فيمن وضعت هذا الشرح برسمه. لازالت دمشق جنة بلطافة روحه وظرافة جسمه

بأبي من لاقترابي منهُ صافاني الزمانْ
كيف لا آمن ايا مي بهِ وهو امانْ

وذلك لان عدد امان موافق لعدد محمد ومن اللطائف انني كنت مرةً في عكا لزيارة الوزير الجزار . رحمة الله رحمة الابرار وتجاوز عنهُ انهُ حليم غفار . فاتفق انهُ جاءهُ من مصر كتاب كريم . مشحون بالجوهر الثمين والدر اليتيم . دال على ان مرسلهُ في الفضل وحيد عصره . وشافعيّ مصره . غير انهُ مكتوب في امضائهِ غنت امان . فلم يعرف الوزير رحمهُ الله من ارسلهُ من الاخوان . فأطلعني عليه وقال ترى من مرسل هذا الكتاب الذي هو بهجه النفوس . فتأملتهُ مليًا وقلت قد ظهر لي ان مرسلهُ جناب شيخنا واستاذنا الاعظم الامام الكبير السيد محمد مرتضى شارح الاحياء والقاموس . فقال ومن اين لك هذا . قلت اني نظرت الى قولهِ غنت فوجدتها موافقة لمرتضي في العدد . ونظرت الى امان فوجدتها موافقة لمحمد . فقال وكيف قال غنت امان وكان من حقهِ ان يقول غنى بغير تآء التأنيث . قلت قد قال ذلك لان عندهم الآن في مصر امرأة حاذقة بفن الموسيقي تسمى امان فسُرّ بذلك وانشرح . وكاد يطير من الفرح . قال غلام على الهندي في كتابهِ سبحة المرجان ان توافق كلمتين او اكثر في الاعداد تعده ادباء الهند من انواع البديع وتسميهِ بالزبر ولهم فيهِ النظم الرائق . والقريض الفائق (لطيفة) من العجائب اتفاق العدد بين الصلح والنزاع . والصباح والمساء . والعدس والباقلاء . والقلعة والبرج . والساعي والقياسي . والجهل والبول . والغني والطغيان . والعلم والنسل . ولله در من قال

يقولون ذكر المرء يبقي بنسلهِ	ويهمل بعد الموت ان لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي	فان لم يكن نسلٌ فانا بها نسلوا

❊ ومن نوادر الحساب ❊ ان ملك الهند في سنة ١١١١ احد عشر ومائة والف افتتح قلعة فنظم لهُ بعض بلغآء الهند تاريخًا باللغة الهندية معناه ان الملك لما وضع طرف ابهامهِ في اصل خنصره افتتح القلعة وهذا الكلام فيهِ اشارة لهيئة تاريخ القلعة بالقلم الهندي لان هيئة احد عشر ومائة والف اربع الفات مصفوفة واذا وضع الانسان طرف ابهامهِ في اصل خنصرهِ تكون اربعة اصابعهِ مصفوفة كهيئة التاريخ ويكون ابهامهُ مثل رسم سنة فيكون مجموع ما اشارت اليهِ الاصابع كانهُ رسم سنة احد عشر ومائة والف وهذا لطيف جدًا ومما يلحق بالحساب الحساب بعقد الاصابع وهو مشهور في البلاد الحجازية والهندية

وغالب بيع التجار بهِ فاذا وقعت المساومة بين البائع والمشتري وضع المشتري يده في يد البائع ثم يجعلان فوق يديهما ساترًا كمنديل ومحرمة ثم يشير المشتري الى البائع بعقد الاصابع فاذا لم يعجبهُ الثمن قال لا واذا اعجبهُ قال لهُ بعتك فلا يعلم الحاضرون كم مقدار الثمن ولكن غاية العدد بالعقد ان ينتهي الى تسعة وتسعين وتسعمائة وتسعة الاف فقط وقد تلطف بعض الشعراء في هجو بعض حسان الغلمان حيث قال

مضى خالد والمال تسعون درهما وعاد وباقي المال ثلث الدراهم

وهو معنى بليغ . وهجو خفي شنيع . لأنهُ اشار الى ان خالدًا المذكور مضى ضيقًا وعاد واسعًا لان عاقد التسعين يضم طرف السبابة الى اصلها ضماً محكماً بحيث تنطوي العقدتان اللتان فيها وعاقد الثلاثين يضع طرف ابهامهِ على طرف سبابتهِ وقد ورد في حديث الصحيحين استعمال النبي صلى الله عليهِ وسلم لهذا العدد ولفظ الحديث فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج وعقد تسعين اي فُتح فتحٌ نافذٌ فيهِ وان كان ضيقًا جدًا وفي ظاهره مناقضة لقولهِ تعالى وما استطاعوا لهُ نقبا . واجاب ابن الاثير بأن ما في الآية محمول على نقب يخرجون منهُ فلا ينافي ما في الصحيحين . قلت والذي يظهر انهُ لا مناقضة في الحديث لظاهر الآية لان نفي استطاعتهم في الآية معبر عنهُ بلفظ الماضي فلا يناقض وجود استطاعتهم في المستقبل وانت خبير بانهم يخرجون منهُ في آخر الزمان فتأمل ذلك منصفًا ومما يتعلق بالحساب قول بعض البلغاء

بقلبي حبيبٌ مليحٌ ظريفٌ بديعٌ جميلٌ لطيفٌ رشيقٌ

قال ابن القيم في بديع الفوائد ادعى ناظمهُ انهُ يخرج من هذا البيت اربعون الف بيت وثلثمائة وعشرون بيتًا قال وذلك صحيح لان البيت ثمانية اجزاء فيمكن ان ينطق بكل اجزائهِ مع الجزء الآخر فتنتقل كل كلمة ثمان انتقالات فالجزآن الاولان يتصور منهما صورتان بالتقديم والتأخير ثم خذ الجزء الثالث يخرج منهُ مع الجزئين ست صور لان لهُ معهما ثلاثة احوال تقديمهُ عليهما وتأخيره عنهما وتوسطهُ ولهما حالان كما تقدم فاضرب احوالهُ في الحالين يخرج ستة ثم خذ الجزء الرابع اضربهُ في الستة يخرج اربعة وعشرون ثم خذ الخامس ولهُ خمسة احوال اضربها في اربعة وعشرين يخرج مائة وعشرون ثم خذ السادس ولهُ ستة احوال اضربها في مائة وعشرين يخرج سبعمائة وعشرون ثم خذ السابع ولهُ سبعة احوال اضربها في سبعمائة وعشرين يخرج خمسة آلاف واربعون ثم خذ الثامن ولهُ ثمانية احوال اضربها في خمسة الاف واربعين يخرج اربعون الفًا وثلاثمائة وعشرون

وهو عجيب ومما يتعلق بالحساب قولي في اسم محمد

وما اسم رباعي الحروف وانهُ خماسيها يعزى الى الوتر والشفع

واعداده في مخرج النصف ان غدا مضافًا بترتيب الى مخرج التسع

قولي رباعي الحروف اي ظاهرًا وهو خماسي الحروف باطنا لان الميم الثانية منهُ مشددة والحرف المشدد بحرفين فلذلك كان يعزي الى الوتر باعتبار باطنه والى الشفع باعتبار ظاهره واعداد ذلك الاسم في مخرج النصف وهو اثنان مضافًا الى مخرج التسع وهو تسعة على الترتيب بأن تجعل الاثنين مقدمة على التسعة فيخرج اثنان وتسعون وهو عدد محمد . وهنا (لطيفة) وهي ان الله جعل اسم نبيهِ محمد صلى الله عليهِ وسلم العلم كاسمهِ تعالى العلم وهو الله لان اسم محمد ظاهره كما تقدم اربعة احرف وباطنه خمسة احرف كذلك اسم الجلالة ظاهره اربعة احرف وباطنه خمسة فالاربعة ظاهرة والخامس الف بعد اللام الثانية يدلك عليها المد ثم اذا تأملت كلاً من الاسمين لم تجد في حرف من حروفهما نقطا بل كلها من الحروف السعيدة لان الحروف تنقسم الى احرف سعد وهي المهملة والى احرف نحس وهي المعجمة . ثم المنحوسة ثلاثة اقسام نحس اصغر ونحس متوسط ونحس اكبر فما كان ذا نقطة واحدة فنحس اصغر وما كان ذا نقطتين فنحس اوسط وما كان ذا ثلاث فنحس اكبر . وايضًا اذا تأملت في حروف محمد تجدها من الاحرف النورانية غير الدال فانها وان كانت ظلمانية لكنها من حروف السعد كما تقدم لك فالظلمانية كلها مذمومة الاما كان منها بغير نقط لانهُ كما تقدم من احرف السعد وليس في الاحرف الظلمانية بغير نقط غير حرفين وهما الدال والواو والمنقوطة كلها مذمومة لانها نحسة الاما كان من الاحرف النورانية وليس منها منقوط غير ثلاثة احرف وهي القاف والنون والياء فحرف الدال في اسم محمد يشير الى المضغة التي خلق بها صلى الله عليهِ وسلم تكميلاً للخلقة الانسانية وشُق صدره الشريف اربع مرات لإخراجها وكان الشق اربع مرات لان المضغة من الطبائع الاربع ففي كل مرة بالشق أُخرجت طبيعة . واعلم ان الاحرف النورانية اربعة عشر حرفًا وهي الموجودة في فواتح السور كالم . والمص . والمر . وكهيعص . وطه . وحمعسق . ون . يجمعها قولك طرق سمعك النصيحة ولهذه الاحرف الشريفة من الاسرار . وعظيم الانوار . ما لا يحيط بهِ الا الواحد القهار . وقد يطلع الله تعالى بعض اصفيائهِ الخواص . على بعض ما لها من الخواص . قال العارف الشعراني في منتهِ الصغرى وما منَّ الله عليَّ بهِ اطلاعي على اسرار الحروف اوائل السور المعروفة بالهجاء على غير

الطريق التي تعرفها اصحاب الحروف وحقيقتها انها ملائكة في السماء لا يعرفها الا من كشف الله حجابة وكل من تحقق بها قدر على عمل الطلسمات وكان الاسكندر ذو القرنين استاذًا في ذلك وقد بلغنا انهٔ غلب على بلد من بلاد الكفار فوجد اهلها يعبدون الغربان وغلب على بلد اخرى فوجد اهلها يعبدون العصافير فعمل لكل بلد طلسما فهربت الغربان والعصافير ولم يعد الى البلدين منها احد وانما فعل ذلك خوفًا على اهل البلدين من ان يعبدوها ثانيًا اذا فارقهم ورحل عنهم ولعل الشيطان كان يدخل اجواف تلك الغربان والعصافير ويتكلم على السنتها بما شاء مثل ما وقع في الاصنام من دخولهِ في اجوافها كما في حديث ذي الحليفة وفي الشجرة التي كانت تعبد ولولا ان هذا العلم خاص بمن كشف لهٔ لذكرت للاخوان طريقة العمل بالحروف وتصرفهم بها في الوجود اه وفي عبارة غيره ان الاحرف النورانية والظلمانية يستدل بها العارف على الروحانية والجسمانية فكل اسم غلبت عليهِ الاحرف الظلمانية فقد غلبت عليهِ الطبيعة البهيمية والاخلاق الشيطانية (فان قلت) ان هذه القاعدة يظهر تخلفها في بعض الاسماء لا نا نرى بعض الاسماء قد غلبت عليها الاحرف النورانية وقد تحقق عندنا انهٔ قد غلب على اهلها الطبيعة البهيمية من ذلك ان اشقى الاشقياء ابليس فقد كان قبل طرده عزازيل وهو ما غلبت عليهِ الاحرف النورانية ثم تسمى بعد طرده ابليس وهو ايضًا ما غلبت عليهِ النورانية وكذلك كان اسم فرعون الخليل عليهِ السلام سنانًا كما قالهٔ في المصباح وكل احرفهِ نورانية وكان اسم فرعون يوسف عليهِ السلام الريان واحرفهٔ ايضًا كلها نورانية وكان اسم فرعون موسى عليهِ السلام الوليد ابن مصعب وقد استوت احرف اسمهِ النورانية والظلمانية اذا لم تنظر الى اداة التعريف في اسمهِ والا كانت الغلبة للنورانية وحسبك هذا نقضًا للقاعدة (فاقول) لا نقض ويجاب عن هولاء المذكورين بان الله تعالى قد غلب فيهم النورانية على الظلمانية ولكنهم انسلخوا منها كما انسلخ بلعام عابد بني اسرائيل الذي قال الله فيهِ واتل عليهم نبأ الذي آتيناهُ آياتنا فانسلخ منها فاتبعهُ الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنهٔ اخلد الى الارض واتبع هواه اي صار ظلمانيًا صرفا كما ان نبينا صلى الله عليهِ وسلم شق صدره الشريف واخرجت منهٔ مضغة الظلمة فصار نورًا صرفًا كما يشهد لذلك انهٔ كان اذا مشى في الشمس لا يكون لهٔ ظل وذلك لان النور لا يكون لهٔ ظل وانما الظل للاجسام الظلمانية الكثيفة وانهٔ كان يرى من خلفهِ كما يرى من امامهِ لان الابصار والرؤية لا تكون الا بنور العين وقد كان صلى

الله عليه وسلم نور عين العالم كما قيل

قد صح ان رسول الله كان يرى — من خلفه كأمام وهو مشهورُ
والعين بالنور للاشياء مدركة — فلا تعجب ممن كله نورُ

وقد اشار الله تعالى الى ذلك النور بقوله وسراجًا منيرا و بقوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . ومما يتعلق بعلم الانساب ما روى عن القاسم بن اصبغ عن ابيه انه قال رأيت بالعراق خنثى ولد له من بطنه وظهره ورأيت لمالك في بعض التعاليق ان مثل هذين لا يتوارثان لانهما لم يجتمعا في بطن واحد فليسا اخوين لام ولا لاب فسبحان الخلاق وذكر في حياة الحيوان عن ابن الاثير قال كان لنا جار وله بنت اسمها صفية فلما بلغت خمس عشرة سنة نبت لها ذكر ولحية وكان لها فرج رجل وفرج امرأة ومن النسب قول الشاعر

حبي عليٌّ ولكن وجهه حسنٌ — وفعله المرتضى يحلو به الشغفُ
ظبي من الشرف الاعلى له نسب — وهل لغير عليٍّ ينسب الشرفُ

ومما يتعلق بعلم الحساب قول المعمار

ومليح قال صف حســـنى لازداد سرورا
كم حوى جفنيَ معنىً — قلت الفًا وكسورا

﴿ مطالب الحساب بعقد الاصابع ﴾

وقد ذكرت آنفًا الحساب بعقد الاصابع غير منصل واريد ان اذكره منصلاً لاني لم اجد من ذكره في كتاب وقد علمتَ مما تقدم ان المحدّث يحتاج اليه لوروده في الاحاديث وكذا الفقيه لان فقهاء الشافعية ذكروه في الصلاة عند التشهد فقالوا السنة ان يضع المصلي يده اليمنى فوق فخذه عند جلسة التشهد كعاقد ثلاثة وخمسين وذلك بأن يضم اصابعه الثلاث وهي الخنصر والبنصر والوسطى ضمًا محكما بحيث يطوي العقدتين اللتين في كل اصبع منها وهذا عقد ثلاثة كما ستعرفه ثم يطوي الابهام الى الكف وذلك عقد خمسين . وبيان معرفة ذلك ان عقد الخنصر والبنصر والوسطى من اليد اليمين هي عقد الاحاد وعقد السبابة والابهام منها عقد العشرات وعقد الخنصر والبنصر والوسطى من اليد الشمال عقد المئين وعقد السبابة والابهام منها عقد الالوف وانت خبير بأن الاصابع التي للآحاد تضيق عنها لانها ثلاثة والاحاد تسعة فلا يمكن ذلك الا

بتبديل وكذا اصابع العشرات والمئين والالوف فطريق ذلك انهم اذا ارادوا عقد واحد ضموا الخنصر ضمًا محكمًا كما تقدم او عقد اثنين ضموا معها البنصر او عقد ثلاثة ضموا معها الوسطى او اربعة رفعوا الخنصر وتركوا البنصر والوسطى مضمومتين او خمسة ضموا الوسطى وحدها ورفعوا الخنصر والبنصر او ستة ضموا البنصر وحدها ورفعوا الوسطى والخنصر او سبعة طووا العقدة السفلى من البنصر وحدها ومدوها حتى يصل طرفها الى اللحمة التي في طرفها الابهام او ثمانية فعلوا بالخنصر كذلك او تسعة فعلوا مثل ذلك بالوسطى او عشرة جعلوا طرف السبابة في باطن ظفر العقدة العليا من الابهام او العشرين ادخلوا الابهام بين السبابة والوسطى بحيث يكون ظفر الابهام ما بين العقدتين من وسط السبابة او الثلاثين جعلوا ما بين باطن طرف الابهام فوق باطن طرف السبابة بحيث يكون بين ظفريهما بعد لئلا تشتبه بالعشرة او الاربعين لووا الابهام حتى يضعوا باطن طرفها على ظهر طرف السبابة او الخمسين لووا الابهام الى الكف او الستين جعلوا الابهام على حالها في الخمسين وضموا عليها السبابة ضمًا محكمًا مفتوحة او السبعين جعلوا طرف ظفر الابهام بين العقدتين من باطن وسط السبابة ولووا طرف السبابة عليها او الثمانين وضعوا طرف السبابة مما يلي الوسطى او التسعين ضموا طرف السبابة الى اصلها ضمًا محكمًا حتى تنطوي العقدتان اللتان فيها وقد تم في اليد اليمين عقد تسعة وتسعين وتقدم ان عقد المئين في اليد اليسار كعقد الاحاد في اليد اليمين وذلك في ثلاث اصابع وعقد الالوف في اليسار كعقد العشرات في اليمين وذلك في اصبعين وهما السبابة والابهام فغاية ما تجمع اليسار من العدد تسعمائة وتسعة الاف واليمين تسعة وتسعين لاغير فاحفظ ذلك

ومن الحساب قول صاحب البردة

يارب واجعل رجائي غير منعكس لديك واجعل حسابي غير منخرم

قوله غير منعكس اي رجاء لا ينقلب الى نقيضهِ وهو اليأس وقوله واجعل حسابي غير منخرم اي غير منقطع قال الخفاجي في سوانحهِ ولا يناسب بالمعنى اللغوي وانما هنا المناسب بالمعنى الاصطلاحي عند الكتبة اذ الناظم كان من اعيانهم. وكل طائفة لابد ان تجري على اصطلاحهم. ومعنى انخرام الحساب عندهم ان لا يطابق المال المدفوع للمال المطلوب كما اذا طلب السلطان من بعض عماله ان يحاسب الكتبة على مال قبضتهُ من ايالةٍ فحاسبهم فوجدوا ما دفعهُ العامل دون ما طلبهُ السلطان فهذا هو الانخرام عندهم . وقال المولى مصنفك عند شرحهِ لهذا البيت ان الحساب يطلق على ثلاثة معان وهي العدد والترقب

والظن والمعنى واجعل عدّي نعمك المتصلة المتوالية او ترقيي مزيد انعامك او حسن ظني بك غير منخرم من خرمه اذا قطعه فانخرم اه . قلت وهذا غاية التحقيق

وقلت في الحساب ايضًا في مدح بعض الكبراء

فقت الكرامَ وإن تقدّم عصرهم حتى البرامكَ في العلى والبرمكه
فكأنهم عدد يحاول جمعهُ قلمُ البليغ وكنت انت الفذلكه .

والفذلكة عند اهل الحساب هي السطر الاخير الذي يجمع فيه عدد السطور التي قبلهُ ولنختم باب الحساب بالفذلكة

﴿مطلب تعلقات علم التفسير﴾

ومما يحتاج اليهِ الشاعر علم التفسير فنذكر ماتعلق بهِ اغراضهُ الشعرية التي لاتتم الا بمعرفتهِ فمن ذلك قولي

فياعاذلي أعدل عن ملامك وارتدع ولا تعتقد اني عن العشق اعدلُ
فقولكَ منسوخٌ وحبيَ محكمٌ وقول حبيبي مجملٌ ومؤوّلُ

وفيهِ من انواع التفسير اربعة المنسوخ والمحكم والمجمل والمؤوّل . واعلم ان النسخ لهُ ثلاثة معانٍ الاول الازالة والابطال ومنهُ نسخت الشمس الظلّ . الثاني النقل والتحويل ومنهُ نسخت الكتاب . الثالث الرفع وهو القدر المشترك بين المعنيين المتقدمين وذلك لان الازالة والابطال رفع والنقل رفع واختلف هل هو حقيقة في المعنيين الاولين او في احدها او في القدر المشترك وهو الرفع والمراد بهِ في علم التفسير رفع الحكم بخطاب فالخطاب الرافع للحكم هو الناسخ والحكم هو المنسوخ وينقسم النسخ الى اربعة اقسام نسخ كتابٍ بكتابٍ وسنةٍ بكتابٍ وكتاب بسنة وسنةٍ بسنة . فالاوّل كنسخ متاعًا الى الحول باربعةاشهر وعشرًا . والثاني كنسخ استقبال بيت المقدس بآية فولّ وجهك شطر المسجد الحرام . والثالث كنسخ آية كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرًا الوصية للوالدين والاقربين بقولهِ صلى الله عليهِ وسلم لا وصية لوارث . والرابع كحديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . ثم النسخ في كتاب الله يكون نسخًا للحكم والتلاوة او لاحدها فقط . فالاوّل ما رواهُ البخاري عن عائشة كان فيما انزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وهنّ مما يقرأ واستشكل قولها وهنّ مما يقرأ لان ظاهرهُ بقاء التلاوة واجيب بأن مرادها بتوفي قارب

الوفاة او المراد ان بعض الناس كان يقرأهنّ لعدم بلوغه نسخهن . والثاني وهو نسخ الحكم دون التلاوة وحكمته ليثاب القاري عليها او ليذكر بها نعمة نسخ الحكم لان النسخ غالبًا لا يكون الا للتخفيف . قال في الاتقان وهذا النوع قليل جدًا وذكر منه عشرين موضعًا ومنه آية اتقوا الله حق تقاته نسخ حكمها بآية فاتقوا الله ما استطعتم وبقيت تلاوتها للحكمة المتقدمة . النوع الثالث وهو نسخ التلاوة دون الحكم كآية الشيخ والشيخة اذا زنيا فاجلدوهما البتة بآية الزانية والزاني . وقد اجمع المسلمون على جواز النسخ وخالفهم اليهود زاعمين ان النسخ يستلزم البداء وهو تغير الرأي عما كان عليه قالوا وذلك غير جائز على الله ومنع المسلمون الاستلزام قائلين ان الانسان منا اذا امر بامرٍ ثم امر بأبطاله لا يلزمه انه تغير رأيه عن الامر الاول لجواز انه قبل ان يأمر بالاول كان مصمماً على ابطاله بعدُ . والنسخ من خصائص هذه الامة قلت الخصوصية انه صار نسخ بعض شريعتها ببعض ولم يقع ذلك لأمة قبلهـــا واما نسخ شريعة او بعضها بشريعة اخرى فقد تقدم هذه الامة غيرها ومنه قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم (فائدة) زعم بعض اهل اللغة ان لفظ البداء غير صحيح لغة والصحيح البدوّ اي الظهور من بدا يبدو اذا ظهر وهذا هو القياس لان فعل بفتح الفاء والعين اذا كان لازمًا كان مصدره فعولا كقعد قعودًا وجلس جلوسًا وفي الخلاصة

وفعل اللازم مثل قعدا له فعول باطرادٍ كغدا

ومنع ذلك ابن الصلاح فقال في رحلته ان هذه الدعوى غير صحيحة لان ابن دريد قال في قصيدته التي ذكر فيها المقصور والممدود

توصي وعقلك في بدا فكذاك رأيك في بدا

وقال التبريزي البدا المقصور موضع والممدود من قولك بدا لي في الامر اذا تغير رأيك عما كان عليه وحكاه في المحكم عن سيبويه وفي الصحاح بدا له في الامر بداء اه (فائدة) اخرى في بدأ المهموز زعم بعض النحاة انه لا يجوز قولك بدينا ولا بداية بل الوارد في اللغة بدأنا بداءة وردّ ذلك الشهاب الخفاجي في سوانحه ونقل عن بعض ائمة اهل اللغة ان بدينا لغة في بدأنا لكن بدأنا اجود منها واستدل بقول بعض الصحابة رضي الله عنهم في حفر خندق في المدينة (باسم الاله وبه بدينا) وتمامه (ولو عبدنا غيره شقينا) وهو من الرجز قال وعليه يكون قول الشيخ لتلميذه في مصر هو بدايتي موافقًا للغة لا لحن كما زعم بعضهم . (فائدة ثالثة) يجوز النسخ في الوعيد عندنا خلافًا للمعتزلة المانعين وقوعه في الوعيد والوعد

قالوا لانه يعد خلفا . واجاب اهل السنة بأن ذلك لايعد خلفاً الا في الوعد واما في الوعيد فيعود عفوًا وكرمًا وانشدوا قول الشاعر

وانيّ وان اوعدته أو وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

والوعد لايكون الا بالخير والوعيد بالشر وقال في المصباح ان وعد بغير ألف يستعمل في الخير والشر والفرق بينهما المصدر فتقول وعدته بالخير وعدا و بالشر ايعادًا واوعدته خيرًا وشرًا وقد ادخلوا الباء مع الالف في الشر خاصة اي قالوا اوعدهُ بكذا . قلت ومما يشهد لهذا قوله تعالى النار وعدَها الله الذين كفروا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا . قال في المصباح والوعد غير الوعيد ولخفاء الفرق في مواضع من كلام العرب انتحل اهل البدع مذاهبهم لجهلهم باللغة العربية وقد نقل ان ابا عمرو بن العلاء . قال لعمرو ابن عبيد طاغية المعتزلة لما انتحل القول بوجوب الوعيد . قال ويمكن الفرق بان الوعد حاصل عن كرم وهو لا يتغير فناسب ان لا يتغير ما حصل عنه وفرّق بعضهم . فقال الوعد حق العباد على الله تعالى ومن اوفى بالوفاء من الله تعالى والوعيد حق الله تعالى فان عفا فهو اهل الكرم وان اخذ فبالذنب اه . وحاصل ما تقدم انه عند الاطلاق تستعمل العِدة والوعد في الخير والوعيد والايعاد في الشر كما في بيت الشاعر المتقدم وعند التقييد يستعل الوعيد والابعاد في الخير والشر وكذا الوعد مثل قوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا كما تقدم فيحمل قول من تقدم ان الوعد لايكون الا في الخير والوعيد لايكون الا في الشر على حالة الاطلاق . ومعنى قولي للعذول فقولك منسوخ اي باطل زائل مرفوع الحكم وقولي وحبي محكم اي لايبطل ولا يزول ولا ينتقل ولا يرتفع بعذلك وملامك وقول حبيبي مجمل اي انه لبلاغته لايأتي به الا جُملاً في فصول قصار فيكون من الكلم الجوامع ومع ذلك فهو عدي وعند المحبين اذا اوهم امثالك اعراضه عني وعدم خطوري ببا له مؤول والمجمل عند اهل التفسير ما لم يتضح دلالةً ومنه المشترك كالقُرء الصادق على الحيض والطهر ومنه مرجع الضمير كقوله تعالى والعمل الصالح يرفعه لان الضمير يصح عودهُ لله تعالى وللكلم الطيب اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح والمراد بالكلم الطيب التوحيد لانه لايصح العمل الا مع الايمان وللعمل الصالح والتقدير والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب وقد ذكر عود الضمير الى الكلم الطيب جمعٌ منهم الامام عبدالحق السنباطي في شرح منظومة النقاية (فان قلت) كيف يعود الضمير المفرد على الكلم والكلم جمع كلمة والجمع مؤنث (قلت) من عادة العرب اذا اعادت ضميرًا

على اسم جنس جمعي كالكلم فتارة تؤنثه وتارة تذكره ومع ذلك فتارة يصفونه بوصف المفردات نظرًا الى لفظه لان لفظه يوازن المفرد كالكلم فانه يوازن الكبد ولهذا وصفه الله بالمفرد وهو الطيب. وتارة يصفونه بوصف الجمع نظرًا الى معناه ففي الكتاب من وصفه بالمفرد مع التذكير. قوله تعالى كأنهم اعجاز نخل منقعر ومن وصفه بالمفرد المؤنث فيه قوله تعالى كأنهم اعجاز نخل خاوية ومن وصفه بالجمع المؤنث قوله تعالى والنخل باسقات لان باسقات حال والحال وصف في المعنى فهذا وجه صحة عود الضمير مفردًا مذكرًا على الكلم . قال الميداني في شرح الامثال العرب تنعت الجمع بلفظ المفرد اذا كان الجمع على وزن الواحد كقولهم في المثل(عراضة نوري الزناد الكائلا) لان الزناد وزن كتاب وكان القياس الكائله والكائل الكابي والعراضة الهدية وهناك قاعدة أخرى وهي ان جمع الكثرة اذا كان لما لا يعقل فالاصح فيه الافراد كالدراهم والدنانير فانهما ليسا من جموع القلة فان كان من جموع القلة فالاصح مطابقة الوصف للموصوف ولذلك اعترضوا على صاحب الخلاصة في قوله (والله يقضي بهبات وافرة) لان الافصح وافرات لان جمع المذكر والمؤنث السالمين كلاهما من جموع القلة اذا خليا من الالف واللام واما اذا كانا معرفين بهما صارا من جمع الكثرة كقول حسان رضي الله عنه (لنا الجفنات البيض يلمعن بالضحى) و به يرد اعتراض من اعترض عليه في اتيانه بجمع القلة في الجفنات لان مقتضى مقام المدح ان يأتي بجمع الكثرة .قال بعض الافاضل

وجمع كثرة لما لا يعقلُ　　الافصح الافراد فيه يا فلُ

ومن المجمل التقديم والتأخير كقوله تعالى يسألونك كانك حفي عنها اذ الاصل يسألونك عنها كأنك حفي اي عالم بها و يقابل المجمل المبين وهو من انواع التفسير ايضًا واما المؤول فهو الذي حمل على غير ظاهره بما ظهر للمؤول من الدليل وهو بغير دليل تعب والظاهر هو الذي استمر على المعنى الذي ظهر من لفظه ولم يحمل على المعنى المرجوح و يقابلهما النص وهو كل ما افاد معنى لا يحتمل غيرهُ فمن امثلة المؤول ثم استوى على العرش و يبقى وجهُ ربك بل يداه مبسوطان لانه يستحيل حمل الاستواء على الاستقرار والوجه واليد على الجارحتين المخصوصتين فيؤول الاستواء بالاستيلاء والوجه بالذات واليد بالقدرة . وهذا مذهب الخلف واما السلف فالايمان بظاهره وتفويض المراد منه الى الله تعالى وهو أسلم والاول اعلم ومنه قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة لاستحالة حمله على ظاهره لاستحالة ان يكون للانسان اجنحة فتؤول بالخضوع وحسن الخلق ومثال الظاهر قوله تعالى فمن

اضطرَّ غير باغ ٍ ولا عادٍ لان الباغي يطلق على الجاهل وهو غير ظاهر وعلى الظالم وهو الظاهر منهُ ومثال النص قولهُ تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وما يتعلق بالتفسير قولي ايضًا

حبيبتي اية فراشيـــه وليلة الوصل بها نهاريه
تحسبها نجمة سماويـــه تعلو بك الافق وهي ارضيه

المعنى الشعري انها آية الفراش . بسبب ما حوتهُ من معجز الدعابة والمزاح والصناعـــة والهراش . فهي مطية يحسب راكبها انهُ في السماء . ونجمة سماوية لو رأتها ذكا لغارت منها ذكاء . وفي ذلك توجيه بالآية الفراشية والليلية والنهارية والسمائية والارضية . فالفراشية هي التي نزلت على النبي صلى الله عليهِ وسلم وهو في الفراش مثل قولهِ تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا ففي الحديث الصحيح من حديث كعب بن مالك احد الثلاثة فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليهِ وسلم عند ام سلمة وثاني الثلاثة هلال بن امية وثالثهم مرارة بن الربيع رضي الله عنهم وهذه الآيه فراشية وليلية ايضًا . فان قلت كيف يجمع بين هذا الحديث وقولهِ في حديث آخر في حق عائشة ما نزل عليَّ الوحي في فراش امرأة غيرها . فالجواب ما قالهُ البلقيني بانهُ يحتمل ان يكون هذا الحديث قبل القصة التي نزل بها الوحي في فراش ام سلمة وقال الحافظ السيوطي في الاتقان وقد ظفرت بما يؤخذ منهُ جواب احسن من هذا فروى ابو يعلى في مسندهِ عن عائشة رضي الله عنها قالت اعطيت تسعًا الحديث وفيهِ وان كان الوحي لينزل عليهِ وهو في اهلهِ فينصرفنَ عنهُ وان كان لينزل عليهِ وانا معهُ في لحافهِ وعلى هذا فلا معارضة بين الحديثين كما لا يخفى اه . واما الآية النهارية فمثل آية تحويل القبلة الى الكعبة ففي الصحيحين عن ابن عمر انها نزلت والناس في صلاة الصبح . واما السماوية فخواتيم سورة البقرة ففي مسلم لما أُسري برسول الله صلى الله عليهِ وسلم وانتهى الى سدرة المنتهى الحديث وفيهِ فأُعطي رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ثلاثًا فعد منها خواتيم سورة البقرة ومنهُ يعلم ان باقي الآيات ارضية وما يتعلق بالتفسير قولي

وإذا رأيت الجاهلينَ ورزقهم جارٍ ورزقي مثل تنقيط الوشَلْ
سكَّنتُ نفسي إذ تطيش بآيةٍ ملك الجنان على الرسول بها نزَلْ

المعنى الشعري ظاهرٌ . واما الآية التي نزل بها رضوان خازن الجنة عليهِ السلام على نبينا صلى الله عليهِ وسلم فهي قولهُ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جناتٍ

تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورًا . قال الشهاب الخفاجي في سوانحهِ رُوي ان رضوان نزل بهذه الآية اه وهذا من الغرائب . قلت وفي نزول رضوان بهذه الآية غاية اللطف لان الموعود بهِ فيها هو الجنة وما فيها من النعيم والنازل بها خازن الجنة فكأَن لسان الحال يقول هذا خازن ما وعدناك بهِ حاضر وان كان الموعود بهِ غائبًا وقد جعلنا هذا الخازن لك خادمًا وعلمنا انك تحب الاسم الحسن الذي يتفأَل بهِ وقد امرت اصحابك ان لا يبردوا لك بريدًا الاَّ واسمهُ حسن فارسلنا لك هذا الرسول لتتفأَل برضواننا الاكبر . ولتعلم انهُ واقع لك منَّا في الدنيا والمحشر . فصلِّ لربك وانحر . ان شانئك هو الابتر

﴿مطلب تعلقات علم التجويد﴾

ومما يتعلق بالتفسير علم التجويد ومنهُ قول الشاعر

أَدغموا الذابلات في مثلها منهـــمُ وفي المثل يحسن الادغامُ
وأَمالوا اليهمُ الفات النبـــل حين لم يجمهم منهم لامُ

ومنهُ قولي

وبليدٍ عزمهُ تحت الثرى وهو راءٍ أَنهُ فوق الثريا
حرف نفيٍ يصلح النفيُ لهُ وهو مهموسٌ يسمى جهوريا

ومنهُ قولي

وذات حسنٍ إِن دنت او نأَت انشدتُ في الحالين بانت سعاد
تشدو وفي الحانهـا غنةٌ لكنها تدغم صادًا بصاد

المعنى الشعري ظاهر والمراد بادغام الصاد بالصاد وهو السحاق الذي اشتغل بهِ في زماننا النسآء بالنسآء كما اشتغل الرجال بالرجال وخلعن ملابس التقى والحياء ولبسن ملابس الخزي والنكال . وقطعن انسابهن وانتسبن الى العشرة . ورضين بعد لبّ الايمان بما زين لهم الشيطان من تلك القشرة . فعليهن من لعنة الله عدد ما ابتدعنهُ من البدع في سلامهن وكلامهن وملابسهن التي تشبهن فيها بالفحول . وعصين الله والرسول . ومذهبي ان الدجاجة تذبح اذا صاحت صياح الديك . وان عذاب من استذأَبت نعاجهُ عذاب وشيك . وان الحمامة اذا قص جناحها قرت . والاَّ فرت . وان الجاهلية لو ادركت زماننا لوقع اجماعها على وأْدِ الاناث . وان من معجزاتهِ صلى الله عليهِ وسلم واخبارهِ بالمغيبات

قولهٗ دفن البنات من المكرمات . واعلم ان الغنة صوت يخرج من الخيشوم تشبهُ صوت الظبي لان صوتهٗ لايخرج الا من خيشومهِ ولذلك يقال ظبي اغن ويقال ايضًا روض اغن وهو الذي كثرت اشجارهُ لانهٗ يسمع منها اذ اسرت بها الريح صوت كانهٗ غنة وهذهِ الغنة تظهر عند القراء عند ادغام اربعة احرف يجمعها قولك يومن في نون التنوين او نون الساكنة وعند اخفآء التنوين والنون الساكنة عند حروف الاخفآء وهي ما عدا حروف الاظهار وهي حروف الحلق . واما الادغام فمعناه لغةً ادخال شيءٍ في شيءٍ تقول ادغمت اللجام في فم الفرس واما اصطلاحًا فمعناهُ ادخال حرف في حرف مثلهِ او قريب من مخرجهِ وينقسم الى قسمين ادغام كبير وادغام صغير . فالاول ما الحرف الاول فيهِ متحرك وسكن لاجل الادغام مثل منا سككم وما سلككم . والثاني ما ادغم فيهِ ساكن مثل قل رب قل لعبادي قد سمع الله ويمتنع الادغام عندهم في قولهِ تعالى فسبحهُ واصفح عنهم ولا تزغ قلوبنا وقل نعم وينقسم ايضًا الادغام كبيرًا كان او صغيرًا الى ذي غنةٍ والى غير ذي غنةٍ فالادغام بغير غنةٍ هو ما عدا احرف اربعة من حروف الادغام وهي اليآء والواو والميم والنون اذا ادغمت في نون التنون او في نون ساكنة مثال ادغامها في نون التنوين فئةٌ ينصرونهٗ رعدٌ وبرقٌ مثلاً ما حطة نغفر ومثال ادغامها في النون الساكنة من يقول من والٍ من ماءٍ عن نفسٍ . ولا خلاف في اظهارها عند الواو والياء في كلمة واحدة مثل دنيا وصنوان وما يتعلق بالتفسير قولي

عربيٌّ غريبُ حسنٍ سباني　　　عندما فاه منهُ لفظٌ معرَّبْ

حل لكن في المخفي من ضلوعي　　　حيثما خيم الغرام وطنبْ

فالمعنى الشعري ظاهر وفي البيت الاول من انواع التفسير نوعان الغريب والمعرب فالغريب هو ما يحتاج للبحث عن معناه في اللغة ومرجعهُ النقل من كتب اللغة كالصحاح والقاموس والراموز ولسان العرب والمصباح وقد افردوا الغريب بالتأليف فمنهُ كتاب الغريبين والفائق للزمخشري واجل ما الف فيهِ كتاب العزيزي لانهٗ محرر سهل المأخذ حررهُ العزيزي هو وشيخهُ ابو بكر الانباري في خمس عشرة سنة وقد من الله تعالى عليَّ بملكهِ ومنهُ الراغب ولأبي حيان فيهِ تأليف لطيف نحو كراسين وفائدة معرفة غريب القرآن كثرة ثواب تاليه فقد اخرج البيهقي من حديث ابن عمر موقوفًا من قرأ القرآن واعربهُ كان لهُ بكل حرفٍ عشر حسنات لان المراد باعرابهِ معرفة معاني الفاظهِ لا الاعراب الاصطلاحي وهو مقابل اللحن لأن القراءة مع فقدهِ ليست قراءة ولا ثواب

فيها كما ذكرهُ ابن عبد الحق السنباطي في شرح منظومة النقاية فمثال الغريب . قوله تعالى وفاكهةً وأبًّا فالاب معناه ما ترعاهُ الدواب ولذا قال تعالى بعد قولهِ وفاكهة وأبا متاعًا لكم ولأنعامكم وفيهِ اللف والنشر المرتب لان قوله لكم يرجع الى قولهِ وفاكهةً وقوله ولانعامكم يرجع الى قولهِ وأبًّا (لطيفة) رأيت فيما حكي عن ابن مطروح الوزير انهُ قال يومًا لشيخهِ ياشيخنا انت عندنا مثل الابّ وشدد الباء فقال لهُ الشيخ ولذلك اكلتموني وقال لهُ يومًا انت عندي مثل والدي فقال له ولهذا كنت مطروحا (فائدة) الاب بمعنى الوالد بتخفيف البآ وتشديدها فيهِ لغة وكذا في خاء الاخ وعلى هذه اللغة يكون في جواب الشيخ لابن مطروح الاسلوب الحكيم وهو حمل كلام الغير على غير مرادهِ ومن الغريب القسورة في قولهِ تعالى فرت من قسورة وهو من اسمآء الاسد والعهن من قولهِ تعالى كالعهن المنفوش وهو الصوف والمسد من قولهِ تعالى حبل من مسد وهو ليف النخل . ومثال المعرب بتشديد الراء المفتوحة الاسباط ومعناه في اللغة العجمية القبائل والاستبرق ومعناه بالعجمية الديباج الغليظ والاسفار ومعناها بالسريانية او القبطية الكتب ومنهُ اصري ومعناه عهدي بالقبطية ومنهُ اكواب وهي الاكواز والجرار التي ليست لها عرى بالقبطية ومنهُ اوّبي من قوله تعالى ياجبال اوبي معهُ ومعناه سبحي معهُ بالحبشية ومنها التنّور وهو فارسي ومنها حصب من قولهِ تعالى حصب جهنم وهو الحطب بالزنجيه الى غير ذلك وعد في الاتقان الالفاظ المعربة في القرآن فوق مائة لفظ ومعنى المعرب انهُ لفظ استعملتهُ العرب في معنى وضع لهُ في غير لغتهم ولا خلاف في وقوع العَلَم العجمى في القرآن وانما اختلف فيهِ هل يسمى معرّبًا اولا واختلف في وقوع غير العلم فمن قال انهُ واقع ذكر منهُ الالفاظ التي قدمناها ومن قال بالمنع قال ان ذلك من توافق اللغات واحتج على المنع بقولهِ تعالى قرآنا عربيًا غير ذي عوجٍ وقولهِ تعالى ءاعجمي وعربي . واجاب من قال بوقوعهِ بان هذه الالفاظ القليلة لاتخرجهُ عن كونهِ عربيًا كالقصيدة العربية التي فيها كلمة فارسية فانها لاتخرجها عن كونها عربية وبالعكس واجابوا عن الآية الثانية بان المعنى كلام اعجمي ومخاطب عربى بقرينة السياق واختار في الاتقان القول بالوقوع قال واقوى ما رأيت فيهِ ما اخرجهُ بن جرير بسند صحيح عن ابي ميسرة التابعى الجليل انهُ قال في القرآن من كل لسان وروي مثلهُ عن سعيد بن جبير وابن منبه وفيهِ اشارة لاحاطتهِ باللغات ليتم لهُ الاحاطة بكل شيء وقد صرح ابن النقيب بذلك فقال من خصائص القرآن عن كتب الله المنزلة انها نزلت بلغة القوم الذين انزلت عليهم

ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم والقرآن احتوى على لغات العرب وانزل الله فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيئاً كثيراً ومن التوجيه باسماء القراء قول بعض البلغاء

اصبحت من دار العماد بجلّق اتلو روايات الثنا المشهور
فلقاه فيها نافع وكذا حماه عاصم ونواله ابن كثير

ومن التوجيه باسماء كتب التفسير قولي

امام هو الاكسير والناس كلهم اذا نسبوا يوماً اليه معادن
فانفاسه كشّاف كل عويصة كما صدر ذاك البحر للدر خازن

ومن التوجيه باسماء السور قول بعضهم

اقول اذ زخرف لي قامة قامت بقتلي في الورى شاهده
يا يوسف الحسن سبا مهجتي زخرف هذي القامة المائده

ولي في اسماء سور القرآن كله ارجوزة احببت أن اذكرها هنا وهي قولي

يارب يامَنْ فضلهُ عميمَ وهو بنا مع جهلنا رحيمُ
اعطيتنا فاتحةَ الإيمانِ فضلاً فتمم كرمَ الاحسانِ
وأعقلْ شرودَ نفسيَ المستنفره لانها وحشيّةٌ كالبقره
بآل عمرانَ الرجالِ والنسا مَنْ كلُّهم منْ خمرِ حبك احتسى
أمددْ لنا يارازقَ الأنعامِ مائدةَ الاكرامِ والإنعامِ
واجعلْ رجالنا من الأشرافِ المشرفينَ من على الاعرافِ
وهب لنا انفال فضلٍ منك باق واكتب لنا براءةً من النفاقْ
يا ربنا بيونسٍ وهودِ ويوسفَ الصادقِ في العهودِ
بملكِ الرعدِ بإبراهيمِ بحِجرِ اسماعيلهِ الكريمِ
بفتيةٍ لهم دويُّ النحلِ ان شرعوا في الفرضِ أو في النفلِ
بليلةِ الإسرا بأهل الكهفِ بمريم العذراءِ ذات الكشفِ
بخاتمِ الرسلِ الكرام طهَ بالانبياء الاعظمين جاها
يسّرْ لنا الحجَّ بأمنٍ وسكونْ فأننا بالحجّ نعم المؤمنونْ
وعدنا بالنور والفرقانِ بعد تمام الجمعِ والعرفانِ
وادنِنا من بابِ خيرِ الرسلِ من حيث وفد الشعرا كالنملِ
وشدْ بقصص الذين احسنوا صبري فمنهُ العنكبوت اوهنُ

بالمصطفى مستوجب التعظيمِ ومَنْ لهُ دانت رقاب الرومِ
ومن حوي بلاغة لاتنكرُ لقمان عند فضلها لايذكرُ
وصاحب السجدة في الحسابِ وحائز النصر على الاحزابِ
من قد سبا بحسنهِ فؤادي حيث اصطفاهُ فاطر العباد
ياسين من عند الجهاد حقًا بصحبهِ والصافات صفًا
وصاد في الجهاد وحشيّ الزمر وغافر الذنب لصحبهِ غفر
وفُصِّلت اوصافهُ في الكتبِ واستحسنت شوراهُ اذكى العربِ
ومال عن زخرف دنيا قد هوي كأنهُ الدخان في يوم الهوى
فمنهُ ترعد العداة الجاثية كأنها احقاف رملٍ هاويه
ونال من بعد القتال الفتحا وغنمهُ في الحجرات اضحى
مَنْ فضلهُ العظيم قد ازرى بقاف والذاريات في مجيء وانصراف
والطور والنجم لهُ تواضعا والقمر انشقّ لهُ مسارعا
وربنا الرحمن يوم الواقعه شفعهُ في كلّ عاصٍ تابعه
وبالحديدِ أبطل المجادله وسوف في الاخرى ترى شائله
يجذب من قلوبهم ممتحنه بالذكر في الصفّ لنحو الميمنه
مَنْ شرفت امتهُ بالجمعه وخالف المنافقون شرعه
شفيعنا اذ يقع التغابنُ ويظهر القبيح والمحاسنُ
مَنْ طلق الدنيا الطلاق البتا وعدّ تحريم امورٍ شتّى
تبارك الذي بنونٍ والقلم ابان ما في خلقهِ من العظم
وخصهُ مولاهُ يوم الحاقه برتبٍ على سواهُ شاقه
ونُصبت الى السماوات العلي لهُ المعارج التي لاتُعتلى
وقد نجا نوحٌ بهِ من الغرق والجنُّ آمنت بهِ على نسق
خير الورى المزمِّل المدثِّر وفي القيامةِ علاهُ يظهرُ
فالكون عينٌ وهوَ الانسانُ وهوَ من المعادن العقيانُ
وكفهُ كالمرسلات ان حبا وكم روينا عنهُ احسن النبا
وعزمهُ كالنازعات غرقا يسبق مرهفَ السيوفِ سبقا
مبتسمٌ طلق المحيا ما عبس وثغرهُ يضيءُ في ليل الغلس

قد لازم التكوير للعمامه　　اذا مشى تظلة الغمامه
شفيعنا اذا السماء انفطرت　　والنار للمطففين استعرت
ويوم يبدو في السماء الانشقاق　　وتظهر البروج منها للحداق
به يقينا الله كلَّ طارقِ　　وباسمه الاعلى على الخلائقِ
كما يقينا السكرات الغاشيه　　عند الممات منعماً بالعافيه
فالفجر من شيب العذار قد وقد　　حتى رأى لهيبة أهل البلد
والشمس قد آن لهاان تطلعا　　والليل من ذاك الشباب ودّعا
فأسأل الله بسورة الضحى　　بالانشراح دائمًا أن يسمحا
كما حبانا سكنًا في التينِ　　وساقنا للبلدِ الامينِ
فخالق الانسان من محض العلق　　ذو قدرةٍ على نظام من خلق
أسأله وهو عظيم القدرِ　　لطفًا بما به القضاء يجري
فانما آيات ربي البيّنه　　للمبصرين في جميع الازمنه
فاضربْ عن الزلزال منك صفحا　　وفرَّ مثل العاديات ضبحا
فأهله لا بد ان القارعه　　بهم وان طال الزمان واقعه
حتى يقول مَنْ اليهم ناظرُ　　يا ويحكم الهاكمُ التكاثرُ
ما آن أن تنتبهوا في العصرِ　　ويل لكلّ ظالمٍ ذي وقرِ
اما سمعتمْ بأهل الفيلِ　　اذ قصدوا قريش بالتنكيلِ
إن كنتمُ للنصح يومًا ترعوون　　لما برحتم تمنعون الماعون
فأدبروا عن حوضنا والكوثرِ　　انتم وكل ذي ابتداعٍ مفتري
والكافرون اهل كل غدرِ　　من لم نزل نعلوهمُ بالنصرِ
تبّتْ يدا منافقٍ احبّهم　　وفاز من لعنَهم وسبَّهم
يارب واجعلني من الخواصِ　　وزيّن الاعمال بالإخلاصِ
ونجني فأنت رب الفلقِ　　والناس من نفسي وابليس الشقي
وصلِّ يارب مع السلامِ　　على نبيّ البدء والختامِ

وقلت ايضاً

قم بنا نخلع العذار بروضٍ　　ذي ربيعٍ يجل عن ذي القعده
زخرفٌ إن بدا له النجم يومًا　　قابلته الاغصان منها بسجده

مطلب تعلقات علم الحديث

ومما يحتاج اليهِ الشاعر . علم الحديث روايةً ودرايةً فالحديث معناهُ لغةً ضد القديم واصطلاحاً ينقسم الى قسمين حديث روايةٍ وحديث درايةٍ فالأول ما نسب الى النبي صلى الله عليهِ وسلم من فعلٍ او قولٍ او تقريرٍ او همٍّ لانهُ من فعل القلب كما قالهُ السيوطي او ايام كاستشهاد حمزة باحد او وصفٍ خلقي باسكان اللام ككونهُ صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير او خلقي بضم اللام ككونهُ صلى الله عليهُ وسلم احسن الناس خلقاً وكونهُ لايواجه احداً بما يكره ويعبر عن علم الحديث روايةً بانهُ علم يشتمل على نقل ذلك عنهُ ومنهُ ما في شعر حسان رضى الله عنهُ من قولهُ يمدح . بعضهم

انت شرط النبي اذ قال حقًا اطلبوا الخير من حسان الوجوه

واما علم الحديث درايةً وهو المراد عند الاطلاق كما قال شيخ الاسلام زكريا فأحسن ما قيل فيهِ قول ابن جماعة وهو علم بقوانين يعرف بها احوال السند والمتن من صحةٍ وحسن وضعف وعلوّ ونزول وكيفية التحمل والاداء وصفات الرجال وغيرذلك ومنهُ قول بعض المحدثين وقد هجرهُ صديقهُ مدة فكتب اليهِ يقول

ياسيدي عندك لي مظلمه فاستفت فيها ابن ابي خيثمه
لأنهُ يرويهِ عن جدهِ وجدهُ يرويهِ عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمه
ان فراق الألف عن الفهِ فوق ثلاث ربنا حرمه
وانت مذ شهرٍ لنا هاجرٌ فما تخاف الله فينا فمه

وهذا من رواية الحديث بالمعنى اذ لفظ الحديث لايحل لمؤمن ان يهجر اخاهُ فوق ثلاثة ايام (فائدة) قالوا انه لايعد ذلك هجرًا الا اذا تلاقيا واعرض احدهما عن الآخر واما اذا لم يتلاقيا ولو مكثنا اعوامًا فإن ذلك لايعد هجرًا . واعلم ان رواة الحديث ستة اقسام كما اشار اليهِ العارف بربهِ الملا الياس الكردي في حاشيتهِ على نخبة الفكر . للحافظ ابن حجر . فأول الاقسام المسند وهو من يروي الحديث باسنادهِ سواء كان لهُ علم باحوالهِ ام لم يكن عندهُ الا مجرد الرواية . والثاني المحدّث وهو فوق المسند وحدّه انهُ العالم بطريق الحديث واسماء الرجال والمتون لامن اقتصر على السماع المجرد . الثالث المفيد وهو اعلى من المحدث . والرابع الحافظ وهو المكثر من الحديث حفظًا وروايةً

المتقن لانواعه وقال ابن حجر للائمة شروط اذا اجتمعت في الراوي سمي حافظاً وهي الشهرة في الطلب والأخذ من افواه الرجال لامن الصحف ومعرفة التجريح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم حتى يكون ما يستحضرهُ من ذلك اكثر مما لا يستحضره (فائدة) قال الزهري لا يولد الحافظ الا كل اربعين سنة اه. الخامس الثّبْتُ وهو فوق الحافظ. السادس الحجة وهو كما قال الذهبي فوق الثبت وعرّفوه بأنهُ من احاط بغالب السنة كحجة الاسلام الغزالي وبعضهم زاد هذه الاقسام قسماً سابعاً وهو الحاكم وحدّه انهُ من حفظ فوق مائة الف حديث وقال بعضهم اربعمائة الف حديث (فائدة) قال ابن خالويه من جمعهم الحديث على احاديث وكأنهم جمعوا حديثًا على حدُث بضم اولهِ وثانيهِ كما جمعوا نذيرًا على نذر ثم جمعوا حدثًا على احداث اي كعنق واعناق ثم جمعوا احداثًا على احاديث اي كانعام واناعيم اه. قلت وعليهِ فتكون احاديث جمع جمع الجمع وقد تفنن الشعراء في التوجيهِ باسماء انواع الحديث كالمتواتر والآحاد والصحيح والحسن والضعيف وغير ذلك فجاؤوا منهُ بازهار الرياض. وساسال الغياض. كما تفننوا في التوجيهِ باسماء كتبه ورواتهِ. وتحلوا بحلية ابي نعيمهِ واستضاؤوا بما يلوح من مصابيحهِ في مشكاتهِ. فللهِ دَرُّهم ودُرهم. فلعمري ما السحر الا ما ينفثهُ شعرهم. فمن التوجيهِ باسماء انواع الحديث قول بعضهم في ممدوحه

فصوادق الآحاد من اخبارهِ نسخت وجوب العلم بالمتواترِ

فمعناهُ الشعري ان هذا الممدوح صدقت آحاد اخبارهِ حتى قلبت حقيقة الحديث المتواتر العرفية لان حقيقتهُ ما اوجب العلم بمضمونهِ وهذا آحاد اخباره فكيف بعشراتها وكيف بمئاتها والمعنى ان آحاد اخبارهِ في الفضل بلغت رتبة المتواتر من اخبار غيرهِ وجعلت ذلك المتواتر في مقام الاحاد فأبطلت حصول العلم بهِ وصيرتهُ لا يفيد الا الظن كما صارت هي تفيد العلم. واعلم ان حديث الآحاد اصطلاحاً ما لم يبلغ مرتبة المتواتر فأحاديث النبي صلى الله عليهِ وسلم قسمان آحاد ومتواتر وقد اختلف في حدّ المتواتر واصح الاقوال في تعريفهِ انهُ ما تعددت رواتهُ تعدداً يؤمن بهِ تواطئهم على الكذب واختلف في مقدار ذلك العدد والاصح انهُ من الخمسة فصاعداً والاصح انهُ لا يكفي فيهِ اربعة ويشترط ان يكون ذلك العدد في جميع طبقاتهِ وهو مشتق من قولهم تواتر الرجال اذا جاؤوا واحداً بعد واحد فاذا توفرت شروط المتواتر اوجب العلم الضروري وهو غير عزيز الوجود خلافاً لمن ادعى ذلك وقد روي حديثَ من كذبَ عليَّ متعمداً من

الصحابة رضي الله عنهم نحو المائة وقيل نحو المأتين وحديث المسح على الخفين نحو السبعين منهم وحديث رفع اليدين في الصلاة نحو الخمسين منهم ومن المتواتر كما ذكرهُ ابن حجر في الازهار المتناثرة حديث الحوض وحديث نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحديث نزل القرآن على سبعة احرف وحديث من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة وحديث كلٌ ميسر لما خلق له وحديث بدأ الاسلام غريبًا وحديث سؤال منكر ونكير وحديث بشر المشائين في الظُلَم للمساجد ما لنور التام يوم القيامة . وقد افرد المتواتر جملة من المحدثين بالتأليف آخرهم خاتمة المحدثين شيخنا السيد محمد مرتضى شارح القاموس . ومذيلهُ بذيل الطاوس . سقى الله ثراه وابل الرضوان . وبوأه اعلى فراديس الجنان . ويقابل المتواتر الآحاد ويقال له خبر الواحد وهو ما انتفى فيهِ شيء مما اشترط في المتواتر وهو لا يفيد الا الظن فقط وينقسم الى اقسام مشهور وعزيز وغريب . فالمشهور ما كان اقل عدد رواتهِ ثلاثة واختارهُ ابن حجر وقال ابن الصلاح اقل عدد المشهور اربعة . والعزيز ما رواهُ اثنان في كل طبقة عن اثنين من كل طبقة . قال في شرح النخبة والمراد بقولنا ان يرويه اثنان ان لا يرويه اقل منهما فإن رواه اكثر في بعض المواضع من السند الواحد لا يضر اذ الأقل من هذا العلم يقصر عن الاكثر (قلت) وبهذا يندفع قول بعضهم ان رواية اثنين فقط عن اثنين فقط لا توجد اصلاً . والغريب هو المذكور برواية واحد فقط اي من بعد الصحابي كما نبه عليهِ العلاَّئي في نهاية الاحكام وكما يسمى غريبًا يسمى فردًا مطلقًا وكل من الانواع الثلاثة ينقسم الى مقبول ومردود فان روي بنقل عدل كامل الضبط وكان سنده متصلاً بغير شذوذ وبغير علة فهو الصحيح لذاتهِ لا لغيره وذاك الحسن اذا كثرت طرقهُ وما لم يكن كذلك فهو الضعيف واقسامهُ كثيرة ولا يعمل بهِ الا اذا كان له اصل في الشريعة ولم يشتد ضعفهُ وكان في فضائل الاعمال فان فقد شرط من الثلاثة فلا يجوز العمل بهِ (تنبيه) الحديث الضعيف غير الموضوع او المشكوك في ضعفهِ ان كان في الاحكام او العقائد فلا يجوز نقلهُ الا مع بيان ضعفهِ وان ذكر اسناده وان كان في غيرها فان ذكر اسناده لم يجب بيان ضعفه والا وجب بيانهُ ان لم يذكر صيغة التمريض كرُوي وذُكر ونحوهما ولا يجوز نقل الصحيح بصيغة تمريض

ومن التوجيه بانواع الحديث قول ابن حجة

وللعذار احاديث مسلسلة ... صحت بتخريجها منا روايات

والمعنى الشعري ان لعذار ذلك الحبيب احاديث لغوية اي محاسن جدد وتلك

المحاسن مسلسلة في خده كتسلسل الماء تقول ماء مسلسل اي مصبوب وقال في المغرب
الشعر المسلسل هو الجعد . قلت ولا يصح هنا ارادة هذا لانهٔ يحول عن المدح الى الذم
اذ شعر العذار لا يجعد الا بعد كثرتهِ في الوجه وطولهِ على ان تجعد الشعر جمال الا في
اللحية وقولهٔ صحت بتخريجها اي باخراج الله اياها والمراد بظهورها صحت رواياتنا عنها ما
رأيناه منها من المحاسن وقد ذكر في بيتهِ الحديث المسلسل والتخريج والرواية وكلها من
فنون علم الحديث فالحديث المسلسل في اصطلاح المحدثين هو ما لهٔ اسناد اتفقت رجالهٔ
فيهِ على شيء من صيغةٍ او وصفٍ او حال فعلي او قولي فالمسلسل من صفة الاسناد لا
من صفة الحديث كما قالهٔ ابن حجر وغيره ومن قال انهٔ من صفة الحديث فقد تجوَّز وهو
مأخوذ عندهم من قولك تسلسل الماء اذا انصب لان كل شيخ من رجالهِ بالقائهِ الى
تلميذه كانهٔ صب ما يلقيه في جوفهِ اما اتفاق الرواة فيهِ على صيغةٍ فكقول كل منهم سمعت
فلاناً يقول او حدثنا فلان . واما الاتفاق على الصفة كالمسلسل بالحفاظ والفقهاء او
المصريين او الدمشقيين . واما الاتفاق على الحال الفعلي فكحديث ابي هريرة شبك
بيدي ابو القاسم صلى الله عليهِ وسلم وقال خلق الله الارض يوم السبت الحديثَ . واما
الاتفاق على الحال القولي فكقولهِ صلى الله عليهِ وسلم لمعاذ اني احبك فقل في دُبر كل
صلاة اللهم اعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وهو مسلسل بقول كل من رواتهِ
اني احبك ومنهٔ المسلسل بقراءة سورة الصف وقد يجتمع الحالان كما في حديث انس
لا يجد العبد حلاوة الايمان حتى يؤمن بالقدر خيرهِ وشره حلوه ومرّه قال وقبض
رسول الله صلى الله عليهِ وسلم على لحيتهِ وقال آمنت بالقدر الخ فانهٔ مسلسل بقبض كل
من رواتهِ على لحيته وقوله آمنت بالقدر الخ وقد يكون التسلسل في معظم الاسناد لا في
كلهِ كما في الحديث المسلسل بالاوّلية اذ التسلسل فيهِ ينتهي الى سفيان ابن عيينة وان
كان ابو النصر الوزير قد أكمل التسلسل فيهِ . قلت وقد تلقيتهٔ ولله المنة من اجلة مشايخ
دهري . ومحدثي عصري . منهم شيخنا المسند المحدث السيد محمد مرتضى الواسطي تلقيتهٔ
عنهٔ بمصر ومنهم شيخنا الشيخ محمد بن احمد الجوهري بمصر ومنهم مفتي مكة الاعظم الشيخ
عبد المالك القلعي ومنهم محدث المدينة المنورة الشيخ صالح المغربي الفلاني ومنهم محدثنا
دمشق الشيخ محمد الكزبري والشيخ احمد العطار رحمهم الله وغير هولاء السادة . ختم الله
لي ولأحبابي ببركة انتفاعهم بخاتمة السعاده وبلغني واياهم في الآخرة الحسنى وزياده (فائدة)
قال الحافظ ابن حجر من اصح الاسانيد مسلسل يروى في الدنيا المسلسل بقراءة سورة

الصف اه ومن التوجيه باسماء رواة الحديث قول الوداعي

روِّ بمصرَ وسكانها شوقي وجدد عهديَ الخالي

وأرو لنا ياسعد عن نيلها حديثَ صفوان بن عسّال

المعنى الشعري يشير الى صفاء النيل وحلاوته والتوجية في قوله اروِ وفي الحديث وفي صفوان بن عسال وهو من رواة الصحابة رضي الله عنهم

وما احسن قول بعضهم في ممدوحه

من أمّ بابك لم تبرح جوارحهُ تروي احاديث ما اوليت من منن

فالعين عن قرّةٍ والكف عن صلةٍ والقلب عن جابر والسمع عن حسن

المعنى الشعري ان كل من قصدك تروي جوارحه عنك احاديث الكرم فعينه تروي عن قرة وقرة العين بردها بدمع السرور وتروي كفه عن صلتك التي وصلته بها ويروي قلبه عن جابر اي عما يجبر القلب المكسور ويروي سمعه عن وصفك او فعلك الحسن وقرّة وصلة وجابر والحسن البصري كلهم من الرواة فانظر حسن الاتفاق لهذا الشاعر البليغ وللسيد جعفر البيتي من مشايخ شيخنا الشيخ عبد الرحمن العيد روس قدس سرهُ ما يقرب من ذلك وهو قولهُ

ابداً حديثُ البرّ فيه معنعنٌ حماده يروي عن ابن كثيرِ

عن مطعمٍ عن نافع بن مخلد عن واصل عن جابر المكسورِ

ففي بيته ستة من رواة الحديث والعنعنة قول المحدث حدثنا فلان عن فلان عن فلان وهلمّ جرًا هذا معناها اصطلاحًا واما معناها لغةً فهو الاتيان بالعين بدل الهمزة كقولهم في انك عنكُ وهي لغة سافلة لبعض العرب

ومن التوجيه باسماء الرجال ايضًا قولي

دمشقُ جنان الله في الارض من غدا بها نازلاً يومًا فبشرهُ بالفوزِ

فغيري عن الجوزيّ يروي حديثها وانيَ لا أرويه الاّ عن اللوزي

فاللوزي المورّى به هو ابو اسحاق ابراهيم بن عبد العزيز الرعيني الأندلسي المالكي المحدث حج وسكن دمشق ووُلّي بها دار الحديث الاشرفية ومات في الينبع سنة سبع وثمانين وستمائة ترجمة في شذرات الذهب واما اللوزي المورى عنه فهو نوع من المشمش حلو النوى مشهور ببلاد الشام واكثر ما يوجد منها بطرابلس ودمشق وهو في طرابلس اكبر واحلى واكثر ماء واقامةً وقال فيه الشاعر

ان لوزيّ جلقٍ　　واهي الحيل والقوى
لم يكلفك كسرهُ　　فالق الحب والنوى

وقال ابن مقاتل

ان الخراسانيّ لمّا حوى　　حلاوة الايمان من خوفهِ
فضّلهُ الله على غيرهِ　　اما ترى قلبين في جوفهِ

وقول الآخر

قد كسرَ المشمش قلبي ولم　　اكسرْ لهُ منذُ أتى قلبا
لسعرهِ الغالي وعسري معًا　　واستحى أن القط الحبّا

وقال ابن الخياط

لوزيُّ جلّقَ شيءٌ　　قلبي يميلُ اليهِ
كالسلسبيلِ ولكن　　كيفَ السبيلُ اليهِ

وقال ايضًا

حبذا مشمشٌ بروقُ لطرفي　　منهُ حسنٌ حديثهُ مشهورُ
قد بلاني بحبهِ فهو مثلي　　أصفر اللونِ قلبهُ مكسورُ

وقلت في التوجيه باسماء الرجال والكتب

لقد حطَّ نفسي كون اصليَ نطفة　　وعلي بأني هالكٌ وابنُ هالكِ
فودي هوَ الودُّ الصحيحُ لمسلمٍ　　وخدّي هو الخدُّ الموطّا لمالكِ

ومعنى ذلك الشعري واضح والصحيح لمسلم معروف كالموطا لمالك . وقلت كذلك حين اجتمعت بدمشق على الشيخ المحدث الشيخ محمد البخاري نزيل نابلس

شعري لحافظ عصري　　بالمدح امسى يترجم
فانقل حديث البخاري　　عني الى كلّ مسلم

ومما اتفق لي في ذلك ان الوزير الجزار . عاملهُ الله بالرحمة في دار القرار . كان قد ارسل الى بيروت وانابها رجلاً من المغاربة ومعهُ جملة عساكر منهم للمحافظة فعاث عسكرهُ عيث الجراد . وشمر عن ساق الاذى والفساد . حتى اشتكت منهُ بقاع البلاد . فضلاً عن العباد . فلزم انني توجهت نحو رئيسهِ وكان يدعى بالبخاري . ونصحتهُ وخوفتهُ عقاب الباري . فاجاب بأنهُ لا يقدر على ردّ جنوده . وأنهُ يخشى من ذلك على عدم وجوده . ففارقتهُ وكتبت للوزير

وزيرنا طاهر المزايا · فاقصد نداجوده ويمّم
قدخصّ بيروت بالبخاري ياليته خصها بمسلم

فلما قرأ البيتين أمر كاتبهُ أن يكتب لذلك المغربي كتابًا يأمرهُ فيهِ بالقدوم هو وعسكره الى عكا ولا يتباطأ مقدار طرفة عين فأ زالهُ من يزيل الجبال . وكفى الله المؤمنين القتال . وقلت هاجيًا لبعض الجهلة على دعواه الفضائل التي تجرَّد عنها

وجهول تعريفهُ كلب جاري يوهم الناس انهُ كالبخاري
هاجَ في رأسهِ بخارُ طعام فهو يروي حديثَ ذاك البخار

(لطيفة) حكي عن ابي حيان قال قدم علينا مسعر المحدث الفرضي الشيخ عمود بن ابي بكر البخاري فاتفق لي ذات يوم وانا معهُ ان مرّ بنا غلام جميل فنظر اليهِ الشيخ البخاري وقال هذا صحيح على شرط البخاري فاستظرفت قولهُ وفكرت فيهِ ثم انشدتهُ قولي

بدا كهلال العيد وقت طلوعهِ وماس كغصن الخيزران المنعم
وقالوا على شرط البخاريّ قد اتى فقلت على شرط البخاري ومسلم

فنظر اليَّ وقال اما البخاري فمن مسلم . قلت انت البخاري وانا مسلم ومقصود البخاري ان ذلك المحبوب محبوب على شرطهِ هو وذلك لان المحبوب لايكون محبوبًا الا بشروط عند الحب ان وجدت فيهِ اوجبت لهُ محبتهُ فرب مليح عند شخص غير مليح عند اخر وقلّ من توجد فيهِ شروط جميع العشاق ومن وجدت فيهِ فلا يختلف في محبتهِ اثنان من الناس وهذا كالكبريت الاحمر . واما شرط الحافظ البخاري فقد اختلف فيهِ والمشهور انهُ المعاصرة واللقيّ في كل طبقات حديثهُ وشرط مسلم المعاصرة فقط فكل حديث كان في كل طبقة منهُ معاصرة ولقيّ فهو على شرط البخاري وان لم يكن في صحيح كتابهِ فيلحق بهِ اذا كانت رجالهُ كرجالهِ عدالةً وضبطًا ومثل ذلك ما علقهُ اذا وجد فيهِ شرطهُ والمعلق هو الذي اسقط منهُ البخاري شيخهُ او اكثر بان يقول قال عوف او قال محمد بن سيرين او قال ابو هريرة وقيل شرط البخاري ان يروي الحديث تابعيان عن صحابي غير مجهول ثم يرويهِ عن التابعيين عدلان وقيل شرطهُ وجود العدالة والتثبت في الراوي والسلامة من غوائل الجرح قصرت ملازمتهُ لشيخهِ ام طالت . وشرط مسلم هو هذا الشرط ويزيد عليهِ اطالة ملازمة الراوي لمن روى عنهُ . وقال النووي واختاره ابن حجرانّ شرطهما ان يكون رجال اسنادهِ في كتابيهما مع بقاء شروط الصحة من الضبط والعدالة وغيرهما وهو مما لم يخرجاهُ لانهُ ليس لهما شرط في كتابيهما ولا في غيرهما ذكرهُ محمد الاكرم في شرح

نخبة الفكر للحافظ ابن حجر (فائدة) اعلى صحيح الحديث ما اتفقت عليه الكتب الستة وهي البخاري ومسلم وابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ثم ما اتفق الشيخان ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم ثم ما على شرطهما ثم ما على شرط البخاري ثم ما على شرط مسلم واحاديث هذه الكتب تفيد الظن ان كانت احاداً والعلم ان تواترت

وقلت في التوجيه باسماء كتب الحديث

رعى الله في الدنيا افاضل جلق ... فكم عمني منها سرورٌ واكرامُ
اناسٌ وجدنا من شمائلها الشفا ... مصابيح هدي عين مشكاتها الشام

مطلب تعلقات علم العربية

ومما يحتاج اليه الشاعر علم اللغة العربية . بل هو مما يحتاج اليه كل عالم فقد قال ابو هلال العسكري في كتابه الذي ذكر فيه بقايا الاشياء سمعت الحسن بن سعيد يقول سار ابو الحسن الكرخي الى ابي عمر صاحب ثعلب في مسائل من العربية احتاج اليها في صناعة الفقه فقال له اصحابه انت امام المسلمين فكيف سرت الى امام المعلمين فقال او عجبتم من ذلك قالوا نعم قال الاعجب من ذلك ان امام المسلمين لا يحسن ما يحسنه امام المعلمين اه قلت . وهذا هو عين الانصاف . الذي جبلت عليه نفوس اولئك الاشراف . وذلك لتجرد نفوسهم من حظوظ الهوى . وتجملها بلباس التقوى والهدى . ولذلك بلغوا ذروة الكمالات . وعاشوا بتواتر اخبارهم الصحاح وهم اموات . اذ كانوا يرون التذلل للحق عزا . والتعزز بالباطل ذلاً ورجزاً . ويدورون معُ الحق كيف ما دار . ويأخذون الدر ولو كان من البحار . والمسك ولو كان من الفار . والثمر من الشجرة ولو كانت لا تصلح الاّ للنار . فقد حكي ان الكسائي كان معلمًا للامين والمأمون ولدي هارون الرشيد فدخل ذات يوم على ولديه فوجد الكسائي قد نهض للسير ووجد ولديه يتزاحمان و يستبقان على تقديم نعله فقال له الرشيد يا كسائي من اعز الناس فقال لا اعلم اعزّ من امير المومنين فقال الرشيد بل في الناس اعز من امير المومنين فقال من هو جعلت فداك فقال من يتزاحم على تقديم نعله خليفتان . وحكي ان الشريف الرضي كان كلما دخل عليه ابو اسحق الصابي نهض اليه قائمًا وكان ابو اسحق كافرًا من الصابئة فسئل عن قيامه له فقال انما اقوم لفضله لا لذاته ولما مات ابو اسحق الصابي كان الشريف الرضي اذا مرّ بقبره راكبًا ترجل هذا شأن السلف واما اهل دهرنا فقد استولى عليهم الحرص وطول

الامل . فاورثهم الغل والحقد وسوء العمل . فلذلك ينكرون ما يعتقدونهٔ في الشخص من الفضائل . و ينحلون لوصفهِ النقائص والرذائل . و بذلك تخاصموا وتهاجروا . وتقاطعوا وتدابروا

ولم تزل قلة الانصاف قاطعةً بين الرجال وان كانوا ذوي رحمِ

وانما قلنا ان كل عالم محتاج الى علم اللغة لان كل علم متوقف على علم اللغة توقف وجود فعلم اللغة شرط في وجود كل علم يلزم من عدمهِ العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاتهِ فكم عالم باللغة لا يعرف شيئًا سواها من العلوم ولا يقدر على تركيب بيت شعر واذا كانت اللغة شرطًا في كل علم فينبغي لكل طالب علم ان يقدمها امام مطلوبهِ ليتم لهُ وجوده فتوقف كل علم على اللغة توقف وجود وعلى غيرها من العلوم كالنحو والمعاني والبيان والبديع توقف كمال وما بهِ وجود الشيء مقدم على ما بهِ كمالهُ وحيث ثبت ان كل عالم محتاج اليها فالشاعر احوج اليها من سائر طالبي العلوم اذ هي مِلاك صناعته . ورأس مال بضاعته . ولذلك كان اشد احتياجًا الى التوسع في خفاياها و بواديها . وركوب مطايا الهمم لقطع مفاوزها و بواديها . وعدم الجزع مما يراه من تراكم السيول بواديها . ليجتني من ثمارها . و يقتطف من ازهارها . ما يتوصل بهِ الى مراده . ولا يضيق عليهِ مجالهُ في ارتياده . وليعرف العالي منها فيصطفيهِ . والسافل فيجتنبهُ و يتقيهِ . فالشاعر كلما توسع في اللغة طال باعهُ في نظامهِ . وتيسر لهُ بلوغ مرامهِ . فينبغي لهُ ان يتضلع من مناهلها العذاب . ولا يطمع في الاحاطة بها لانهُ ليس لغير المعصوم طاقة بذلك الباب . قال شيخنا السيد مرتضي قدس سرهِ في شرح خطبة القاموس قال في رسالة الامام الشافعي رضي الله عنهُ لسان العرب اوسع الالسنة مذهبًا واكثرها الفاظًا ولا اعلم ان يحيط بعلمها انسان غير نبي . وقال ابن فارس في كتابهِ فقه اللغة واعلم ان لغة العرب لم تنتهِ الينا بكليتها وان الذى جاء عن العرب قليل من كثير وان كثيرًا من الكلام ذهب بذهاب اهلهِ ونقل الجلال السيوطي عن الزبيدي صاحب مختصر العين ان عدة الكلام المستعمل والمهمل ستة آلاف الف وستمائة الف وخمسون الفًا واربعمائة المستعمل منها خمسة آلاف الف وستمائة وعشرون الفًا . قال شيخنا وجملة ما في القاموس من ذلك ستون الف مادة وهو يزيد عما في الصحاح بعشرين الف مادة اهـ . قلت وليس بعد لغة العرب اوسع مجالاً من لغة الفرس وستقف على بعض ذلك ولاجل ذلك كانت العرب تقول الفرس قريش العجم وقد خطر لي ان اذكر جملة تدل على سعة كلام العرب . فأقول كلام العرب ينقسم الى ثلاثة اقسام

ما اتفق لفظهُ واختلف معناه كالعين فانها تطلق على اشياء كثيرة سيأتيك بعضها وهذا القسم يسمى المشترك لاشتراك معان كثيرة فيهِ في لفظٍ واحدٍ . والثاني عكس الاول وهو ما اختلف لفظهُ واتفق معناه وهذا يسمى المرادف لان اللفظ الثاني فيهِ يرادف الاول في المعنى كالليث والاسد والبر والقمح ونحو ذلك . الثالث ما اختلف لفظهُ ومعناه كالانسان والحيوان والفرس والحمار الى غير ذلك ويقال لهُ المغاير والمباين فان قلت فما الفرق بين المرادف والتاكيد المعنوي وكل منهما مما اتفق معناه واختلف لفظهُ لان لفظ النفس في قولك جاء زيد نفسهُ غير لفظ زيد ومعناهما واحد (فالجواب) ما افاده شيخنا السيد مرتضى في شرح خطبة القاموس ان الفرق بينهما كون احد المترادفين يفيد ما افادهُ الآخر كالانسان والبشر والتوكيد لا يفيد ما افاده المؤكد وانما يفيد تقوية الاول اي ان النفس في قولك جاء زيد نفسهُ لاتفيد ما افاده زيد وانما تفيد تقوية كون الجائي هو زيد (فان قلت) فما الفرق بين المترادف والتابع مثل قولك عطشان نطشان وحسن بسن قلت ان التابع وحده لا يفيد شيئًا وانما يفيد اذا تقدمهُ المتبوع اه . قلت ويؤخذ من كلام شيخنا قدس سره ان التوكيد اللفظي كالمعنوي في انهُ لايفيد الا تقوية الاول ولا يفيد ما افاده الاول وذلك مثل قول الشاعر

فاين الى اين النجاة ببغلتي ... اتاكِ اتاكِ اللاحقون احبس احبس

فأتاكِ الثاني لم يفد ما افاده اتاك الاول وانما افاد تقويتهُ ومثلهُ احبس احبس فعلى هذا يكون عكس التوكيد المعنوي فيكون من المشترك الذي اتفق لفظهُ واختلف معناه اذ لو جعلنا الثاني لهُ معنى الاول لكان مما اتفق لفظًا ومعنىً وهذا القسم لايوجد في كلام العرب لانك قد عرفت حصرهم كلامهم في الاقسام الثلاثة المتقدمة فتأمل ذلك منصفًا وحيث عرفت اقسام كلامهم فاحب ان اتحفك بنبذة منهُ تعلم بها سعة لغتهم فما اتفق لفظهُ واختلف معناه المشترك

﴿مطلب المشترك﴾

فمنهُ لفظ (العين) فانهُ يطلق على اشياء كثيرة وقد رأيت فيهِ للشيخ السبكي قصيدة عينية ذكر فيها غالب معناه وهي مطولة ذكر فيها نحو سبعين معنىً ورأيت اخرى مثلها للشيخ عبد الرحمن الحميدي من بحر السلسلة براعة مطلعها

ياقانية الخد يامكحلة العين ... كم من جسدٍ اصبتِ فيك من العين

ولولا الاطالة لذكرتها كلها والتي تقدمتها ومن معاني العين ما ذكرهُ بعض الادباء في قوله

ملكتَ العين فاكحلها بطلعتها ومجراهـــا

فذكرها اولاً بمعنى الذهب واعاد عليها الضمير في قوله فاكحلها بمعنى الجارحة وضمير طلعتها بمعنى الشمس وضمير مجراها بمعنى عين المآء وهذا يقال لهُ في فن البديع الاستخدام وتعريفه ان يذكر المتكلم لفظًا مشتركًا ويريد احد معانيهِ ثم يعيد عليهِ الضمير بمعنى آخر وهلمَّ جرًّا واحسن من البيت المتقدم قول بعضهم من قصيدة نبوية

شفى العين من دآء واوقفها ذكا واعملها حرفًا وارسلها سما

اي مطرًا . قلت ومن معانيها انها مطر ايام لا يقلع . ومخرج مآء البئر . والقناة التي تعمل حتى يظهر ماؤها . والقبلة تقول نشأت السحابة من قِبل العين . والعين عين الشيء نفسهُ ومنهُ قولهم لا اقبل اثرًا بعد عين . والعين عين الميزان اذا رجحت احدى كفتيهِ . والعين عين الجيش الذي ينظر لهم وعليهم ويقال لهُ الطليعة . والعين رئيس القوم . والعين عين الركبة . وقد رأيت كتابًا فيما اتفق لفظهُ واختلف معناه الفهُ لعبد الله بن طاهر شاعره ابو العَيثل وقد من الله عليَّ بملكه فلهُ المنة . ومن المشترك في المعاني الكثيرة لفظ (الخال) فقد رأيت لهُ في امالي ثعلب نحو ثلاثين معنى وذكر في ذلك قصيدةً براعة مطلعها

اتعرف اطلالا شجونك بالخال وعيش زمان كان في العُصُر الخال

فمن تلك المعاني الخال اخو اللام . والنكتة السودآء في الجسد . والخيلاء . والسحابة السودآء . وضرب من البرود . والرجل الحسن القيام على العيال . واللوآء الذي يعقد للامير على الجيش . وضرب من النبت . والظَّلع . والغمز في الدابة وهو قريب من العرج . واسم جبل . واسم مكان . الى آخر ما ذكرهُ وزاد عليه صاحب (الرّوض الانف في الشعر الصلف) فقال الخال العجل الاسود . ورأس الخير والكرم . وصاحب الشيء تقول العرب من خال هذه الدابة اي من صاحبها . والخال البرق وناحيه الجنوب . ومن المشترك في المعاني الكثيرة لفظ (الهلال) وقد رأيت قصيدة ذكر فيها من معانيهِ نحو ثلاثين معنى . منها الثوب المهلهل . وما طاف حول الاصبع من الذباب . ومنها الثعبان . وقطع الرحى . وذكر ثعلب في كتابهِ شجر الدرّ ان الهلال ذوآبه النعل . وقطعة من الغبار . وما طاف من اللحم بظفر الاصبع . وسلخ الحية . ومقاولة الاجير على المشهور . والمباداة في رقة النسج . والمفرحه وهو ما يفرح بهِ يقال جاء فلان فما جاء بهلة ولا بلة اي ما جاء بشيء يفرح ولا جآ بشيء يبل اللهاة

وبقية الماء في الحوض . والجمل الذي اكثر العذاب حتى تفرس . فهذه ثلاثة عشر معنى
وزاد ابو هلال العسكري في كتابه بقايا الاشياء ان الهلال حديدة يعرقب بها الحمار
الوحشي عند الصيد وهي شكل الهلال . ومن المشترك (النحب) وقد نظمت خمسة
عشر معنىً من معانيه في قولي

مغرم قد قضى من الشوق نحبه[1] وهو لم يقض في المحبة نحبه[2]
وامتطى نحبةً[3] فهيجة النحـ ـب[4] الى الفهِ فواصل نحبه[5]
يا لصب عراه نحب[6] فأضنى جسمهُ نحبةً[7] وشرّد نحبه[8]
نحب[9] النحب[10] وهي اعظم نحب[11] انهٔ ليس يبلغ السيف نحبة[12]
آه من لي بنحب[13] وصل يوافي ليل هجري حتى يقصر نحبه[14]
فعذولي على سلوّي كما خا طر شخصاً فخيب الله نحبه[15]

ومن المشترك (القرْن) باسكان الراء ذكرت له عشرة معان . القرن من قرون الشاء والبقر
والعفلة تكون في مدخل الذكر من المرأة تمنع من دخوله . والقرن الجبل الصغير . والقرن
الذؤابة من ذوائب شعر المرأة . والقرن الحلبة من العرق . والقرن من الناس اختلف
في مقداره فقيل مائة سنة وقيل اقل . والقرن من الصوف خصلة منه . ومن الرأس حرفه
الذي تفرق فيه الذؤابتان . والقرن الجعبة التي تكون فيها النبال وتسمى كنانة . والقرن
موضع بالحجاز ميقات من مواقيت الاحرام يقال له قرن المنازل واما (القرَن) بفتح الراء
فذكرت له خمسة معان الاول مصدر الشاة القرناء . والثاني دنو احد خلفي الشاة من صاحبه
يقال شاة قرون بينة القرن والثالث بلدة اويس القرني من كبار التابعين رضي الله عنهم
والرابع ان يلتقي طرف الحاجبين يقال رجل اقرن الحاجبين ومقرونهما . والخامس
الحبل يقرن فيه البعير او البعيران . ومن المشترك لفظ (العجوز) فما ذكره الدميري في حياة
الحيوان من معانيه ثلاثة عشر معنى وهي الأرنب . والأسد . والبقرة . والثور . والذئب .
والذئبة . والرخم . والرمكة . والضبع . وعانة الوحش . والعقرب . والفرس . والكلب
(قلت) والعجوز ايضاً المرأة والشمس والخمرة وما الطف قول بعضهم

قد لقبــوا الخمر بالعجوز فما تخرج الفاظهم عن العاده

---

١ اجله ٢ غرضه ٣ جمله ٤ النحيب ٥ سيره ٦ شدة ٧ سقمة ٨ نومة
٩ ندب ١٠ النفس ١١ الحجة ١٢ عزمة ١٣ وقت ١٤ طوله ١٥ مراهنة

قادت لنا الغادة التي امتنعت فصح ان العجوز قوّاده

ومن العجائب ان الخمر كما تسمى العجوز فكذلك تسمى البكر فهي البكر العجوز . وللعجوز غير ذلك من المعاني . ومن المشترك لفظ (الجار) وقد نظمت عشرة معانٍ من معانيه بقولي

اذا افسدت بنو الدنيا فجاري وكن كالماء بعذب وهو جاري
ودار الجار[1] واحمد كلّ جار[2] وصلْ جاراً[3] وأكرم كل جارِ[4]
وبالانصاف عامل كل جار[5] وكن نعمَ النصير لكلّ جار[6]
ولا تنظر لجارٍ[7] غير جار[8] لجارك[9] وابغ سكنى كل جار[10]

كل ذلك من الزاهر للازهري

ومن المشترك (العلق) ذكرت من معانيه سبعة . وهي علق الدم . وعلق الدود . وآلة البئر التي تحتاج اليها وهي المحور والبكرة والرّشاء والخطاف والدلو ولذلك يقال البئر تحتاج الى العلق . والعلق العشق يقال نظرةٌ من ذي علق . والعلق مصدر علِق الشوك ونحوهُ بثوبي علقاً . والعلق ان يأكل الانسان شيأً من الحنظل فيحتبس بولهُ يقال اكل شريًا فعلق اي حنظلاً والعلقة الداهية التي يتعجب منها . ومن المشترك لفظ (القَبَل) بفتح القاف والباء الموحدة وقد ذكرت له سبعة معانٍ ايضًا وهي . العيب المعروف في العين . والنشز من الارض يستقبلك . وان ترى الهلال اول ما رُؤي . وان تتكلم بكلام لم تكن مستعدًّا له . وان تورد ابلك ثم تسقي لها وتصب عليها فيقال سقاها قبلاً . والقبل شيء يشبه الصدف يعلق في اعناق الصبيان . وطي البئر في اعلاها . ومن المشترك لفظ (العَرَق) بفتح اوله وثانيه ذكرت منها سبعة معانٍ ايضًا وهو المكتل العظيم . وسطور تمرّ من خيل او طير منقطعة الواحدة عرقة . والطرّار التي تشد على بيوت العرب . والفساطيط والواحدة عرقة ايضًا . والعرق تغيرُ ريح اللبن او ريح السقاء . والعرق الثواب يقال ما اعرق لهُ بشيء والعرق ما يتصبب من الانسان وهو معروف . ومن المشترك لفظ (البيظ) بالظاء المشالة ذكرت له سبعة معانٍ ايضًا قال ابن عبد البر في كتاب العقد ان ابا دلف الكريم الشجاع المشهور نظم بيتين وزعم انهُ ليس لهما ثالث وهما قولهُ

---

١ المجاور ٢ الخفير ٣ القريب من النسب ٤ الحليف ٥ الشريك في العقار والتجارة ٦ الناصر ٧ لأستِ ٨ غير فرج ٩ الزوجة ١٠ ما قرب من المنازل

انا ابو دلف البادي بقافية　　جوابها يهلك الداهي من الغيظ

من زادفيهالةرحلي وراحلتي　　وخانني والمدى فيها الى القيظ

قال ابن عبد البر فزدت انا فيها قولي

قد زدت فيها ولو امسى ابودلف　　والنفس قد اشرفت منهُ على الفيظ

قال ابن ظافر الحداد وقد تذاكرنا في هذه القطعة فقال بعض الحاضرين

ازيد فيها ولو ماتا بغيظهما　　ما القت النمل آحيانًا من البيظ

وذلك لان كل بيض بالضاد الاّ ما اضيف الى النمل فانهُ بالظآء وكل فيض من سحاب وغيره فالبضاد الافيظ النفس وهو خروجها (قلت) لكن قد يقال فاضت نفسهُ بالضاد على سبيل الاستعارة بناء على تشبيه النفس بالمآء او المائع فلا يكون ذلك ممنوعًا الاّ اذا استعملهُ بالضاد واراد الحقيقة ثم جآء القاضي الاعز فقال

ذو الخرم لايتحدى في مقالتهِ　　ما دام للناس تكوين من البيظِ

اي من مآء الرجل وهو المني ثم جآء شهاب الدين ابن اخت الوزير نجم الدين فزاد في ذلك قولهُ

يا سادة في القوافي قلّ ما تركوا　　كمائح البئر لم يترك سوى البيظ

حازت قوافيكم الظاآت اجمعها　　كمثل ما حيز محّ البيض بالبيظ

اي قشرة البيض الرقيقة التي فيها الصفار ومح البيضة بالحا المهملة صفارها ثم قال

لكن مواعيد باديكم ابي دلف　　لاصدق فيها كمثل الآل والبيظ

اي خيال وجه الانسان في السيف اه . قلت ولما اطلعت على ذلك انشأت اقول

وخاتم النظم يرجو حسن خاتمة　　من ربهِ الرحمن رباهُ في البيظ

فقدقضى العمرفي لهوٍ وفي لعب　　فضاع في شهوات النفس والبيظ

فالبيظ في البيت الاوّل هو فرج المرأة وفي البيت الثاني الجماع ذكر المعنيين ابو حيان في كتاب (الارتضآء في الفرق بين الضاد والظاء) . قلت وبما نظمتهُ تم للفظ البيظ سبعة معان . ومثل واقعة ابي دلف واقعة الحريري لما نظم قولهُ

سم سمةً تُحمَدُ اثارها　　واشكر لمن اعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لاتأته　　وابغ ما يكسبك المكرمه

فانهُ زعم ان احدًا لايقدر ان يعززها بثالث فابطل الله دعواهُ وقد رأيت بعض

الفضلاء واظنهُ السيد عبد الرحيم العباسي ذكر في شرح شواهد التلخيص ان احد الادباء زاد عليها بيتًا وقد منّ الله عليَّ فزدتها بيتين وهما قولي

مَا ٱلأَمةُ اللَّخناء مع خبثها اخبثَ من عندهُ مَلأَمه
فمه عن الشر وعن كل مَنْ يفتحُ بالعوراء يومًا فمه

ومن المشترك لفظ (السبت) جمعت ستة معانٍ من معانيه في قولي

رعى الله ربى صالحية جلق ومن امها بالوخدِ والنصّ والسبت[1]
فكم ارشفتنا من كؤوس معارف على يد محيي الدين في ليلة السبت[2]
سبتنا بها شعر الشعور فاحرزت منا سكنا التكميل من ذلك السبت[3]
مدى الليل ايقاظًا نراعي نجومها واهل الهوى والجهل في ظلمة السبت[4]
فمن كان منا اصبح السبت عبدهُ والّا فذاك النذل من اعبُد السبت[5]
ومن زار محيي الدين جاء فتوحه فلم يكُ محتاجًا لزايرجة السبت[6]
فيا نفس ان ناسبت خدمة بابهِ فطوبى ويا بشراك ان انت ناسبت

ومثل ذلك لفظ (الأُمَّة) ذكرت له ستة معانٍ وهي القرن من الناس. والحين ومنهُ وادَّكرَ بعد امة. والأُمة الدين قال النابغة

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل يأْثمْن ذو أُمةٍ وهو طائعُ

والامة العالِم. والامة القامة قال اعشى بني قيس

وآل معاوية الاكرمينَ حسان الوجوه طوال الأُمم

والامة الامام الذي يؤْتم بهِ في الشيء ومنهُ ان ابراهيم كان امة قالوا وقياسه من الكلام هُزْأَة وضحكة ولعنة بضم اولها واسكان ثانيها. ومثلهُ في الاشتراك في ستة (الضرب) وهي الضرب بالسوط والعصا. والضرب من المتاع وهو النوع منهُ. والرجل الخفيف اللحم ومنهُ (أَنَا الرَّجُلُ الضربُ الذي تعرفُونهُ) والضرب في الارض طلب الرزق ومنهُ قولهُ تعالى واذا ضربتم في الارض. والضرب من المطر الضعيف منهُ. والضرب العسل الابيض. ومن المشترك لفظ (الارض) اذكر لهُ خمسة معانٍ. وهي الارض التي عليها الناس. وسفلة كل دابة يقال ما اشد ارض هذا البعير وغيره اذا كانت قوائمهُ شديدة. والارض الرعدة التي تصيب الانسان يقال عرضت لفلان ارض. والارض

---

١ السير ٢ اليوم ٣ الحلق ٤ النوم ٥ الدهر ٦ هي الزايرجة السبتية

الزكمة يقال فلان مأروض اي مزكوم به أرض شديدة . والارض باطن حافر الدابة . ومثل الارض (الفروة) لانها واحدة الفراء خلافًا لمن انكر ورود الفروة بالهاء . والفروة جلد الرأس . والفروة الثروة من المال والميسرة والغنى . والفروة الشجر الكثير الملتف . والفروة قطعة من ارض ومنه حديث ان الخضر جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء فهو خضر لذلك . ومثلها (الثور) لانه ذكر البقر . والجدريّ . وقيام البعير من مبركه . والقطعة العظيمة من الأقط . وثور شفق الليل . ومثلها (الصبيّ) لانه ولد الانسان . وما استدق من طرف اللحيين . وما بين حمارة القدم الى الاصابع . وحمارة القدم ما شخص من اعلاه . والصبي من السيف مادون ظبته اي حده قليلاً . والصبي فعول من الصبا قال العجاج (وانما يأتي الصبا الصبيّ) . قلت ومنه قولهم (ان الفتى في بيته صبيٌّ) اي يفعل في بيته فعل الصبي بأن يداعب عياله ويمازحهم وهذا في بيت الرجل ممدوح لكن ينبغي للعاقل ان يجعله بمنزلة الملح للطعام . ويستعمله في بعض الاوقات لا على الدوام . ومثل ذلك (الغَيطَلة) فانها البقرة الوحشية . والظلمة الشديدة . والشجر الملتف . واختلاط الاصوات . وغلبة النعاس . ذكر ذلك السهيلي في شرح السيرة . ومن المشترك لفظ (الخليل) ذكرت له اربعة معانٍ وهي الصديق . والفقير . ومنه قول زهير

وان اتاهُ خليلٌ يوم مسغبةٍ يقول لاغائبٌ مالي ولا حرِمُ

والخليل الانف . والخليل القلب وانشدوا في الاخير قول الشاعر

ولقد رأى صبحٌ سواد خليله من بين قائم سيفه والمعصمِ

ومثل ذلك (الشَذَى) فانه كِسَرُ العود . وضرب من الذباب الواحدة شذاة . وضرب من السفن واحدتها شذاة ايضًا . والشذى الاذى . ومثل ذلك (القَصر) فان معناه واحد القصور المعروف . وقصر الثوب . والقصر الغاية . قال الشاعر (عش ما بدا لك قصرك الموت) . ومثله قصارى الامر . والقصر الحبس ومنه قاصرات الطرف وحورٌ مقصورات اي محبوسات في الخيام . ومثل ذلك (الخَلّ) فانه المأكول . ومصدر قولك خللت العباءة بالخلال . والطريق في الرمل . والرجل المهزول . ومن ذلك (الحلمة) بفتح الحاء واللام فانها حلمة الثدي من الرجل والمرأة خلافًا لمن قال انها خاصة بالمرأة وان التي للرجل مكانها يقال لها الثُندُوَة . والحلمة نبت في خضرته غبرة . والحلمة الدودة تكون في جلد الشاة وهي حية فتفسده

والحلمة القرادة التي تكون في الابل . ومن ذلك (الجَفْن) فانهُ جفن السيف . وجفن العين . وشجر العنب ، واحدهُ جفنة وهي الكرمة . والجفن ظَلَفُ النفس اي منعها من الشيء . ومثل ذلك (النَّبْل) فان معناه السهام التي تُرمى عن القوس . والسوق الحديد وفي النبل بمعنى السوق يقول الشاعر في ابل

لا تنبلاها واّدلواها دلوا إن مع اليوم اخاه غدوا

(قلت) وفي هذا البيت شاهدٌ أن غدا اصلهُ غدوَ حذفت منهُ الواو وشاهدٌ آخر وهو ان مع تستعمل بمعنى بعد والتقدير ان بعد اليوم اخاه غدا واذا لم يكن هذا التقدير لزم المحال لان اليوم لا يكون مع الغد . ومثلهُ ان مع العسر يسرًا . والنبل التفل . واللتم وليس للنبل واحد من لفظهِ فلا يقال نبلة . ومثل ذلك (الفراشة) لانها الطائر المعروف . و بقية الماء التي تبقى في الغدير . وشعبة من شعب القفل . وعظمة من عظام الرأس تطير عند الضرب . ومن المشترك لفظ (الحجل) بفتح الجيم بعد الحاء المهملة ذكرت لهُ ثلاثة معان وهي الطائر المعروف . والسقاء الضخم او الزق الضخم . وصرعك الرجل تقول ضربت فلانـًا فحجلتهُ حجلاً . واما الحجل بكسر الحاء واسكان الجيم فهو الخلخال والقيد . ومن ذلك (الحشى) فإنهُ من الدابة والرجل الكشح . والحشى من الرجل ايضًا ناحيتهُ وداره تقول انا في حشى فلان اي في فنائهِ . والحشي الربو يصيب الرجل والدابة من سرعة العدو . ومن ذلك (الثنيَّة) لانها احدى ثنايا الانسان والثنايا اربع اسنان ثنتان من فوق وثنتان من تحت وهي اول اسنانهُ ويليها اربع اسنان تسمى بالضواحك ويليها النواجذ وهي اربع والثنية الطريق في الجبل . والثنية الشرط في البيع واليمين يقال في يمينهِ ثنية اي شرط مثل ان يقول ان شاء الله . ومن ذلك (القصيد) لانهُ القصيد من الشعر . والقصيد المخ اليابس المكتنز فاذا رق فهو مخ ريرومخ رار . والقصيد النبات الغضّ اي الطريّ ومن ذلك لفظ (الهام) ولي فيهِ من النظم قولي

توقَّ بني الزمان فهم بغاثٌ تصدَّر منهم رَخَمٌ وهامُ
ولا تغررك في الدنيا لحـاهم ولا جثثٌ لهم عظمت وهامُ
فقد ركبوا تعاسيف الملاهي وتاهوا في مفاوزها وهاموا
ولا تطمع فديتك في هداهم فهم عند استماع الوعظ هامُ

البغاث اخس الطيور واخس البغاث الرخم والهام وهو البوم جمع هامة وهي التي في البيت الاول . والهام في البيت الثاني جمع هامة وهي رأس الانسان . والهام في البيت الرابع

الاموات واردت انهم عند الوعظ موتى فلا ينتفعون بسماع الوعظ قال تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ قال التبريزي في تهذيب الاصطلاح عند قول المنذر

الا يا أمّ عمرٍ لاتلومي وكفّي انما ذا الناس هامُ

اى موتى واراد ان المصير الى الموت . ومثل ذلك (الانسان) لانهُ الآدمي . وانسان العين . والانملة . وقد اجتمعوا في قول الشاعر

تمري بانسانها انسانَ مقلتها انسانةٌ في سواد الليل عطبولُ

وفي هذا البيت ردٌّ على صاحب القاموس وابي حيان وغيرهما من القائلين بأن العرب لم تستعمل انسانة بالتاء وانما هو من استعمال المولدين فاعرف ذلك وفي الانسان لغة اخرى وهي ايسان ويجمع على اياسين فاذا خفف بحذف الهمزة صار ياسين وذلك كما قالوا ان الناس اصلها اناس فخففت بطرح الهمزة ويمكن ان يكون الله عز وجل سمّى بهِ نبيهُ تعظيماً لشأنهِ واشارة الى انهُ جمع فيهِ ما تفرق من مفردات الانسان من كمال الصفات وصفات الكمال

وليس على الله بمستنكرٍ ان يجمع العالمَ في واحد

ومثل ذلك (النحاس) وهو المعدن المعروف . والدخان . قال تعالى يرسَل عليكما شواظٌ من نار ونحاس . والنحاس الطبيعة يعني طبيعة الانسان وقال ابن الاعرابي ان هذه بكسر النون واذكرني كون النحاس من معانيهِ الدخان حديث ريان ابن قسورة ذكره السهيلي في السيرة وابن عبد البر وابن الاثير ونقلا عن ابن ماكولا انهُ قال ذكرهُ عبد الغني بن سعدٍ وغيرهُ باسناد ضعيف عن ريّان بن قسورة قال رأيت النبيّ صلى الله عليهِ وسلم وهو نازل بوادي الشوحط فكلمتهُ فقلت يا رسول الله ان لنا لوُبا في عيلمٍ لنا فيهِ طِرم وشمع فجاءَ رجل فضرب ميتتين فأنتج حيًّا ونحسهُ بالثمام فطار اللوب فادلى مشوارهُ في العيلم فاشتار ما في العيلم ومضى ومعنى ذلك ان لنا نحلاً في عيلم وهو البئر والمراد بهِ هنا خلية النحل لنا فيهِ عسل فجاءَ رجل فضرب زنداً على زندةٍ فأخرج منهما ناراً ودخّنَ على النحل بالثمام وهو نبات لهُ عيدان دقيقة تلتقطهُ الحمام فتبني اعشاشها منهُ فلما دخن على النحل طار فادلى الرجل آلة كانت معهُ فأخرج ما كان في خليَّة النحل من العسل فاخذهَ وذهب وهو حديث غريب الالفاظ . ومن ذلك (العَوْف) لانهُ الحال وذَكَرُ الرجل قال الشاعر

اذا عوف تغلغل في شريجٍ فقدْ وأبيكمُ وجب الصداق

والشريج فرج المرأة . والعوف نبات من نبات الارض . ومثل ذلك (السدى) بفتح السين المهملة لانه سدى الثوب . والبلح جمع سداة وهي البلحة . والسدي الندي الذي يكون بلا سحاب . ومن ذلك (السمّ) لأنه سم الحية وغيرها . وخرق الابرة . ومنه سم الخياط . والسم الاصلاح . ومن ذلك (البائر) لانه الهالك من البوار وهو الهلاك ومنه دار البوار وكنتم قوماً بوراً . والبائر المجرّب للامور تقول برْتُ الرجل اذا اختبرتَهُ وامتحنته . والبائر الكاسد ومنه حديث اعوذ بالله من بوار الأيِّم اي من كساد المرأة التي لا زوج لها . ومثل ذلك (النقير) لانه النقرة التي في ظهر النواة ومنه لا يظلمون نقيرا وفي آية ولا يظلمون فتيلا والفتيل هو الشيء الابيض الذي يكون في شق نواة التمرة كالفتيلة والقطمير القشرة الرقيقة التي على النواة . والنقير الاصل . من الخشبة التي تنقر فينبذ فيه فيشتد نبيذهُ . والنقير الصوت ومنه قول الشاعر (اذا مشي لكعبه نقير) ومثل ذلك (الفَصْ) لانه فصُّ الخاتم . والمفصل من مفاصل يد الدابة . وفصل الحق ومنه قولهم (ويأتيك بالامر من فصهِ) ومثله (الصِرّة) لانها الصياح . والجماعة . وشدة البرد . قاله السهيلي في شرح السيرة ومثل ذلك (الجليل) لانه العظيم . والثمام وقد تقدم انه نبات دقيق ومنه قول بلال رضي الله عنه (وعندي إذخر وجليل) والجليل المسن ذكرهُ السهيلي . واما المشترك في معنيين فكثير جداً منه (الشرَكه) بتحريك الراء منتوحة لانها الحبالة التي تنصب للصيد . والطريق الجادّة . ومنه (الحَجَلة) بفتح الجيم وهي الواحدة من طائر الحجل . والحجلة آلة تجعل عليها سجوف . ومنه (البلَق) بفتح اللام لانه اللون المعروف في الدواب تقول بقرة بلقاء . والبلق الفسطاط يعني الخيمةَ ومنه (البُرَه) بضم الباء الموحدة وفتح الراء المخففة بوزن كرة لانها الخلخال . والحلقة التي تكون في انف البعير او الناقة . وقد جمعت بين المعنيين في قولي

وتجيبة أمست لهـــا برَة وليس لها بُرَه
تصل المتيمَ برهـــة ليلاً وتهجرهُ برَه

اي لها خزام وليس لها خلخال والبره في قافية البيت الثاني جمع برهة والمراد انها تصله قليلاً وتهجرهُ كثيراً ومن ذلك (الصبر) فانه الكفيل . والغيم النقي الابيض . ومثله (السنان) لانه سنان الرمح . وسنان البعير . وهو ان يطرد البعير الناقة حتى تبرك له ومنه قولهم في المثل (استنت الفصال حتى القرعى) يضرب اذا تصدى للشيء غير اهله ومن ذلك (الانثيان) فانها الاذنان . والبيضتان . ومن ذلك (الشريعة) لانها شريعة الدين

والطريق التي يشرع فيها اي يستطرق ورحم الله عائشة الباعونية حيث قالت في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برقوق

بنى سلطاننا برقوق جسرًا | بأمرٍ والانام لـهٗ مطيعه
مجازٌ في الحقيقـة للبرايا | وأمر بالمرور على الشريعه

اقول ان بيتيها هدَما كثيرًا مما شيدهُ فحول الشعرآء من البيوت . واذا تأملت في سحر بلاغتها فكانما رأيت هاروت وماروت . ومثل ذلك (الهيْف) بفتح الهآء واسكان اليآء وهما الريح الحارة . والعطش . واما الهيَف المحرك اليآء فهو لطافة الجنبين يقال غلام اهيف وجارية هيفآء . ولنختم المشترك بعجيبة وهي ان من المشترك (الحرف) لانهٗ حرف الجبل . واسم من اسمآء الحية كما قالهٗ ابن خالويه . والحرف الناقة كما قال كعب بن زهير في بانت سعاد حين وصف ناقته (حرف ابوها اخوها من مهجنةٍ) الخ وقد مرّ ذلك وما الطف واظرف قول الحافظ ابن حجر رحمهٗ الله ملغزًا في ناقة صالح عليه السلام

يا ايها القارىء ما آيةٌ | احرفها اربعة ظاهره
وقيل حرف واحدٌ كلها | فاعجب لها من آيةٍ باهره

يشير الى قولهِ تعالى هذه ناقة الله لكم آية وقلت انا في الناقة

رأيتُ شيخًا راكبًا ناقةً | يدْرُس آياتٍ من الصحفِ
فقلت للإخوان قوموا انظروا | مَنْ يعبد الله على حرفِ

وقلت ايضًا

وحرفٍ حكى النون شكلاً كما | حكي النون عزمًا وسبحًا وريًا
اذا كان قارٍ بهِ تحت الثرى | تراهُ بهِ فوق متن الثريا

وقد جمعت في هذا البيت معاني النون لان لها اربعة معان حرف الهجآء . والسيف وفيهِ يقول عنترة

ألم يعلم مكان النون مني | وما اعطيتهٗ عرَق الخلال

اي ما اعطيتهٗ ثوابا ولكن أخذتهٗ كرهًا والنون . الحوت . والدواة . فمن الاول قولهٗ تعالى وذا النون اي وصاحب النون اي الحوت . ومن الثاني قولهٗ تعالى (ن) والقلم . فقولي حكي النون شكلا اي نون الحرف لان شكلها دقيق مقوس وقولي كما حكي النون عزما اي السيف وقولي سبحا اردت الحوت وقولي وريا اردت دواة الحبر لانها لا تزال ريا بالمداد وقولي اذا كان قارٍ بهِ اتيت بالقاري ليناسب ذكر الحرف (والقاري) من المشترك لانهٗ من قرَى

الضيف اذا اكرمهُ او من قرأت وحذفت همزتهُ لان بعض العرب يحذفها فيقول قريت القرآن كما نقلهُ في المصباح عن ابي زيد وقد اردت انا المعنى البعيد وهو انهُ اذا كان من يقري هذه الناقة ويكرمها تحت الثرى فتعلو بهِ اذا ركبها حتى توصلهُ الى الثريا .

والعجب الذي وعدنا بهِ انهُ ليس حرف من احرف الهجاء الا وهو مشترك اما في معنى واحد او في اكثر . فالاوّل (الالف) قال في القاموس الالف الرجل العزب اه والألف الواحد من كل شيء نقلهُ بعض الافاضل عن املاء ابي حيان . والالف الرجل الحقير كما وجدتهُ بخط الفاضل الداودي (والباء) النكاح والرجل الكثير الجماع ذكر الاخير الداودي قال المناوي في الباء اربع لغات المد بلا هاء وبالهاء والباهة كالعاهة والباه كالجاه وانكر الاخيرة ابن قتيبة وقال انها تصحيف (والتاء) المرأة السّليطة قالهُ ابو حيان . وناقة تحلب كما ذكرهُ الداودي (والثاء) ما تحلب فيهِ الناقة عن ابي حيان وعين الشيء عن الداودي (والجيم) سرادق البيت عن ابي حيان ونقل مثلهُ الخفاجي في السوانح عن كتاب الجيم لابي عمرو الشيباني . والجيم جمل قوي على السير ذكرهُ الداودي (والحاء) الحشي عن ابي حيان والداودي (والخاء) الشعر على العانة عن ابي حيان والداودي (والدال) هو الواقف على من يدلي الدلو عن ابي حيان . والمرأة السمينة عن الداودي «قلتُ» والدال ايضًا هو الذي يسوق سوقًا رفيقًا من دلى يدلي اذا رفق في السوق (والذال) من الديك عرفهُ قالهُ الداودي (والراء) شجر واحدتهُ بهاء قالهُ في القاموس وقال شارحهُ المناوي انهُ شجر العُبَب كصرد وهو الذي يسمى عنب الثعلب حرّفتهُ العامة وقد جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لما دخل الغار انبت الله على بابهِ شجرة وهي الراءة . وقال في القاموس ايضًا ان الراءة زبد البحر قال شارحهُ المناوي وانشدوا عليهِ

كأنّ بنحرها وبمشفريها ومخلج أنفها راءً ومظا

فالراء زبد البحر والمظّ الآس اه . قلت هذا الشاعر يصف ناقةً ترغو وانهُ يخرج من رغائها شيءٌ يشبهُ زبد البحر في بياضهِ وورق الآس في خضرتهِ لان فيهِ آثار ما ترعاهُ من النبت وليس من الشجر فيهِ حرف الظاء الا المظّ والظيّان وهو الياسمين البري والراء صغار الذباب عن الداودي . والراء ضارب رئة الانسان والحيوان (والزاي) الجلدة اليابسة قالهُ ابو حيان . والزاي الكثير الأكل عن الداودي (والسين) جبل عن ابي حيان . والسين من لهُ سمن مفرط عن الداودي (والشين) التفاح عن

ابي حيان . والشين الرجل الكثير الجماع عن الداودي (والصاد) قدور من صفر اي نحاس وقيل من حديد عن ابي حيان . وقال في القاموس الصاد النحاس فاطلقه ولم يقيده بكونه قدرًا منه وقال في القاموس ايضًا الصاد الصَيَدَ اي بالتحريك «قلت» وهو داء يكون في العنق لا يستطاع معه الالتفات والعرب شبهت الملوك بمن اصابه ذلك الداء على سبيل المدح فقالوا ملك أصيد وملوك صيد اي لا يلتفتون لعظم سكينتهم ووقارهم لانهم عدّوا كثرة الالتفات من علامات الحماقة وضعف العقل . والصاد الديك يتمرّغ في التراب عن الداودي . وذكر صاحب مشكلات القرآن ان (ص) بحرٌ يجري تحت العرش (قلت) والصاد ايضًا الرجل العطشان من الصدى وهو العطش فثمّ للصاد خمسة معانٍ . (والضاد) فرج المرأة كما في القاموس . والضاد صوت النحل عن ابي حيان . (والطآء) الأكمة السهلة واحدها طآءة عن ابي حيان . والطآء الشيخ الكثير الجماع عن الداودي (والظآء) التيس الحسن عن ابي حيان . والظآء ثدي الفتاة (والعين) قد تقدم بعض ما لها من المعاني . ومن ذلك انها سنام الجمال كما قاله الداودي (والغين) الابل ترد الماء قاله الداودي . وقال في القاموس الغين ما يغطي القلب . والعطش . والغيم . وقال في مختصر العين . الغين الشجر الملتف . وعليه يكون للغين المعجمة خمسة معانٍ (والفاء) لحم الفخذ عن ابي حيان . والفآء زبد البحر عن الداودي . وعليه فيكون زبد البحر مشتركًا بين حرفين وهما الرآء كما تقدم والفآء (والقاف) الشعر المتذلل من القفا عن ابي حيان والقاف المستغني عن غيره عن الداودي (والكاف) الوكيل عن ابي حيان . والكاف الرجل الضعيف عن الداودي (واللام) جمع لامة وهي الدرع واللام الشجر الاخضر عن الداودي (والميم) ورق الشجر اول ما يبدو عن ابي حيان وعنه ايضًا انه البِرْسام وهو داء كالجنون ويقال له الموم . والميم من اسماء الخمرة عن الداودي . (والنون) تقدم لها اربعة معانٍ . (والهآء) اللهاة قاله ابو حيان . والهاء لطمة في خد الصبي قاله الداودي (والواو) الموت عن ابي حيان (واللام الف) شسع النعل عن ابي حيان والداودي معًا (والياء) حكاية الصوت عن ابي حيان . والياء الجانب عن الداودي .

واذا عرفت الاشتراك الواقع في لفظ الحرف وفي الفاظ اسماء الحروف عرفت معاني ما قاله الشعراء من التورية في اشعارهم مثل قول ابي العلاء

وحرف كنون تحت راء ولم يكن   بدالٍ يؤم الرسم غيرهُ النقطُ

لانه تقدم لك ان من معاني الحرف الناقة ومن معاني الدال السوق الرفيق ومن معاني

الرآء ضارب الرئة والمعنى على هذا ورب ناقةٍ كنون ممشوقة الجسم لأن ذلك اكثر لسيرها تحت رجل يضرب رئتها ولم يكن ذلك الراكب يسوقها برفق وهو من الابيات العجيبة التركيب والمعنى ومثلهُ قول الآخر

وفم يحاكي الميمَ الاَّ أنهُ كم حولهُ عين تحوم وصادي

مراده ان فم محبوبه يحاكي الميم في صِغَر تدويرها وكم حول تلك الميم عين وهي الجارحة وصادي وهو العطشان ويكون قولهُ وصادي من شبيه الاستخدام لان بذكرهِ تعين ارادة معنى عين الماء ويحتمل ان يكون هو عين الاستخدام بتقدير ضمير محذوف يعود الى لفظ العين وتقديرهُ صادٍ اليها كما حذفوا ذلك في قولهم فاعل ومفعول اي مفعول بهِ وكم مثل ذلك ومن ذلك قول الشاعر

ياعين آمالي اذا استجمعت اني الى مورد لقياك صاد

وهذا تمت لهُ التورية مع موافقة الاعراب ولابن حجة

اقلامه الفات للندى الفت وكم لهُ في بحار الجود نونات

والمراد بالنونات هنا جمع نون وهو الحوت اي ان بحار جودهِ ملئت بحيتان سائليهِ وذلك لان في ذلك البحر حياتها وفي مفارقتهِ مماتها ومنهُ قول الآخر

بمهجتي فارس في لامه الف من عينهِ يقتل الرائي بايماء

اراد باللام الدرع يعني في درعه قوام كالالف ولو قال (من عينهِ كم شهدنا مقتل الرائي) لتمت معهُ التورية لانهُ اراد ان يورّي بالراء ففاتهُ ذلك . والطف ما وجدتهُ في ذلك قول ابراهيم افندي السفرجلاني رحمهُ الله حيث يقول

افدي الذي قد توارى تحت برقعهِ جبينهُ كتواري العين [1] بالغين [2]

انشاهُ مبدعهُ كالبدر مكتملاً حسناً ووقَّاه شر العين [3] بالغين [4]

منعت من ثغره ماء الحياة وكم قد ردَّ قاصد هذي العين [5] بالغين [6]

وراع قلبي فمذ حاولت منهُ وفا أتى بتصحيف تلك العين بالغين

اي صحف لفظ راع فصار راغ من الروغان وهو الميل وهو مما يوصف بهِ الثعلب وحسبك من المشترك ما ذكرتهُ فان فيهِ الكفاية لمن ادركتهُ العناية (فائدة) اعلم ان من المشترك نوعًا تسميهِ اهل اللغة من اسماء الاضداد وهو ما يطلق بالاشتراك على الشيء

---

١ الشمس ٢ الغيم ٣ النفس ٤ غطاء القلب ٥ عين الحياة الجارية ٦ العطش

وضده مثل لفظ «القرء» فانه يطلق على الحيض والطهر وهما ضدان و(كالجون) بفتح الجيم فانه يطلق على الابيض والاسود و(كالتعزير) فانه يطلق على التعظيم والتحقير فمن الاول قوله تعالى وتعزروه وتوقروه و(كالوراء) فانه يطلق على الامام والخلف فمن اطلاقه على الامام حديث ان ورائكم فتنًا كقِطع الليل المظلم ومثل قوله تعالى (والليل اذا عسعس) اي اقبل وادبر ومثل (الخفاء) فانه الظهور والاستتار تقول خفي الشيء خفاء ظهر واستتر قاله في المصباح وقال بعضهم يجعل حرف الصلة فارقًا يعني بين معني الظهور والاستتار فيقول خفي له اذا ظهر وخفي عليه اذا استتر ومنه قولهم (ليلة غاضية) للمظلمة والنيرة ومنه (الصريم) لانه الليل والنهار (والامر الجَلَلُ) لانه العظيم والحقير (والناهل) فانه العطشان والريان (والمائل) لانه اللاطي بالارض والقائم ومنه (الاسرار) فانه يكون بمعنى الاخفاء والاعلان (وفوق) بمعنى دون ومنه بعوضة فما فوقها ومن ذلك في القاموس جملة (فائدة اخرى) قد تسمي العرب الشيء باسم ضده لسبب وهو انهم إما ان يلاحظوا بذلك ويقصدوا به انه جاوز حدهُ . والشيء اذا جاوز حده انعكس ضده . وذلك كتسميتهم الجارية المليحة قبيحة يشيرون انها قد جاوزت حد الملاحة فيكون ذلك في الباطن من باب المديح وان كان ظاهره من القبيح . وكتسميتهم النسيم عليلاً اشارة الى انه جاوز في الصحة حده وكتسميتهم الغراب اعور وذلك لانه جاوز حد الابصار حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض لكن دون رؤية الهدهد قال الشاعر

وقد ظلموه حين سموه سيدًا   كما ظلم الناسُ الغرابَ باعورا

واما ان يقصدوا بتسميته التفاؤل له بالخير وذلك كقولهم لمن لدغته الحية سليم مع انه هالك . وكقولهم للبرية والبيداء التي يطول فيها السير ويعدم فيها الماء او يقل مفازة مع انها مهلكة والمفازة من الفوز وهو النجاة . وكتسميتهم لجماعة المسافرين اذا ذهبوا للسفر قافلة مع ان القفول هو الرجوع والجماعة ذاهبون . كل ذلك من تفننهم في لغاتهم ولا يخطر لك انهم وضعوا المشترك لضيق مجالهم حتى جعلوا اللفظ الواحد لمعان كثيرة فقد تقدم لك عدة المستعمل من كلامهم ومَنْ هذا حاله . كيف يضيق مجاله . وانما فعلوا ذلك ليجمعوا المعاني الكثيرة . في الالفاظ اليسيرة . فيملكوا من البلاغة ناصيتها . ويبلغوا بذلك قاصيتها . لان حقيقة البلاغة بلوغ المعاني الجليلة . بالالفاظ القليلة . فجمعوا بمعانيهم الدقيقة . والفاظهم الرقيقة . بين البلاغة والفصاحة . كما جمعوا في ذواتهم بين الجمال والملاحه . وانت خبير بأنهم اهل البيان . والسابقون في حلبة ذلك الميدان .

ومن المشهوران البيان هو الاتيان بما يطابق مقتضى الحال والحال قد يختلف فتارة يكون مقتضاه الايجاز وتارة يكون الاطناب فجعلوا الالفاظ المشتركة للايجاز والالفاظ المترادفة للاطناب حرصًا منهم على حيازة البلاغه بتمامها وكمالها . وغيرةً منهم ان يرولي احدًا غيرهم من رجالها . وقد قدمنا بعض ما وصل الينا من كلامهم المشترك . وينبغي ان نتبعهُ ببعض المترادف الذي لا يحصي أو تحصى ازاهير الرياض ونجوم الفلك . فاقول

﴿ مطلب المترادف ﴾

الترادف هو ضد الاشتراك او عكسهُ وهو الفاظ متعددة بمعنى مفرد وقد افرده ائمة اللغة بالتأليف واجلّ ما أُلف فيهِ واعجب واغرب ما الفهُ صاحب القاموس وسماه بالروض المسلوف . فيما لهُ اسمان الى الوف . ذكر فيهِ لبعض الاشياء الف اسم ولبعضها أكثر من ذلك . فأول ما ابتدأ بهِ من المرادف ما كان في الانسان وما يخصهُ من اعضائهِ وحليتهِ وذلك لانهُ النتيجة الكبرى من مقدمات العالم . والمشرّف بقولهِ تعالى ولقد كرمنا بني آدم . والنوع الذي وُجد في افراده من خاطبهُ الحق بقوله لولاك لما خلقت سماء ولا ارضا . وانزل عليهِ قولهُ ولسوف يعطيك ربك فترضى . فاقول ان اعم لفظة وضعت لمعنى لفظة (الشيء) لان الشيءَ يطلق لغة على ما يصح الاخبار عنهُ فيشمل الموجود والمعدوم واما تخصيصهُ بالموجود عند الامام الاشعري فهو اصطلاحي لا لغوي وعلى الاول لا يرد على قولهِ تعالى انما امره اذا اراد شيئًا ان يقول لهُ كن فيكون بحث وذلك لان المعنى انما امره اذا اراد ايجاد معدوم قولهُ كن فيكون اي يوجد واما على قول الاشعري بأن الشيءَ هو الموجود فيرد البحث . وصورة البحث ان يقال اذا كان الشيءُ هو الموجود فكيف يريد ايجاد الموجود وهل ذلك الاّ تحصيلٌ للحاصل ويجاب بانهُ سمى المعدوم شيئًا باعتبار ما يؤُل اليهِ كما في قولهِ تعالى اني اراني اعصر خمرًا وذلك انهُ سمي ما يعصره العاصر من العنب خمرا لان مآلهُ الى الخمر . واخص من الشيء (العالَم) لانهُ كل موجود سوى الحق تعالى وسمي عالمًا لانهُ علامة على وجود خالقهِ تعالى كما قيل

فيا عجبًا كيف يعصي الالـــهُ ام كيف يجحده الجاحدُ
وفي كل شيءٍ لهُ آيةٌ تدل على انهُ واحدُ

ومن ذلك قول الآخر

ورَق الغصون اذا نظرت دفاتر مشحونة بأدلة التوحيدِ

وهذا نظر الابرار . المستدلين على المؤثر بالآثار . واما السادة المقربون فقد كشف لهم الغطاء . وضوعف لهم العطاء . حتى استدلوا بالحق على الخلق . وغرقوا في بحر الوحدة ولم يميلوا الى شاطئ الفرق . وذلك لان جوهر الوجود لا يقبل عندهم الانقسام باشارة قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . ولعمري ان مشربهم هو المشرب الصافي وشهودهم اتم شهود . وهل يصح في العقول ان يكون المعدوم دليلاً على الموجود

وليس يصحُّ في الافهام شيء اذا احتاج النهار الى دليل.

قال العارف الكاز راني تلميذ سيدي علي بن ميمون في رسالته التي سماها بزاد المساكين مَن عرف نفسهُ فقد عرف ربهُ ومن عرف ربهُ فقد عرف نفسهُ كما انك لا تعرفهُ الا بك كذلك لا تعرف نفسك الا به . ويرادف العالم في المعنى «الطمل» بفتح الطاء وبالميم الساكنة واللام لان معناه الخلق كما في القاموس ويرادفهُ ايضاً «الخلق» . والورى كالحصى كما في المصباح . «والذرة» كفلس ومعناه الخلق ومن ذلك حديث انهم ذرءُ النار اي خلقٌ خلقوا لها . و«نامية» الله معناها خلق الله ومنهُ حديث لا تمثلوا بنامية الله اي خلقهِ فعلم ان الخلق يعم كل موجود سواءٌ كان جسماً وهو ما يقوم بنفسهِ او عرضاً وهو ما يقوم بغيره . واخص من الخلق (الجسم) لانهُ خلاف العرض كما تقدم . واخص من الجسم (الحيوان) لان الجسم يعم من الخلق كل ما قام بنفسهِ حيوانًا كان او جمادًا والحيوان كل ما فيهِ حياة هذا عند اللغويين واما عند السادة الصوفية فكل موجود عندهم فيهِ الحياة بدليل وانْ من شيءٍ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم بيانهُ ان كل شيء لهُ نطق يسبح الله تعالى بهِ ولا يكون النطق الا من حي ولذلك قال ولكن لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون فنفي فقه تسبيح كل شيء ولم ينف سماعه الم تنظر الى سليمان عليهِ السلام حيث قال علِّمنا منطق الطير ولم يقل سمعنا منطقهُ لان المزية في الفقه لا في السماع . واخص من الحيوان لفظ (الدابة) لانهُ اسم موضوع لكل من دب على الارض ممن يعقل ومما لا يعقل . قال ابن خالويه الا الطير وقد استثناه في المصباح ايضاً (قلت) ويحتج من استثناه بقولهِ تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر الآية واجاب من قال بالعموم بقولهِ تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وبأن الطير يدب على الارض في بعض حالاتهِ وعليهِ فذكر الطير في الآية الاولى بعد ذكر الدابة من باب ذكر الخاص بعد العام كما في قولهِ تعالى وملئكتهِ وجبريل وميكال وقولهِ تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان

واخص من الدابة (الجسد) لانهٔ لايقال الا للحيوان العاقل من الانس والجن والملك كما قالهٔ في البارع قال واما قولهٔ تعالى فاخرج لهم عجلاً جسداً اي ذاجثة ففيهِ التشبيه بالعاقل واخص من الجسد (الانام) لان الانام هم الثقلان من الانس والجن فقط سميا بالثقلين لانهما يثقلان الارض .واخص من الانام (الذرية) لانها نسل الثقلين (فائدة) الذرية كما تطلق على الفرع فكذلك تطلق على الاصل دليله قولهٔ تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اي آبائهم واصولهم كما قالهٔ المناوي في شرح القاموس واختلف في اشتقاق الذرية فقيل من الذّر وهي صغار النمل وقيل من الذرء وتقدم انهٔ الخلق وعليهِ يكون خفف بحذف الهمزة (قلت) والاول عندي احسن لان اشتقاقهٔ منهٔ لايحوج الى ادعاء حذف الهمزة ولأنهٔ انسب للمشتق لان الذرّان لوحظ صغره ناسب الفروع او كثرتهٔ ناسب الفروع والاصول فتأمل ذلك منصفا .واخص من الذرية (البشر) لانهم الانس فقط و يطلق البشر على واحد الانسان وجمعهِ كما قالهٔ في المصباح قال وهو جمع بشرةٍ كقصب وقصبة والبشرة ظاهر الجلد واما باطنهٔ فيسمى بالأدَمة بالتحريك وقد ثنت العرب البشر ولم تجمعهُ وفي التنزيل قالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقال في القاموس وقد يجمع على ابشار قال والبشر ظاهر جلد الانسان قيل وغيرهِ جمع بشرة والابشار جمع الجمع وقال الراغب في مفرداتهِ البشرة ظاهر جلد الانسان والادمة باطنهٔ (قلت) وسمي الانسان بشرًا لظهور بشرتهِ دون سائر الحيوانات فانها تغطى بشرتها بالشعر او الوبر او الصوف .واخص من البشر وضعا (الناس) وذلك لان البشر يعم الواحد والجمع كما تقدم بخلاف الناس فانهٔ جمع لا يطلق حقيقةً الا على ما كان فوق الاثنين وقد يطلق على الواحد مجازًا كقولهِ تعالى ام يحسدون الناس فقد قال المفسرون ان المراد بالناس نبينا صلى الله عليهِ وسلم ومثلهٔ قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس فقد قالوا ان المراد بالناس ابراهيم الخليل عليه السلام ذكرهُ ابن خالويه في شرح الدريديه والناس اسم جمع لا واحد لهٔ من لفظهِ وانما واحده انسان وقد يطلق على الانس والجن لكن غلب اطلاقهٔ على الانس يدل على ذلك قولهٔ تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وذلك لان قولهٔ تعالى من الجنة بيان وتفسير للناس من قولهِ في صدور الناس فسمى الجن في الآية ناسًا كما سماهم رجالاً في قولهِ تعالى وانهٔ كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وعلى عمومه يكون اعمّ من البشر ومرادفًا للثقلين واختلف في اشتقاق الناس .قال الخفاجي في حاشيتهِ على البيضاوي ذهب سيبويهِ والجمهور الى ان اصلهٔ اناس

وهو جمع او اسم جمع لإنسان حذفت فاءه فوزنة عال ونقصة وإتمامه جائزان اذ انكر فاذا عرف بال فالاكثر نقصة ويجوز اتمامة واشتقاقة من الانس ضد الوحشة او من انس بمعي ظهر وعلم وذهب الكسائي الى انة اسم تام وعينة واو من ناس ينوس اذا تحرك بدليل تصغيره على نويس وقال سلمة بن عاصم كلٌّ من ناس واناس مادة مستقلة . قال السمين ومما يدل على اشتقاقهِ من الانس قول الشاعر .(وما سمي الانسان الا لأنسهِ) وذلك لانة انس بحواء اولانة انس بربهِ اه . وقال البيضاوي لانة انس بامثاله وقال غيره لأن روحهُ انست ببدنهِ وبدنة انس بروحهِ وقيل انة مشتق من نون وسين وياء وهي نسي ثم قلبت اللام الى موضع العين فصار نيس ثم قلبت الياء الفًا فصار ناس سمي بذلك لنسيانهِ كما قال الشاعر

فإنْ نسيتَ عهودًا منك سالفةً　　　فاعذر فأوّلُ ناسٍ اوّل الناس

اي آدم عليهِ السلام وفيهِ اشارة لقولهِ تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسيَ ووزنة على هذا فالع (قلت) ومما يرادف الناس النمَط كما في القاموس و«الدهماء» كما في الصحاح تقول ما ادري ايّ الدهماء هو اي ايّ الناس . والاناسي جمع انسي او انسان واصلة اناسين ابدلوا نونة ياء وادغموها في يائهِ كما قالوا ظرابي في ظرابين واقاحيّ في جمع الحوان وهذا الابدال غير لازم خلافًا لابن عصفور حيث ادّعى لزوم الابدال ومما يدل على عدم لزومهِ ووروده على اصلة في قول الشاعر (وبالاماسين ابدال الاناسين) (قلت) وفي لغة تبدل نون الانسان ياء فيقال فيهِ ايسان ويجمع على اياسين وعليهِ فيصح ان يكون الحق تعالى سمى بهذا الجمع نبية صلى الله عليهِ وسلم بعد حذف همزتهِ تخفيفًا في قوله تعالى يس والقرآن الحكيم تعظيما لهُ صلى الله عليهِ وسلم واشارة الى انهُ وان كان مفردًا فقد اجتمع فيهِ من المحاسن ما لايمكن وجوده الا في الجمع الكثير كقولهِ تعالى في حق الخليل عليهِ السلام ان ابراهيم كان امةً ويكون التقدير يامن هو الاياسين كلها لاشتمالهِ على جميع ما اشتملت عليهِ من المزايا وانفرادهِ بمزايا لم يشارك فيها والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فمن تعظيمهِ ان اكد الحق رسالتهُ بالقسم وبأن وباللام ردًا على من رماه بالشعر والسحر والكهانة والجنون وقد تقدم لك اطلاق الناس على نبينا صلى الله عليهِ وسلم في قولهِ تعالى ام يحسدون الناس . ومما يرادف الناس «البرساء» بالسين المهملة وبالشين المعجمة كما قالهُ صاحب القاموس في كتابهِ (تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين)
(فائدة) ذكر اصحاب التواريخ ان الياس احد اجداد نبينا صلى الله عليهِ وسلم كان لهُ

اخ يسمى بالناس بالنون (فائدة اخري) قد اتى لفظ اناس في شعر العرب غير منصرف قال الشاعر

وإلى ابن أُمّ اناسَ فارحل يافتى عمرو فتبلغ حاجتي او ترجف

واجاب عنهُ ابن خالويه بأن اناس في قول الشاعر اسم امرأة او قبيلة (قلت) واحسن ما قيل في تسمية الآدمي انساناً ما ذكره الحاتمي في فصوص الحكم وهو تشبيه بانسان العين وذلك ان الله تعالى خلق العالم بأسره على صورة العين في طبقاتها و بياضها وسوادها وما فيها واجفانها واهدابها وجعل الانسان انسان تلك العين الذي لولاه لما ابصرت شيئاً . «واعلم» ان الانسان يطلق على الذكر والانثى قال بعض اهل اللغة وانسانه بالهاء ليست عربية وفي القاموس ويقال للمرأة انسان وبالهاء عامية وسمع في شعر كأنهُ مولد

لقد كستني في الهوى ملابسَ الصب الغزِلْ

انسانة فتّانــــة بدر الدجى منها خجِلْ

اذا زنت عيني بهــا فبالدموع تغتسلْ

قال بعض المحققين قد اخطأ صاحب القاموس من وجهين الاول تشكيكهُ في قوله كأنهُ مولد وهو مشهور انهُ للثعالبي والثعالبي مولد والثاني عدوله عن الاستشهاد بكلام العرب الى كلام المولدين مع ورود ذلك فى كلام العرب قال الخفاجي في سوانحه وقد ورد عن العرب استعمال انسانة في اشعارها فمن ذلك قول بعضهم

انسانة تسقيك من انسانها خمرًا حلالاً مقلتاها عنبهْ

وقال ابو العميثل في كتاب ما اتفق لفظهُ واختلف معناه ان العرب استعملت ذلك وذكر شاهده وهو قول الشاعر

تَمْري بأنسانها انسان مقلتها انسانةٌ في سوادِ الليل عطبول

قولهُ تمري اي تستدرُّ كما يمري الحالب ضرع الشاة بانسانها اي بانملتها يعني انها اذا قامت من نومها تمرُّ انملتها على انسان مقلتها كما يفعل المستيقظ لاجل ان يفتح جفنيه . فان قيل قد ثبت بهذا النقل ان العرب قالت انسانة وقد تقدم ان الانسان يطلق على الذكر والانثى فما هذه التاء التي زادتها العرب للانثى قلت هذه التاء لتأكيد التأنيث لا للتأنيث نفسهِ . واخص من الناس (القوم) لاطلاق الناس على الرجال والنساء وتخصيص الرجال بالقوم قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء وقال الشاعر

وَمَا ادْرِي وَلَستُ اخالُ ادري أَقومٌ آلُ حصنٍ ام نساء

وخصت الرجال بالقوم لقيامهم بالعظائم والمهمات وقد تدخل النساء في القوم تبعاً لا وضعاً والقوم اسم جمع لا واحد له من لفظهِ وانما واحده رجل وجمعهُ اقوام ويقال قامت القوم وقام القوم بالتأنيث والتذكير قال تعالى وكذب بهِ قومك وقال كذبت قوم نوح المرسلين وكذلك كل جمع لا واحد له من لفظهِ كنسوة قال تعالى وقال نسوة في المدينة وكل جمع يفرق بينهُ وبين واحده بالتاء قال تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي قال النووي في كتاب تهذيب الاسماء واللغات عند ذكر النحل وقد انثها الله تعالى في قولهِ ان اتخذي قال الازهري وكذا يجوز في كل جمع ليس بينهُ وبين واحده الاّ التاء تذكيرهُ اي على اللفظ اي لفظ الجمع وتأنيثهُ اي على معناه اذ كل جمع مؤنث الا جمع المذكر السالم . وكما ان ذكور الرجال اختصت بالقوم فكذلك النساء اختصت بالزوائل فالزوائل هي النساء كما ذكره في القاموس ولم يذكر له واحداً وكذلك النسوة والنساء والنسوان كلها جموع لا واحد لها من لفظها بل واحدها امرأة (قلت) والذي يظهر ان اشتقاق هذه الجموع من النسأ وهو التأخير وذلك لتأخير النساء في الفضيلة عن الرجال او لتأخير خلقهن عن خلق الرجال ووجودهنّ عن وجودهم او لتأخرهن في طلب النكاح عن الرجال لغلبة الحياء عليهن مع غلبة الشهوة المشار اليها بخبر يتمنعن وهنّ الراغبات والهمزة في النساء منقلبة عن واو بدليل نسوة ونسوان . ومما يرادف القوم «الرهط» بسكون الهاء وفتحها والسكون افصح كما في المصباح قلت وكذا كل اسم ثلاثي وسطهُ حرف من حروف الحلق مثل بحر ونهر وشعر فانهُ يجوز فيهِ اللغتان اسكان وسطهِ وتحريكهُ والاسكان افصح للخفة قال في المصباح والرهط عشرة من الرجال ليس فيهم امرأة وقيل هو من سبعة الى عشرة وما دون السبعة الى الثلاثة نفر وقال ثعلب الرهط والنفر والقوم والمعشر والعشيرة معناهم الجمع ولا واحد لهم من لفظهم وهم للرجال دون النساء اه باختصار . ومفرد هذه الجموع كلها الانسان والمرء والرجل واعم هذه المفردات الانسان لانهُ يقال للذكر والانثى كما تقدم والمرء اخص منهُ لانهُ لا يقال الا للذكر من بني آدم ورأيت من العرب من استعملهُ في الذئب ولا ادري هل ذلك حقيقة او مجاز وهو بفتح الميم ويجوز ضمها كما في المصباح بل رأيت من ذكر أنهُ مثلث الميم فإن لم تأت فيهِ بال قلت امرءٌ وحينئذٍ يعرب من محلين وهما اولهُ وآخرهُ فيتبع اولهُ آخرَه تقول جاءَ امرؤٌ بضم اولهِ وآخره ورأيت امرءً بفتحها ومررت بامرئٍ بكسرها

و يقال للانثى امرأة وفيها لغة ثانية وهي مرأة مثل تمرة ولغة ثالثة وهي مرة كسنة وذلك بنقل حركة همزة مرأة الى الراء ذكره في المصباح وقال فيه ايضاً وربما قيل للمرأة امرء بغير هاء اعتماداً على قرينة تدل على انها انثى قال الكسائي سمعت امرأة من فصحاء العرب تقول انا امرء اريد الخير اه . والرجل الذكر من الانسان وجمعه رجال ويجمع قليلاً على رجلة كتمرة وقوله في الحديث فهو لأولى رجل ذكر انما وصفه بالذكورة للتاكيد ويجوز ان يكون صفة كاشفة كما في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه

مطلب اسماء الانسان

واعلم ان الجنين ولد الانسان مادام في الرحم سمي جنيناً لاجتنانه اي استتره في بطن امه ولذلك سمي زائل العقل مجنوناً لاستتار عقله وسميت الملائكة والجن جنا لاستتارهم عن اعيننا وسمي ما يلبس في الرأس عند الحرب مجنا لأنه يستر الرأس وسميت الجنة وهي الروضة جنة لاستتار ارضها بظل شجرها وجمع الجنين اجنة . قال تعالى واذ أنتم اجنة في بطون امهاتكم . فاذا خرج الجنين قيل له منفوس . فان خرج رأسه اولاً فاسمه . الوجيه او رجلاه فهو «اليتن» وهو مما يذم فاذا مر له من ولادته اسبوع قيل له صديغ . ويسمى مادام رضيعاً . بابوساً كما في القاموس ثم طفلاً حتى يميز ويسمى ايضاً . غلاماً . وحدثا . وشارخا . وصنبوراً . وصبياً . وحذوراً . وعوهباً . ودبداباً . ودحداحاً . وناشئاً . والطفل يكون للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وتجوز المطابقة فيقال طفل وطفلة واطفال ويقال لأم الطفل مُطفِل . ونفساء . ولا يزال يقال للطفل غلام الى ان يبلغ ويقال للانثى غلامه كما قاله في مجمع البحار كما يقال لها عوهبة كما قاله الهجري في نوادره . ويجمع الغلام في القلة على غلمة بالكسر على وزن قسمة وفي الكثرة على غلمان ويطلق الغلام على الكبير مجازاً باعتبار ما كان كما في قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم كما يقال للصغير شيخ اما للتفاؤل او باعتبار ما يؤل اليه امره ولا يزال الصبي حذوراً وصنبوراً وحدثا وعوهبا وشارخا ودبداباً ودحداحا وطفلاً حتى يشب ويخدم فاذا بلغ ذلك قيل له يافع . ويفعه . كقصبه ويقال ايفع الغلام فهو يافع ولم يأت من الرباعي له اسم فاعل وقد عد ذلك من غرائب الابنية لكن قال في المصباح ايفع الغلام ويفع فهو يافع فمن ليس له وقوف على ثلاثيه يقول انه من غريب الابنية قال في المغرب قال في التكملة ويقال غلام يفاع اه . فاذا قارب اليافع البلوغ قيل له . مراهق من راهق الغلام اذا قارب الاحتلام ويقال

الجارية اذا قاربت البلوغ . عاتق. كما نقله النووي في شرح مسلم عن ابن دريد وقال غيره العاتق هي البالغة حتى تعنس وهو طول مكثها في بيت اهلها بعد البلوغ بلا زواج وقد سئل بعض التابعين عن رجل تزوج بكرًا فاذا هي لاعذرة لها فقال ان العذرة يذهبها التعنيس والحيضة فاذا احتلم المراهق قيل له بالغ . ومحتلم . ورجل . وشاب . فاذا طرّ شاربه قيل له (الطارّ) والطرير فان حان وقت زواجه ولم يتزوج فهو العانس. وهو ما بين خمس عشرة الى خمس وعشرين (فَمَدّ) ثم منها الى الثلاثين (عنطنط) و يوصف بالشباب والفتوة الى بلوغ الثلاثين فاذا بلغها فهو (صَمَلّ) ولا يزال صملاً حتى يبلغ الاربعين فاذا بلغها فهو (كهل) ولا يزال كهلاً حتى يبلغ الخمسين فاذا بلغها وقال بعضهم ان زادت سنةً فهو (شيخ) ولا يزال شيخًا حتى يبلغ الثمانين فاذا بلغها فهو (الهِمّ) والهرم فان قصرت خطاه في المشي فهو (الدالف) وان صار يخبط في حديثه فهو (الخرف) ثم يخرج من الدنيا كما خرج من بطن امه . مصاحبًا لما اسلفه من العمل الجالب لسروره او غمه. فانما كفه التي كان قابضها عند الولاده. اشارة الى انه لم يأخذ من الدنيا شيئًا مما جمعهُ فيها واستفاده . كما قيل

وفي قبض كف الطفل عند ولاده دليل على الحرص المركب في الحيّ
وفي بسطها عند الممات اشارةٌ تقول انظروا اني خرجت بلا شيّ

ولله در من قال

وما اشبه الحمام بالدهر لامرئ تبصّر لكن اين من يتبصرُ
يجرّد عن اثوابه ولباسه ويبقى له من كل ذلك مئزرُ

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا ان نصيب المرء من الدنيا هو الكفن الذي يصحبهُ منها الى قبره فتبًّا للحياة اولها ضعف وآخرها زوال . واوسطها تعب ومقاساة اهوال . كما قال ابو العلاء

وكالنار الحياة فمن رمادٍ اواخرها واولها دخان

وقال ابن النبيه

والعمر كالكأس تستحلى اوائله لكنهُ ربما مجت اواخرهُ

وقال آخر

لذة العمر صحة وشبابٌ فاذا وليا عن المرء ولّى

﴿مطلب في أسماء الموت﴾

وحيث ذكرنا مبدأ الانسان ومنتهاه . ناسب ذكر الموت الذي لا يخطئه ولا يتعداه فمن اسمائه . الهُمود . والهامد . والهَميد . كما في مختصر العين . ومن اسمائه الحِمام بالكسر . والمنون . والمنية . وشعوب بفتح الشين . والنيط . والرمْد . والمُوتان بالضم وبفتحتين . والمُوات . وامّ قشعم . والفوْد . والفوز . تقول فوّز الرجل اذا مات . والردى . والميت . والجدبد . والخُزاع . والجحاف بضم اولها . والاصيل . والطُّلاطِل كعلابط . وجباذ كقطام . والهميع الموت الوحيّ . والسام . واصدق اسمائه ما ورد في الحديث وهو هادم اللذات بالدال المهملة من الهدم او بالذال المعجمة من الهذم وهو القطع لانه يهدم اركان اللذات . ويقطع اعناق الشهوات . وهذه خمسة وعشرون اسما من اسمائه ومن اسمائه ايضًا الفيْضُ . وحياض غنيم كزبير . والناثمة كما في القاموس والحَين . والثكل بالضم . والوفاة . والالّ بالكسر وتشديد اللام . ومن اسمائه . جذاب كقطام لانه يجذب النفوس كما في القاموس ومن اسماء الموت ايضًا هندُ الاحامس تقول لقي فلان هند الاحامس اي الموت ذكره الميداني ولم يزد على ذلك . قال ومن اسمائه السواف بالفتح قاله ابو عمرو . وقال الاصمعي هو بالضم . قال الميداني وحلاق اسم المنية لانها تحلق الاحياء كما يحلق الشعر . وقال الشهاب الخفاجي في سوانحه قال ابن خالويه الموت الاحمر بالسيف والموت الاسود فجأةً . والموت الابيض الموت بالغرق . وقالت الحكماء الغرق هو الموت الاحمر . (فائدة) في فتاوي الحافظ العراقي انه سئل عن تسمية ملك الموت عزرائيل هل له اصل فاجاب ان تسميته لم ترد في حديث مرفوع وان اشتهر بين الناس وذكره بعض المفسرين وانما ورد في الاسرائيليات وقد قال حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج

﴿مطلب في اسماء القبر﴾

ومن اسماء القبر الحفرة . والحفيرة . والحفير . والديماس . كما قاله في الاساس . وفيه ايضًا الديماس السجن . (قلت) والديماس ايضًا الحمّام . ومنه حديث المعراج في صفة عيسى بن مريم عليه السلام كأنما خرج من ديماس . والديماس قرية مشهورة بينها وبين دمشق مرحلة ومن اسماء القبر . الرمس . والرجَمُ بالتحريك . والضريح . واللحد . والجننُ بالتحريك . والجُثال كغراب . والجدْل . والأدم بالتحريك كما قاله

النووي في كتاب الاشارات . لما في المنهاج من اللغات . والنيْطل ذكر الاخير في مجمع البحار . ومن اسمائهِ الصوى وفي الحديث فيخرجون من الاصواء اي القبور ومن اسمائهِ الجدث بالتحريك . ومن اسمائهِ الرسُّ ومنها غير ذلك

﴿مطلب في حلى الانسان﴾

وحيث ذكرنا ما تقدم فينبغي ان نذكر من حلية الانسان . ما يفتح بهِ الفتاح المنان . قال الراغب الزينة ثلاثة انواع زينة نفسية كالعلم والاعتقاد الحسن . وبدنية كالقوة وطول القامة . وخارجية كالمال والجاه اه . واول ما نبتديء به منها ﴿ العقل ﴾ الذي هو سبب لكل كمال في الانسان وفضل . فأقول قد علم مما قدمناه ان اشرف الحيوان من العالَم العاقل منهُ والعاقل منهُ ثلاثة انواع الملائكة والانس والجن وانما كان شرف هولاء على غيرهم من الحيوان بالعقل وانما فضَّل الله تعالى الآدمي على الملائكة والجن مع مساواتهما لهُ في العقل لانهُ خلق في الملائكة عقلاً بلا شهوة وخلق في الجن عقلاً وشهوة وخلق في الحيوان شهوة بلا عقل فلما غلب عقل الآدمي شهوتهُ استحق الشرف على غيره وذلك لان الملائكة لاشهوة لهم كما تقدم والجن غلبت شهواتهم عقولهم فمن غلبت شهوتهُ على عقله من الانسان . خرج من دائرة الانسانية الى دائرة الجن والحيوان . ومن غلب عقلهُ على شهوته كان افضل من الملَك وذلك لجهاده شهوته وقهره لها وذلك افضل الجهاد واكبر . كما ورد في الحديث حين عاد من غزوةٍ رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر . وهذه المزية ليست في الملَك فبذلك فضلهُ الانسان الكامل (واعلم) ان نعم الله تعالى على الانسان لاتحيط بها الافهام . ولا تحصرها الاقلام . ولا تدخل تحت عدٍ ولا انحصار . وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار . وكيف تحصى نعم الله على الانسان . وقد سخر لهُ ما في السماوات والارض من ملكٍ وفلكٍ وجماد ونباتٍ وحيوان . بدليل قولهِ تعالى في بعض كتبهِ المنزلة ابن آدم خلقت الاشياء كلها لأجلك وخلقتك لأجلي وقال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فكيف تحصى تلك النعم لكن اجلّها واعظمها العقل . الذي هو سبب لوجود كل كمال في الانسان وفضل لان الانسان يعقل بهِ لسانهُ ونفسهُ عن كل شر . كما يعقل بهِ من مولاه عزَّ وجلَّ كلَّ نهي وامر . ولذا قال بعض البلغاء

مـا وهب الله لامرء هبةً　　أحسن من عقلهِ ومن أدبه

هما جمال الفتى فإن فقدا　　ففقدهُ للحياة أجمل به

وقال بعض الحكماء اذا اراد الله أن ينزع من عبدهِ النعم فأوّل ماينزع منهُ عقلهُ وقريب من هذا حديث اذا اراد الله انفاذ قضائهِ وقدَرهِ سلب ذوي العقول عقولهم حتي ينفذ فيهم قضاؤه وقدره فاذا مضى امره رد اليهم عقولهم ووقعت الندامة . وفي معناه قال الشاعر

اذا ارادَ الله امرًا بامرءٍ　　وكان ذا عقلٍ وسمعٍ وبصرْ

اصمَّ أذنيهِ وأعمى قلبهُ　　وسلَّ منهُ عقلهُ سل الشَعرَ

حتى اذا انفذَ فيهِ حكمهُ　　ردَّ عليهِ عقلـــهُ كي يعتبرْ

فلاتقلْ لماجرى كيفَ جرى　　فكلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدَرْ

(قلت) ودليل ذلك انهُ اذا ردَّ عليهِ عقلهُ يحصل لهُ الندم على ما فرط منهُ كما ورد في الحديث . وقال بعض الحكماء من كل مفقود عوض الا العقل . وقال آخر العقل التام لايُنال با لقوة الناقصة. وقال افلاطون صديق كل امرءٍ عقلهُ وعدوهِ جهلهُ. وقال غيره العقل اذا فسد كالجوهر اذا انكسر . وقال آخر اذا تم العقل نقص الكلام . وقال آخر الجاهل عدوّ نفسهِ فكيف يكون صديق غيرهِ وقالوا محادثتك من لا يعقل بمثابة وضع المائدة لاهل القبور وقال ابو الطيب

ومن البلية عذل من لا يرعوي　　عن غيهِ وخطاب من لا يفهم

وقد حكي ان امرأة وصفت بالجمال عند هند بنت المهلب فقالت هند ما تحلت النساء بحلية احسن من لُبٍ ظاهر تحتهُ ادب كامن . وقالوا لا يضبط الكثير من لا يضبط نفسهُ وهي واحدة . وعن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ حسَب المؤمن دينهُ ومروّتهُ وخلقهُ واصلهُ عقلهُ . وقال علي لابنهِ الحسن رضي الله عنهما يابني احفظ عني اربعا واربعا لا يضرك ما عملت بعدها. أغنى الغنى العقل. واكبر الفقر الحمق. واوحش الوحشة العجب. واكرم الحسب حسن الخلق. فقال يا ابت هذه اربعة فاعطني الاربع الأخر. فقال اياك ومصادقة الكذاب فانهُ يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب . واياك ومصادقة الاحمق فانهُ يريد ان ينفعك فيضرك . واياك ومصادقة البخيل فانهُ يقعد عنك احوج ما تكون اليهِ . واياك ومصادقة الفاجر فانهُ يبيعك بالتافهِ . وسألَ قيصرُ ملك الروم قس بن ساعدة ما افضل العقل . فقال معرفة المرء بنفسهِ . (قلت) ولذا قيل من سعادة جدك . وقوفك عند حدك . وفي الحديث رأس العقل بعد الايمان بالله تعالى

مداراة الناس ذكره الامير اسامة بن مسقذ في كتابه لباب الاداب واختلف في حد العقل وما هيته ومحله وزمان تمامه وفي المفاضلة بينه وبين العلم والاصح في حده انه التدبر من قولك عقلت الشيء اذا تدبرته ثم اطلق المصدر وهو التدبر على الحجا واللب كما ذكره السحيمي في شرح الهدهدي لمقدمة السنوسي في التوحيد قال والاصح في ماهيته انه عرض وهو نور يجعله الله تعالى في القلب فتتيسر به النفس لادراك العلوم الضرورية والنظرية والاصح ان محله القلب خلافاً لمن قال انه في الرأس مستدلاً على فساده بفساد الرأس والدماغ واجيب بأن صحة الدماغ شرط لصحة العقل ولا يلزم من ذلك ان يكون فيه والاصح ان تمامه سن البلوغ لاسن الاربعين والاصح انه افضل من العلم واختاره ابن حجر وان كان وسيلة للعلم واما وصف الباري تعالى بالعلم دون العقل فهي مزية في العلم والمزايا لاتقتضي التفضيل الم تر ان بعض احجار الكحل فيه مزية للعين ليست في الذهب لكن تلك المزية لاتقتضي تفضيله على الذهب فقد يوجد في المفضول ما لايوجد في الفاضل . قال السحيمي في شرحه المذكور والعقل خمسة اقسام . اولها العقل الهيولي نسبة الى الهيولى وهي الطينة التي خلق منها آدم عليه السلام وهذا القسم موجود في الطفل الصغير . والثاني الغريزي ويعرّف بانه صفة مغروزة في النفس يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الالات اي صفة يحصل لصاحبها معرفة الاشياء قهرًا عند سلامة حواسه الخمس وهذا لا يزيله الاّ الجنون . والثالث عقل تمييزي ويقال له ملكي نسبة الى الملكة التي يميز بها صاحبه الاشياء لكن لايقدر صاحبه على التعبير بمقصوده ويقال له عقل وهبي ومناط التكليف وانما قيل له تمييزي لان صاحبه يميز بين الحسن والقبيح وهذا يزيله نحو الاغماء والسكر . والرابع العقل الفعال وهو ان يكون عند صاحبه ملكة يقتدر بها على التعبير بمقصوده . والخامس العقل الكسبي وهو ما يكتسبه الشخص من العقل بسبب تجاربه الدهر اي ما يحسن به نظر الانسان ويقال له عقل نظري ومستنبط وتجريبي واما العقول العشرة التي تقول بها الفلاسفة فكفر لان فيها اعتقاد التأثير لغير الله تعالى اه . (قلت) وقد رأيت علي بن ابي طالب رضي الله عنه قسم العقل قسمين مطبوع ومسموع وجعل وجود الأول شرطًا لوجود الثاني وذلك في قوله

وجدت العقل عقلين فمطبوعٌ ومسموعُ
ولا ينفع مسموعٌ اذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفع الشمسُ ونور العين ممنوعُ

وبهِ يعلم ان العقل كما يطلق على القوة المهيئة لاكتساب العلوم كذلك يطلق على العلوم المكتسبة بتلك القوة وحديث ما خلق الله خلقاً اكرم عليهِ من العقل يشير الى الاول وحديث ما كسب احد شيئاً افضل من عقل يهديهِ الى هدى او يمنعهُ من ردى يشير الى الثاني. وسمي العقل عقلاً لانهُ يعقل صاحبهُ عن اتيان ما لا ينبغي . ولهُ اسمآء اذكر منها هنا ما تيسر فمن اسمائهِ (الحجر) . قال تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر وسمي حجراً لأنه يحجر صاحبهُ عن الرذائل والمهالك ومن اسمائهِ (الحلم) وجمعهُ احلام ومنهُ حديث لِيليني منكم اولوا الاحلام والنهى ومن اسمائهِ (النهية) وجمعهُ نهى ومنهُ قولهُ تعالى ان في ذلك لايات لاولى النهى وسمي نهية لانهُ ينهى صاحبهُ عما لا يليق . قال الواحدي والوصف من النهية نهيٌ اي كفعيل ونهٍ كشجٍ . قال والنهى يصح ان يكون مفرداً كالهدى وجمعاً كالمدى والنهى بالفتح والكسر اصلهُ المحل الذي ينتهي اليهِ المآء فيستنقع فيهِ والنهى ايضاً معناه الحبس فيرجع القولان في اشتقاق النهية الى قول واحد وهو الحبس لانها تحبس صاحبها عن القبائح ومن اسمائهِ (اللُّب) وجمعهُ ألباب . قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب وقيل اللب هو خالص العقل ولذلك سمي لبّاً لان لبّ كل شيء خالصه وهذه حكمة اقتصار الحق تعالى على آيتين من آياتهِ الكثيرة في قولهِ تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السمآء من مآء فأحيا بهِ الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السمآء والارض لايات لقوم يعقلون لما ختمها بقولهِ يعقلون وذلك اشارة الى ان اللبيب يكفيهِ اقل تنبيه والعاقل يحتاج الى تنبيهات كثيرة وهذه من دقائق بلاغة القرآن العظيم . قال الشيخ خالد رحمهُ الله في شرح الاجرومية او الازهرية اللبيب يفهم بالمثال الواحد . ما لا يفهمهُ الغبي بالف شاهد (قلت) ولذلك اشار الله تعالى لنبيهِ صلى الله عليهِ وسلم بالاحرف المقطعة في اوائل السور كالم . وكهيعص . وحم . وص . وق . ون . لعلمهِ تعالى بوفور لبه وذكاء قلبهِ ومن اسمائهِ (الإرْب) بالكسر ومنهُ سمي الاريب اريباً ومن اسمائهِ (الكيس) بالفتح والتسكين وصاحبهُ كيس بفتح الكاف وتشديد الياء ومنهُ حديث الكيِّسُ من دانَ نفسهُ وعمل لما بعد الموت ومن اسمائهِ (الحزم) ذكره وما قبلهُ في القاموس وصاحبهُ حازم ومن اسمائهِ (الروبة) سمي بذلك تشبيهاً بروبة اللبن ومن اسمائهِ (الزّبر) كالجبر سمي بذلك لانهُ يزبر صاحبهُ ومن اسمائهِ (الحَصَاةُ) ومنها (الاحور) وشاهد ذلك قول الشاعر

جلبن عليك الشوق من كل مجلب　　بعيد ولم يتركن للمرء احورا

قال في الاساس سمي احورَ كانهم شبهوه بالطرف الاحور في الصفاء وشدة البياض ومن غريب اسمائهِ (الجوْل) كالغول يقال ما لهُ جول ولا معقول قال في الاساس واصل الجول جانب البئر اه فكانهم شبهوا من لا عقل لهُ بالبئر لا جول فيها فهي لا تمسك الماء ولا ينتفع بها ومنها (الهرْمان) بضم الهاء كما في القاموس . ومنها (الحجر) كالقطر . و(الصيّور) كسفود ومنها (الفقفوق) بالضم كما في القاموس فهذه ستة عشر اسماً (والحجا) سابع عشرها قال في مجمع البحار ويقولون (لا طباخ لهُ) اي لا عقل لهُ وهو بفتح الطاء واصلهُ القوة والسمن ثم استعملوه في العقل اه وهذا ثامن عشرها (واعلم) ان آفات العقل كثيرة لكن الذي يزيلهُ هو الجنون والذي يصدئهُ هو الهوى قال الشاعر

مرآتك العقل كلَّ وقت　　تريك من نفسك الخفايا

فلا تمكن هواك منها　　ان الهوى يصدأُ المرايا

والذي يغمرهُ الاغماء والذي يستره السكر والنوم والذي يقهرهُ الغضب والذي يخالفهُ الحمق والسكرات التى تعتري العقل خمس جمعها الشاعر في قولهِ

سكراتٌ خمسٌ اذا آبتلي المرْ　　ءُ بها صار خُلسةً للزمان

سكرة المال والشبيبة والحـ　　ـبِّ وسكر المدام والسلطان

واعلم ان العقل المكتسب اذا زاد وافرط سمي دَهاء والدهاء هو المكر وهو صرف الغير عما يقصدهُ بحيلة ومكر والمكر كما قال الراغب في مفرداتهِ ينقسم الى نوعين محمود ومذموم فالاول ان يتحرى به فعل جميل . والثانى ان يتحرى بهِ فعل قبيح ومن الاول والله خير الماكرين ومن الثاني ولا يحيق المكر السيء الا بأهلهِ (قلت) وفي وصف المكر في الآية الثانية بالسيء ما يقتضي ان هناك مكراً حسناً واذا علمت ذلك علمت ان قوله تعالى ومكروا ومكر الله انهُ ليس للمشاكلة بل هو حقيقة * والاولق . والخولع . الجنون ومثلها اللمم * وزايل العقل يقال لهُ المجنون . والمحنون . بالحاء المهملة ايضاً من الحن وهو نوع من الجن كما ذكرهُ فى الاساس ومثلهُ المأفون . والمعنون . والمهروع . والمخفوع والمعتوهُ . والمتوهُ . والأيْهم . والمُبرسَمُ . والممسوس . والاهوج . قال الاكبري في شرح المقامات الهوج الجنون . اه . والبُوهة . والمهيِّلُ . قالهُ الهجري في نوادرهِ * والأهوَس من عندهُ طرف من الجنون * والمسبوه . والمسبَّه زايل العقل من الهرم ومثلهُ التفنيد والفند . ومنهُ قولهُ تعالى حكاية منهُ عن يعقوب لولا ان تفندون . * والمهتَر فاقد

العقل من الكبر كما في مختصر العين * والوالهة والمولهة زائل العقل من الحب فهذه عشرون اسماً واما الاحمق فهو الانوك . والاعفك . ذكر الثاني الهجري في نوادره وهو الاخرق . والمائق . والخطل . والخناب . والطهيلة والهفات والمهبوت . بتقديم الهاء على الباء . والهبيت . والهبنك . والطخية . والخوخاة والمضاغة . والرديغ والفاق . والملغ . وتسميه اهل الكوفة دُرَينة . واهل البصرة دُغينة تصغير دغة وهي امرأة حمقاء ضربت العرب بحمقها المثل كما ضربوا بحمق هبنقة وهو رجل من الاعراب

﴿ مطلب في القلب واسمائهِ ﴾

وحيث ذكرنا العقل ناسب ان نذكر محله وقد تقدم لك ان القلب هو محله على الاصح (واعلم) انهُ ما عظم القلب وكان رئيس الاعضاء وملكها الاعظم الا بحيازته نور العقل الذي ألبسهُ تاجاً . واتخذهُ في ظلمات الطبيعة سراجاً . وانما سمي القلب قلباً لكثرة تقلبهِ كما قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيهِ ولا القلب الا انهُ يتقلبُ

وفي الحديث ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء والمراد بالاصبعين قدرتهُ تعالى وارادتهُ وقيل انما سمي قلباً لانهُ معلق في عرق الوتين مقلوباً لانهُ شكل صنوبري رأسهُ الى اسفل وعجزهُ الى اعلى ومحلهُ اعلى الصدر من الانسان مائلاً قليلاً الى الجهة اليسرى . فمن اسمائهِ (الجَنان) كسحاب (والرُّوع) كالبوع . والبال والفؤاد . والبِرّ . كما قالهُ ابن خالويه في شرح الدريديه و (الخلد) بالتحريك و (الجَيب) قال في القاموس وهو ناصح الجيب اي القلب والصدر فهذه سبعة اسماء والنجيع والمهجة دم القلب * والنياط . والوتين العرق الذي هو علاقة القلب فاذا انقطع مات صاحبهُ قال تعالى ثم لقطعنا منهُ الوتين * والشغاف حجاب القلب الحائل بينهُ وبين حرارة الكبد واذا تمكن حب شخص من آخر وصل الى ذلك الشغاف فيقال قد شغف فلانٌ فلاناً حباً قال تعالى قد شغفها حباً اي وصل حبهُ الى شغاف قلبها * واللفافة شحمة ملتفة على القلب * والطخاء كسحاب هو ما يعلو القلب كالغيم الرقيق او كالدخان من الغم والكرب وفي الحديث عليكم بالسفرجل فانهُ يذهب بطخاء القلب ويسمى الطهاء * والرَّين ما ينشأ عن ذنوب الشخص فيكون لمرآة القلب مثل الصدا للمرايا ولا يزال ينمو ويزيد الى ان ينطمس بهِ القلب الا ان

يتداركه العبد بالتوبة والا طبع عليه نعوذ بالله من ذلك قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقد تقدم ان العقل عرض وانه نور (فاقول) ان ذلك النور هو انعكاس نور الروح او انه مثالها انطبع في مرآة القلب وذلك باشارة آية مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم . فالمصباح اشارة الى جسد المؤمن لان حقيقة المشكاة ما توضع فيه الفتيلة من السراج او القنديل . والمصباح هو نور الروح والزجاجة قلبه شبهه الله تعالى في حسنه وبهائه . ولطفه وصفائه . بالكوكب الدري المتوقد من الشجرة المباركة المشبهة بالزيتونة التي لا شرقية فتشرق فترى ولا غربية تغيب فلا ترى بل جمعت بين الظهور والخفاء . وهي الروح ذات البهجة والصفاء او المراد انها غير متحيزة كما ذهب اليه السادة الصوفية من كونها جوهرا اولا شرقية اي لا نصرانية ولا غربية اي ولا يهودية بل هي احمدية محمدية منسوبة الى ابي الارواح الزكية ثم وصف زيتها وهو مددها الالهي الذي تمتد به مصابيح القلوب بانه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ثم قال نور على نور اي نور هذه الروح على نور مصباح القلب ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء . وذلك ان المرء من يهتدي بنور قلبه الى نور روحه و نور روحه الى نور سبوحه وذلك هو النور الحقيقي لان النور الحقيقي كما قاله حجة الاسلام هو ما كان منيرا بذاته منيرا لغيره واما ما كان منيرا لغيره كالشمس التي خلق الله فيها النور والقمر المنير بغيره وهو الشمس فيقال له نور على سبيل المجاز

﴿ مطلب في الروح ﴾

(واعلم) ان الروح في اللغة هي النفس كما نقله في المصباح عن ابن الانباري وابن الاعرابي غير ان العرب تذكر الروح وتؤنث النفس ونقل فيه عن صاحب المحكم والجوهري ان الروح تذكر وتؤنث وكأن تانيثها على ارادة معنى النفس اه . واما الروح عند الاطباء فهي ثلاثة اقسام طبيعية . وحيوانية . ونفسانية . ولم يتعرضوا في كتب طبهم الى تعريف الروح الانسانية كما قاله الرئيس ابن سينا انما تكلموا على تلك الارواح الثلاثة والكل عندهم عبارة عن بخار لطيف تولد عن لطف الاخلاط المحمودة ليحمل القوى التي يكون بها تدبير بدن الانسان فما نفذ من ذلك البخار من الكبد في الاوردة حاملاً لقوى الطبيعة

الى سائر الاعضاء المتصلة بهِ يسمى روحًا طبيعيًا وما نفذ في القلب من الشرايين حاملاً للقوى الحيوانية الى سائر الاعضاء المتصلة بها يسمى روحًا حيوانيًا وما نفذ من الدماغ في الاعضاء بواسطة النخاع او بلا واسطة حاملاً للقوى النفسانية الى سائر الاعضاء الحساسة المتحركة بالارادة يسمى روحًا نفسانيًا هذا ما قالتهُ الاطباء . واما الروح عند اهل السنة فهي التي أُمرنا بالامساك عن الخوض فيها وهي المعبر عنها بالنفس الناطقة وبعض اهل السنة تكلم في ما هيتها واجاب عن قولهِ تعالى قل الروح من امر ربي باجوبة . منها ان منع الله نبيَّه صلى الله عليهِ وسلم بالامساك عن التكلم فيها لاجل اثبات نبوتهِ عند السائلين لانهم كانوا يرون في كتبهم ان من علامة نبي آخر الزمان انهُ يُسأَل عن الروح فلا يجيب عنها ثم اختلف المتكلمون في ما هيتها فقال جمهورهم انها جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال آخرون انها عرض وقال السادة الصوفية انها جوهر مجرد قائم بنفسهِ غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيهِ ولا خارج عنهُ . (قلت) وقد نصر هذا القول صاحب المصباح قال ويشهد لهُ قوله تعالى بل احياءٌ عند ربهم يرزقون فالمراد هذه الارواح اه . اي انها لو كانت جسماً لفنيت او عرضًا لزالت فثبت انها جوهر ا فان قلت) ان قولهم قائمة بذاتها غير متحيزة غير داخلة في الجسم ولا خارجة عنهُ كلها صفات تشترك بها مع ذات الحق تعالى فما ابقيت من التميز لذاتهِ تعالى (فالجواب) انهُ يكفي في التميز كون الروح حادثة وكونه يعبر عنها بالجوهر والجوهر من اقسام الحوادث لان الحوادث كلها اما جسم او جوهر او عرض وحسبك ذلك تميزًا

﴿مطلب في النفس﴾

وقد تقدم لك ان العرب تسوي بين الروح والنفس واما السادة الصوفية فعندهم النفس غير الروح وهي عندهم عبارة عن متولد يتولد من امتزاج الروح بالبدن كما يتولد من امتزاج الماء بالخمر لون وطعم غير لون الماء والخمر وطعمها ثم هذا المتولد إن غلب عليهِ صفات الجسم الارضية اخلد الى الارض واتَّبع هواه . وإن غلبت عليهِ صفات الروح الملكية طار باجنحة الاشواق الى سدرة منتهاه (واعلم) ان صفات النفس سبع وهي نفس واحدة والتعدد انما هو لصفاتها فيقال لها امارة . ولوّامة . وملهمه . ومطمئنة . وراضية . ومَرضيّة . وكاملة . ولكلٍ من هذه النفوس السبع نور يخصهُ فنور الامّارة ازرق ونور اللوامة اصفر ونور الملهمة احمر ونور

المطمئنة أبيض ونور الراضية اخضر ونور المرضية اسود ونور الكاملة عدم النور . قال بعض العارفين ليس للمؤمن نفس لان الله تعالى اشترى من المؤمنين انفسهم (قلت) ومراده بالمؤمن الكامل الايمان . قلت وانا اقول ان العرب كالصوفية عندهم الروح غير النفس ودليلي على ذلك نقل علماء اللغة ان من اسماء النفس عندهم الكذوب قالوا وسموها كذوبًا لانها تقرب لصاحبها من الاماني ما لا ينالة وانت خبير بان هذا ليس من صفات الروح فثبت بهِ عندهم ان الروح مغايرة للنفس وانهم تارة يطلقون النفس و يريدون بها الروح وتارة يطلقونها ويريدون غيرها . ومن اسماء النفس عندهم (القرونة) (والقرينة) (والجرشّي) بكسر الجيم والراء وتشديد الشين المعجمة والقصر . ومن اسمائها (الازار) ومنهُ قول بعض الانصار لنبينا صلى الله عليهِ وسلم نمنعك مما نمنع منهُ ازُرنا اي نفوسنا ومن اسمائها (العيْن) (والنسمة) بالتحريك (والمهجة) كما قالهُ في مختصر العين وقد تقدم انها (الكذوب) ومن اسمائها «الهرم» كفرح قال في العباب يقال انك لاتدري على مَ ينزأ هرمك اي نفسك وعقلك ومن اسمائها (المُشَاش) ومن اسمائها « الجاش » ومن اسمائها (القتال) كسحاب قالهُ في مختصر العين ومن اسمائها (الحوُب) الضم (والحوْبا) بالفتح كما في القاموس ومن اسمائها (القشب)بكسراوله وسكون ثانيهِ ومنها (العربة) بالتحريك كما في القاموس فهذه ستة عشر اسما النفس ومن اسمائها (النَّقيبة) كما في القاموس تقول فلان ميمون النقيبه اي مبارك النفس ومن اسمائها (النَّكيثة) ومنها (البوح)كنوح يقال ابنك ابن بوُحك يشرب من صبوحك ومن اسمائها (الدَّرُّ)ومنهُ قولهم لله دَرُّهُ اي ما اعجبَ نفسهُ واعظمها ويصح ان يكون المراد بقولهم لله دره التعجب من الدر الذي شربهُ من امهِ فربّى مثلهُ ومن اسمائها (السبحان) ومنهُ قولهُ انت اعلم بما في سبحانك فهذه واحد وعشرون اسمًا للنفس

﴿ مطلب في الادب ﴾

وقد قدمنا من حلية الانسان العقل الذي هو منبع كل حلية وزينة . والبحر الذي تظهر منهُ درر الصفات الثمينة . فمن اجلّ ما ينشأ عن العقل من الصفات . صفة الادب . التي هي لخير الدنيا والآخرة اقوى سبب . قالت الحكماء لاأدب الا بعقل ولا عقل الا بأدب فهما كالنفس والبدن فالبدن بغير نفس جثة لاحراك لها . والنفس بغير بدن قوة لاظهور لفعلها . فاذا اجتمعا وتركبا نهضا وفعلا وقال بعضهم الادب

خير ميراث وزينة النفس وقالوا من كثر ادبهُ شرف وان كان وضيعاً وساد وان كان غريباً وكثرت اليهِ الحاجة وان كان فقيراً . وقال ارسطاطاليس الادب يزين غنى الغنيّ ويستر فقر الفقير وقال بقراط العقول مواهب . والآداب مكاسب . وقال رجل من قيس لرجل من قريش اطلب الادب فانهُ زيادة في العقل ودليل على المروّة وصلة في المجلس ثم انشأ يقول

تعلم فليس المرء يخلق عالما ... وليس اخو علم كمن هو جاهلُ
فان كبير القوم لاعلم عنده ... صغيرٌ اذا ضمت عليهِ المحافلُ
ولا ترض من عيش بدون ولا يكن ... نصيبك ارثٌ قدّمتهُ الاوائلُ

وفي الحديث من قعد بهِ ادبهُ لم ينهض بهِ نسبهُ وقال الشاعر

وما الحسب الموروث لادرّ دره ... بمحتسب الا بآخر مكتسب
اذا العود لم يثمر وان كان شعبة ... من المثمرات اعتده الناس فى الحطب
وللمجد قوم ساوروهُ بأنفسٍ ... كرام ولم يصبوا لأمٍ ولا لأب

وسأل بعض الخلفاء ابا نُواس عن نسبهِ فقال نسبي هو ادبي الذي احلني من امير المؤمنين هذا المحل العظيم فعظم في عين الخليفة (واعلم) ان الادب قسمان ادب درس وادب نفس فأدب الدرس عبارة عن تعلم علوم جملتها اثنا عشر علماً وهي اللغة والاشتقاق. والتصريف. والنحو وعلم قرض الشعر. وعلم المعاني. وعلم البيان. وفن البديع. وعلم الانشاء وعلم الخط والعروض. وعلم القوافي. فمن احاط بها او ببعضها قيل لهُ اديب درس واما ادب النفس فهو رياضة النفس وحسن الاخلاق . قال ابو زيد الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل اه (قلت) وعلى هذا التعريف يكون الادب عاماً في كل خلق محمود واسماً جامعاً لمحاسن الاقوال والافعال ومكارم الاخلاق ولذلك عرّفهُ بعضهم بقولهِ . هو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً . واشتقاقهُ من الأدْب كالضرب وهو مصدر قولك أَدَبَهُ يأدِبهُ كضربه اذا دعاهُ الى طعامهِ وذلك لان الأديب يدعو الناس الى المحامد ومحاسن الاخلاق . وينهاهم عن القبائح والمساوي التي تكون سبباً للشقاق والفراق . او يدعوهم لحمده والثناء عليهِ فان الاديب تحبهُ الناس حتى اعداؤهُ . والخالي من الادب تكرههُ الناس حتى والدهُ واولاده ونساؤهُ . وسميت المعاقبة على الذنب تأديباً لانها تدعو الناس الى ترك الذنوب ولذلك قال تعالى ولكم في القصاص حياة يااولي الألباب وذلك ان موت المقتص منهُ فيهِ

حياة نـاس كثيرين لانه يمنعهم من القتل خوفًا من القصاص . والادب عنـد السادة الصوفية اخص من اللغوي لانه عندهم حفظ الحواس ومراعاة الانفاس . والخوف من الله تعـالى والحياء من الناس . وسئل ابن سيرين عن الادب . فقال هو معرفة ربوبيته . وعمل بطاعته . وحمده على السرآء . والصبر على الضرّاء (قلت) وقد تتبعت كلامهم في الأدب فرأيت الادب عندهم هو الاحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه يؤيده ما ورد عن الصدّيق انه كان اذا دخل الخلاء تقنع اي غطى رأسه واكثر وجهه وقال اني لأدخل الخلاء فاتقنع حياء من الله تعالى وذلك لعلمه ان الله يراه علم اليقين لاعلم تعلم وانما قنع وجهه ورأسه دون غيرهما لان الحياء من الروح وسلطان الروح في الرأس والوجه كما قاله المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير وقد حكي عن الحريري انه قال (لي نحو عشرين سنة ما مددت رجلي في الخلوة) قلت وذلك لتحققه بقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة ألا هو رابعهم الآية قال العارف الشعراني حضرة الاحسان لا يدخلها شيطان اي اذا كان الانسان في حضرة المراقبة لايتأتى انه يذنب ذنبًا حتى انه لايتثاءب وذلك لان التثاؤب من الشيطان فمن تثاءب كان خارجًا عن حضرة الاحسان فنسأل الله ان يؤدبنا بآدابهم . وان يمنّ علينا بفضله من شرابهم . وان ينفعنا بمحبتهم وخدمة ابوابهم . والوقوف في اعتابهم واعلم ان رديف الأدب في اللغة (الظَرْف) بفتح الظاء وسكون الراء والعامة تضمّ الظاء وذلك لانه فسر الأدب في القاموس بالظَرْفِ وبحسن التناول اي للكلام

﴿ مطلب في الحياء واسمائه ﴾

ومما يتفرع من الأدب (الحيآء) وهو انقباض وانزواء وانكسار يعتري الانسان عند اطلاع غيره منه على ما يعاب بـه والحياء خير كله كما ورد في الحديث ومن لاحياء فيه لاخير فيه وقال الميداني في تفسير خبر الحياء من الايمان قال بعضهم جعل الحياء الذي هو غريزة في الانسان من الايمان لانه يمنع صاحبه من المعاصي والقبائح كما يمنعه الايمان منها اه . (قلت) واحسن من ذلك ان يقال ان تلك الغريزة تقوى بالايمان حتى تكون حياء شرعيًا وهو كما ورد في الحديث ان تحفظ الرأس وما وعى . والبطن وما حوى وان تذكر الموت والبلي . فهذا

الحياء لاشك انه من الايمان وقيل لتابة الحكيمة ما احب الالوان اليك فقالت الحمرة قيل لمَ ذاك قالت لانها لاتوجد الا في وجه المستحيي ومما يرادف الحياء (الخفر) تقول خفر الانسان من باب تعب والاسم الخفارة بالفتح ومما يرادفه (الخجل) تقول خجل من باب تعب ايضاً واخجلته انا وخجلته قال في المغرب والخجالة من خطإ العامة والصواب الخجلة او الخجل ومما يرادفه (الخرد) تقول خرد الرجل من باب تعب ومنه سميت البكر خريدة لخفرها واستحيائها ومما يرادفه ايضاً (الخزاية) بالفتح تقول خزي فلان من باب علم خزاية استحيي فهو خزيان كما قاله في المصباح واما الخزي فهو الذل والاهانة وتقول اخزاه الله اي اذله واهانه وقال في الاساس تقول خزى منه اذا استحيي منه خزاية وهي شدة الحياء ورجل خزيان وامرأة خزيا والجمع خزايا كسكارى اه

﴿مطلب في الذكاء﴾

ومما يتفرع عن العقل (الذكآء) قال بعض البلغآء العقل هو الاصابة بالظنون . ومعرفة ما لم يكن بما كان من الاحوال والشوءن. وكان عمر رضى الله عنه يقول اذا لم اعلم ما لااري فلا علمت ما رأيت وكان يقول من لم يعرف الشر كان اجدر ان يقع فيه وفي الحديث الموءمن حذر فطن وفيه لايلدغ المؤمن من جحر مرتين . اي وذلك لوفور فطنته وشدة حذره واصل الذكاء تمام الشيء ومنه ذكاء السن اي تمامه وذكت النار اذا بلغت تمام الاشتعال ثم اطلق الذكآء على سرعة الفهم لان سريع الفهم بلغ تمام الفهم وذكى الشخص يذكى من باب تعب وفي لغة من باب علا كما ذكره في المصباح فعلى الاول يقال في اسم فاعله ذكٍ ككتفٍ وعلى الثاني ذكيّ كعلي ومثل الذكي (اللوذعي) (والالمعي) .قال الشاعر

الالمعيُّ الذي يظن بك الظنْـ ـنَ كأن قد رأى وقد سمعا

وهو مأخوذ من لمعان النار وتوقدها واللوذعي مأخوذٌ من لذعها (والشهم) قاله في القاموس (والنطس) (والندس) النطن كما في الاساس والرجل الافق كفرح وآفق وافيق من بلغ النهاية في العلم او الفصاحة وجميع الفضائل او في الكرم ومثل ذلك (الزكن) تقول زكن الرجل من باب تعب فهو زكن اي ذهن ذكيٌّ كما قاله في الاساس (ومثله) رجل ذهن كفرح ورجل فطن قال في المصباح فطن يفطن من بابي تعب وقتل فطنا وفطانه وفطنة بالكسر في الكلام فهو فطن والجمع

فطن بضمتين وفطن بالضم اذا صارت الفطانة له سجية فهو فطن ايضاً اه . ومثل الفطن (الطَّبِن) (والتبِن) (والطب) بفتح الطاء كما قاله الانباري في شرح الفضليات «والحذق» «والحذاقة» مهارة الانسان في صناعته وهو ان يبلغ فيها تمام الاتقان وهو رجل حاذق وفعله من باب ضرب . ومثل الحاذق (الحذيم) كمنبر قال في القاموس الحذيم كمنبر الرجل الحاذق (والنبيل) الذكي النجيب (والاصمع) ذكي الفؤاد قاله الميداني والاصمع ايضاً هو الصغير كما قاله الميدانى ايضاً لكن رأيت بعض اهل اللغة قيده بصغير الاذن وبه سمي جد عبد الملك بن قريب بالتصغير وهو الاديب المشهور بالاصمعي (والاحوذي) بالذال المعجمة هو القطاع للامور الخفيف في العمل لحذقه من الحوذ وهو السوق السريع وقال الاصمعي هو المشمر للامور الماهر الذي لا يشذ عليه منها شيء

﴿ مطلب في الظرف ﴾

(واعلم) ان كل من اتصف بصفة الذكاء او صفة البلاغة او الحسن فانه يقال له ظريف وقد تقدم لك ان الادب فسره صاحب القاموس بالظرف وفي المصباح الظرْف هو البراعة وذكاء القلب وقال في النهاية الظرافة في اللسان البلاغة وفي القلب الذكاء وفي الوجه الحسن وفي حديث عمر اذا كان اللص ظريفاً لا يقطع اي اذا كان بليغاً احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد ومن اسماء الظريف (الوَعْوَعيْ) كما في القاموس ومن اسمائه (الحُوَّل القُلَّب) (والبديع) تقول بدُعَ بداعة و(الندمُ) كالقدَم كما في القاموس (والمذْمذِيْ) ومن اسمائه (المطبِّق) (والمخضرَب) بفتح الراء كما في القاموس و(المصقع) كمنبر تقول خطيب مصقع و(اللسن) والألسن الفصيح وفعله لسن من باب تعب و(الخِنذِيذُ)

﴿ مطلب في البلاغة والفصاحة ﴾

(واعلم) ان البلاغة والفصاحة من افضل زينة الانسان وفي الحديث جمال الرجل فصاحة لسانه ذكره الميداني في شرح الامثال وفي الحديث وان من البيان لسحرا وقال تعالى ممتناً على الانسان خلق الانسان علمه البيان وقال عبد الملك بن مروان جودة اللسان بلا عقل خدعة وجودة العقل بلا لسان هجنة وقال بعض الحكماء حسن الصورة الكمال الظاهر وحسن العقل الكمال الباطن وانت خبير بان البلاغة والفصاحة هنا المراد باللسان فهما نصف كمال الشخص والنصف الآخر العقل

وقد حكي ان المأمون استعرض عسكره يوماً فرأى فيه رجلاً قبيح الوجه فاستنطقه فوجده لايحسن الكلام فقال امحوا اسم هذا الرجل من دفتر العسكر فقيل له في ذلك فقال ان الروح اذا ظهر نورها كان جمالاً واذا بطن كان بلاغة وقد رأيت هذا الرجل لانور لروحه في الظاهر ولا في الباطن واذا كان كذلك كان في اعداد الموتى ومعنى البلاغة الاتيان بالمعنى الجليل في اللفظ القليل وقيل هي ما فهمته العامة ورضيته الخاصة وقال العتابي ليست البلاغة بالاقلال ولا بالاكثار ولكنها احاطة الكلام بمعانيه وان قصر وحسن تأليفه وان طال وقال ابن المقنع من البلاغة ما يكون في السكوت قال الشاعر (وربَّ جوابٍ في السكوت بليغُ) وسميت بلاغة لان صاحبها يبلغ منها ما اراد واما الفصاحة فهي خلوّ الكلام من التنافر والغرابة والتعقيد ومخالفة القياس (والأحوزي) بالزاي هو الجامع لما يشذ من الامور من الحوز وهو الجمع قاله الميداني في شرح أمثاله (والنبيل) الذكي النجيب (والحذْيَم) كمنبر الحاذق كما في القاموس وقد تقدم ذلك (والاستاذ) هو الماهر وهو غير عربي لانه لم يوجد في كلام جاهليّ ولأن مادة س ت ذ غير موجودة في كتب اللغة كذا قاله الخفاجي في شفاء الغليل ورأيت غيره قال انه عجمي ايضاً وان اصله اصطاذ بالصاد والطاء المهملتين والعوام تقول اصطا للرجل الماهر في صناعته واكثر ما يقولونه للحلاق والسائس (والنحرير) بالكسر ضد البليد وادّعى الاصمعي انه مولد وانه لم يرد عن العرب لكن انشد ابو منصور الجواليقي على وروده قول الشاعر

يوم لاينفع الرواغ ولا يقـــدم الا المشيع النحرير

وحينئذٍ لايصحّ ما ادعاه الاصمعي لان من حفظ حجة على من لم يحفظ وقال الخفاجي في شفاء الغليل قيل ان النحرير مشتق من النحر كانه نحر الامور باتقانه كقولهم قتلته خبرًا قال الشاعر

قتلتنيَ الايام حين قتلتها خُبرًا فأُبصرُ قاتلاً مقتولا

ومعنى ما تقدم كله قرب الفهم وضده بعد الفهم ويقال لصاحبه الفَهّ . والفَدْم . والبليد والغبي. من الغباوة وهي ضد الفطانة

﴿ مطلب في ذكر الكرم ﴾

(واعلم) ان أجلّ ما تحلى به الحر بعد العقل والأدب صفة الكرم وذلك لان الكرم صفة جامعة لصفات الجمال ونعوت الكمال قال في مختصر كتاب العين الكريم هو الجواد

السخي شريف النفس والاباء .اه. اي من جمع هذه الصفات الاربع سمي كريمًا فلو كان جوادًا سخيًا شريف النفس غير شريف الاباء او جوادًا سخيًا شريف الاباء غير شريف النفس فلا يقال له كريم ومما يدلك ان الكرم صفة جامعة لصفات الكمال كما قدمنا ما صرحت به عبارات كتب اللغة فقد صرحوا فيها بان الكريم يطلق على كل نفيس في بابه ومن ذلك انه لقرآن كريم ورب العرش الكريم وقولهم اعطاه من كرائم امواله (فان قلت) هذا يناقض ما قدمته عن صاحب مختصر العين قلت لا مناقضة لان مراد صاحب مختصر العين ان الكرم في الانسان لا يكون الا مع الجود والسخاء وشرف النفس والآباء وفي غيره النفاسة فكل نفيس غير الآدمي كريم او نقول ان الكرم هو النفاسة في كل شيء لكن النفاسة تختلف باختلاف محالها وهي في الانسان لا تكون الا بجوده وشرف نفسه وآبائه واحسن من ذلك ان يقال ان كلام صاحب مختصر العين محمول على الكرم الكامل الذي تحته صفات متعددة وكلام غيره من اهل اللغة محمول على من اتصف ببعض افراد صفات الكرم فقد قالوا ان الكريم يطلق على السخي وعلى المستحيي وعلى الحليم وعلى الصفوح قال القزاز وهذه المادة اي مادة (ك ر م) تدور على التغطية والستر .اه. اي انك كيف ما ركبت تلك المادة فانها تدل على ذلك فمن ذلك اذا قلت (م ك ر) دلت المادة على ستر وتغطية لان المكر معناه الحيلة في صرف الغير عن مراده فصاحب المكر يغطي واذا قلت (ر م ك) دلت المادة ايضًا على تغطية وذلك لان الرمكة انثى البرذون والبرذون هو ما كان ابواه من الخيل العجميين ويسمى بالكودن وهو المعروف عند العامة بالكديش وبيان تغطية الرمكة ان بعض العرب سئل اي الدواب آكل فقال البرذونة كما ذكره الدميري في حياة الحيوان والبرذونة هي الرمكة فهي دائمًا تسترشعها والكريم من يغطي الجهل بحلمه والنقص بكماله ويستر فقر من عرض سواله كما انه يستر عطاءه من المن المفسد للاحسان كما يفسد الشجر المن .ومن احسن ما سمعته في تغطية الكريم وستره ان كبيرًا من الكبراء قال لاصحابه اذا عرضت لاحدكم عندي حاجة فليكتبها ويبعثها الي فاني اكره أن أرى ذل المسألة في وجه السائل .وحكي ان حاتم الاصم لم يكن به صمم وانما تصامم لنكتة وذلك لانه لما تزوج فلتت من زوجته فلتة فاظهر الصمم مدة اقامتها عنده وهي اربعون سنة لئلا يعتريها الخجل منه اذا تذكرت ما فلت منها . وحكي ان كسرى رأى احد غلمانه قطع من حلية جواده جوهرًا فريدًا فتفقد السائس ذلك

الجوهر فلم يرهُ فدهش واقبل على كسرى واخبرهُ بفقد الجوهر فقال كسرى من اخذ الجوهر فلا يردهُ ومن رآهُ فلا ينم عليهِ فقال لهُ السائس يأ مر الملك بالتفتيش عليهِ من كل من في المجلس فقال لهُ اذا فتشنا عليهِ فاين مكارم الاخلاق وفي مثل هذا يقول الشاعر

يغطّي على الاشياء سترًا بحلمهِ　　الى ان يقول الناس ليس بعالم
وما ذاك من جهلٍ بهِ غير انهُ　　يجرُّ على الزلات ثوب المكارمِ

وقال الشاعر ايضًا

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومهِ　　لكنَّ سيد قومهِ المتغابي

وقال بعض الحكماء السيد الكامل . هو العاقل المتغافل . وقال آخر عظموا مقداركم بالتغافل . وقال في السوانح من كلام الصديق رضي الله عنهُ من امتطى التغافل ملك زمام المروءة . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ لست بالخَبِّ ولا يخدعني الخَب وانما اتغافل . والخب هو الخدّاع المكار وانشدني صاحبنا الفاضل الكامل الشيخ احمد الاحمدي المصري نزيل طرابلس الشام . واصل الله على روضة ضريحهِ شآبيب الرضوان والانعام . قولهُ

تبالهْ تزن عقل الانام و يظهروا　　عليك خفاياهم كانك اهلها
ولا تُرِهم منك الفطانة يكتموا　　عليك امورًا ربما ضرَّ جهلها

وقال الكريم واسع المغفرة . اذا ضاقت المعذرة . وقيل لأ يلول الحكيم ما الذنب الذي لا يخاف صاحبه فقال ذنبٌ صعد الى كريم . وقال بعض اهل البيت رضي الله عنهم الكرم هو اعطاء النوال . قبل السؤال . وقيل هو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي على وجه ينبغي وقال المناوي في شرح القاموس الكرم افادة ما ينبغي لا لغرض

ومن اسماء الكريم (الطرف) بالفتح والتسكين ويحرك ومنها (السمح) كالضخم وهو الذي يسمح مع قلة ما يملك كما قيل

ليس العطاء من الكثير سماحة　　حتى تجود وما لديك قليلُ

وقال الاخر

اذا تانفت من بذل القليل ولم　　تملك كثيرًا فأنَّى يظهر الجودُ
بُثَّ القليل ولا تمنعك قلتهُ　　فكل ما سدَّ فقرًا فهو محمودُ

وقد رُوي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تاكل من عنقود عنب لم يبق فيهِ غير حبة فجاء سائل فدفعت اليهِ الحبة فرأتهُ قد استحقر تلك الحبة فقالت لهُ كم في هذه الحبة من مثقال ذرة فقال كثير قالت فقد قال الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يرهُ فكيف احتقرتها وهي مثاقيل (قلت) وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف مُحرَّقٍ وفيهِ اتقوا النار ولو بشق تمرة ومن اسماء الكريم (المانح) و(المجدي) تقول سألت فلانًا فما اجدى عليَّ اي فما اعطاني. ومن اسمائهِ (المُفضل) و(الناحل) من النحل وهو العطية ومنهُ سمي المهر نحلة قال تعالى وآتوا النساء صدُقاتهنَّ نحلة (فان قلت) النحلة هي العطية التي تكون من غير مقابلة والمهر مدفوع ببضع الزوجه فكيف سماهُ نِحلة. (فالجواب) ان بضع المرأة كأنهُ مقابل ببضع الرجل لانها تلتذ فوق لذته فكان المهر عطية لانهُ كأنهُ دفع لا في مقابلة شيء. ومن اسماء الكريم (النَّالُ) كما في القاموس و(الهضَوم) وهو كثير الانفاق و(الأرِيحيُّ) الذي يلتذ ويرتاح للسؤآل وللعطية اي يخف وينشط لذلك كما قال الشاعر

ويهتز للجدوى ويهتز للندى   كما اهتز حاشي وصفهُ شاربُ الخمر

(والخِضَمُّ) الكثير العطية (والخريق) كسكيت و(الغمر) بالفتح و(الجاعل) قال في القاموس الجاعل المعطي والمجتعل الآخذ و(الغَيْداق) و(الكُهلول) و(المَضرَحِيُّ) و(الكَوثر) الرجل السخي كثير الخير والكوثر ايضًا الخير الكثير واسم نهر في الجنة و(القماقم) بالفتح ويضم السيد الكريم كثير الخير و(الصِنديد) الكريم و(الدهموث) بالضم الكريم ايضًا و(المواسي) هو الذي يواسيك بمالهِ اي يقاسمك مالهُ ويجعلك اسوتهُ و(المؤثر) هو الذي يتكرم بكل مالهِ ويؤثر غيره على نفسهِ ومنهُ ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة و(الجواد) هو الذي يجود باكثر مالهِ و(السخي) الذي يجود باقلهِ

﴿مطلب في ذكر السيد﴾

ومن اسماء السيد (البَذْر) و(الرت) و(الخنذيذ) السيد الحليم وتقدم ان الخنذيذ الكريم ايضًا و(الهِلقام) و(الهلقم) السيد الضخم و(الأثعل) السيد الضخم لهُ فضولُ معروفٍ و(المحلحل) بكسر الحاء المهملة الثانية السيد القوي و(الحلاحِل) السيد الوقور و(المحسود) من قول الشاعر. (فان خير الناس من يحسد). وفي الحديث كل ذي نعمة محسود ومثل المحسود (المأبوت) كما في القاموس و(المحشود) بالشين المعجمة السيد تجتمع عليهِ الجموع و(المحفود) السيد المخدوم الذي لهُ حفدة وهم الخدام ولذلك قيل لبني

الابناء حفدة لانهم يخدمون في الصغر وسمي الخادم حافداً لانه يسرع في السير لاجل اداء الخدمة من الحفد وهو الاسراع في السير ومنه دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد ومن اسماء السيد (الجُحجُمة) كما نقله الشهاب الخفاجي في سوانحه عن السيرافي والجحجمة ايضاً عظام الرأس . ومن اسماء السيد (البخ) و(البُهلول) و(الرّوقُ) بفتح الراء و(المقروع و(القرّيع) ويعبر عنه بموطإ العقب وذلك لان اتباعه لكثرتهم ومشيهم خلفه يطؤن عقبه ويعبر عنه بموطإ الاكناف . ومن اسماء السيد (القرم) بالفتح و(الصِنديد) الرئيس العظيم وتقدم انه الكريم وسيأتي انه من اسماء الشجاع فهو مشترك ومثل الصنديد (الهمام) و(السَميذع) و(الجحجاح) و(السريُّ) و(الزوير) كزبير زعيم القوم ورئيسهم لانهم يزوّرونه واصل الزوير حجر كانت تطرحهُ العرب في المعركة ثم يتحالفون انهم لا يفرون حتى يفر ذلك الحجر قال الميداني ويصح ان يكون من الزُور اي بالضم وهو الرأي ومنه قولهم ما لفلانٍ زور ولاصيُّور اي ليس له رأي ولاعقل لان الصيور من اسماء العقل كما تقدم . ومن اسماء السيد (المخط) ككتف قال في القاموس هو السيد الكريم والسيد عند العرب من كثر سوادهُ وكانوا يسوّدون الرجل ببذله وحلمهِ كما قال شاعرهم

ببذلٍ وحلم ساد في قومهِ الفتى وكونك اياهُ عليك يسيرُ

قوله وكونك اياه الخ اراد اذا اردت ان تكون سيداً امثله فذلك يسير عليك فعله قال الشاعر

اذا اعجبتك خصال أمرء فكنهُ تكنْ مثل ما يعجبكْ

فليس على المجد من حاجبٍ اذا جئتهُ طالباً يحجبكْ

والناس تأبى ان يسود عليها غير الجواد وفي الحديث ان وفداً وفد على النبي صلى الله عليهِ وسلم فسألهم مَن السيد فيكم فقالوا فلان على بخلٍ فيهِ فقال صلى الله عليهِ وسلم واي داء ادوى من البخل . وقال سيد من العرب لقومهِ اعلموا انني ماسدت عليكم حتى صرت عبداً لكم اغدق على سائلكم واصفح عن جاهلكم واحوط حريمكم وادفع غريمكم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن فعل فوق فعلي فهو فوقي ومن فعل دون فعلي فهو دوني . وقيل لبعض اهل البصرة من سيدكم فقال الحسن قيل بمَ قال احتجنا لعلمهِ واستغنى عن دنيانا قال الاحنف بن قيس السيد من حمق في مالهِ وكاس في دينهِ واطرح حقده وعنى بأمر عشيرته . وقيل لحصين بن المنذر الرقاشي بم سدت قومك قال بحسبٍ لا يطعن فيهِ ورأي لا يستغنى عنه . ومن تمام السؤدد ان يكون الرجل ثقيل السمع عظيم الرأس وفي كتاب المجالسة للدينوري ان سلم بن نوفل كان سيد بني كنانة فخرج عليهِ ذات ليلة رجل من

قومهِ فضربهُ بالسيف وهرب فأُخذ بعد ايام واُتي بهِ سلم بن نوفل فقال ما الذي فعلت اما خشيت انتقامي فقال لهُ الرجل بم سوّدناك الاّ ان تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني وتعرض عن الجاهل وتحتمل المكروه في المال والنفس فخلى سبيلهُ وقال فيهِ الشاعر

يسوَّدُ اقوام وليسوا بسادة　　بل السيد المعروف سلم بن نوفلِ

فعلم انهُ لا يسوِّد الانسان الاّ نفسهُ الكريمة. واخلاقهُ العظيمة . فمن اجتمع فيهِ ذلك ساد على قومهِ وإن كان زنجيًا. ومن فاتهُ ذلك ذلّ وهان وحقر وإن كان قرشيًا. وحسبك في ذلك عصام عبد الملك النعمان . فانهُ مع كونه عبدًا لمّا تخلق باخلاق الملوك صيرتهُ اخلاقهُ ملكًا كما قال فيهِ الشاعر الراجز الملسان

نفس عصامٍ سودت عصاما　　وعلمتهُ الكرّ والاقداما
وصيرتهُ ملكًا هماما

وقال بعض البلغاء سادات الناس في الدنيا الاسخياء . وفي الآخرة الانقياء . قلت فمن جمع بينهما فهو سيد في الدنيا والآخرة * اما السيد في العرف فيعبر بهِ عن الواحد من ذرية علي بن ابي طالب كالشريف لقولهِ في الحديث في حق الحسن ان ابني هذا سيد وقوله في حق الحسين سيد شباب اهل الجنة نقلهُ الخفاجي في سوانحه عن الدماميني في شرح المنهل الصافي

* مطلب في ذكر الشريف *

واما الشريف عند العرب فمن كان لهُ شرف الآباء . ومن اسمائهِ (الحسيب) سمي حسيبًا من الحساب لانهُ من يعد لنفسهِ آباء اشرافًا ومآثر حسنة قالهُ ابن قتيبة في ادب الكاتب ومثلهُ (النسيب) . ومن اسماء الشريف (الماجد) و(الطرف) بالكسر كريم الطرفين ومثل الطرف الرجل (المهذب المحجل) كما قالهُ الجرمي في تفسير غريب كتاب سيبويه وذلك كنبينا صلى الله عليهِ وسلم المشير لشرف اباَئهِ بقولهِ

انا النبي لا كذب　　انا ابن عبد المطلب

ولشرف امهاتهِ بقولهِ (انا ابن العواتك من سُليم) وسيأتي ان شاء الله معنى العاتكة ويضادّه من كان خبيث الطرفين وهو اللئيم. واما من كان ابوهُ عبدًا وامهُ حرّة فهو (المقرف) والفلنقس وقال الجرمي هو خبيث الطرفين وإن كان عكس ذلك فهو الهجين والاقفس وإن وجد في احد آبائه غير كريم فهو المقشب وكانت العرب تعد الهجنة

عيباً وإلى ذلك اشار عنترة بقوله

وإنا امرؤٌ من خير عبسٍ منصباً شطري وإحمي سائري بالمنصلِ

اشار الى ان اباهُ شداداً سيد من السادات وهو شطر عنترة وإن هذا الشطر لا يحتاج الى حماية لانهُ يحمي نفسهُ كما قيل (والثور يحمي نفسهُ بروقه) وإن شطرهُ الثاني وهو امهُ زبيبة أمة وهذا الشطر يحميهِ بالسيف. والعرب وإن كانت الهجنة عندهم عيباً الاّ انها عندهم دون عيب الاقراف فابطل الشرع ذلك وحسبك ان نبينا صلى الله عليهِ وسلم استولد مارية القبطية وجاءهُ منها ولده ابرهيم وكان اسماعيل عليهِ السلام ابن أمة والعبرة في الشرع بالآباء لان الفرع لا ينسب الاّ اليها وإما الامهات فانما هي اوعية للاولاد كما قال الشاعر

فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء آباء

فان قلت قد ورد في الحديث تخيروا لنطفكم وورد ايضاً اياكم وخضراء الدمن فكيف استولد النبي صلى الله عليهِ وسلم مارية. (فالجواب) انهُ فعل ذلك لبيان الجواز وإشارة الى انهُ ليس بعيب ولا هجنة كما هو عند العرب ونهى عنهُ حذراً ان ينزع الولدَ عرقٌ من جهة امهِ لان العرق نزاع وذلك كما نهى ان تسترضع الحمقاء لئلا يسري حمقها للرضيع. قال الميداني قال ابو سعيد الضرير قول العرب لا ام لك شتم ومعناهُ لا ام لك حرة وقولهم لا ابا لك لم يترك من الشتم شيئاً اي لان معناهُ لا ابا لك حرّاً بل كل آبائك عبيد ذكرهُ الميداني . قلت وقال غيره انهُ من الالفاظ التي لم نقصد بها العرب معناها مثل قولهم قاتلهُ الله وتربت يداهُ وإنما يقصدون بها التعجب وقد نصبوا اباً والقياس بناؤه مع انهم قدروا اللام في لك زائدة والتقدير لا اباك فاللام غير معتدٍ بها لاعرابهِ بالحرف ومعتد بها لاجل تهيئة العمل . فان قلت اذا كانت اللام زائدة كان اباك معرفة لاضافته الى الكاف . فالجواب ان ابا حيان في التذكرة ذكر ان اسم لا قد يكون معرفة ومنهُ قولهم لا عبدالله في الوادي او نقول ان قولهم لا ابا لك ليست لامه زائدة بل هي نكرة جاءت على لغة من قال قام اباك او على ان الفهُ اشباع . ومن اسماء الشريف (الصهميم) كقنديل قال في القاموس هو السيد الشريف . ومن اسمائهِ (الطَرخان) والجمع طراخنة . ومن اسمائهِ (الصِنديد) كما في القاموس وقد تقدم انهُ من المشترك بين الشجاع والكريم و«الشريف» و«الطرف» و«الطريف» من بينهُ وبين الجد الاعلى آباء كثيرة وضدهُ «القُعْدَد» والعرب تمدح بالاول وتذم بالثاني

خلافًا لما عليهِ العامة وذلك لان العامة تجعل مَن بينهُ وبين الجد الاعلى آباء قليلة اقرب من غيره في النسب ويعدون ذلك من الفخار واما ملحظ العرب فهو ملحظ دقيق وذلك لانهُ اذا كان بينهُ وبين الجد الاعلى آباء قليلة دل على انهُ من اولاد الهرمى واذا كان كذلك نسب الى الضعيف قالهُ الميداني

﴿مطلب في ذكرا لبخيل واللئيم﴾

وقد علمت مما تقدم ان الكرم كالجنس وتحتهُ انواع وهي الجود والسماح والحلم والنفاسة فليس للكريم ضد كامل غير اللئيم لانهُ البخيل الخسيس الذي خبثت آباؤهُ واما البخيل فقط فليس ضدًا كاملاً للكريم وانما هو ضد للسخي قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ومن غلط العامة ذهابهم الى ان البخيل واللئيم شيءٌ واحد وليس كذلك وانمـا البخيل الشحيح الضنين واللئيم الجامع بين الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء فكل لئيم بخيل ولا عكس اهـ . قلت وكل كريم سخي ولا عكس فثبت ان اللئيم ضد الكريم . فمن اسماء اللئيم (الراضع) سمي بذلك لانـهُ للؤمهِ يرضع ابلهُ او غنمه ولا يحلبها لئلا يسمع صوت حلبهِ وقيل لانهُ يرضع الناس . ومن اسمائهِ (الماذِر) واصل ذلك ان رجلاً في العرب كانت لهُ ابل ولهُ حوضٌ فكان يملأُ حوضهُ ويسقي ابلهُ منهُ وما فضل عن سقاية ابله من الماء يتغوط فيهِ ويمدرهُ بغائطهِ لئلا ينتفع بهِ احد غيرهُ فسموهُ مادرا وشبهوا كل لئيم بهِ . ومن اسماء اللئيم ولد الزنا (السفيح) و(السفيد) لانهُ تولد من سفاح وسفاد لا من نكاح . ومن اسمائهِ (ابن الكسيب) كما في القاموس . ومن اسمائهِ (المُعَلهَج) و(المغربَل) و(الخِنسير) ذكرهُ في القاموس ومنها (البرم) ومنها (السحتتر) كما في مختصر العين ومنها (الرخس) ومنها (الغُفْل) ومنها (الغيور) كتنور و(الزِمّيل) كعليق قالهُ الجرمي ومنها (النَغِل) كفرح قال في المصباح وتسكن عينهُ للتخفيف قيل لهُ ذلك لفساد نسبه من قولك نغل الاديم اذا فسد وهو من باب تعب . ومن اسمائهِ (اللكع) واللكع ايضًا الجحش والصبي الصغير . ومن اسمائهِ (البغل) و(الوغل) و(النذل) و(الوغد) و(الزّنيم) مأخوذ من زنمة العنز وهو شيءٌ مثل الحلمة يتعلق باذنهِ وليس منها بل زائد عليها شبه بهِ اللئيم لكونه في القوم وليس منهم . ومن اسمائهِ (البهنه) كما في مختصر العين . ومن اسمائهِ (الهِجْرِس) واصل الهجرس ولد الثعلب . ومن اسمائهِ (الألكد) و(القزَعه) بالتحريك (والصعفوق) بفتح اوله قال في القاموس ليس في

الكلام فعلول بفتح الفاء سواهُ واما خرنوب فضعيف والفصيح ضم فائه .اهـ . قلت وقد فاتهُ ثلاثة اسماء فتحت العرب اولها وقد استدركها عليهِ بعض الفضلاء وسبكها في قوله

وكل ما جاء من الاسماء　　بوزن فعلول بضم الفاء
لا فاء برشوم وَفَا صَعفوق　　وفاء صندوقٍ وَفَا زَرْنُوق
فانها مفتوحةٌ في الأربعه　　وضمُّ ذين بعضهم لن يمنعه

قوله ذين يشير الى الاخيرين وهما صندوق وزرنوق قال الخفاجي في السوانح واهل مكة وقال في شفاء الغليل واهل المدينة يكنون عن ولد الزنا (بالفَرخ) وذلك من قول جرير

وقد علم الجيران ان مجاشعًا　　فروخ البغايا لا ترى الجار محرما

وكان جعفر البرمكي يكني الفضل بن الربيع بأبي روح يريد بهِ اللقيط لان ابا روح كنية الفرخ وكذلك يكنون عن الدَّعي (بالقَدَح الفرد) وذلك من قول حسان

وانت دعيٌّ نيط في آل هاشمٍ　　كما نيط خلف الراكب القدَحُ الفردُ

وما الطف التعريض بذلك في قول بعضهم

اراك تظهر لي حبًا وتكرمةً　　وتستطير اذا ابصرتني فَرَحَا
وتستحل دمي ان قلتُ من طربٍ　　ياساقيَ القوم بالله اسقني قدحا

اي اني اذا استدعيتهُ قدح المدام يخيل لك اني عرَّضتُ بك لأنَّك دَعي قالهُ الثعالبي ومثل ذلك ما ذكرهُ الميداني في شرح امثالهِ عن يونس بن حبيب قال ادَّعى قوم على رجل فرفعوا امرهِ للوالي وقالوا هذا الرجل يسبنا ويشتمنا فقال الرجل ايها الامير اصلحك الله والله اني لأتقيهم حتى ما اسمي البقل باسمائهِ وحتى انني اتقي البسباس وكان القوم يسمون ببني بسباسة وهي أمة سوداء كانت ترمى بأمر قبيح فعرَّض بهم وغمزهم وبلغ منهم ما اراد حتى ذكر البسباس بحضرة الوالي وخيل للوالي انهُ مظلوم وأن القوم تعدوا عليه فصرف القوم عنهُ وامرهم بعدم معارضته * وكما يكنون عن ولد الزنا بما تقدم فكذلك يكنون عن اولاد الزنا (بابناء الدَّهاليز) وابناء السكك اي الطرق ويقال للَّقيط (ابن عجل) (وابن نخسَة) (وابن زَنْيَة) ويقال لضده ابن رَشْدةٍ ويقال للمجهول الحال (هيان بن بيان) وضُل بن ضل. وطامر بن طامر. وصلعمة بن قلعمة (والملغ) بكسر الميم وفتحها الرجل النذل قال الشاعر . (والملغ يلقي بالكلام الاملغ) ذكرهُ ابن فارس في كتاب الاتباع والمزاوجة ويقال لارازل الناس (سفلة) بفتح السين

وفتح الفاء وقد تسكن تخفيفًا يقال هم من سفلة الناس ولا يقال فلان سفلة لان السفلة كما علمت جمع لا واحد لهُ قالوا وقول الناس فلان سفلة غلط . قلتُ ويمكن ان يوجه قولهم بانهُ من باب حصر الكلام الكلي في الجزئي فقولهم فلان سفلة من باب المبالغة كما يقال في المدح فلان هو الناس و يقال ايضًا لارازل الناس (الغوغاء) و(الرّعاع) و(الهمج) و(الاوباش) و(الاوزاع) و(البُغاث) و(الخشخاش) و(الخُشار) والخشارة والخاشر الرجل من سفلة الناس والرجل القشب الخِشب والخيلل من لاخير فيهِ

مطلب في ذكر الشجاعة

وحيث عرفت الكرم وعرفت ان ضده اللؤم . فاعلم ان اعلى طبقات الكرم وارفعها واعمها فضلاً وانفعها (صفة الشجاعة) التي اختص الله بها اهل البراعة . وذلك لانها التكرم بالروح والوجود وقد قال الشاعر . (والجودُ بالنفسِ اقصى غاية الجودِ)

وقال آخر

ولولم يكن في كفهِ غير نفسه لجادَ بها فليتقِ الله سائلُه

قال الطيبي الجود اما بالنفس واما بالمال فالاول هو الشجاعة والثاني هو السخاء ولا يجتمعان الاَّ في نفس كاملة ولا ينعدمان الاَّ من متناهٍ في النقص . قلتُ وانما كان الجود بالنفس اعلى طبقات الجود لان الكرم هو الجود بالمحبوب والانسان يحب نفسهُ بالذات ويحب مالهُ بالعرض لانهُ يحبهُ لابقاء نفسهِ ومما يشير الى ان الكرم هو الجود بالمحبوب قولهُ تعالى وآتى المال على حبهِ ويطعمون الطعام على حبهِ وقد امتنَّ الله تعالى على اهل بدر حيث خلق فيهم السكينة. واوجد في قلوبهم عند لقاء عدوهم الطمأنينة. حتى ناموا في محل يغلب فيهِ الارقُ. ويستحكم فيهِ الجزع والقلق. فقد قال تعالى اذ يُغشيكم النعاس آمَنةً منهُ وفي الحديث ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حيَّة وفيهِ ايضًا ان الله يحب النَكَل على النَكَل قال في القاموس النكل بالتحريك الشجاع القوي المجرَّب وهو ايضًا الفرس اي فمعنى الحديث ان الله يحب الرجل الشجاع القوي المجرَّب على الفرس وذكر الحلبي في سيرتهِ ان احد سيوف النبي صلى الله عليهِ وسلم كان مكتوبًا عليهِ

الجبن عارٌ وفي الإِقدام مكرمةٌ والمرءُ بالجبن لاينجو من القدرِ

وروي ان من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ قولهُ

ايَّ يوميكَ من الموت تفر يومَ لا يُقدَرُ او يومَ قُدِرْ

يومَ لايقدرُ لاتحذرُهُ ومن المقدور لاينجو الحذرْ

وري عن معاوية رضي الله عنهُ قال قد كدت انهزم في يوم صفين فما ثبتني الاَّ قول الشاعر

اقولُ لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

واعظم من هذا كلهِ قولهُ تعالى . اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة .وقولهُ تعالى .قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل الى مضاجعهم وقالت العرب الشجاع موقى. والجبان ملقى. وقال آخر كم من منية علّتها طلب الحياة -وحياة سببها التعرض للوفاة - وفي المعنى قول الشاعر

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياةً مثل ان تتقدما

ومن بليغ وصايا الصديق رضي الله عنهُ انهُ كان اذا وجّهَ قوماً للجهاد يقول لهم احبوا الموت يكرههُ غيركم وقال رضي الله عنهُ لخالد بن الوليد حين بعثهُ لقتال المرتدين احرص على الموت توهب لك الحياة . (غريبة) ذكر ابن قاضي شهبه في كتابهِ الكواكب الدرية . في السيرة النوريّة . ان الملك نور الدين الشهيد كان يباشر الحرب بنفسهِ فرآه يوماً قطب الدين النيسابوري الشافعي فقال لهُ يامولانا السلطان لاتخاطر بنفسك وبالمسلمين فانك عمادهم فان أُصبت في معركة لا يبقى من يقوم مقامك ولا يبقى من المسلمين احد الاَّ اخذهُ السيف فقال لهُ اسكت ياقطب الدين فان قولك هذا اساءة ادب على الله ومن محمود حتى يقال لهُ هذا فقبلي من حفظ العباد والبلاد ذلك الله الذي لا إله الاَّ هو. ومثل ذلك في الغرابة انهُ لما وصلت اليهِ الموْصل امر عاملها ان لا يعمل شيئاً الاَّ بالشرع فشكا الناس ذلك للشيخ عمر الملا وكان من المقربين عندهُ وترجوا منهُ ان يراجعهُ في ذلك لانهُ مما يزيد جراءة المفسدين وان الحاكم يحتاج الى نوع من السياسة لانهُ اذا اخذ مال في بريّة او قتل انسان فيها او في غيرها ولم يرَ الناس القاتل فمن ابن يتأتى احضار شهوده . فكتب اليهِ الشيخ عمر في ذلك فلما قرأ كتابهُ قلبهُ وكتب في ظهره .ان الله خلق الخلق وهو اعلم بمصلحتهم وان مصلحتهم تحصُل فيما شرع لهم بالكمال فمن يزعم ان الشريعة تحتاج الى سياسة فقد زعم ان الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادتهِ وهذا من الجراءة على الله -ومن اسماء الشجاع (الزّميع) وهو الذي يزمع بالامر ثم لا ينثني وقد زمع زماعاً قالهُ الامير اسامة بن منقذ في كتابهِ لباب الاداب قال فيهِ وسمي الشجاع شجاعاً تشبيهاً لهُ بنوع من الحيّاة يقال لهُ الشجاع

وقيل من شجع الابل وهو سرعة نقل قوائمها كما نقلهٔ عن صاحب المنضد . قال تقول العرب بعير شجع وناقة شجعة ويقال رجل شجاع من قوم شجعة ويقال شجاع وشجيع والاشجع بيّن الشجاعة وهو الذي كأنّ بهِ جنونًا . ومن اسمآئهِ (الباسر) و(الباسل) وهو العابس في غضب ومنها (المستبسل) وهو الذي وطّن نفسهٔ على الموت واستسلم للقتل وبما قلناهُ تعلم سعة اطلاع العارف بالله سيدي عمر بن الفارض حيث قال في يائيتهِ

عجبًا في الحرب ادعى باسلاً ولها مستبسلاً في الحب كي

اي كيا لأنهٔ صفة لمستبسلاً والوقف على المنصوب بالسكون لغة ومعنى الكي الجبان والمعنى انعجب من حالي كثيرًا لاني في الحرب التي هي محل الخوف اسمى الاسد الشجاع لكثرة ما يظهر مني من اوصاف الشجاعة وفي الحب ادعى مستسلمًا للقتل بيدِ هذه الغادة جبانًا ضعيفًا وذلك مما يقتضي كمال التعجب وذلك كقول الآخر

نحن قومٌ تذيبنا الاعين النجـ ـلُ على اننا نذيب الحديدا

وترانا لدى الكريهة احرا رًا وفي السلم للغواني عبيدا

ومن اعجب ما رأيتهٔ مكتوبًا ان ناظم هذين البيتين كان من الملوك وانهٔ توجه مرة الى فتح بلدٍ بعساكر لا تحصى وانفق في ذلك خزانة ملكه ولم يزل محاصرًا لتلك البلد حتى اشرف عسكرهُ على اخذها فبينما هم كذلك واذا بجارية قد خرجت من البلدة وقصدت خيمة الملك فلما صارت بين يديهِ كشفت عن وجهها فاذا هي اجمل خلق الله وخاطبتهٔ بالتحية فاذا هي ابلغ خلق الله ثم قالت لهٔ ايها الملك من ذا الذي يقول نحن قومٌ تذيبنا الاعين النجل (البيتين) فقال الملك انا قلتهما فقالت ان كنت عبدًا للغواني فقد امرتك ان تذهب عنا بعسكرك فنادى الملك بالرحيل فجاءهُ وجوه العسكر وقالوا لقد انفقَ الملك خزائنهٔ وقتل من رجالهِ من قتل وقد اشرفنا على اخذ البلدة فكيف نرجع عنها . فقال لابدّ من ذلك فرجع هو وعسكرهُ وبعث يخطب الجارية من ابيها فزوجهُ اياها وارسلها لهٔ فحظيت عندهُ اتم حظوة. وقد رأيت ان الابيات لعبد الله بن طاهر الذي وطّد ابوهُ للمأمون دولته ورأيت بعد البيت الاول

نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ـضُ المصونات اعينًا وقدودا

ومن اسماء الشجاع (البطل) سمّي بهِ لانهٔ يبطل الدماء ولا يدرك عندهُ ثار ومنها (البُهمة) كغرفة والجمع بُهَم كغرف وهو الذي يستبهم مأتاه على اقرانهِ فلا يدرون من اين يؤتى واما البَهمة بالفتح فهو ولد الضأن وجمعها بهم باسكان الوسط كتمرة وتمر

ومن ذلك قول صاحب البرأة . (فما تفرق بين البُهْم والبُهَم) . وقيل سي الشجاع بهمة باسم الصخرة المصمتة المبهمة قاله في الاساس . قلت وهو راجع للمعنى الاول لان الصخرة اذا كانت مصمتة لايدري من يريد قطعها من اين يقطعها . ومن اسمائه (الحلبس) بفتح اوله وكسره كما نقله ابن منقذ في كتابه لباب الاداب عن الهنائي

ومن اسمائه (الأَلْيَس) وجمعهُ ليس كابيض وبيض . ومنها (الغشمشم) وهو الذي يركب رأسهُ فلا يردهُ شيء عما يريدهُ . ومنها (الأَيهم) والاهيم بتقديم الياء على الهاء وتاخيرها عنهُ فالاول من لايتحاشى شيئاً والثاني الجبل الطويل الذي لا نبات فيهِ . ومن اسمائهِ (الصِمَّة) وهو المصمم على لقاء الابطال والصمة ايضاً ضرب من الافاعي . ومنها (الذِّمير) وهو الشجاع المنكر . ومنها (النِّهيك) وهو الشجاع الجريءُ ومنها (المَرِير) وهو الشجاع الشديد القلب الرابط الجأش مأْخوذ من المِرَّة بكسر الميم وهي القوَّة قال تعالى في وصف جبريل عليهِ السلام ذو مِرَّة فاستوى . ومنها (الغَلِث) وهو الشديد القتال اللَّزوم لمن بارزهُ . ومنها (المُغامر) وهو الذي يرمي نفسهُ في غمرات الحرب . ومنها (المِغوار) وهو كثير الغارات في الحرب . ومن اسمائهِ (الروق) بالفتح كما في القاموس قال وهو الشجاع الذي لايطاق . والروق مشترك بين عشرين معنى ذكرها في القاموس منها القرن . واول الشباب . والعُمر . والرواق . والستر ومقدم البيت . والفسطاط . والصافي من الماء وغيره . والجماعة . والحب الخالص . ومن اسماء الشجاع (الخِنذيذ) (والهيزم) و (الثبيت) قالهُ ابن فارس في كتاب الاتباع والمزاوجة قال ومنهُ قولهم لم يبقَ فيها ثبيت ولا هبيت . ومن اسمائهِ (الرِّيدان) كما قالهُ الميداني . ومن اسمائهِ (الذِمِر) وهو حامي الذمار والذمار الغضب فقولهم حامي الذمار على هذا من الحَمْوِ لا من الحماية يعني الذي تثور حرارتهُ عند الغضب وقيل معنى الذمار ما ينبغي حمايته فعلى هذا معنى قولهم حامي الذمار من الحماية . ومثلهُ حامي الحقيقة وهي ماتحق حمايتهُ . وحامي الحوزة والحوزة الناحية . ومثلهُ سِداد الثغر بكسر السين المهملة وهو الذي يقوم بحمايتهِ شبه بما يسد بهِ فم القارورة ومنهُ قول الشاعر

اضاعوني وايَّ فتىً اضاعوا   ليوم كريهةٍ وسِداد ثغرِ

واما السداد بالفتح فهو الصواب تقول وافق رأْيهُ السدادَ وسدد الله رأْيهُ والرجل (الجلد) والجليد القوي الشديد و (البَهْبَهِيُّ) الجسيم الجريءُ قالهُ في مختصر العين (والمشيَّع) بتشديد الياء المثناة التحتية القوي القلب قالهُ الميداني .

﴿مطلب في الجبن﴾

وضد الشجاع الجبان والجبان مأخوذ من الجُبْن وهو التأخر عما ينبغي له التقدم حرصاً على الحياة وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه ومن البخل فمن ادعيته واعوذ بك من الجبن والبخل فمن اسماء الجبان (النِكْس) والفَشِل) كفرح ويقال ان كثرة الصياح في الحرب من الفَشل قال الشاعر

وكثرة الصوت والايعاد من فشلٍ وشرّ صاحب حربٍ كل نفّاخِ

وقال آخر

وكان تكلم الابطال رمزاً وغمغمة لهم مثل الهدير

والرمز الايماء بالشفتين من غير ان يبين القول فيه (والوكل) كفرح ايضاً و(الكِنفل) و(الكيْوُل) والجباخر. كما قاله الهجري في نوادره قال وجمعه جماخرة و(اليَرَاعة) تشبيهاً له باليراعة وهي اما الذبابة لضعفها واما القصبة لفراغ جوفها وقد وصف الله الكفار بقوله وافئدتهم هواء اي فارغة من الايمان واليقين لان الهواء هو الفراغ ما بين السماء والارض. ومن اسمائه (الهِدان والهَيدان) من قولك هدنه وهيدنه اذا زجره فكأن الجبان زُجرَ عن حضور الحرب قاله الميداني (والزمّل) بتشديد الميم و(الزميل) كعليق و(الرِعديد) و(الاميل) وهو الذي لا يثبت في ظهور الخيل (واليرفئي). ومن اسماء الجبان النخب كفرح ورمح وَهِجَفّ وهُمزة والمنتخب. والنخيب والمنخوب. واليَنخوب. ومنها (الهِردَبّة) كقِرشبّة ومنها الكُعكع. والكاع. والكع.

﴿مطلب في ذكر الحرب وما يتعلق بها﴾

ومما يناسب الشجاع والجبان الحرب والآتها. فمن اسماء الحرب (الوقس)

قال الشاعر

الوقسُ تُعدي فتوَقّ الوقسا من يَدْنُ للوقس يلاقي نعسا

ذكره الميداني. ومن اسمائها (الكَيد) يقال توجه فلان وعاد ولم يلقَ كيداً اي حرباً وسميت كيداً لما فيها من الخداع والاحتيال. ومن اسمائها (البرخ). ومن اسمائها (صمام) كحذام يقال للحرب حمي صمام وسميت صمام لانها تصم فيها الاذان من الجلبة ووقع السلاح. ومن اسمائها (فياح) كحذام ايضاً وهي من قولك فاحت الدار اذا اتسعت قاله الميداني. ومن اسمائها (الهيجاء) (والوغى) بالغين معجمة و مهملة وقيل

الوغى الاصوات التي تسمع في الحرب . ومن اسمائها الغارة) والملحمة) . والحرب موءنثة قال تعالى حتى تضع الحرب او زارها وكذا السلم التي هي ضد الحرب قال تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها* ويسمى محل المعركة (المازق) (والمافِط)*ومن اسماء ما يسطع في الحرب من الغبار (الهبوة) و(العثير) كمنبر و(الرهج) و(القسطل) و(العجاج) و(النقع) و(الحسبان) بالضم و(العكوب) و(القتام) قال الجوهري وربما سموا الغبار (عثانًا) تشبيهًا بالعثان وهو الدخان في تراكمهِ وارتفاعهِ . ومن اسمائهِ (المَنِين) وهو الغبار الضعيف * ومن اسماء الجيش (الفيلق) (والجحفل) قالهُ في مجمع البحار ومن اسمائهِ (العسكر) وهو معرّب لشكر واصلهُ مجتمع الجيش ويسمى بهِ الجيش نفسهُ قالهُ الخفاجي في شفاء الغليل . ومن اسمائهِ (الغار) . ومن اسمائهِ (القيروان) قيل عربي وقيل معرب واصلهُ كاروان . ومن اسمائهِ (الطَّلْهيس) كسفرجل . والطِلْهيس كقنديل والطِهلِس بالكسر وتقديم الهاء قال في مختصر كتاب العين وهو العسكر العظيم . ومن اسمائهِ (الخميس) لانهُ يشتمل على خمسة اشياء القلب والجناحين والمقدمة والساقة ومن اسمائهِ (الزَّحف) لانهُ لكثرتهِ اذا مشى فكانما هو يزحف . ومنها (البَعث) بالتخفيف والتحريك (والدَّهْب) بالدال المهملة العسكر المنهزم كما في القاموس وكذا (الفلّ) مأخوذ من فلول السيف وهو كسره وتسمى جماعة الفرسان من العسكر (الكتيبة) و(السرية) (والمقنب) و(الرّعلة) و(الرّعيل) (والمَنْسِر) ويقال لما تسري في الليل من المقاتلة السرية سميت بذلك لانها تسري والسرى لايكون الاّ ليلاً

مطلب في السيف واسمائِهِ

واما آلات الحرب ويقال لها (اوزار) الحرب (وشِكّة) الحرب فمن اعظمها واشرفها عند العرب (السيف) ولذلك كانت لهُ اسماء تنوف على الالف كما ذكره صاحب القاموس وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى غالبًا . فمن اسمائِهِ (الخليل) والقضيب) و(القِرضاب) (والجُراز) كغراب (والذَّكر والمذكَّر) وما الطف ما قالهُ بعض الفضلاء في ذلك حيث قال

ولا عيب فيهم غير انّ اكفّهم تغرّق امال العفاة بحورها

وانّ سيوفَ الهند في كل معركٍ بأيمانهم حاضت دماءً ذكورها

وقال آخر

لحاظك اسيافٌ ذكورٌ فما لها اذا نظرت مثل الارامل تغزلُ

وسيأتي بقية هذا الشعر ان شاء الله تعالى . ومن اسمائه (السَّلجج) و(الصّارم) و(العضب) (والمهو) (والهذام) و(القاضب) وا(لهذاذ) و(الصقيل) (والمصمّ) و(الابيض) (والمنتن) قال الميداني انه السيف الرديء ومعناه مما ينبو عنه السيع ولا يطمئن اليه القلب والله اعلم بصحته اهـ . قلت ولم ارَ من قيده بالرداءة غيره وان نظرت الى قوله منتن وجدته صفة المدح للسيف وذلك انه لم ينتن الا لكثرة مباشرته للحروب والضرب به في الفرسان والشجعان حتى صارت دماؤهم عليه متراكمة وانتنت وذلك كما وصفوا السهم الممدوح عندهم بالمدمى وهو الذي رمي به مرارًا واصاب فتأمل ذلك . ومن اسماء السيف (الغدير) (والنجير) واصل النجير الصاحب فسموه صاحبًا كما سموه خليلاً كما تقدم . ومن اسمائه (العقيقة) سمي بذلك تشبيهًا له بالعقيقة وهو البرق ولذا سمي (بالابريق) واما تسمية الاناء بالابريق فليس بعربي وانما هو معرب آب ري وقد استعمل في شعر قديم

ودعوا بالصبوح يومًا فجاءت　　قينة في يمينها ابريقُ

قال الخفاجي في شفاء الغليل . قال واسم الابريق بمعنى الاناء في اللغة القديمة التأمورة . ومن اسماء السيف (البارقة) (والمشرفي) و(السريجيّ) و(القُساسي) و(الهندي) و(الوِشاحة) بالكسر كما في القاموس . ومن اسمائه (المِخصل بالخاء المعجمة والصاد المهملة و(القَشيب) وهو المجلوّ والصديء ضد . ومن اسمائه (ذو الكريهة) و(ذو الفقار) وهو الذي في متنه فقار كفقار الظهر ومنها (ذو النون) وهو ما نقش عليه صورة النون وهو الحوت . ومن اسمائه (النون) ومنها (ذو الحيّات) وهو ما نقش عليه مثال الحيات . ومن اسمائه (ذو الريق) وا(ذو الريقة) تشبيهًا له بالثعبان القاتل ريقه ولذا سمي ابو حية سيفه لعاب المنية وقيل سمي به لكثرة مائه ورونقه . ومن اسماء السيف (اللجّ) تشبيهًا لمائه بلج البحر . ومن اسمائه (الشّطبة) كما ذكره السهيلي في شرح السيرة عند قول ام رافع في ولدها مضجعه كمسل الشطبة . ومن اسمائه (الأقرَع) و(الوِقام) ككتاب و(السِطام) (والصّنيع) وهو السيف الصقيل المجرّب كما في القاموس و(النّشيل) السيف الرقيق الخفيف (والمِخفق) السيف العريض (والمشمل) السيف الصغير ودونه (المِغوَل) و(الغدّارة) سيف طويل ذو حدين ولفظه صحيح لكن لم تستعمله العرب وانما هو مولد كما قاله الخفاجي في شفاء الغليل وما الطف النواجي فيه

لا تأمن الالحاظ ان خادعت　　فكم سست في الحرب نظاره

ولا تثق ان اغمدت سيفها   في الجفن يوماً فهي غدّاره

والسيف (الافلّ) ما كان فيه فلول في حدّه وهي كسور في حدّه وقد يكون الافل صفة مدح وصفة ذم فالمدح من حيث ان الفلول لا توجد الاّ في سيف ضرب به كثيرًا ومن المدح المؤكد بما يشبه الذم فيه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم   بهنّ فلول من قراع الكتائب

وقال حاتم الطائي

اني لا ابذل طارفي وتلادي   الاّ الافل وشكتي والجرولا

والطارف والتلاد المال الحديث والقديم والافل سيفه والشكة آلة السلاح والجرول جواده والمعنى اني لا ابذل جميع ما ملكته يدي الاّ هولاء الثلاثة. واما صفة الذم فمن حيث كون الفلول فيه خللاً والسيف (الكَهام) هو الذي لا يقطع ومثله (الفشفاش) بالفتح كما قاله الميداني (والقَصيم) السيف المتكسر الحد. والظُبة بالضم طرف السيف وجمعها ظباة وكذا ذبابة* واما شفرته. وغربه. وغراره. ومكشحه. وقاريته. بالتخفيف وزرّه وشباته وشذه* فهي حده والعير وسطه* والرياس بالكسر مقبضه* والجفن* والجفير والغمد. والخلّة. بالكسر والجُلبّان. بضم الجيم واللام وتشديد الباء الموحدة قرابه. والرونق ماؤه وصفاؤه* والدخن ما يتراءى في متنه من السواد لشدة صفائه* ويقال لجوهره الذي يلوح فيه كصورة الذر. ذَرّي نسبة الى الذر كما يقال له الفِرِند والأثر. بفتح الهمزة وسكون المثلثة وقد تكسر الهمزة كما في القاموس. والنُقب بالضم صداه. ويقال لما فيه الصدا اجرب. وتقول سروت السيف وامتشقته. واخترطه. ونضيته. وانتضيته. وشهرته اذا سللته. وشِمْته. اذ سللته واغمدته ضدّ. وقد ضربت العرب الامثال بالسيف فمنها قولهم سبق السيف العذل. ومنها السيف يفعل ما لا يفعله القلم. ومنها السيف اصدق انباء من الكتب. ومنها السيف بحده. والمرء بكده. ومنها لا يجمع سيفان في غمد. ومنها سيف السفيه لسانه. ومنها لا تأمن الاحمق وبيده السيف. ومنها السيف صاحبك وربما خانك. ومنها وكم تقلد سيفًا من به ذُبحا. ومنها (ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي) اي لساني فهذه عشرة امثلة في السيف

وقد تقدم ان المشمل السيف القصير وانه دونه المِغول ودون المغول السكين. ومن اسمائها المُدية والشفرة. والخيفة. كما في القاموس والفالية من الفلي وهو القطع ومنه سميت الفلاة لانها تفلى اي تقطع بالسير ذكره في مجمع البحار. ومن اسمائها الخنجر بالفتح والكسر كما ذكره الخشني

وهو بالفتح اسم للناقة ايضاً . ومن اسمائها (النصل) كالنخل (والآكلة) اللحم كما في الاساس

﴿مطلب في الرمح واسمائهِ﴾

ومن اجلّ آلات الحرب عند العرب . الرمح . ومن اسمائهِ (اللّهذم) (والذابل) (والمُثقَّف) (والمِدعس) كمنبر لأنهُ آلة الدعس وهو الطعن (والاسمر) و(العاسل) و(العسّال) و(الصَّعْدَة) (والقناة) (والاَسَلُ) والمران) والخُرص بالضم وجمعهُ خرصان والمطرد) كمنبر كما في الاساس وهو الرمح القصير (والخطي) نسبة الى خط وهي بلدة (والزاعبي) (واليزني) (والسمهري) (والرُّديني) فالسمهري نسبةٌ الى سمهر وهو رجل كان يعمل الرماح وكانت لهُ امرأة تسمى رُدينة كانت تبيع ما يعملهُ من الرماح فنسبت الرماح اليها (والخطار) الرمح ذو الاهتزاز (والخَطَل) الرمح الطويل قالهُ في المختصر (والمارن) الرمح اللين قالهُ الخشني في شرح السيرة (والنيزك) الحربة (والوشيج) الرماح واصل الوشيج عروق القصب* والسنان حديدة الرمح. والزُّج بالضم كعبهُ . والعالية من الرمح على ذراعين من السنان. والسافلة ما ولي الزج منهُ والجبّة ما دخل فيهِ الرمح من السنان. والثعلب ما دخل من الرمح في الجبّة

﴿مطلب في الدرع واسمآئهِ﴾

ومن آلات الحرب الدرع . ومن اسمائها (اللّبوس) (والجوشن بالفتح (والسَّنَّوَر بتشديد الواو (والنثْلة) سميت بذلك لانها تنثل على الشجاع اي تصب فوقهُ كما يصب الماء. ومن اسمائها العجوز) والنثْرة) والزغفة) والجمع زغف كتمرة وتمر والماذيّة) نسبة الى الماذي وهو العسل نسبت اليهِ للينها والجُنّة) بالضم واللامة) والدِّلاص) والمفاضة) والحُطَمِيَّة) والعادية) نسبةٌ لعاد (والبصيره (والجدلاء) الدرع المحكمة النسج قالهُ الخشني . ومن اسمائها (الجوب) كالثوب وقيده في القاموس بدرع المرأة قال شارحه المناوي ولم ار من قيده به غيره ومن اسمائها (الخدباء) كما في مجمع البحار ومنها (البَدَن) وهي الدرع القصيرة. والدوابر حلق الدرع يقال درع مقابلة مدابرة ذكره الميداني. والحرابي مسامير الدرع . والقتير رؤس تلك المسامير. والبيضة) والخُوذه) والجيضعة) والتزك) والمغفر) والمجن) والترس) والحَجَفة) والدرقة (والجنة) ما يستر بهِ رأس الشجاع في الحرب . (فائدة) ذكر الشمني على الشفاء ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت لهُ سبع دروع وهي ذات الفضول وذات الوشاح وذات الحواشي . وفضّة. والبُتيراء والخرنق. والسغدية وكانت السغدية درع داود عليهِ السلام التي لبسها لقتال جالوت . (فان قيل) انهُ صلى الله عليهِ وسلم توفي ودرعه مرهونة عند

يهودي فأي الدروع كانت وأي اليهود كان مرتهنا لها وما القدر الذي رهنت به وما اجل الرهن . (فالجواب) ان ابن قيم الجوزية ذكر في كتابه الهدى ان الدرع كانت ذات الفضول والمرتهن لها هو ابو الشحم اليهودي والقدر الذي رهنت به قيل كان ثلاثين صاعًا وقيل غير ذلك والاجل كان سنة . (فان قيل) قد ورد انهُ صلى الله عليهِ وسلم كان يلبس الدرع اذا باشر الحرب وانهُ كان يظاهر بين درعين اي يلبس درعًا فوق اخرى وورد ان عليًا رضي الله عنهُ نزل يومًا الى الحرب حاسرًا اي لا سلاح معهُ ولا عليهِ فقيل لهُ اتلقى عدوك حاسرًا بلا درع فقال أحرز أمرءًا اجلهُ وفي معناهُ قول بعضهم نعم الحارس الاجل فكيف ذلك . (فالجواب) ان كلاً من فعلهِ صلى الله عليهِ وسلم وفعل ابن عمهِ علي رضي الله عنهُ مقام من مقامات الكمال لكن مقام نبينا صلى الله عليهِ وسلم هو المقام الاكمل بيان ذلك ان من عرف الله تعالى تارةً يدخل مقامًا يغيب فيهِ عن الاسباب فلا يرى في ذلك المقام الاَّ مسببها كما قالوا لابي بكر رضي الله عنهُ في مرض موتهِ اندعولك الطبيب فقال الطبيب امرضني وهذا مقام كامل غير ان العارف لهُ مقام اكمل من هذا وهو ان يرى الاسباب ومسببها فلا يحجبهُ احدها عن الآخر وهو المشار اليهِ بقول الصديق رضي الله عنهُ ما رأيتُ شيئًا الاَّ ورأيت الله معهُ وكان صلى الله عليهِ وسلم في هذا المقام فكان يتقلد السيف ويلبس الدرع ويظاهر بين درعين وهو سيد المتوكلين وكان يغلب عليهِ هذا المقام لاجل الرسالة والتبليغ وتعليم امتهِ صلى الله عليهِ وسلم ان النظر الى الاسباب مع عدم الاحتجاب عن مسببها لا ينافي التوكل بل هو عين التوكل لان الله تعالى لم يخلق الاسباب عبثًا فمن اهملها فقد ضيع الحكمة التي خلقت لها فالعارفون يستعملونها ادبًا مع الله وامتثالاً لهُ مع اعتقادهم عدم تأثيرها بنفسها وانما هي امور عادية يخلق الله الاشياء عندها لا بها يدل على ذلك ان نبينا صلى الله عليهِ وسلم كان آمنا على نفسهِ من وصول كيد العدو اليهِ في الحرب وغيرها وذلك لان الله انزل عليهِ قوله تعالى والله يعصمك من الناس وكان بعد ذلك لا يشهد الحرب الاَّ بالسلاح فعُلم ان لبسهُ للسلاح انما هو لامتثال امر الله تعالى ولتعليم امته. وقد مدحت العرب بلبس الدرع ومدحت بتركها مدحت بلبسها لانهُ احزم وهو دالٌّ على الحذر ومُسقط للوم من يلوم لابسها اذا أُصيب ومدحت بتركها لانهُ دالٌّ على قوّة الجأش وثبات القلب حتى كأن تارك لبسها في درع من شجاعتهِ اغنتهُ عن درع الحديد فما قيل في لبسها من المدح قول مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني يمدح يزيد بن مزيد

ترَاهُ في الأَمن في درعٍ مضاعفةٍ　　لا يأْمن الدهر ان يأْتي على عجلِ

وقال ابو تمام

تخِذوا الحديدَ من الحديدِ معاقلا　　سكانها الارواح والابدانُ

وقال مرداس الحارثي يمدح قومه

فالشيخُ منهم دارعٌ والمحتلم　　تخفق في ارماحهم رايات دم

وقد ضمنت الشطر الاخير من بيتهِ في مدح سيدي واستاذي . ووسيلتي الى الله وملاذي . البدر الذي تلثم بالشفق . والنور الذي لو رآهُ الصبح لانفلق . وارث السرّ النبوي . ابو الفتيان شهاب الدين سيدي احمد البدوي متعنا الله باسراره . وافاض علينا من شعاع انواره . وذلك لان لون رايته احمر فقلت

اتباع قطب الاولياء ذي الهممْ　　البدوي الشهم احمد الشيمْ

هم سادة العُرب جميعًا والعجمْ　　وهم ملوكٌ والورى لهم خدمْ

تراهُمُ مثل البدور في الظُلَمْ　　او مثل نورٍ قد بدا على علمْ

فأَمّهُمْ لكلّ خطب قدْ ألَمْ　　فانهم هم الاسودُ في الاجمْ

في الحلّ قد امسى حماهم كالحرمْ　　لا يأْمن العذاب من لهم ظلمْ

امــا تراهم من بعيدٍ وأَمَمْ　　تخفق في ارماحهم رايات دم

وفي ذلك قلت ايضًا

عليك بصحبِ السيد السند الذي　　لهُ شفق الآفاق كان ملثّما

فهم خير صحبٍ بعد صحبِ نبينا　　تراهم نجومًا حيثما الخطب اظلما

اذا أمّهم يوم الكريهة صارخٌ　　يلوذ اغاثوهُ وان كان مجرما

وقالوا لهُ لا تخشَ بأْسًا فاننا　　لنا رايةٌ حمرآء مخضوبةٌ دما

مطلب في القوس واسمائِهِ

ومن آلات الحرب القوس وقد وردت جملة احاديث في الحض على تعليم الرمي وصحّ ان اول من رمى . واراق دما . في سبيل الله سعد بن ابي وقاص احد العشرة المبشّرين بالجنة رضي الله عنهم وهو الذي شهد المشاهد كلها . وهو الذي رمى يوم أُحد بالف سهم وجمع لهُ صلى الله عليهِ وسلم في التفدية بين ابيهِ وامهِ فقال ارمِ فداك ابي وامي . وهو الذي فتح مدائن كسرى وبنى الكوفة وكان رضي الله عنهُ مجاب الدعوة . ومن اسماء

القوس (الحَنِيَة) والجمع الحنايا (والماسِخِيَّة) نسبة الى ماسخة حيٌّ من الأزد قاله في مختصر كتاب العين. ومن اسمائها (المَسِيحة) كما في القاموس (والعجوز)* ويقال لما توضع فيهِ النبال (الكنانة) (والجعبة) (والجفير) (والقرن) (والوفضة). والقوس الكبداء غليظة الكبد وهو مقبضها (والكاتم) من القسي التي لا ترنّ عند الرمي. وقاب القوس ما بين المَقبِض والسِّيَة فلكل قوس قابان ولذا قال المفسرون ان في قولهِ تعالى فكان قاب قوسين قلبا والاصل فكان قابي قوس (والسية) مخففة ما عطف من طرفيها. ومَجسها ومَجِسها مقبض الرامي وقد تقدم انهُ يسمى كبدها (والكُظْرة) الفرض الذي فيهِ الوتر (والفوق) من السهم موضع الوتر (والرُعْظ) مدخل النصل في السهم (والرِصاف) العقب الذي فوق الرعظ. وريش السهم يقال لهُ (القذذ) واحدتها قذة. والاقذ السهم الذي لا ريش عليهِ. والمريش ذو الريش ويقال لهُ المغروّ ايضاً كما ذكره الميداني

وممّا انشأت سابقاً قولي

توسل الى بعض الانام ببعضهم	تنل منهم الرجوى باول خاطرِ
الم تَرَ ان السهم ما صاد طائرًا	لراشقهِ الاَّ بريشة طائرِ

والنِكس من السهام ما انكسر فوقهُ فجعل اسفلهُ اعلاه وقد تقدم ان الفوق موضع الوتر ويقال للشيء الذي ينصب ليرمى بالسهام (الهَدَف) (والغرض) (والقِرطاس) والسهام التي تصيب يقال لها النواقر والتي تخطئ يقال لها الخواطئ ويقال رمى الرامي فاصمى رميتهُ اذا اصاب مقتلها. وانمى رميتهُ واشواها اذا اخطأ مقتلها واصاب غيره وقيل معنى انمى رميتهُ انهُ رماها فغابت عنهُ وماتت وفي الحديث كُلْ ما اصميت ودع ما انميت. ويقال اصاب فلاناً سهم غرب وهو من لا يعلم من رماهُ وفي المثل. رمية من غير رامٍ اي من غير رامٍ معروف بالإصابة والاَّ فيستحيل ان توجد رمية من غير رام وفي المثل ايضاً. قد انصف القارة من راماها. والقارة قبيلة من اليمن ارمى خلق الله بالنبل ومثلهم في ذلك بنو ثعل كصرد والسهم المدمى هو الذي رمي بهِ مرارا والاهزع آخر سهم يبقى في الجعبة وفي المثل ما في كنانتهِ اهزع يضرب لمن لم يبقَ من مالهِ شيءٌ. ويقال للسهم قبل ان يركَّب فيهِ النصل القدح بالكسر والقلم ومنهُ قولهُ تعالى يلقون اقلامهم اي القداح التي يتقارعون بها وسميت اقلاماً لانها تبرى كالاقلام فاول ما يقطع يسمى قلماً من القلم وهو القطع فاذا بُري وَنحت سمي بريًّا فاذا قوّم سمي قدحاً فاذا ريش وركب فيهِ نصلهُ سمي سهماً ونبلاً والنبل جمع لا واحد لهُ من لفظهِ وانما واحده سهم وجمع النبل

نبال كسهم وسهام فقد علمت ان قصب النبل للقوس العربية يسمى قدحاً وقلماً واما للقوس الفارسية فيسمى قصب سهامها خثوراً . واعلم ان كامل السلاح عند العرب يقال لهُ شاكي السلاح ومودي ومدجج ومقنع وهو ايضاً الكمي اي المستتر بسلاحه وجمعهُ كماة و يقال لهُ المتكمي * والحاسر من لاسلاح لهُ وكذا المعازيل من لاسلاح لهم والاعزل من لا رمح لهُ والاميل قيل هو الاعزل وقيل من لاترس لهُ ويقال لمن لاترس لهُ اكشف (فائدة) -قال بعض المفسرين في قولهِ تعالى وانزلنا الحديد فيهِ بأس شديد ومنافع للناس اما بأسهُ الشديد فلأن آلة الحرب من سيف ورمح ودرقة وحربة ونبل ودرع لا تكون الا منهُ واما منافعه فان غالب آلات الصناعات منهُ وان كل انسان يحتاج اليهِ فالا آلات كالسكين والموسى والمقص والمبضع والمخرز والبيكار والمطرقة والسندان والكلاّب والملقط والمسلة والابرة والفاس والمعول والمسحاة والمنجل والسكة والمنشار والقدوم والمسمار ونحو ذلك من الالات العظيمة والدقيقة التي لاتحصى فلا تجد انساناً الا وهو يحتاج لآلة من تلك الآلات ومن منافعهِ ما ذكره صاحب كتاب الارشاد في الطب ان الشراب الذي يطفأ فيهِ الحديد يقطع الاسهال وينفع من سلس البول ويزيد في الباه و ينفع استرخاء السفل والماء الذي يطفأ فيهِ ينفع اورام الطحال واسترخاء المعدة وضعف الكبد واحتمال صداه يقطع النزف ويخفف البواسير وخبثهُ ينفع نزف البواسير ويشد السفل وذكر داود في التذكرة انهُ حار في الثانية يابس في الثالثة اذا طفئ في ماء او خمر او هما معاً قطع الخفقان وضعف المعدة والاستسقاء والطحال والكبد والاسهال وهيج الباه وان طفئ في خل وعمل سكنجبينا قوى الاحشاء والهضم وادرّ البول وفتح السدد

مطلب في العصا واسمائها

واعلم انهم عدوا العصا من آلات الحرب ولا يخفى ان حملها للشيوخ سنّة قلتُ وحكمة ذلك ان حمل العصا لا يكون الا لمسافر ولذا تقول العرب لمن نوى على الاقامة في محل القى فيهِ عصاه وانت خبير بان ابن آدم مسافر الى الآخرة من حين خروجهِ من بطن امهِ ولكنهُ قبل الشيخوخة غارق في بحار غفلتهِ وشبابه فاذا بلغ الشيخوخة تنبه بعض التنبُّه فأمرهُ الشارع بإمساك العصا ليذكر دائماً انهُ في سفر وان سفره قريب الانقضاء والى ذلك يشير الباخرزي بقولهِ

حمل العصا للمبتلي بالشيب عنوان البلي

وصف المسافر انهٔ القى العصا كي ينزلا

فعلى القياس سبيل من حمل العصا ان يرحلا

وما الطف قول بعضهم

فأمشي والعصا تهوي امامي كأنّ قوامها وترٌ لقوسي

فمن اسماء العصا (المِنسأة) قال تعالى فلما قضينا عليهِ الموت ما دلهم على موتهِ الاَّ دابة الارض تأكل منسأتهٔ. اي ما دلهم على موتهِ الاَّ الدودة التي تسمى الاَرضة لان سليمان عليهِ السلام اتكأ على عصاه وتوفاه الله وهو متكئٌ عليها فكانت تنظر اليهِ الجن فتحسبهٔ حيًّا فتدأب في عملها الذي كلفها مباشرتهٔ فلما اراد الله اظهار موتهِ سلط على عصاه الارضة التي تسميها العامة السوسة فنخرت تلك العصا فخرّ سليمان عليهِ السلام فعرفت الجن عند ذلك موتهٔ فتركت العمل ولذلك قال الله تعالى مكذبًا لمن يزعم ان الجن تعلم الغيب ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. وسميت العصاً منساة لانها آلة النساءِ وهو التأخير لانها تنسأ عنك العدو اي تؤخره فهي مفعلة بكسر الميم وفيها لغات فتح همزتها وتسكينها وحذفها تخفيفًا كما قالهٔ في المصباح. ومن اسماء العصا (المقدعه) بكسر الميم ايضًا من قدعت الشيء اذا كففتهٔ ودفعتهٔ عنك . ومن اسمائها (رميز) كزبير كما في القاموس ومنها (الوِقام) ككتاب ومنها (التكأة) كهمزة ومنها (القريّة) كغنية ومنها (الهِرواة) ومنها (الدرة) بكسر الدال وتشديد الرّاء ومنها (الوبيل) (والمبيلة) من وبلهٔ اذا ضربهٔ ومنها (العكازة) كما في المصباح والجمع عكاكيز. قلت وظاهره انها لم تستعمل بغير تاء وقد استعملت في قول بعضهم

ومن الناس من تمر عليهِ شعراء كانها الخاز باز

ويرى انهٔ البصير بهذا وهو في العُمْيِ ضائع العكاز

ومن اسمائها (القسقاسه) والمخففة بالكسر (والهادية) (والقصيد) والقصيدة كما ذكرهُ في مختصر كتاب العين (والمتيخة) كسكينة (والبيزارة) العصا العظيمة كما في القاموس (والايبل) كامير ومعنى الايبل بالسريانة الحزين وهو ايضًا رئيس النصارى ويقال لعيسى عليهِ السلام ابيل الابيلين. ومن اسماء العصا (الطبطبية) كانها نسبت الى وقع صوتها وهو طب طب* (والإِلّة) بكسر الهمزة وتشديد اللام الحربة لها سنان وهي ايضًا العنزة. بالتحريك. والمحجن. عصا معوجة الرأس. والارزبه. والمرزبّة ما يشبه العُصية

من الحديد (والشاقول) عصا مقدار ذراع تكون مع من يمسح الارض يشد اليها حبل المساحة ويغرزها في الارض (والمخصرة) قضيب كان الملك ياخذهُ بيده يشير بهِ ويصل بهِ كلامهُ . (نادرة) من اغرب ما رأَيتهُ في تاريخ ابن عساكر في ترجمة محمد والد تمام الرازي باسناده عن مسلم النحَّات قال خرجت من مسجد البصرة واذا شيخ متوكئٌ على عصا فقلت من هذا فقال انس بن مالك فقلت ما الواصلة والمستوصلة فقال هي تزني في شبابها ثم تصلهُ بالقيادة اذا كبرت اه . قلتُ وفي مثل ذلك يقول الشاعر

حككت طفلةً وليطت فتاة وزنت كهلةً وقادت عجوزًا

وقد ضربت العرب الامثال بالعصا فقالوا العُصَيَّة من العصا فيمن يشبه اباهُ . وقالوا فلان انفع من تفاريق العصا وابقى واكثر يضرب فيمن ينتفع بهِ من وجوه كثيرة كما ينتفع بتفاريق العصا ويقال قشَّرت لفلان العصا اذا اطلعتهُ على ما في سرك من محبة او عداوة . وقالوا ان العصا قرعت لذي الحلم يضرب لمن تنبهُ وقالوا

العبد يُقْرَعُ بالعصا والحرُّ تكفيهِ الملامة

ويقال للفضولي هو يدخل بين العصا ولحائها اي قشرها ويقال للغريب اذا رجع الى وطنهِ القى العصا كما تقدم قال الشاعر

فالقت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عينًا بالاياب المسافرُ

وما احسن قول بعضهم

الم ترَ انَّ السيفَ يحطُّ قدرُهُ اذا قيل هذا السيف خيرٌ من العصا

وفي الحديث ما قُرعت عصا على عصا الاَّ حزن لها قوم وفرح آخرون وفيهِ ايضًا لا ترفع عصاك عن اهلك وهو كناية عن التأديب . وقال دعبل في كبير مدحه فلم يرَ عندهُ طائلاً

لقد هَزَزْتُكَ لا آلوك مجتهدًا لو كنتَ سيفًا ولكني هززت عصا

وقال آخر

قل لمن يحمل العصا حيث امسي واصبحا
ما حوتها يدُ امرئ بعد موسى فافلحا

والطف ما رأيتهُ فيها ما قالهُ ابن نبيه يمدح الملك موسى الاشرف على فتح دمياط وكانت قد استولت عليها الفرنج بقولهِ

دمياط طورٌ ونارُ الحربِ مضرمةٌ وانتَ موسى وهذا اليوم ميقاتُ

القِ العصا تلقّف كلما صنعوا ولا تخف ما حبالُ القوم حيّاتُ

(فائدة)- كانت عصا موسى عليهِ السلام احدى المعجزات التسع المشار اليها بقولهِ ولقد آتينا موسى تسع آيات وقد جمعها البدرُ ابن جماعةٍ بقولهِ

آيات موسى كليم الله يجمعها بيتٌ على إثرِ هذا البيت مسطورُ

عصًا يدٌ وجرادٌ قمّلٌ ودمٌ ضفادعٌ حجرٌ والبحرُ والطورُ

قالوا وكانت عصاهُ من العوسج قال بعضهم من عوسج الجنة وكان طولها ثلاثين ذراعًا وطول موسى ثلاثين ذراعًا وكان يشب في الهوى ثلاثين ذراعًا قيل لما ضرب عوج بن عناق شب في الهوى شبة وضربهُ فاصاب بالعصا كعب رجلهِ فقط مع كون شبتهُ في الهوى وطولهُ وطول عصاه تسعين ذراعًا

﴿مطلب في انواع زينة الانسان﴾

واعلم ان الراغب قال الزينة ثلاثة انواع زينة نفسية كالعلم والاعتقاد الحسن و بدنية كالقوة وطول القامة وخارجيه كالمال والجاه. قلتُ والزينة هي الحلية قال الحكيم الترمذي وهي مأخوذة من الحلاوة لان بها يكون الانسان والعضو في العين والقلب احلى من سواه بدونها وقد تقدم لك بعض حلية الانسان النفسية كالعلم و بعض حليته البدنية والقصد ان نذكر هنا بعض حلية من زيناته الثلاث التي ان اجتمعت في الانسان كان كاملا ولذلك ورد انه لم يبعث الله تعالى نبيًا الا حسن الوجه والصوت وصح ان النبي صلى الله عليهِ وسلم لم يتوفه الله تعالى الا غنيًا ولذلك قيل ان الغنيّ الشاكر افضل من الفقير الصّابر لكون الغنى كان آخر احوالهِ صلى الله عليهِ وسلم وانت خبير بان الانبياء لايزالون في الترقّي مدة حياتهم وانهم لايؤتون الا على اكمل الاحوال (واعلم) ان اشرف انواع الزينة للانسان الزينة النفسية فاذا وُجدت لايضره فقد النوعين الباقيين لان المرء بقلبه ولسانه ولا تنفعه الزينة البدنية ولا الخارجية بدون النفسية نعم ان اتفق لهُ الجمع بين الثلاث فهو كامل كما تقدم . وقد حكي ان سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب كان جميلا فقالت له زوجته يومًا ليس فخر الرجال بالجمال وانما فخرها بالكمال فقال لها فان جمع بين الجمال والكمال فلهُ الفخر على النساء والرجال. فكانما القمها حجرًا وقد روى الدينوري في كتاب المجالسة بسنده المتصل عن ابي عائشة انهُ قال قال ابن المقنع اذا اكرمك الناس لمال او سلطان او جمال فلا

يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزواله ولكن ليعجبك اذا اكرموك لعلم او ادب او دين. وقال ابوسيف من لم يكن فخره بفعله فلا فخر لهُ. وقال افلاطون الخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك بما تملك اهـ قلتُ وفي المعنى قول الشاعر

ليس الذي تكرمهُ لغيرهِ ل مثالذي تكرمه لنفسهِ

وقال الآخر

وأحق من نكّستهُ بالذل من درجاتهِ

من فخره بغيرهِ وسفاله من ذاتهِ

واعلم ان الزينة البدنية كالحسن والجمال والخارجية كالحلي والحلل لاتليق الا بالمرأة وذلك لان المرأة لما كانت ناقصة عقل ودين وهما من زينة النفس احبت ان تغطي نقصها بذلك وقد ورد في حديث الجامع الصغير ما يشير الى ان هذه الزينة لاتليق الا بالنساء وذلك في قولهِ صلى الله عليهِ وسلم لو كان اسامة جاريةً لكسوتهُ وحلّيتهُ حتى انفّقهُ بتشديد الفاء كما ضبطهُ الحافظ السيوطي وبه يعلم ان زينة الرجل عقلهُ وعقل المرأة زينتها . (واعلم) ان المرأة لاتحتاج الى الزينة الخارجية الا اذا كانت ناقصة الزينة النفسية والبدنية. كما قيل

وَما الحُليُ الاّ جابرٌ لنقيصةٍ يتمّم من حسن اذا الحسن قصّرا

واما اذا كان الجمال موفّرًا كمثلكِ لم يحتج الى ان يزوّرا

وقال آخر

واذا الدُرُّ زانَ حسن وجوهٍ كان للدُرّ حسن وجهكِ زينا

وتزيدين اطيب الطيب طيبًا انْ تمسّيه اين مثلكِ اينا

وقد حكي ان عائشة بنت سعد بن ابي وقاص كانت اجمل نساء زمانها وان امها وضعت يومًا عليها عقدًا كل حبة منهُ مقدار البندقة ثم قالت والذي نفسي بيده ما وضعت عليها الدر الا لتفضحهُ بحسنها لا لاجل ان ازينها بهِ . والحاصل ان المتزينة اما ان تكون مليحة او قبيحة فان كانت مليحة فوضع الزينة عليها كوضع السراج في الشمس والاقمار. وان كانت قبيحة زاد بالزينة قبحها كما تزيد الحناء قبح انامل الزنج من الجوار . وهل يعود الشباب بالخضاب . او يزين السيف اذا كان ناقصًا في نفسه حليةُ القراب (وهل يصلح العطارُ ما افسد الدهرُ) واين الحسن الموهوب من الحسن المجلوب

قال ابو الطيب

حسن الحضارة مصنوع ومجتلب ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

ومن أحب التزين من الرجال بالحلية والازار والكساء. فقد خرج عن دائرة الرجال الى دائرة النساء. قال الشاعر

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

وقال آخر في ممدوحه

لا يعبق الطيب عطفيه ومفرقة ... ولا يمسح عينيه من الكحل

وقد روى الطبراني بسند كل رجاله ثقاة ان ابن عمرو بن العاص رأى ام معبد بنت ابي جهل متقلدة قوساً وهي تمشي مشية الرجل فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال قال المناوي ليس من اشيا عنا ولا اتباعنا من يفعل ذلك فتشبه احد النوعين بالآخر حرام وفي كونه من الكبائر احتمال اه. قلت ويحتمل قوله ليس منا أي معشر المؤمنين او معشر الآدميين وعليه فيكون المتشبه ليس بمؤمن كامل او ليس من البشر بل هو اما من الجن او البهائم ولعمري لو رجعت النساء لعقول الرجال الكاملين. وزين بواطنهن بزينة التقى وكمال اليقين. لأظهر الله من بواطنهن على ظواهرهن نوراً لا تستطيع النظر اليه عيون الحور العين. ولكنهن اقبلن على تزيين الظواهر ولذلك ابتلاهم الله بالمسخ قبل بلوغ الاربعين. وذلك لان الجمال من اكبر النعم التي لا استقرار لها مع المعصية ولا دوام. ولذلك ترى اولاد الكفار يمسخ الله صورهم بعد البلوغ والاحتلام

﴿ مطلب في المروءة والفتوة ﴾

وبما قدمته علم ان افضل انواع الزينة هي الزينة النفسية وقد تقدم منها العلم والادب والشجاعة والكرم والحلم ويجمع جميع محاسن الزينة النفسية (المروءة والفتوة) لان المروءة كما قال الراغب في مفرداته كمال المرء كما ان الرجولية كمال الرجل وقال في المصباح يقال مرؤ الانسان فهو مريء كقرب فهو قريب اي ذو مروءة وقال النووي قال الرافعي اختلفت الاقوال في المروءة فقيل صاحب المروءة من يصرف نفسه عن الادناس. ولا يشينها عند الناس اه. قلت وقد سئل عنها عمرو بن العاص فقال هي ترك اللذة فقيل له وما اللذة قال ترك المروءة وفي قوله اشارة الى ان العاقل ذا المروءة لا يلتذ في الدنيا لان عقله يحثه على ترك اللذة فيها حذراً على مروءته

كما قال الشاعر

ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ ... واخو الجهالة في الشقاوة منعمُ

لو كنت اجهل ما علمت لسرني ... جهلي كما قد ساءني ما اعلمُ

كالصعو يرتع في الرياض وانما ... حبس الهزارُ لانهُ يتكلمُ

واما الجاهل فهو دائمًا يقول

من راقب الناس مات غمًّا ... وفاز باللذة الجسورُ

ومن ثمَّ قال اما منا الشافعي رضي الله عنه لوعلمت ان شرب الماء يثلم مروءتي لتركته. وقيل المروءة سير المرء بسير اقرانه في زمانه ومكانهِ. واما (الفتوَّة) فقال في الصحاح الفتى هو السخي الكريم قلت والحق ان الفتوة هي كمال المروءة فلا يسمى الرجل فتى الا اذا جمع ماتفرق في غيره من المحامد فكان امة كما قال تعالى في حق خليلهِ ان ابراهيم كان أُمَّة ولذلك وصف بالفتوة في قولهِ تعالى قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال لهُ ابراهيم

❊ مطلب في العدل والاحسان ❊

ومن الزينة النفسية العدل والاحسان ولذا امر الله تعالى بهما في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان والعدل والاحسان كلمتان جامعتان لجميع محاسن الانسان لان العدل القصد في الامور وان يتتبع من الامور اوساطها و يترك اطرافها وذلك كالكرم لانهُ وسطٌ لطرفي التقتير والتبذير فكلا طرفيهِ مذمومٌ وقس عليهِ واما الاحسان فهو الإنعام على الغير وإتقان الفعل واحكامه تقول احسن فلان في قرآءته اذا اتقنها واحكمها هذا تعريف الاحسان لغةً واما تعريفه شرعًا فهو كما ورد في حديث جبريل ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ودائرته فوق دائرة الاسلام والإيمان وليس بعده الا دائرة النبوة وقال ابو طالب المكي في قوت القلوب فسر بعضهم قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان ان العدلَ استواء السر والعلانية. والاحسان ان يزيد السر على العلانية في الحسن . والفحشاء والمنكرُ ان تكون العلانية احسن من السر. وقال الراغب العدل واجب والاحسان مندوب اليه ولهذا بدأ الله بالعدل في قولهِ ان الله يامر بالعدل والاحسان وان كان الاحسان فوق العدل لان العدل ان تأخذ مالك وتعطي ما عليك والاحسان ان تاخذَ دون مالك وتعطي فوق ما عليك قال بعضهم. الدين بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلاد وعمارة

البلاد بالعدل في العباد. وقال يوفان لكسرى لاتكن موافقاً للاشرار فتخرب ولا يتك وتفتقر رعيتك فتصير ملك الخراب وسلطان الفقراء وقال افلاطون بالعدل ثبات الامور وبالجور زوالها لان المعتدل هو الذي لا يزول وسأل ملكٌ حكيماً ايما افضل العدل او الشجاعة فقال اذا استعملتَ العدل استغنيتَ عن الشجاعة . (قلتُ) وقد صدق فقد حكي ان رسولاً من عند كسرى وفد على اميرالمومنين عمر بن الخطاب فسأل عنه فقالوا له في المسجد فتوجه الى المسجد فوجد عمر قد وضع يده ونام عليها فقال له قد عدلتَ فأمنت فنمت وروي عنه انه قال لقد رأيت درّة عمر اي عصاه اهيبَ من سيفِ كسرى

﴿ مطلب في القوة ﴾

واما الزينة البدنية فمنها (القوّة) كما تقدم عن الراغب وهي الطاقة وعدم الضعف ولا يلزم من وجود القوة وجود الشجاعة ولا العكس فكم من قوي جبانٌ وكم من ضعيف شجاعٌ وقد تقدم ان الشجاعة من الزينة النفسية. وتسمى القوة (المرة) بكسر الميم وتشديد الراء وقد اثنى الله بها على جبريل عليهِ السلام بقوله ذو مِرة فاستوى .(قلتُ) وانما انفك كل من القوة والشجاعة عن صاحبهِ لحكمة عظيمة لانهما اذا اجتمعا في شخص كانا سبباً لعتوّهِ واستكباره الاّ من عصمه الله تعالى كالانبياء والملائكة عليهم السلام او من حفظهُ الله كبعض افراد المومنين كشجعان الصحابة رضي الله عنهم اجمعين كما يشير اليهِ قولهُ تعالى واما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشدُّ منا قوّة او لم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوّة ومن رحمتهِ تعالى انهُ سلط الحمّى على الاسد في غالب اوقاتهِ لانهُ جبلهُ على الشجاعة ووضع فيهِ القوّة فلولا ان سلط عليهِ الحمى وشغلهُ في غالب الاوقات بنفسهِ لاهلك غالب الخلق من انسان وحيوان وجعل فيهِ الجبن لانهُ اذا رأى الديك الابيض فزع منهُ ونفرَ كما ينفر الفيل من الفأر ومن رحمتهِ ان سلط الجبن على الحية ولولا ذلك لاهلكت غالب الخلق لما وضع فيهما من القوّة

﴿ مطلب في طول القامة ﴾

ومن الزينة البدنية الطول في القامة قال تعالى ممتناً بتلك الصفة وزادكم في الخلق بسطة وزادهُ بسطة في العلم والجسم وقد مدحت العرب بطول القامة . فمن كناياتهم قولهم فلان طويل النجاد اي حمائل السيف التي يلزم من طولها طول القامة وقد ذموا بقصر القامة قال ابو خراشٍ

طويلُ نجادِ السيف ليس بجيدرٍ اذَا اهتزَّ واسترخت عليهِ الحمائلُ

فقولهُ بجيدر في الكتب كلها بالدال والحاء المهملتين والصواب انهما معجمتان اذ الجيذر القصير وقال عنترة في ميميتهِ

بطلٌ كأنَّ ثيابهُ في سرْحةٍ يحذي نعال السبت ليس بتوأَمِ

اي كأن ثيابهُ من طوله على سرحة اي شجرة عظيمة طويلة وقولهُ لهُ يحذي نعال السبت وذلك وصف لهُ بالملوكية لان الملوك كانوا يلبسون النعال وقولهُ ليس بتوأم اي انهُ ولد وحده فلم يك معهُ في الرحم غيره يضعف قوته وتقصر بسببه قامته . قال الشعبي لولا انني زوحمت في الرحم ما قامت لاحد معي قائمة ومن عبارات العرب التي تريد بها طول القامة قولهم فلان طويل العماد اي طويل القامة وهذا من المجاز الذي علاقتهُ السببية والمسببية لان طول القامة يلزم منهُ طول عماد الخيمة والمراد بالعماد ما تعتمد عليهِ الخيمة من العواميد وقد قال المتنبي في خيمة سيف الدولة . (وتركز فيها القنا الذبَّلُ .) وقالٌ بعضهم في ضد ذلك

اذا دخلوا بيوتهم اكبّوا على الركبات من قِصر العمادِ

فمن اسماء الطويل (الاشقّ) (والامقّ) (والشعشع) (والشعشاع) (والشعشعان) (والشعشعاني) (والشعلّع) (والشعنلع) (والسّوهق) (والسهوق) (والصّيهد) (والقنْدَل) (والسّلهب) (والصقعب) (والشوقب) (والسرحوب) (والقسيَبّ) (والاَسقفُ) (والشوذبُ) وضده القصير وهو (التساله) وجمعهُ التنابل (والحنبل) وتقدم انهُ الجيذر (والحِيَقّ) (والزّمّخ) والاقدر . كما قالهُ ابن الانباري في شرح الفضليات (والكصيص) (والشهدارة) كما في مختصر كتاب العين (والزِعنقَة) قالهُ ابن الانباري . فان قلتَ كيف امتن الله بطول القامة مع انهُ حكى في التوراة تسع خصال موجودة في تسعة رجال وعدَّمنها اللجاجة في الاحول . والكياسة في الكوسج . والغفلة في الطويل . والظرافة في القصير . وقد حكي عن افلاطون ما يقارب ذلك . (قلتُ) انما جعل تعالى طول القامة من الصفات التي يمتن بها جرياً على عادة العرب من مدحهم بطول القامة ووصف القصير بالظرافة ومراده بالقصير غير الطويل وهو الربعة وهو ما بين الطويل والقصير كما كان صلى الله عليهِ وسلم ومن معجزاتهِ انهُ كان اذا مشى مع الطويل ساواه او مع القصير فكذلك وبهذا تعرف ان خير الامور اوساطها

﴿ مطلب في الحسن والجمال ﴾

ومن الزينة البدنية الحسن والجمال والملاحة فالحسن في اللغة هو تناسب الاعضاء ولطافتها . وقال القيصري في شرح تائية ابن الفارض الحسن شيء يدرك بالذوق ولا يوصف وقال في محل آخر من الشرح الحسن عبارة عن تناسب الاعضاء ولطافتها . وعليه فانهُ يدرك ويحدو قيل يدرك ولا يوصف (قلتُ) ووجه الجمع بين هذا القول وبين عبارتي القيصري ان الحسن ينقسم الى اربعة اقسام وهو الحسن الحادث . (الاول) حسن حسي وهو تناسب الاعضاء . (والثاني) حسن عقلي وهو في المعاني المدركة بالعقل كالعدل والرحمة . (والثالث) حسن روحاني وهو ما كان في الاخلاق خاصة . (والرابع) حسن شرعي وهو في الامور الدينية كلزوم الجماعة والاعتقاد الصحيح ويضاده القبح في الاقسام الاربعة واما الحسن القديم الذي يضاف الى الله تعالى فهو رتبة خامسة خارجة عن المفهومات الاربع وهذا لا يضاده قبحٌ كما يضاد الحسن المتعارف واذا عرفت ذلك زال التعارض في تعريف الحسن القديم وذلك الذي اشار اليهِ العارف ابن الفارض في تائيته بقولهِ . (وكاسي حميًا مَنْ عن الحسن جلّت) اي من عظمت عن وصفها بالحسن المتعارف بسائر انواعهِ وتنزهت عنهُ لحدوثه وقدمها فالعارف ينزه ذات الحسن المطلقة عن الحسن المقيد اذا اراد الذات المطلقة وينسب ذلك الحسن اليها اذا لاحظ انهُ من تجلياتها فيشهده حينئذٍ مطلقًا عن قيد الصور كما قال سيدي . العارف النابلسي قدس سره

اخذتْ قلبي عيونٌ غمزها سكري وراحي
لا عيونٌ من ترابٍ هي او ماءٍ قراحِ
بل عيونٌ ناظراتٌ ليَ من كل النواحي

وقال ايضًا نور الله ضريحه

نحن قوم نهوى الوجوه الحسانا وبها الله زادنا احسانا
وشهدنا الوجود حوضًا وكانت صور الكل عندنا كيزانا

وقال ايضًا افاض الله على ضريحه مزن الرضوان

ولا يلك بالجلود لك افتتانٌ فما تلك الجلود هي الملاحُ

وبما يرادف الحسن (البهجة) . والوَسَامة اثر الحسن * واما الجمال فقال بعضهم هو عين الحسن وقال آخرون انهُ اثر يظهر في الانسان من إدمانهِ على التغذي بالجميل وهو الشحم وكأن ذلك الاثر هو السِمَن . قالت امرأة لابنتها في وصيتها يا بنية تجملي وتعففي اي كلي لحم الجمل واشربي عفافة اللبن وهي بقية اللبن في الضرع بعد ان يحلب اكثر ما فيهِ و يقال لها العفة كما يقال لها داعي اللبن اي انها اذا تركت في الضرع كانت داعية اللبن وإذا لم تترك لم يبق في الضرع ما يدعو اللبن اليهِ ولذا ورد في الحديث دع داعي اللبن وإنما اوصت المرأة ابنتها بأكل اللحم وشرب اللبن لتجلب اليها السمن لان همة المرأة تحسين ظاهر ذاتها . وإفتخارها بذلك بين اترابها ولِداتها . فهي لا تبحث الا عما يكون جالبًا لتحسينها وتسمينها . مع اعراضها عن البحث في امور دينها . ومن امثالهنّ قيل للسِمَن اين انت ذاهب فقال لاقوّم المعوج وقد كذبن في ذلك فان السمن يعوج المستقيم وذلك لان السمن لا ينشأ الا عن عدم اهتمام المرء بامر آخرتهِ ودنياه ولذا قال اماما الشافعي رضي الله عنهُ ما افلح سمين قط الاّ ان يكون محمد بن الحسن وروى ابن عدي عن انس مرفوعًا اجيعوا النساء جوعًا غير مضر وأعروهن عريًا غير مضر لانهن اذا سمن واكتسين فليس شيءٌ احبّ اليهن من الخروج وليس شيء شرًّا لهن من الخروج وانهن اذا اصابهن طرف من العري او الجوع فليس شيء احب اليهن من البيوت وليس شيء خيرًا لهن من البيوت . ونقل في المصباح عن سيبويه ان الجمال رقة الحسن وعليهِ يكون الجمال حسنًا خاصًّا قال وأصلهُ جمالة بالتاء لانهُ من قولك جمل الرجل جمالة كصبح صباحة وتجمل الرجل تجملاً اي تزين وتحسن اذا اجتلب البهآء والاضاءة اه (قلتُ) وفي شرح المناوي الكبير على الجامع الصغير ان الجمال بلا تاء مصدر قال في تفسير حديث ليس البر في حسن الثياب والزي ولكن البر السكينة والوقار هو مصدر وقر وقارًا مثل جمل جمالاً اه وقيل ان الجمال هو الحسن لكن تختلف اساؤُهُ باعتبار الاعضاء كما يؤخذ من كلام الاصمعي قال السهيلي في شرح السيرة قال الاصمعي الحسن في العينين والجمال في الانف والملاحة في الفم اه . قلتُ ولذلك مثل وهو ان العرق الذي يتعلق بهِ القلب يقال لهُ في محلهِ النياط والوتين ومنهُ قولهُ تعالى ثم لقطعنا منهُ الوتين وهو اذا قطع مات صاحبهُ و يقال لهُ في الظهر الابهر وفي العنق الوريد وفي اليد الاكحل وهو عرق واحد اختلفت اساؤُهُ لاختلاف محلاتهِ وقال سيدي العارف النابلسي في شرح الفصوص الجمال الصوري هو اشراق وجه الروح الى جهة الجسم .

(قلتُ) و يؤيدهُ ما حكي ان المأمون استعرض عسكره يوماً فرأى رجلاً قبيح المنظر فاستدعاه واستنطقهُ فوجدهُ غبياً غير فصيح فقال لاصحابهِ أَسقطوا هذا من ديوان الجند قالوا ولم ذاك يا امير المؤمنين فقال ان الروح لها نور وجمال فاذا اشرق نورها على ظاهر الشخص كان جمالاً واذا اشرق على باطنه كان ذكاء وفصاحة وهذا الرجل لم يشرق فيهِ نور الروح لا في الظاهر ولا في الباطن فهو لاخير فيهِ . وقيل الحسن حسن الخَلق بفتح الخاء والجمال حسن الخَلق والخُلُق والفعل قالهُ البوريني في شرح ديوان ابن الفارض . ومما يرادف الجمال (السنع) بالسين المهملة وتحريك النون كما في القاموس (والسنيع) هو الجميل واما بالشين المعجمة فهو الفظ من الشناعة وهي الفظاظة . ومما يرادف الجمال (التشريق *واما الملاحة) فقال في الصحاح انها البهجة وحسن المنظر . قلتُ وقد تقدم لك ان البهجة هي الحسن فعليهِ ان الملاحة هي الحسن وسمي الحسن ملاحة استعارة من قولهم طعامٌ مليح اذا كان فيهِ الملح بقدر ما يصلحهُ وفي كتاب الدرّ النظيم في اخبار موسى الكليم لقاضي القضاة نجم الدين محمد بن برهان الدين بن ابرهيم بن جماعة انهُ قال في تفسير البغوي كانت في عيني موسى عليهِ السلام ملاحة ما رآه احد الا عشقه وهذا معنى قول عكرمة في قولهِ تعالى والقيت عليك محبة مني اي جعلت فيك حسناً وملاحة فلا يراك احد الا احبك اهـ . قلتُ وهذا يخالف ما قدمناه عن الاصمعي من ان الملاحة في الفم الا ان يحمل على غالبها . وقال السهيلي الحسن يتعلق بالمفردات فلا يوصف بهِ الا ما كان مفرداً كقولك هذا خاتمٌ حَسَن والجمال يتعلق بالمركبات الجُمليَّة فاذا اجتمع من ذلك جمل وصف صاحبها بالجمال اي مثل الانسان اذا كان لهُ جملة اعضاء حسنة فانهُ حينئذٍ يوصف بالجمال . قلتُ وقد وُصف الحق تعالى بالجمال وهو منزّه عن التركيب ولكن بالنظر الى جملة محاسن اسمائهِ وصفاتهِ وافعالهِ تعالى فانها كلها حسنة ولذا ورد في حديث الجامع الصغير ان الله جميل يحب الجمال رواه مسلم عن ابن مسعود قال المناوي اي لهُ الجمال المطلق من كل وجه فهو تعالى يحب اسماءه وصفاته ويحب ظهورها على الخلق كما انهُ عليم يحب العلماء كريم يحب الكرماء قوي يحب القوي شكور يحب الشكور صبور يحب الصبور الى غير ذلك فهو يحب من تخلق بشيءٍ من صفاتهِ . وقال الشيخ ابن عربي قدس سره الجمال نعت الٰهيّ . فنبه بقولهِ جميل على اننا نحبهُ فانقسمنا قسمين فمنا من نظر الى جمال الكل وهو جمال الحكمة فاحبهُ في كل شيء لان كل شيء محكم وهو صنعة حكيم ومنا من لم يبلغ هذه الرتبة

وما لهُ علم من الجمال الا بهذا الجمال المقيد الموقوف على العرض. وهو في الشرع موضع قولهِ اعبد الله كأنك تراه فجاء بكاف التشبيه فمن لم يصل فهمهُ الى اكثر من الجمال المقيد قيده بهِ فاحبهُ بكمالهِ ولا حرج عليهِ لإتيانهِ بالمشروع على قدر وُسعه ولا يكلف الله نفساً الا وسعها اه (قلتُ) والجمال الاول وهو جمال الحكمة هو المشار اليهِ بقولهِ تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت لان الخلق كلهُ محكم فلا تفاوت فيهِ من هذه الحيثية

وحيث انتهينا الى هنا فلنذكر بعض الزينات النفسية والبدنية والخارجية في الرجال والنساء وما يُذمّ من الصفات في النوعين المذكورين من اضداد تلك الصفات اذ الضد اشد خطوراً بالبال عند ذكر ضده فاقول قبل ذلك اعلم ان الانسان خصهُ الله بالتكريم . وخلقهُ في احسن تقويم وجمع فيهِ من الاعضاء ما تعجز الألسن عن حصر مسبباتها فضلاً عن مالها من مشترك الاسما . وحسبك ما قدمتهُ في حكاية المأمون وانهُ وجد في اعضاء الانسان مما اولهُ حرف الكاف ما اسماؤهُ اربعون وكم من نادرةٍ في اللغة اعظم من نادرة المأمون واسمى . ومن تلك النوادر ان بعض اعضائهِ توافق اسماؤها اسماء بعض الحيوان

فمن ذلك (العلق فانهُ اسم لدمه (والجِروة) فانها نفسهُ ومنها قولهم القى عليّ جروتهُ ومن ذلك (الثعلبة) وهي استهُ (والنعامة) فانها نفسهُ وعرق في باطن رجلهِ ومن ذلك قولهم شالت نعامتهم اذا ذهبوا او ماتوا ومن ذلك (العَيْر) وهو جفن الانسان ومن الحيوان ذكر الحمير ومن ذلك (الضبع) باسكان الباء وهو من الانسان عضده ومن الحيوان انثى الضباع في لغة من خفف ومثلهُ (امُّ خنور) كتنور فانها من الانسان استهُ ومن الحيوان كنية انثى الضباع ومن ذلك (الشِبدِعة) وهي من الانسان لسانهُ ومن الحيوان العقرب ومن ذلك (الصدى) وهو من الانسان رأسهُ وجسمهُ وسيأتي شاهدهُ قريباً . ومن الحيوان ذكر البوم . ومن ذلك (الفرخ) فانهُ رأس الانسان . ومن الحيوان ولد الطائر الصغير . ومن ذلك (الصردان) تثنية صرد كزحل وهما من الانسان عرقان يستبطنان لسانه . ومن الحيوان الصرد طائر يصطاد العصافير ويقال لهُ الصقر . ومنها (الذباب) وهو من الانسان انسان عينهِ ومن الحيوان معروف . ومن ذلك (الغراب) وهو من الآدمي عظم في حنكهِ .

ومن الحيوان طائر من انواع الحمام . ومن امثالهم فلان من شطاته . لا يعرف قطاته من لطاته . اي من حماقته . لا يعرف ردفه من جبهته . ومن ذلك (الارنبة) وهي طرف انف الانسان وهي الحيوان المعروف . ومن ذلك (الفراشة) وهي من الآدمي عظم رأسه الذي يطير عند ضرب الرأس . ومن الحيوان الطائر المعروف الذي يلقي نفسهُ على النار* ويقال للجائع صاحت عصافير بطنهِ ونقَّت ضفادع بطنهِ

ويقال لجميع اعضاء الانسان الجراميز . ومنهُ قولهم جمع جراميزهُ ويقال لمن تجمع ليثب جمع جراميزه والجسد خاص بالانسان واما قولهُ تعالى فاخرج لهم عجلاً جسداً لانهُ كان كالعقلاء ويقال لجسده (القامة) وقيل القامة اذا كان قائمًا . والجسد اذا كان جالسًا . ويقال للقامةِ (الامة) قالهُ الهجري في نوادرهِ وانشدَ قول الاعشى

وإنَّ معاوية الاكرمينَ حسان الوجوه طوال الأُمَمْ

جمع امة وهي القامة . ويقال للقامة (القمة) بالكسر كما في الاساس ويقال لها (القوميَّة) كما قالهُ ابن خالويه في شرح المقصورة وقال فيهِ يقال لبدن الانسان (شبحه) بالتثقيل والتخفيف وطلاه بالفتح . وآله . وشخصه . واجرازه . وتجاليده . وقامته . كلٌّ بمعنىً واحد . قال الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل (والطنّ) بالضم والتشديد قامة الانسان وهي عربية محضة كما قالهُ كراع والطن ايضًا حزمة القصب وهي عربية ايضًا اه ويقال لبدن الانسان (السواد) وقيل سوادهُ ما يرى من بعيد وشبحه ما يرى من قريب وكذا كل ما مرَّ من اسماء البدن . ويقال للبدن ايضًا (العرض) وجمعهُ اعراض وفي الحديث ان اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم كريح المسك اي من ابدانهم ومن اسماء البدن (الرَّوْق) كما في القاموس ويقال للابدان الاحلام ولا واحد لها والبدن مركب من الاعضاء وهي جمع عضو بالضم ويكسر والضم اشهر كما في المصباح ويسمى العضو (بالارب) بالكسر (والجزء) و(التلو) كما في القاموس (والجارحة) و(الجدْل) وجمعهُ جدول و(الندا) العضو الكامل . واكبر اعضاء الانسان الرأس . واليدان . والرجلان . والبطن . والظهر * وتنقسم اعضاؤهُ ثلاثة اقسام . رئيسة . ومرؤسة . ولا ولا . والرئيسة تنقسم الى قسمين . مخدومة غير خادمة . ومخدومة خادمة . فالرئيسة المخدومة الغير خادمة كالقلب والدماغ والانثيين . والرئيسة المخدومة الخادمة عضو واحد وهو الكبد لانهُ يخدم الدماغ والقلب وتخدمهُ الاوردة . والمرؤسة تنقسم ايضًا الى قسمين خادمة للرئيسة وغير خادمة لها فالخادمة هي الشرايين

والعصب. واوعية المني. والاوردة .فخدم القلب الشرايين .وخدم الدماغ العصب . وخدم الانثيين اوعية المني . وخدم الكبد الاوردة . والغير الخادمة هي المعدة . والعين . والعَضَل . وما عدا ذلك من الاعضاء لا رئيسة ولا مرءوسة . ويقال لكل عضو غير مقتل (شَوىً) بفتح الشين ومنهُ قولهُ تعالى نزاعة للشوى ويقال رماهُ فاشواه اذا اصاب غير مقتلهِ والشوى ايضاً من الانسان جلدة رأسهِ ومن الحيوان قوائمهُ (والجوارح) من الانسان الاعضاء العاملة الكاسبة ومنهُ قولهُ تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار (والجوانح) عظام الصدر (والمعارف) من الاعضاء الوجوه والانوف لان فيها يعرف خير الانسان من شرّهِ وقيل لانهُ بها يُعرف و(المشاعر) من الانسان الاعضاء التي يشعر بها اي يعلم علماً حسيّاً وهي الحواس الخمس . السمع . والبصر . والشم . والذوق . واللمس . وهي جمع حاسّة اسم فاعل من حس الثلاثي لانهُ لغة وان كانت قليلة خلافاً لمن انكر لفظ الحاسّة وزعم انها غلط وان الصواب ان تكون محسه لانهُ لم يرد الاَّ احس الرباعي و(الطابق) نصف البدن وشق الانسان كما في مختصر العين (والجانب) (والجنب) (والجنبة) بالتحريك ناحية الانسان وجمع الجانب جنوب وجوانب وجنائب لكن الاخيرة نادرة و(العِطف) بالكسر الجانب ومنهُ ثاني عطفه واختلف اهل اللغة في الجانب الانسي والوحشي من الانسان ومن الحيوان . فقال ابن قتيبة في ادبهِ قال الاصمعي الجانب الوحشي من الحيوان الذي لا يؤتى في الركوب والحلب الاَّ منهُ والجانب الانسي الجانب الآخر واما من الانسان فكل عضوين مثل الساعدين والزندين فما اقبل على الانسان فهو انسي وما ادبر فهو وحشي ومثلهُ قول ابي عبيد . قال ابو عبيدة الجانب الانسي من الانسان والحيوان الايمن والجانب الوحشي الايسر وسأذكر بعض الاعضاء عند ذكري للزينة البدنية التي تكون تلك الاعضاء محلاًّ لها

﴿ مطلب في العالِم ﴾

وقد قدمنا بعض الزينة النفسية و بعض الزينة البدنية وسأذكر زيادة على ذلك فمنها (الكاتب) فانهُ عند العرب العالم ومنهُ قولهُ تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون كما في بعض التفاسير ومثلهُ (الناخع) وشاهدهُ قول الشاعر

ان الذي اضمرتما سرّهُ   سرّاً وقد بُيّن للناخع

لكأنّي يحسبها اهلها   عذراء بكراً وهي في التاسع

قالهُ الهجري في نوادرهِ والرجل (النقاب) ككتاب العلامة المنقب عن دقائق العلوم والرجل (الافق) كفرح والافيق من بلغ النهاية في العلم والفصاحة او في الكرم والفعل منهُ كفرح ومثلهُ (البارع) وهو الفاضل في علم او شجاعة او كرم او كمال او جمال وبرعَ الرجلُ يبرعُ بفتحتين وبرُع يبرُع ككرم يكرم براعة والرجل (المبرز) هو البارع الفائق على اقرانهِ مأخوذ من برزَ الجواد اذا سبقَ والرجل (الثبت) بفتحتين العدل الضابط . والجمع اثبات كسبب واسباب والثبت ايضاً الحجّة كما في المصباح (والمحقق) من يذكر المسألة بدليلها . (والمدقق) الآتي بدقائق العلوم وغوامضها . (والمصنف) المميز بعض الاشياء عن بعض كأنهُ يجعلها صنوفاً اي انواعاً او من قولك صَنَفت الشجرة اذا اخرجت اوراقها كما في المصباح والاحسن ان يكون سمي مصنفاً لاضافتهِ بعض اصناف العلوم الى بعض (والمؤلف) من يؤلف بين المسائل العلمية (والمتفنن) الآتي بفنون العلوم (والأمة) عالمُ دهرهِ المتفرّد بعلمهِ قالهُ في المصباح . قلت وسمي امة اشارة الى انهُ مثل الجماعة الكثيرة في فضلهِ وانهُ جمع من الفضل ما تفرق في كثير من غيره ومن ذلك قوله تعالى مثنياً على خليلهِ . ان ابرهيم كان امة والرجل (الرحلة) (بالضم من تشد اليهِ الرحال . والرجل (الراوية) المكثر من رواية الحديث او الشعر وبهِ لقب حماد بالراوية فالتاء فيهِ وفي امثالهِ للمبالغة ووجه كونها للمبالغة انها لا تدخل في اسماء الرجال الاّ على الجموع فقط . كقولهم المغاربة والمشارقة فلما ادخلوها على مفرد الاسماء كعلامة علمنا انهم قصدوا بالاسم الذي ادخلوها عليهِ انهُ جمع ادعاءً ومبالغة إما في المدح كما تقدم او في الذم كقولهم لمن بالغوا في وصفهِ بالكذب كذابة والرجل (الزُّوَيْر) زعيم القوم ورئيسهم لانهم يزورونهُ و(الاميّ) عند العرب من لا يحسن الكتابة قيل نسبة الى امة العرب لان اكثرهم كان امّيًّا قالهُ في المصباح . قلت والانسب ان يكون منسوباً للام تشبيهاً لهُ في عدم معرفة الشيء بالطفل الصغير الخارج من بطن امهِ كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً

❋ مطلب في ارباب الصنائع والحرف ❋

وقد عنّ لي ان اذكر طرفاً من اهل الصناعات والحرف فأعم اسم يشمل كل صانع عند العرب (الاسكاف) فالاسكاف عندهم يقال لكل صانع ومثلهُ (القين) بفتح القاف

ومنهٔ قولهم اذا سمعت بسُري القين فاعلم انهٔ مصبح والمعنى انك اذا سمعت الصانع يقول انا مرتحل في هذه الليلة فاعلم انهٔ ماكث الى الصباح لا يرحل والمراد نسبتهٔ الى الكذب وانما يقول الصانع ذلك لاجل ان يبادر اليهِ اصحاب العمل ومثل القين (القديدي) بالتصغير وسمي قديديًّا لانهٔ لخسته يلبس القديد وهو مسح قصير والمسح كالحمل ثوب غليظ قصير يقال لهٔ البَلاس وجمعهٔ مسوح كحمول وقيل انما سمي قديديا من التقدد وهو التقطع والتفرُّق لان الصنَّاع يتفرقون في البلاد للحاجة فتتمزَّق ثيابهم وعليهِ فالتصغير فيهِ للتحقير ومما كنت كتبتهٔ لبعض الناس

إختبرناك يامعيدي فوجدناك كالقديدي

(والاستاذ) الماهر في كل شيء وهو غير عربي كما قالهٔ الخفاجي في شفآء الغليل قال لانهٔ لم يوجد في كلامهم مادة (س ت ذ) اي انها من المهمل لا من المستعمل* واما من لهٔ صنعة او حرفة خاصة . فمثل (الزراع) وانما قدمتهٔ لانهٔ افضل من التاجر قالوا لانهٔ اشد توكلاً منهٔ لانهٔ يبذر مالهٔ في الارض متوكلاً على الله تعالى . قلتُ وقد ورد في الحديث ما معناه ان الشخص اذا زرع زرعًا بنفسهِ او بغيره وصار مما ينتفع بهِ فما اكل منهٔ فهو لهُ صدقة وان انتقل عن ملكهِ وعليهِ فيكون من الصدقة الجارية وهو مما يؤكد فضل الزراعة على التجارة وقيل التجارة افضل لان النبي صلى الله عليهِ وسلم اتجر ولم يزرع وليس من يبذر مالهٔ في الارض اشد توكلاً ممن يبعثهٔ في البحر الذي لا يخفى خطره وفي البر الذي لا يؤمن ضرره ويقال لهٔ (الخبير) و(الأريسيّ) و(الإرّيس) (والاكّار. وجمعهٔ اكرة ككافر وكفرة ويسمى ايضًا (الحرّاث. و(الفلاح. و(الباقر) من بَقرَ الارض اذا شقها كما يقال لهٔ اخضر النواجذ اي الاضراس لاكلهِ البقول ويسمى ايضًا بالفداد كشداد وفي الحديث ان الجفا والقسوة في الفدادين وهم من تعلو اصواتهم في حروثهم ومواشيهم من قولك فد الرجل اذا اشتد صوتهٔ قالهٔ في مجمع البحار (والناطور) حارس الكرم ورجح الرملي اهمال طائهِ ويجوز اعجامها (والتاجر) من يقلب المال لغرض الربح وجمعهٔ تجر كصاحب وصحب وتجار بكسر التآء وتخفيف الجيم كصاحب وصحاب وتجار بضم التاء وتشديد الجيم ككاتب وكُتّاب (والدُهقان) معرب يطلق على التاجر وعلى رئيس القرية وعلى من كثر مالهٔ وعقاره (والصيرفي . والصيرف . والصرّاف .) من يصرف النقود (والناقد) من يعتبر الدراهم والدنانير ليميز رديئها من جيدها وجمعهٔ نقاد ككافر وكفار وفعلهٔ من باب قتل كما في المصباح (والسُّوقي)

من يلازم السوق. وأما السوقة فهم كل الناس ما عدا الملوك وما احسن قول المأمون الناس اصحاب امارة وتجارة وزراعة وصناعة والباقي كَلٌّ علينا و يطلق السوق على الواحد والمثنى والجمع (والعطار) بائع العطر ويسمى الصيقباني واما تسمية العامة بائع العقاقير بالعطار فهو من غلطهم وذاك يسمى (الصيدلاني) وهو من يعرف منافع العقاقير ويبيعها (والآسي) هو الطبيب (والحاني) من يبيع الخمر (والقسورة) الصياد ومنهُ قولهُ تعالى فرت من قسورة وقيل القسورة الصائد الرامي وهو ايضاً الاسد وفسرت بهِ الآية ايضاً . ومن اسمآء الصياد ايضاً الحنّاش . كما ذكره الهجري في نوادره وجمعهُ كما قال حناشه . ومن اسمآئهِ الجزاف . كشداد (والمجزفة) كمكنسة حبالة الصائد وشبكته . ومن اسمآئهِ القناص . كشداد والناجش . والنجاشي . مأخوذ من قولك نجشت الوحش اذا نفّرته من مكان الى مكان والسماة . كالرُماة الصيادون وكذا الاراجيل. والحارش صائد الضب خاصة. والحبالة. والحبولة. والشرك. والفخ. آلات الصيد وفي الحديث النسآء حبائل الشيطان « والقرضوب » بالضم والقرضاب اللص وهو القطرب والمرغوس . واللغوس .كجعفر.والهطل بالكسر كما في القاموس. والخارب وقيل الخارب سارق الابل خاصة (والحابل) هو الساحر (والكاهن) من يتعاطى الاخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان و يدعي معرفة الأسرار ويزعم ان لهُ رئيساً من الجن يخبره قالهُ الازهري (والعرّاف) من يتعاطى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة وغيرهما من الامور (والمنجم) من يخبر بالمغيبات مستنداً الى دلالة النجوم واقترانانها (والقائف) من يلحق الفروع باصلها بواسطة معرفة الشبه ومن القيافة قولهُ تعالى ولا تقف ما ليس لك بهِ علم اي لا تحكم بالقيافة والظن قيل ان القيافة مقلوبة من الاقتفاء كما قالوا في جذب وجبذ وعُرّفت بانها تتبع الاثر واقتفاؤهُ ذكره الراغب في مفرداتهِ (والزاجر) من يزجر الوحش او الطير بتنفيرها عن محلها فيتطير او يتفأل بما يظهر لهُ من هيآتها او اصواتها او من اسمائها واعظم قبيلة في الزجر عند العرب بنو لهب بكسر اللام واسكان الهاء كما قال شاعرهم

خبير بنو لهب فلاتك ملغياً   مقالة لهبيٍ اذا الطير مرّتِ

وقال الهجري في نوادره القيافة . والعيافة . والغفارة . والنذارة . بمعنى (والحازي) من ينظر في الاعضآء وخيلان الوجه فيتكهن كما في القاموس (والقيل . والعريف) من يعرّف الحاكم باحوال الرعية ومن العرفاء مشايخ القرى ومشايخ الصناعات وفي

الحديث لا بد للناس من العرفاء والعرفاء في النار (والساعي) هو الذي يسعى بالناس الى الحكام واما الذي يسعى بالكتب من بلدة الى اخرى فهو البريد (والشُرْطي) بضم الشين المعجمة واسكان الراء وهي علامة تكون في الرجل يعرف بها انهٔ من اتباع السلطان وجمع الشرطي شرط منسوب الى الشرطة كغرفة (والدربان) البواب والجمع درابنة كما قالهٔ الانباري في شرح الفضليات وهو فارسي معرب (والقهرمان) الحفيظ الامين (والاتابك) المربي لاولاد الملوك (واللآلىَ) مربي اولاد الوزراء والامراء والكبراء قال الشهاب الخفاجي وهو غير عربي بل هو عامي مبتذل قال وقد استعملهٔ السراج الوراق في قولهِ

عادى نعم حبًّا للاَسفلةْ اطربني فيهِ الذي قالا

تربية الخدام هذا بِلا شكٍ فلا يخرج عن لالا

وقال فيهِ المرين واجاد

ومليح لالآهٔ يحكيهِ حسنًا فهو كالبدر في الدجى يتلالا

قلت قصدي من الانام مليح هكذا هكذا والا فلالا

وقد قلت في معنى ذلك

رأيت ظبيًا لهٔ نفـار يتيه في مشيهِ دلالا

فقلت من انت ياحبيبي هل راحتي انت قال لالا

(والعضروط) كعصفور الخادم مطلقًا وهو ايضًا الماهن . والسادن . والحفيد . والوصيف . والقانع . وكما يكون القانع بمعنى الخادم كذلك يكون بمعنى الاجير وبهما فسر قولهٔ تعالى واطعموا القانع والمعتر وسيأتي زيادة على ذلك (والماهر) ملاح السفينة ويقال لهٔ الصراري . والنوتي . والداري . ويقال لرئيس السفينة (الرُبان) ومن اسماء السفينة (الجُذافة) بالدال المهملة والمعجمة كما في القاموس (والجَفْل) بفتح الجيم (والفلك) بالضم للواحدة والجمع (والجارية) والجمع الجواري ومنهُ ولهٔ الجواري المنشآت ومن اسمائها (المُسْتَعام) (والصَلْغة) السفينة الكبيرة (والسنبك) (والقُرقور) الصغيرة (والجراب كغراب السفينة الفارغة « والطريدة » السفن . ويسمى قلعها الشِراع . ودفتها التي تسيرها السكان . ومرساها الانجر . والوَجَل . ويسمى المحل الذي ترسي فيهِ المَرفأ . والمينا بالمد والقصر قال في مجمع البحار وهو بالمد مفعال من ونى يني اذ افتر سميت بذلك لفتور الريح فيها وضعفها

و بالقصر مفعل اه و يقال لشاطئ البحر العبر . والجُدّ . والجدّة . والضيف . والضفة . والعيقة . والجداح . والمهرقان . والسِيف بالكسر . والمكلاء كمعظم . والكلاء كبناء والعِراق . والساحل * ويقال للجة البحر المحة بالفتح . والقاموس . وللموجه العُرف . وللطمئن بين موجتيه الغَوْطَب . وللطين الذي في قاعه الحالّ . ومن اسماء البحر زفر . والنَوْفل . وخضارةُ . والدأماء . واليمّ . واللاّفِظةُ . والرجاس كشداد والرجّاف والسَّدِر ككتف . والطَيْس . والطيْسل . والقِبِيس . والعيلم . والطِمّ . بالكسر والحنبل . والحنبالة . والرُّق بالضم . والمنقع كمجمع . والشرم كماقاله الخشني والقَلَمّس . والكافر . والحدّاد كشداد والاجرب . فهذه ثلاثة وعشرون اسماً ويسمى صوتهُ بالهيقم * (والاسيف . والرقيق . والقِن) العبد المملوك لكن لا يقال قن الا لمن مُلك هو وابواه ومن انواع المملوك المدبّر . والمكاتَب والمخارَج . وام الولد (فالاول) من علق عتقهُ على موت سيده (والثاني) من كاتبهُ السيد على مقدار منجم من الدراهم اي مقسّط متى اداه كلهُ عتق وهو قن ما بقي عليهِ درهم (والثالث) من خارجهِ سيده واذن لهُ في العمل وجعل عليهِ في كل يوم شيئًا من الدراهم معلومًا يؤديهِ اليهِ (والرابع) الجارية يتسراها السيد فتحمل منهُ فانهُ متى مات سيدها عتقت لقولهِ صلى الله عليهِ وسلم اعتق امّ ابرهيم ولدُها وقد ذكر اهل السير ان طلحة بن عبد الله احد العشرة رضي الله عنهم كان لهُ الف عبد يؤدون اليهِ الخراج في كل يوم وكان كل يوم يتصدق بخراجهم (والسائل) من يتعرض لسؤال الناس ويسمى القانع وفعلهُ من باب سأل واما القانع بمعنى الراضي ففعلهُ من باب رضي وفسر قولهُ تعالى واطعموا القانع بالسائل . والمعتر من يطيف ولا يسأل ويقال لهُ المحروم ومنهُ قولهُ تعالى والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ويقال لمن لا يسأل العفيف ايضًا ومن بلاغات بعض البلغاء قولهُ

(العبد حرّ ان قَنِع   والحر عبد ان قَنع)
(فاقنَع ولا تقنَع فما   شيءٌ اضرّ من الطمع)

فتحصل مما تقدم وما ذكرناه هنا ان للقانع اربعة معان فإن الحّ في المسألة فهو (الملحف) ومنهُ لا يسألون الناس الحافًا . ويقال للملحف ايضًا الشامد كما ذكره الانباري في شرح المفضليات . ومثلهُ الشحاذ قال في الصحاح شحذت فلانًا الححت عليهِ في المسألة (والقدار) كغراب الجزّار . ومثلهُ القصاب من قصبت الشاة قصبًا من باب ضرب اذا

قطعتها عضوًا عضوًا وصناعة القصابة بكسر القاف وكذا كل صناعة فانها بكسر اولها . و(الطاهي) الطباخ وجمعهٔ طهاة . و(الناصح . والقراريّ) الخياط . و(النساج) هو الحائك . و(البزاز) بائع البز بالفتح وهو امتعة البيت خاصة وقيل امتعة التاجر من الثياب وصنعته البزازة والبز بالفتح ايضًا السلاح ويقال له البزة بالكسر وزيادة الهاء والبزّة ايضًا حسن الهيأة وقولهم من عزّ بزّ معناه من غلب سلب و(العصّاب) الغزال (والقَسامي)الذي يطوي الثياب اول الكل (والحواري)القصّار وقيل لاصحاب عيسى الحواريون لان القِصارة كانت صناعتهم و(الغريض) المغنيّ المجيد . (والحادي) الذي يكون خلف الابل يحدوها (والهادي) من كان امامها (والقينة) الامة البيضاء قال في المصباح هكذا قيدها ابن السكيت مغنيّة كانت او غير مغنية وقيل تختص بالمغنية والرُّنُمُ من النساء بضمتين المغنيات (والقينة) ايضًا الماشطة و يقال لها العاقلة من قولك عقلت الشعر اذا مشطته (والظئر والظؤرة) المرأة ترضع ولد غيرها (والقابلة)التي تقبل الجنين والخافضة من تخفض النساء اي تختنهنّ . والمرأة (الخرقاء) التي لا صناعة لها ولا حرفة ولا تباشر عملاً بيدها وضدها المرأة (الصّناع) كسحاب . وفي هذا القدر من هذا النوع كفاية

واعلم ان اجل زينة الجسد اعتدال القامة وذلك بان تكون بين الطول والقصر ويقال لصاحبها رَبعة بفتح الراء واسكان الباء وتفتح وذلك من حلية نبينا صلى الله عليه وسلم ومن معجزاته انه كان اذا ماشى الطويل ساواه واذا ماشى القصير ساواه واعتدال القامة اعدل الصفات للانسان لان الطويل جدا والقصير كل منهما مذموم فقد قيل انه مكتوب في التوراة تسعة رجال فيها تسع عد منها . الحماقة في السمين . واللجاجة في الاحول . والشطارة في الاحدب . والكياسة في الكوسج . والغفلة في الطويل . والظرافة في القصير . وقال افلاطون البلادة في الزنج . والكرم في العرب . والملاحة في الفرس . والشجاعة في الترك . والعقل في اليونان . والعجب في القصار . والهوج في الطوال . فان قلتَ ان الله تعالى قد امتن بطول القامة على قوم هود فقال وزادكم في الخلق بسطة وكذا على طالوت بقوله و زاده بسطة في العلم والجسم والامتنان يقتضي انها من النعم فكيف يسوغ ذمها . قلتُ يجاب بان طول القامة الممتن بها هي القامة المعتدلة التي يسمى صاحبها بالربعة لان الله زاد بسط قامته عن قامة القصير

وحماه من فرط الطول المذموم وعلى هذا يحمل مدح العرب لطول القامة . ويقال للرجل الطويل القامة (طوال) بضم الطاء وتخفيف الواو فان افرط فهو طوّال بتشديد الواو ومثله كل صفة فيقال لمن له حسنٌ رجل حسن الوجه فان اردت انه زائد الحسن قلت رجل حسان كجمان فان اردت انه بلغ نهاية الحسن قلت حسّان كرمان ومن احسن الزينة البدنية للانسان ايضاً الحسن وقد تقدم انه تناسب الاعضاء ولطافتها وانما كان الحسن من الزينة لان حسن الظاهر في الغالب يدل على حسن الباطن ولذا ورد في الحديث . اطلبوا الخير من حسان الوجوه . وضد الرجل الحسن المليح الرجل الدميم بالدال المهملة لان الدمامة بالدال المهملة في الخلقة والذمامة بالمعجمة في الخلق والدميم بالدال المهملة مأخوذ من الدِّمة وهي النملة او القملة قال النووي في التهذيب روينا في حلية الاولياء عن سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن ابيه عن الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمد احدكم الى ابنته فيزوجها من الرجل الدميم إنهنَّ يردنَ ما تريدون وفي اول النكاح من المهذب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم . قال الجوهري هو القبيح . قلت وقوله في الحديث انهنَّ يردنَ ما تريدون يشير الى حكمة النهي وهو من جوامع الكلم اي كل ما يُريدهُ الرجل من المرأة تريدهُ المرأة منه من ادبٍ وكمالٍ وحسنٍ وجمالٍ ولطافةٍ وظرافةٍ وحسن هيأةٍ ونظافةٍ ولذا قال ابن عباس في قوله تعالى ولهنَّ مثل الذي عليهنَّ انه كما يُطلب منها ان تتزين لزوجها كذلك يُطلب منه ان يتزين لها ولذا قال الشاعر

احلى الرجال من النساء مواقعاً ... مَن كانَ اشبههم بهنَّ خدودا

اي لان الرجل لا يحب ان يرى في وجه زوجته شعراً وكذلك هي لا تحب ذلك فكيف اذا اجتمع الشعر والشيب . فهناك يقع البغض بلا ريب كما قال زهير

اذا شابَ رأسُ المرء او قلَّ مالهُ ... فليسَ لهُ في ودهنَّ نصيبُ

وكيف يكرهنَ شعر الرجل وهو مسكٌ ويحببنه وهوَ كافور فلا يطمع في ميلهنَّ الأشيب الاّ اذا رضي بما يبدينه له من المداهنة والكذب والزور . ولي في ذلك جملة من الاشعار . تركتها ايثاراً للاختصار . منها قولي

قد قلتُ والشيبُ قد تبدّى ... يجرُّ فوقَ الخدودِ ذيلا

قـد طلعَ الفجرُ يافؤادي ... فلن ترى بعد ذاك ليلا

وفي الحديث ان شابة تزوجت بشيخ فقتلته فقال عمر ايها الناس لِيَنكح الرجل لُمَتَهُ من النساء . اسيه مثلهُ في السن . فعلة من الملاءمة والموافقة والهاء فيها عوض همزةٍ في وسطها . وروي ان ابا مسلم الخولاني كان تحتهُ جارية صغيرة السن فقالت لهُ يوماً ما اراك الاّ ساحراً فقال معاذ الله ولم ذاك قالت اني اطعمتك السم مراراً فلم ارهُ اثَّر فيك فقال وما حملكِ على ذلك فقالت صغر سني وكبر سنِّك . ولهُ كرامةٌ اعظم من هذه وهو انهُ لما سمع بظهور النبي صلى الله عليهِ وسلم آمن بهِ وهو في اليمن وكان الاسود العنسي وهو ذو الخمار لعنهُ الله قد ادَّعى النبوة فبلغهُ ايمان ابي مسلم فاحضرهُ وسأَلهُ عن ذلك فرآهُ صحيحاً فقال ان لم ترجع عن ذلك اوقدت لك النار والقيتك فيها فقال لا ارجع واصنع ما بدا لك فأَمر بايقاد النار فاوقدت وامر بإلقائهِ فالقوهُ ثم بعد مدة من الزمان قالوا للاسود العنسي قد اكلت النار عظمهُ وشربت دمهُ فهل تأذن لنا في التفتيش عليهِ فقال شأنكم واياهُ فلما وصلوا الى النار وجدوهُ جالساً فيها كانما هو جالس في روضةٍ ولم يحترق لهُ ثوب ولا عضو فاخبروا بهِ الاسود فقال لهم دعوهُ ثم ان ابامسلم بلغتهُ وفاة رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وكان قد همَّ على الوفود عليهِ فلم يقدَّر لهُ فهاجر الى المدينة في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنهُ فلما رآهُ عمر وعلم انهُ ابو مسلم قال لهُ احك لخليفة رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ما وقع لك مع الاسود العنسي فاعاد عليهِ ما ذكرناهُ فلما اتمَّ كلامه قام اليهِ الصديق رضي الله عنهُ فاعتنقهُ وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى اراني من امة محمد صلى الله عليهِ وسلم من يشبه خليله ابرهيم عليهِ السلام . قلت ومن اللطائف ان احد الظرفاء رأى جارية حسناء تحت رجل دميم . كأنهُ شيطانٌ رجيم . فأخذ يتعجب فلما رأتهُ الجارية قالت لاتعجب فاني واياهُ في الجنة لانهُ أُعطي فشكر . وانا ابتليتُ فصبرت . ورأى آخر مثلها فلما تعجب قالت لاتعجب فلعل من تراهُ عمل حسنة فجوزي بي ولعلي عملت سيئة فجوزيت بهِ ومما قلتهُ في ذلك

رأَيتُ شخصاً دمياً تحتهُ رَبَضٌ | من الحسانِ فكادَ القلبُ ينفطرُ
قالت انا الشمس يعلو فوقها زحلٌ | وليس يعلو عليها البدرُ والقمرُ

وقلت ايضاً

دنياك حسبك منها | لحيرة الالبابِ
أَنَّ الظباء تراها | فرائساً للكلابِ

والاسد لم تحظ الا بجيفةٍ في ترابِ
فاقطع حبالك منها فانهــا كسرابِ

﴿ مطلب في الشّعر ﴾

ومن اعظم الزينات البدنية للانسان الشعر سواء كان انثى ام ذكرًا وفي الحديث اذا تزوج احدكم فليسأل عن شعرها فان الشعر احد الجمالين وقالوا الشعر برنس الجمال والشعر كمال الحسن هذا ما يخص النساء واما الرجال فاللحى لهم اكمل زينة يدلك على ذلك ما قاله ابو طالب المكي في قوت القلوب . قال روينا من تأويل قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء انه اللحى وفيه وجوه كثيرة وقال فيه ايضًا ذكر في بعض الاخباران لله ملائكة يقسمون لا والذي زين الرجال باللحى . قلت وقد رأيت انه كان من اقسام عائشة رضي الله عنها قال ابو طالب كان الاحنف بن قيس سيد بني تميم يركب لركوبه ثمانون الفًا قال وكان مع ذلك احنف. اعور. اطلس. لا لحية له وكان بنو تميم يقولون وددنا لو اشترينا له لحية بعشرين الفًا فكانوا يذكرون كراهية عدم لحيته ولم يذكروا حنفه ولا عوره . اهـ . اي لان تمنيهم له اللحية دليل على ان العور والحنف ليسا مما يعيب السيد وأن عدم اللحية مما يعاب به قال وكان القاضي شريح يقول وددت لو ان لي لحية بعشرة الاف اي لانه كان من الاربعة الطلس اثنان منهم تابعيان وهما الاحنف بن قيس والقاضي شريح . واثنان صحابيان وهما عبدالله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهم اجمعين . قال ابو طالب في اللحية تعظيم الرجل . والنظر اليه بعين الكمال . ورفعة في المجالس . والاقبال عليه . وتقديمه على الجماعة . (قلت) والقول الفصل ان اللحية في نفسها كمال ولكنها قد تكون كمالاً في بعض الناس ونقصًا في آخرين وذلك كالورد كامل في نفسه ولكنه يكون شمة لبعض القوم دواء ولبعض القوم داء كما قال الشاعر

انا كالوردِ فيه راحة قومٍ ثمَّ فيه لآخرين زكامُ

وهو حياة لمن صحّ مزاجه واعتدل . كما انه موت لنوع من انواع الخنافس يقال له الجعل . كما قال ابن الوردي في لاميته (إنّ طيب الورد مؤذٍ بالجعل) ومثل الورد الفضل فانه يكون في بعض القوم كمالاً . وفي آخرين نقصًا ووبالاً . كما قيل

الفضلُ في الرّجلِ الأديبِ فضيلةٌ ونقصيةٌ في الاحمقِ الطيّاشِ

مثل النهارِ يزيدُ ابصارَ الورى نوراً ويعمي اعينَ الخفّاشِ

قلت وما اشبه كلًا بالماء الفرات . حيث يسقي وهو ماء واحد جميعَ النبات . فتأتي طعومتهٔ شتّى ومختلفات . مع انها كما قال تعالى تُسقى بماء واحد ونفضّلُ بعضها على بعض في الأكل . فسبحان من سلك بنا من توحيد ذاتهِ اوضح السُبُل . والشيءُ اذا لم يكن في محلهِ انقلب شيئًا . وان كان في نفسهِ زينًا . فمطر نيسان في الاصداف درٌّ ناصع . وفي بطون الافاعي سمٌّ ناقع . والحمرة في الخد حسنٌ وجمال . وفي العين قبحٌ ووبال . كما ان السواد في العين جميل . وفي الوجه تشوية وتمثيل . ولذا ورد في التوراة لاتغرنكم اللحى فان التيس لهٔ لحية. وقال ابو طالب المكي روينا عن مالك ابن مغول قال قرأت في بعض كتب الله لاتغرنكم اللحى فان التيس لهٔ لحية ورحم الله من قال .

ان كنتمُ باللحى تستوجبون القضا

وانتم هكـذا فالتيس عدل رضا

ومن بلاغات المأمون قولهٔ اقارب الانسان كشعره فمنهٔ ما يعظم ويكرم ومنهٔ يحفى ويجفى

واللحية هي الشعر النابت على اللَّحيِ وهو عظم الحنك الذي تنبت فيهِ الاسنان ومن اسمائها (العُثنون) فان ضخمت وعظمت سميت (بالكَنْفَليلَة) و(الهلّوف) كما في مختصر العين وهي المفرطة في الطول والعرض لانها تذم نقلاً وعقلاً وعرفًا كما سيأتي . امّا النقل فلأنّ صاحبها يكون بها مثلة واما العقل فعندهُ كل شيءٍ خرجَ عن حدّهِ انقلبَ الى ضدهِ واما العرف فمما شاع وذاع ان الافراط في طول اللحية وعرضها مما يدل على حماقة صاحبها ومن امثالهم قولهم اذا طالت اللحية تكوسج العقل وقالوا يستدل على عدم عقل الرجل باحد ثلاثة اشياء. بطول لحيته وكنيتهِ . ونقش خاتمهِ . وانشدوا في ذلك

ما احدٌ طالت لهٔ لحيةٌ فزادت اللحيةُ في هيأته

الاَّ وينقصُ من عقلهِ اكثر مما زاد في لحيتهِ

وللمتنبي في ذلك

علق الله في عذاريهِ مخلا ةً ولكنهـا بغيرِ شعيرِ

لو رأى مثلها النبيُّ لاجرى في لحى الناسِ سُنّةَ التقصير

واعظم ما رأيت في ذلك قصيدة لبعض الفضلاء استقصى في ذلك مذامّها واطال فيها منها قوله

وَلِحيةٍ عظيمةٍ طويلةٍ مُشهره
طلبت فيها وجهةً بشدّةٍ فلم اره
معرفةٌ لكنّهُ اصبح فيها نكره
يقسم عشر عشرها يكفي رجالا عشره
كم قريةٍ للقمل في حافاتها ومقبره
لو كان ذاك التيس عجلا لاعبدته السمره

الى آخر ما قال ولي في ذلك قولي

فلانٌ ان مدالك وهو فردٌ تجد شخصين منهُ بلا نزاعِ
فرأسٌ بين قرنين وذقنٌ ذراعٌ في ذراعٍ في ذراعِ

ومثل ذلك قولي

اطالَ النذلُ لحيتهُ لصيدِ المالِ لا نُسكا
فصاد المالَ لمّا مدَّ من خيطانها شبكا
لحىً لو شامها يعقوبُ مع احزانهِ ضحكا
تنادي ذمَّ هذا ليْسَ يؤفك عنهُ من افكا

اي ليس يصرف عنهُ من صرف . ومن العجائب ان شيخ البخاري الملقب بالرشك قالوا انهُ من عظم لحيتهِ مكثت العقرب فيها ثلاثة ايام وقد ذكر ذلك القرطبي في الالقاب . والخطيب في تقييد المهمل . والقاضي عياض في مشارق الانوار . والحافظ ابن الجوزي وغيرهم قالوا واسمهُ يزيد الرشك بضم الرّاء والرشك اسم العقرب بالفارسيّة وهو من التابعين . قال الدميري والذي يتجهُ عندي انهُ كان في مكان فيهِ عقارب وكانت مده اقامته فيهِ ثلاثة ايام فلما احسَّ بها بعد ذلك علم ان محلَّ وجودها ومبداه من ذلك الوقت فلا يرد انهُ كيف يصح تقدير ذلك اي مكثها بثلاثة ايام لانهُ لو علم بها في اوّل وجودها في لحيتهِ ما تركها فمن ابن تُعلم هذه المدة ولا يرد انها كيف لم تسقط عند وضوئهِ للصلاة لاحتمال انهُ كان لا يخللها لكبرها وان العقرب كانت صغيرة جداً وهذا اولى من تكذيب من رواهُ من ائمة الاسلام . قلت ومن العجائب ايضًا ما ذكرهُ العلامة الشيخ عبد الحي العماد الصالحي في تاريخهِ شذرات الذهب في ذكر من ذهب

وذلك في ترجمة العلامة ضياء الدين بن سعد الدين القزويني المعروف بقاضي القوم انهُ كانت لهُ لحية مفرطة الطول بحيث انها كانت تصل الى قدميهِ وكان لا ينام الاَّ وهي في كيس واذا ركب يفرقها فرقتين وكان اهل مصر اذا رأَوهُ قالوا سبحان الخلاَّق العظيم وكان اذا سمعهم قال ان اهل مصر مؤْمنون حقًّا لأَنهم يستدلون بالصنعة على الصَّانع اه . قلت وقد رأَيت نظير هذه اللحية في افراط الطول في الساحل لرجلٍ نصرانيٍ كان يطويها ويدخلها في عبّهِ ولا يريها لاحد الاَّ اذا اعطاهُ مصرية من الفضة فيأْخذها ويخرج تلك اللحية من عبهِ ويمدّها فتفوت قدميهِ. فسبحان من خلق الانسان في احسن تقويم . (واعلم) انهُ يكره حلق اللحية وقصها لان ذلك من شعار الكفار قال في مجمع البحار . وتكره الشهرة في تعظيمها كقصها اما الاخذ من طولها وعرضها لاجل التحسين فحسن . واختلف في مقدار ما يؤْخذ منها فقيل ما زادَ على القبضة وقيل غير ذلك ويكره نتف جانبي العنفقة وتسريح اللحية نصف النهار وترك شَعَث الشعر اظهارًا للزهادة . واما اللحية التي كثرت اصولها من غير طول فهي الكثة وصاحبها كث والاسم من ذلك الكثث وعرّفها الفقهاء بانها ما لم تظهر بشرتها عند التخاطب وكانت لحيتهُ صلى الله عليهِ وسلم كثة وضدها الخفيفة وذو اللحية الخفيفة يسمى بالزِبرقان والزبر قان ايضًا من اسماء القمر واسم صحابي كان من شعراء النبي صلى الله عليهِ وسلم وهو الزبرقان ابن بدر . ثم اللحية الخفيفة انواع . فمنها (الثطاء) من الثطط بالتحريك وهو نبات الشعر فوق اللحيين فقط وهو علامة على كَيس صاحبها قالَ في الاساس يقالُ قلما اجتمعَ الثطي والثطط اي الحمق وخفَّة اللحية لانّ الثط يغلبُ عليهم الدهاء اه . قلتُ واما الحديث الذي ذكرهُ الشريشي في شرح المقامات الحريرية وذكرهُ غيرهُ وهو من سعادة الرجل خفَّة لحيتهِ فقد قال الحافظ انهُ محرّف وصوابهُ خفة لحيبهِ اي ان تكون لحياهُ خفيفة ولسانه رطبًا بذكر الله لانهُ اذا ادامَ ذكر الله ادامَ الله ذكرهُ بدليل فاذكروني اذكركم . وحديث ان ذكرني في نفسهِ ذكرتهُ في نفسي وان ذكرني في ملاءٍ ذكرتهُ في ملاءٍ خير منهُ وايّ سعادة اعظم من ذكر الحق تعالى لعبده . ويقال للاثط (الكوسج) وهو معرب كوسه ومعناهُ ناقص الشعر قال الخفاجي في شفاء الغليل وقد اشتقُّوا منهُ فعلاً فقالوا من طالت لحيتهُ تكوسج عقلهُ ولبعض الادباء فيهِ قولهُ

بليتُ بكوسجٍ في عارضيهِ يعزُّ الشعرُ عزّ الكيمياء

ومهما تجدب الوجنات فاعلم　　　بان لم تُسقَ من ماءالحياء

قلتُ ومن النوادر ان كوسجًا رأى رجلاً لحيانًا اي عظيم اللحية فقال يعرض بذمّ لحيته . قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث . فاجابهُ اللحيان والبلد الطيب يخرج نباتهُ باذن ربهِ والذي خَبُث لايخرجُ الاّ نكدًا (والاطلس) من لا شعر في وجهه(والامرد)الصغير الذي لم تنبت لهُ لحية. ومن لهُ لحية يقال لهُ (ألحي) فان كانت ضخمة قيل لهُ لحيان .ومثلهُ الكنثاء بالنون والثاء المثلثة كما ذكرهُ الجرميّ في تفسير غريب كتاب سيبويه. وما نبتَ من شعر الوجة محاذيًا للأذن يقال لهُ(العذار) تشبيهًا لهُ بعذار الفرس .واختلف الادباء في عذار المليح. فالبعض مدحهُ والبعض هجاه بالكناية والصريح. واعظم حجّة من مدحهُ انهُ زيادة في الجمال وآية جديدةٌ باهرة. وحجة من هجاه ان زيادته نقص لحجبه بعض المحاسن التي كانت قبل وجودهِ ظاهرة. وانهُ جناح الجمال الذي بهِ يطير .وثوب الحزن والحداد الذي ان نظرت اليهِ ينقلب اليك البصر خاسئًا وهو حسير. ولكل وجهة هو مولّيها وحجة هو مظهرها ومجليها. قد علم كل أُناس مشربهم وايدوا بالنقل والعقل مذهبهم .وللناس فيما يعشقون مذاهب والتسليم لكل اسلم .والله تعالى اعلم .فان زاد العذار الى ان وصلَ الى صفحة الخد سمي(عارضًا) تسمية للحال باسم محلهِ لان العارض هو صفحة الخد وعليهِ فقولهم .خفيف العارضين .على حذف مضاف اي شعر العارضين كما في المصباح. والشعر النابت تحت الشفة السفلى يسمى(بالعنفقة) ويسمى ما عن يمين العنفقة وشمالها (بالمَغفلة) .وفي الحديث لاتنسوا في الوضوء غسل المغفلة والمَنْشَلة سميت مغفلة لانها يغفل عنها في الوضوء والمنشلة ماتحت الخاتم٭

وقدانتهت اللحية ومايخصها وبقي هنا بحث وهوانهُ قد تقدم ان اللحية كمال للرجال فما بال آدم صفي الله الذي اسكنهُ جنتهُ . واسجد لهُ ملائكتهُ . وخلقهُ بيدهِ لا بواسطة المخلوقات . وعلمهُ الاسماء والمسميات . كان في الدنيا بلا لحية .قلت يجاب بان الله تعالى خلقهُ في الجنة واسكنهُ فيها فغلبعليهِ شبه اهلهالانهم جرد مرد فان قيل اذا كانت اللحية في الدنيا من الكمال فلم جرد اللهمنها اهل اللجنة وقد فتح اللهعليّ عند كتابتي لهذا البحث الذي لم ارهُ لغيري بجوابين .(الاول) ان نقص اللحية لاهل الجنة هو عين الكمال . وذلك لان كثيرًا من نفوس الرجال والنساء تكرهها حتى لانفسهم مع اعتقاد فضيلتها كما تكره الشيب مع اعتقاد فضيلتهِ وانهُ وقار فنزّه الله تعالى اهل الجنة عن ان يرى الرجل في نفسهِ او غيرهِ ما تكرههُ النفس لان الجنة فيها ما تشتهيهِ الانفس

وتلذ الاعين فلو رأى الانسان فيها ما يكرهه فأين نعيمه . (الجواب الثاني) انه لا يلزم ان كل كمال في الدنيا يكون كمالاً في الآخرة فان التناسل كمال في هذه الدار ونقص في تلك الدار لانه لو كان كمالاً لم يخلها الله تعالى منه لانها دار الكمال وانت اذا نظرت في الدنيا وجدت الاشياء فيها تختلف باختلاف محالاتها فالنقص في محل كمال في آخر وعكسه . واذا اختلفت احكام الاشياء في الدنيا باختلاف محالاتها فما بالك باختلافها مع الآخرة التي هي ضرّتها وضدّها

وهذه نبذة من اسماء الشعر واوصافه فمن اسمائه (الوحف) ويحرّك . ومن اسمائه (الهُلب) بالضم واما الهَلَب بالفتح فهو الشعر الكثير ومثله (المُغْدَوْدِن) و(العَفْوُ) سمي الشعر الكثير عفواً من قولك عفا الشيء اذا كثر ومنه قوله تعالى حتى عفوا قاله في الاساس . ومن اسمائه (الجَثْل) و(الغداف) كغراب الشعر الاسود (والطَّلُّ) الشعر الحسن المُجِبّ والشعر (السَّبِط) بكسر الباء واسكانها المسترسل (والجعد) ضده وهوَ المنقبض مثل شعر الزنج . والشعر (القطط) بالفتح والتحريك ما بين السبوطة والجعودة او هو شديد الجعودة والشعر (الرَّجِل) ما بين السبط والقطط . والشعر (الفَيْنان) الطويل (والجَثالة) و(الجُثولة) ليّن الشعر كثيره والشعث انتشار الشعر لعدم تعهده بالغسل والترجيل وصاحبه اشعث ومنه حديث رُبّ اشعث اغبر و(الفرع) شعر الرأس خاصةً لان فرع كل شيء اعلاه ثم ان شعر الرأس ان كان تامًّا قيل لصاحبه افرع بالفاء وللانثى فرعاء والاسمُ الفرع بالتحريك وكانَ نبينا صلى الله عليه وسلم افرع بالفاء . فان خلا الرأس من الشعر لعلة فهو (القرع) بالقاف وصاحبه اقرع قال في المصباح ويقال للمرأة قرعاء اه . قلت هذا فيه ردٌّ لقول من قال ان المرأة اذا لم يكن لها شعر في رأسها لعلة لا يقال لها قرعاء وانما يقال لها زعراء والقرع مأخوذ من قولك قرع المنزل والاناء من باب تعب اذا خلا كل منهما لان الاقرع من خلا رأسه من الشعر . قال في المصباح والقرع المأكول وهو الدُّبَّاء ساكن الوسط ويقال انه ليسَ عربي وقال ابن دريد واظنه مشبهًا بالرأس الاقرع فان حلق من الرأس مواضع وتُرك مواضع فهو (القزع) بالتحريك جمع قزعة كقصب وقصبة والقزع السحاب المتفرّق . قال في مجمع البحار واجمعوا على كراهته اذا كان في مواضع متفرّقة ما لم يكن لمداواة اه . قلت وقيل القزع حلق بعض الرأس وترك بعض فيكون على هذا ما تبقيه العامة في اعلى الرأس يقال له قزع واهل الشام تسمي

ذلك الشعر الباقي بالشقطية واهل مصر يسمونهُ بالشوشة. فان نزل شعر الرأس الى الجبهة والقفا فهو (الغمم) وصاحبهُ اغمّ وهو مما يذم قال اعرابي لزوجتهِ يوصيها

فلا تنكحي ان فرّق الدهر بيننا اغمّ القفا والوجه ليس بأنزعا

اي لان الغمم يدل على اللؤم كما يدل النزع على الكرم فان انحسر شعر الرأس عن مقدم الجبين سمي (جلحًا) بالتحريك وصاحبهُ اجلح فان زاد عن الجلح فهو (النزع) بالتحريك والنزع ما انحسر عن النزعتين وهما جانبا الرأس مما لا شعر عليهِ مما فوق الجبين وهما تثنية نزعة بالتحريك وصاحب النزع انزع ولا يقال للمرأة نزعاء كما في المصباح ومن صفات علي رضي الله عنهُ انهُ الانزع البطين. والبطين كبير البطن وقيل معناهُ الانزع من الشرك المملوء من الايمان والعلم وقد تقدم انهُ من صفات الكرام فان زاد النزع حتى وصل الى الصلعة من الرأس فهو (الصلع) بالتحريك وصاحبها اصلع. قال ابن سينا ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهنّ ولا للخصيان لشبههم بالنساء وقرب امزجتهم منهنّ قالهُ في المصباح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ اصلع وقيل لهُ الصلعان احبّ اليك ام الفرعان بالفاء قال الفرعان فقيل انت اصلع فقال كان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم افرع اي تام شعر الرأس كما تقدم وروي ان امرأة دخلت عليهِ وهو مكشوف الرأس وقد بدت صلعتهُ فدهشت المرأة فقال لها مالكِ فقالت اني صلعت من فَرقتك. ارادت تقول اني فرقت من صلعتك فقلبت العبارة لدهشها فقال لها عمر اسال الله لكِ العافية (والدائر) هو الشعر الذي يستدير على الرأس وتسميهِ العامة بالحوش. وقد تقدم ان الشعر النابت على القفا يقال لهُ الغمم وكذلك يسمى بالطُّوف. والقوف. والصوف. ومنهُ قولهم اعطاهُ كذا بقوف رقبتهِ كما يقال اعطاه الشيء برمتهِ والرمّة اسم للحبل الذي في رقبة الدابّة قالهُ الميداني والقفا معروف ويسمى بالقافية ايضًا ومنهُ حديث يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا هو نام ثلاث عقدٍ يضرب كلّ عقدةٍ عليك ليلٌ طويلٌ فارقد فإن استيقظ وذكر الله انحلّت عقدةٌ فإن توضأ انحلت عقدةٌ فإن صلى انحلت عقدةٌ فاصبح نشيطًا طيّب النفس والاّ اصبح خبيث النفس كسلان وفي روايةٍ عليك ليلاً طويلاً بالنصب على الاغراء واما على الرفع فبتقدير ليلٌ طويلٌ عليكَ وعقدهُ اما حقيقة كالساحر يعقد وينفث في العقد واما مجاز عن ثقل النوم واطالته فكأنهُ قد شدّ على نومهِ بثلاث عقد وظاهر الحديث التعميم ويمكن ان يُخصّ منهُ من صلى العشاء في جماعة كما يخص المعصومون من الشيطان كالانبياء. والمحفوظون كالعبّاد والصلحاء. لقولهِ تعالى انّ عبادي ليس لك عليهم

سلطانٌ ويقال لأول القفا (القذال) بالذال المعجمة كسحاب ومنهُ قولهم ضربهُ على قذالهِ (والطرّة) ما تصفها النساء من شعر الرأس على الجبهة وتسميها العامة الغرّة وهو من المجاز المرسل الذي علاقتهُ المجاورة اذ الغرّة اصلها بياض في جبهة الفرس والطرّة تجاورها في المحلّ . وشعر الرأس اذا طال حتى بلغ الاذنين يسمى (وَفْرة) لانهُ وفر على الاذنين اي تم عليها واجتمع فاذا زاد حتى قارب المنكبين يسمى (لمة) بالكسر لانهُ الم بالمنكبين فان زاد حتى بلغ المنكبين سمي (جمة) بالضم وكانت لنبينا صلى الله عليهِ وسلم جمة فان زاد على الجمة فهو (الذُؤَابَة . والغديرة . والمسيحة) وتسمى الخُصْلَةُ من الشعر (القرن) والفليلة وجمعها فليل كما في شرح الدريدية لابن خالويهِ وتسمى ايضًا (السبيبة) (والسبيب) وتسمى ايضًا (بالغُسْنَة) و(الغُسْنَاة) و(العُنْصُوَة) و(العِنْصِبَة) (والنُواسة) ومنهُ سمي بعض ملوك حمير بذي نواس وسمي النديم الظريف الحسن بن هانيءٍ بأبي نواس لنواستين كانتا تنوسان على ظهرهِ وهما خصلتان من الشعر وسميت نواسة لانها تنوس اي تتحرك ومنهُ سمي الناس ناسًا والجسد ناسوتًا وتسمى ايضًا خصْلة الشعر (بالطاقة) (والسعفة) فاذا ضفرت الخصلة قيل لها (ضفيرة . وعقيصة) والعقاص ككتاب خيط تجمع فيهِ اطراف الذوائب والجمع عقص ككتب (والقراميل) ما تصل بهِ المرأة شعرها من صوف او شعر (والهُدبُ) هو الشعر النابت في الجفن الاعلى والاسفل من الآدمي ونباتهُ في الجفن الاسفل من خصوصيات الانسان فاذا كثر الهدب وطال يقال لهُ الهدب بالتحريك وصاحبهُ اهدب والمرأة هدباء وهو من المحاسن . ومثل الاهدب . (الأوطف . والاغطف) ومن حلية المصطفى صلى الله عليهِ وسلم انهُ كان اهدب اوطف (والحاجبان) العظمان فوق العينين بالشعر واللحم نقلهُ في المصباح عن ابن فارس واحسن اوصاف الحاجب (الزجج) بالتحريك وصاحبه ازج وهو دقة الحاجبين وطولهما وتقوسهما مع عدم اتصال احدهما بالآخر فان اتصل فهو (القرن) وصاحبه اقرن . ومن صفات نبينا صلى الله عليهِ وسلم انهُ كان ازج فان قلت قد ورد في روايةٍ انهُ كان اقرن وهي مما يناقض كونه ازج فاجيب بعدم المناقضة لان حاجبيهِ صلى الله عليهِ وسلم كانا طويلين فاذا رآهما الرائي من بعيد ظنهما اتصلا والتقيا فيعبّر عنهُ صلى الله وسلم بالأقرن فاذا تحقق من قرب ظهرَ انهُ ازج ويقال لدقيق الحاجبين (أَطْرط) وللانثى طرطاء والاسم الطرط بالتحريك ويقال لشعر الوجه اذا كثر (العثا) كالجوى وصاحبهُ اعثى والمرأة عثياء و(الغفيرة) شعر الاذن (والمسربة) بضم الراء الشعر النابت من الصدر الى العانة واما المسرَبة

بفتح الراء فهي مجتمع الغائط من الانسان (والعانة) ماينبت فوقهُ شعر الفرج من الرجل والمرأة وكما تُقال للمحل تقال ايضًا للشعر . ومن اسماء العانة (الثُنة) بضم الثاء ومن كلامي من السنة . حلق الثنة . ومن اسماء العانة (السُبدة) لانها تسبد اي تُجزُّ واما الشِعرة فقال في العباب هي خاصة بالنساء وقال الازهري انها مشتركة بين الرجال والنساء و(الزغب) بالتحريك شعيرات صفر تنبت ليّنة قبل البلوغ (والإسْب) بكسر اولهِ شعر الفرج والدبر كما في القاموس و(الغَفَر) شعرساق المرأة

ومما يناسب الشعر المشط وفيهِ لغات تثليث الميم مع اسكان الشين وضمها وممشط كمنبر . ومشط كفرح . ومن اسمائهِ (المشقأ) وفيهِ اربع لغات بالهمز و بدونهِ و بالقصر والمد . ومن اسمائهِ (المكدُ) (والمرجل) بكسر اولهما (والفيلم) بفتح الفاء ذكر ذلك كلهُ في شرح الفاظ التنبيه

مطالب في الصفات المحمودة

وهذه نبذة في الصفات الممدوحة والمذمومة في الرجال والنساء . فمن الصفاتُ الممدوحة (البشر) بالكسر وهو طلاقة الوجه ومثلهُ الهشاشة وقيل الهشاشة الفرح بالشيء والاستبشار بهِ والارتياح اليهِ وقد قيل البشاشة خير من القِرى والبشاشة التبسم وهو ان يكشر الرجل عن اسنانهِ من الفرح من غير صوت فان زادَ فهو (الهِناف) فان كان مع الصوت فهو (الضحك) قيل وهو خاص بالانسان لانهُ من الفصول المخرجة لغيرهِ في التعريف اذا قلت الحيوان الضاحك وقيل يشاركهُ في الضحك الكلب والقمري والظاهر ان صح ذلك ان الكلب يشاركهُ في التبسم فقط ولا يشاركهُ في الضحك الاَّ القمري لانهُ يصوِّت كضحك الانسان فان علا الصوت في الضحك فهو (القهقهة) و(الهزِقة) و(الهَزْرَقة) و(الكركرة) والكل مذموم ما عدا التبسم والهناف فالتبسم من صفة الكمال قال صاحب الهمزية فيها

سيدٌ ضحكهُ التبسم والمشـ ـي الهوينا ونومهُ الاغفاء

وقال الفرزدق في زين العابدين

يُغضِي حياء ويُغضَى من مهابتهِ فما يكلَّم الاَّ حين يبتسمُ

ومن قباحة القهقهة انها تبطل الصلاة اجماعًا والوضوء عند ابي حنيفة اذا كانت في الصلاة

ومن الممدوح في الانسان (المداراة) وهي بذل الدنيا للدين او الدنيا وستأتي المداهنة في الاوصاف المذمومة والفرق بينها و بين المداراة وقد امرنا الشارع بها وقال الشاعر

ما دمت حيًّا فدار الناس كلّهمُ　　فانما انت في دارِ المداراتِ

وقال آخر

ودارهم ما دمتَ في دارِهم　　وأرضهم ما دمتَ في ارضهم

واستصحبنّ البعض منهم لكي　　يُعينك البعض على بعضهم

ومن امثال العامة .من لم يدارِ المشط مزّق لحيتهُ .ومن الممدوح (التُّؤَدَة) مثل رطبة وهي التثبت وعدم العجلة واصل تائها واو ومثلها في المعنى (السكينة) وهي الرزانة وعدم الخفة قال في المصباح وحكى في النوادر تشديدكافها قال ولا يعرف فعّيلة مشددة في كلام العرب الاّ هذا الحرف وهو شاذ ومثل السكينة في المعنى . الوقار

ومن الممدوح (الحلم) وهو الصفح والستر تقول حلم الرجل بالضم حلماً بالكسر ومن الممدوح (الاغضاء) وهو ان يعرض الانسان عن جزاء من اساء اليهِ حتى كأنهُ لم يعلم بإساءتهِ و يقال لهُ التغافل .ومن كلام بعض السلف (عظموا مقداركم بالتغافل) وقالوا السيد العاقل. هو الفطن المتغافل وانشدوا

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومهِ　　لكنّ سيدَ قومهِ المتغافلُ

وقال آخر

يغطّي على الاشياء سرًّا بحلمهِ　　الى ان تقول الناس ليس بعالمِ

وماذاك عن جهلٍ بهِ غيرانهُ　　يجرُّ على الزلّاتِ ذيلَ المكارمِ

وقد رأيت ان بعض اهل البيت اشترى جملاً من اعرابي واقبضهُ ثمنهُ فجاء اليهِ الاعرابي في اليوم الثاني ودخل عليهِ مع الناس ثم لمّا نهض طلبَ منهُ ثمن الجمل فاعطاهُ ولم يزل في كل يوم يتردد اليهِ و يطلب منهُ ثمن الجمل وهو يعطيهِ الى ان بلغ عشرين مرّة فلما جاء بعد ذلك اعطاهُ وقال لهُ سرًّا قد فات ثمن بعيرك عشرين ثمناً .يعرّفهُ بذلك انهُ متغافل وليس نغبي .فذهب الاعرابي ولم يعد بعدها اليهِ . (قلت) وقد شاهدتُ مثل ذلك في كبير من مشائخ الدروز يقال لهُ الشيخ شاهين تلحوق كان اذا نزل من الجبل الى بيروت يكون معهُ من الاتباع نحو المائة فرأيتهُ يوماً عند الصباح تأتي اليهِ اتباعهُ يطلبون منهُ ان يعطيهم دراهم لاجل الفطور و يزدحمون عليهِ فرأيت

احدهم أخذ منهُ ثم تأ خر قليلاً ثم طلب ثمن النطور فاعطاهُ فتأ خر قليلاً ثم تقدم فاعطاهُ الى المرَّة السابعة فعندها مالَ اليهِ وقالَ لهُ سرًّا صارت هذه سابع مرة فأَخذ منهُ في المرَّة السابعة ولم يعد ورحم الله من قال

ولمَّا تعامى الدهرُ وهو ابو الورى عن الرشد في أنحائهِ ومقاصده
تعاميتُ حتى ظنَّ اني اخو العمى ولاغرو ان يحذو الفتى حذو والده

ولابي العلاء المعرّي .

ولمّا رأَيتُ الجهل في الناسِ فاشيًا تجاهلتُ حتى ظُنَّ أَنيَ جاهلُ
فياعجبًا كم يدَّعي العلمَ ناقصٌ ويا اسفًا كم يظهر الجهلَ كاملُ

ومن المحمود (الشجاعة) وقد تقدمت و(البراعة) وهو ان يبلغ الانسان من كل كمال غايته

ومن المحمود (التواضع) ومعني التواضع لغةً التذلل للغير ظاهرًا فقط لكن المعتبر شرعًا ان يكون باطنهُ مطابقًا لظاهره بحيث يكون في نفسهِ انهُ انزل رتبة ممن تواضع لهُ فلو رأى نفسهُ اعلى منهُ وانهُ تنزل لهُ عن رتبتهِ فذلك هو الكبر ومما يعين الانسان على التواضع الشرعي ان يستحضر في نفسهِ عيوبها فيجدها لاتحصى ويجد عيوب غيره خافية عليهِ لايعلمها لعلمهِ بعيوب نفسهِ فعند ذلك يرى غيره خيرًا منهُ فان ظهرت لهُ عيوب الغير قال لنفسهِ لعلَّهُ تاب مما ظهر لي بينهُ وبين ربّهِ والتائب من الذنب كمن لاذنب لهُ وانا قد غيب الله عني عاقبة امري فما ادري ماذا يفعل بي ولا ادري اذا اذنبتُ ذنبًا هل يوفقني الله للتوبة مثلهُ او على اني ان نظرت لنفسي وجدت فيها استعدادًا لقبول كل شيءٍ لاني غير معصوم ومن كانت هذه حقيقتهُ فلا ينبغي لهُ ان يرى لنفسهِ فضلاً على غيره

ومن الاوصاف الحميدة (الفكاهة) بالضم والفتح و(الدعابة) بالضم فقطوهما (المزاح) ويقال لمن فيهِ الفكاهة فكه كفرح ولمن فيهِ الدعابة دعِب وداعِب ودعبب كقنفذ قال في المصباح وسمي المزاح فكاهة لانبساط النفس بهِ اه . اي ان النفس تنبسط بهِ كما تنبسط بتعاطي الفاكهة وفي ذلك اشارة الى انهُ ينبغي ان يكون تعاطي المزاح كتعاطي الفاكهة آونةً آونةً لا دائمًا وابدًا مثل تعاطي الغذاء . ولذلك سمّت العرب المزاح بالاحماض واصل الاحماض ان الماشية ترعى من نبات حلو يقال لهُ الخُلَّة ويقال اذا رعتهُ اخلت فاذا سئمت منهُ انعطفت على نبات مالح يقال لهُ الحمض

لاجل ان تنشط الى العود لمرعاها الاول فاذا رعت الحمض يقال احمضت فالحمض لها كالفاكهة لنا وقد روي ان ابن عباس كان اذا خاض مع اصحابه في التفسير والحديث يقول لهم احمضوا بنا اي خذوا فيما هو كالحمض من اشعار العرب ومُلَح الناس لأن النفوس تسأم من ملازمة شيءٍ واحد لحبها التنقل ولو من الاعلى الى الادنى ولذا نوّع الله لها العبادات فجعلها انواعاً كثيرة بخلاف الملائكة فان الواقف منهم لا يركع والراكع لا يسجد والساجد لا ينهض رأسهُ فعبادة احدهم نوعٌ واحد فقط وفي معنى ما قدمناهُ

قول الشاعر

افد طبعك المكدودَ بالجدِّ راحةً   يجمُّ وعلّلهُ بشيءٍ من المزحِ
ولكن اذا اعطيتهُ المزح فليكن   بمقدارِ ما نعطي الطعام من الملحِ

ومن كلام سيدي العارف بالله تعالى السيد محمد بن عبد الله بن شيخ العيد روس علامة صاحب القلب الرقيق ميلهُ الى الدعابة لخفة روحهِ ولطف سجيتهِ . ويستدل ايضاً على رقة القلب برقة ماء الوجه لان الوجه دليل القلب وخيال صورته . وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم كانت بهِ دُعابة ومع تلك الدعابة كان لا يقول الّا حقًّا وحكمة مزاحه صلى الله عليهِ وسلم مع اصحابهِ ليبسطهم مما اعتراهم من مهابتهِ لان مهابتهُ كانت كما قال صاحب البرأة

كأنهُ وهوَ فردٌ من جلالتهِ   في عسكرٍ حين تلقاهُ وفي حشمِ

وقد روي ان امرأة رأتهُ صلى الله عليهِ وسلم فاعترتها رعدة فلما رآها قال لها هوّني عليك فانما انا ابن امرأة مثلك كانت تأكل القديد . واعظم من هذا انهُ ورد عنهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال محدثًا بما خصهُ الله تعالى بهِ ونصرت بالرعب مسيرة شهر يعني من كل جهة من جهات الدنيا الاربع فكانت مهابتهُ تسري مسيرة اربعة اشهر وهذا مقدار ما هو مسكون من ربع الدنيا العامر وقد نقل شيخنا سيدنا القطب الذي عليهِ مدار النجوم والبدور والشموس . والفريدة التي هي زينة تاج الروس . بحر الطريقة . والشريعة والحقيقة . الشيخ عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العيد روس . امدّنا الله بمادة اسرارهِ . وهدانا الى طريقهِ بشروق انوارهِ . عن بعض اجدادهِ قدست اسرارهم انهُ قال المراد بالشهر في حديث ونصرت بالرعب مسيرة شهر الهلال لان الشهر اسم لهُ والمعنى ونصرت بالرعب مسافة ما بين المشرق والمغرب لان هذا مسير الهلال ومقدار ما بينهما خمسمائة عام وهذا من الفتوحات اللدنية واذا علمت ذلك علمت ان حكمة

مزاحه مع اصحابهِ وازواجه لينبسطوا لاجل ان يمكنهم الاخذ منه والتلقي عنهُ كما انبسط الحق تعالى مع كليمهِ موسى عليهِ السلام حين اراد ان يكلمهُ ليدفع عنهُ دهشة عظمة الربوبية بقولهِ وما تلك بيمينك ياموسى ولذا انطلق لسانهُ بالجواب . وبما زاد عن الجواب . وذلك ليتلذذ بطول مدة المناجاة والخطاب . كما هو شأن الاحباب مع الاحباب

فقد حكي ان بعضهم كان يتصامم عند مناجاة محبوبهِ ليحظى بلذة تكرار لفظهِ وللصفي الحلي في ذلك قولهُ (لله لفظٌ بهِ يُستعذب الصمم) ولله درُّ من قال

وحديثها السحر الحلال لو انهُ لم يجنِ قتل المسلم المتحرّزِ
ان طال لم يُملَل وان هي اوجزت وَدَّ المحدِّثُ انها لم توجزِ
شركُ العقول وطُرفةٌ مامثلها للمطمئنِّ وعقلةُ المستوفزِ

وكان نعيمان يهذي للنبي صلى الله عليهِ وسلم ويضحكه بمزاحه قال الحافظ الدمياطي في حاشيتهِ على البخاري شهد نعيمان المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليهِ وسلم وكان من اصحاب العقبة واتي بهِ في شرب الخمر الى النبي صلى الله عليهِ وسلم فجلده اربعا او خمساً اي اربع مرات او خمساً فقال رجل من القوم اللهمَّ العنهُ فما اكثر ما يشرب واكثر ما يجلد فقال صلى الله عليهِ وسلم لا تلعنهُ فانهُ يحب الله ورسولهُ قال البرهان الحلبي والرجل اللاعن هو عمر بن الخطاب نقلهُ بعض الحفاظ عن رواية البيهقي . فان قلتَ كان يهذي نعيمان للنبي صلى الله عليهِ وسلم حتى يضحكه وقد ورد في الحديث ان الرجل يتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار ابعد من الثريا . فالجواب ما قالهُ ابن الجوزي ان الحديث محمول على من اضحكهم بالكذب وقد ورد ذلك في حديث مفسرًا وهو ويل للذي يحدث الناس فيكذب ليضحك الناس وقد يجوز للانسان ان يقصد اضحاك غيره في بعض الاوقات ففي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب انهُ قال لأكلمن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم لعلهُ يضحك قال قلت لو رأيت آمنة بريد امرأة عمر سالتني النفقة فوجئت عنقها فضحك النبي صلى الله عليهِ وسلم واذا عرفت ما قدمناه عرفت ان المزاح غير مذموم لان تعريف المزاح انهُ الانبساط مع الغير من غير ايذاء لهُ ولا كذب كما قالهُ في المصباح فاذا كان المزاح مشتملاً على اذى الغير او كان مشتملاً على كذب او الفاظ قبيحة او اكثر منهُ الانسان خرج عن المزاح وسمي (استهزاء . وسخرية . ومجونًا) والمجون والماجن ليسا من كلام العرب وقد اخذتهُ العامة من قول العرب مجن الشيءُ من باب قعد اذا

صلب وغلظ ولذا قال ابن هلال في كتاب الفروق المجون صلابة الوجه وقلة الحياء اي لانهُ مأخوذ مما قدمناه وقال الازهري المجون ان لا يبالي الانسان ما صنع والماجن عند العربِ يقال لهُ الخريم كالنديم . قلتُ ومن المجون المحاكاة وهو ان تقول كما يقول الغير وان تفعل كما يفعل متنقصاً لهُ كتعارجك تحكي الاعرج وكتمتمتك تحكي التمتام وذلك حرام ذكرهُ المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير واهل الشام يسمون الماجن مهرّجاً . (قلتُ) ولعل ذلك مأخوذ من قول العرب هرجَ في حديثهِ اذا خلط فيهِ كما ذكرهُ في الاساس . واهل مصر يسمون الماجن بالمسخرة واصل المسخرة عند العرب من تضحك منهُ الناس ومثلهُ السخرة كغرفة اما السخرة كهمزة فهو من يضحك من الناس ونقول العرب اتخذ الناس فلاناً سخريا بضم السين وكسرها اي مسخرة كما في الاساس . قال فيهِ ونقول رب مساخر يعدها الناس مفاخر اه

(وقلت في فصل من النثر) ربَّ مزاح. يفضي الى صياح . وحمل سلاح . وسلب الاموال والارواح . وربَّ مداعبة . تفضي الى محاربة . ومفاكهة . تجرُّ الى مسافهة . واظهار العداوة مشافهة . فاذا مزحت فاجتنب الاذى . وامسح عيون كلماتك من القذى . وكن كعود الطيب يحرق بالنار فلا يضوع منهُ الاَّ الشذى . ولا تكن ممن هذر وهذى . فالنفوس مجبولة على تفضيل من فضلها . ومطبوعة على ترزيل من رزلها . والمزاح موضوع لبسط النفوس وترويحها . لا لتخديشها وتجريحها . والشيء اذا خرج عن حده انعكس الى ضده . وليس العاقل من يجعل الخليل عدوّا بل الذي يجعل العدو من الخلاّن . واصلاح الفاسد اشق من افساد الصالح وتأمل ذلك في الهدم والبنيان .

وليس كثيرًا الف خلٍّ وصاحب وانَّ عدوًّا واحدًا لكثيرُ

(نصيحة) ينبغي للعاقل ان لا يمزح الاَّ بين امثاله واشكاله . وان يلبس بين الجهلة ثوب وقاره وكماله . فقد قال افلاطون انبساطك عورة من عوراتك . فلا تبدهِ الاَّ للمأمون عليهِ . وقالت الحكماء الانس في المجلس الخاص . لا في المحفل الغاص . ولمثل من مزح بين السفهاء والجهال . حذر الشاعر حيث قال

فاياك اياك المزاحَ فانهُ يجرّي عليك الطفل والرجل النذلا

ورحم الله القائل

يقولون لي فيك انقباضٌ وانما رأوا رجلاً عن حومة الذل احجما

واحسن منهُ قول الآخر

لي انقباض ووحشة فاذا جالست اهل الحياء والكرم
ارسلت نفسي على سجيتها فقلت ما قلت غير محتشم

ومن الاوصاف الحميدة . (الضيافة) وفعلها اضاف فهو مضيف واما النازل على المضيف فهو الضيف وفعله ضاف ثلاثي والضيف يقال للواحد والمثنى والجمع وللذكر والانثى ومنه قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين ويجوز فيه المطابقة كما في المصباح . فيقال ضيف وضيفة وضيفان واضياف واول من سن الضيافة ابرهيم الخليل عليه السلام ولذلك كني بأبي الضيفان ومما جبلت عليه العرب حب الضيف واما الفرس فتبالغ في تعظيمه حتى تصرفه في المنزل وتسميه المهمان ومعناه سيد المنزل قال الشاعر

ما سمت العجم المهمان مهمانا الا لاجلال ضيف كان من كانا
فالمه سيدهم والمان منزلهم والضيف اكبرهم ما لازم المانا

والرجل الرجم الخليل والنديم . والمنادمة هي اسماع لمنصت او انصات لمسمع وصاحبها يسمى نديما وندمان وذلك لانه يندم على ما فرط منه في حال مجالسته لان اللسان جواد عثور او لانه ينندم على مفارقته ويقال لصاحب النكات اللطيفة والملح الظريفة والاحاديث العجيبة خزعبلة . قاله الجرمي في شرح كتاب سيبويه والرجل الحصيف هو الخفيف . والرجل المحفاح . المخلص في المودة . والفاره هو الحاذق . والشاحج الغيور . والفاكه الناعم العيش . والقاضف ناعم العيش والبال . والهيئ كفعيل الحسن الهيئة . والمجدود والجد بالضم المحظوظ اي من له حظ عظيم . والرجل المديخ كفعيل بالخاء المعجمة آخره هو العظيم وجمعه مدخاء ككريم وكرماء . والرجل الجرذ والمجذ المجرب للامور . والرجل الصحاح كسحاب صحيح الجسم والمزاج . والرجل المشور المحسود وكل ذي نعمة محسود . والمغبوط من تغبطه الناس اي تتمنى مثل حاله والفرق بين الحسد والغبطة ان الحسد تمني زوال نعمة غيره والغبطة تمني الغابط مثل حال المغبوط . والرجل الباثر هو الغني ومثله المثري والمترب فالاول من قولك اثرى الرجل اذا صار ماله مثل الثرى وهو التراب والثاني من قولك اترب الرجل اذا صار ماله كالتراب ايضاً واما ترب الرجل فمعناه افتقر وقولهم تربت يد فلان ليس قصدهم به الدعاء عليه وانما قصدهم التعجب من حاله ومثله اخزاه الله وقاتله الله ما ابلغه ونحو ذلك . والرجل الاغيد . والاجيد

والأتلع . والأعنق . والغَمَلَّط . طويل العنق والانثى غيداء . وجيداء . وتلعاء . وعنقاء . (ومن اسماء العنق) الجيد . والمِقلد . والمراد كسحاب وكتاب . والاقليد والمُتَلَدَّد بفتح الدال . والقصَرة بالتحريك كما في مجمع البحار وجمعه قصر كقصبة وقصب والرَّدْع . والتَليل . والليت بالكسر . والهادي . والكَرْدُ بالفتح . والنحر . والطُلْيَة كرُطبَة . فهذه ثلاثة عشر اسماً (والدسيعة) مغرز العنق (والبلد) ثُغْرة النحر (وحبل الوريد) عرق فيهِ متصل بعرق القلب وهو النياط والوتين ولكل عنق وريدان (والاوداج) عروق في النحر يقطعها الذابح حين يذبح (والقفا) معروف وحاق القفا وحقه وسطه . وقذاله طرفه . وحلاوته وخاتمه نقرته كما في الاساس ويقال للقفا القافية وقد ورد في الحديث يعقْد الشيطان على قافية رأْس احدكم اذا هو نام ثلاث عقد « الحديث » وقد تقدم ذلك (والحلق . والحلقوم) فم المعدة (والمريء) ككريم مجرى الطعام والشراب في الحلقوم (والرئة . والكَظَم) بالتحريك مجرى النَفَس (والمعدة) مجمع الطعام والشراب من الآدمي وهو بيت الداء وحوضُ البدن الذي ترده العروق وتشرب منهُ وهي اول الامعاء . وثانيها البواب . وثالثها الصائم . ورابعها الدقيق . وخامسها الاعور . وسادسها قولون . وسابعها المستقيم . وقد جمعها بعضهم في قولهِ

سبعة امعاء لكلّ آدمي فمعدة بوابها مع صائم
ثم الدّقيق اعور قولونها والمستقيم مسلك المطاعم

واذا عرفت ان الامعاء سبعة عرفت معنى قول النبي صلى الله عليهِ وسلم المؤْمن يأْكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء وان المراد ان المؤْمن الكامل الذي غلبت عليهِ روحانيته اكله بالنسبة للكافر الذي غلبت عليهِ جسمانيته تافه جداً وانهُ مقدار السُبع مما يأْكلهُ الكافر وعرفت ايضاً لطافة قول صاحب الهمزية

ملئت مالحرام منهم بطون فهي نار طباقها الامعاء

وانت خبير بان النار طباقها سبع . ومن اسماء الامعاء (القُصَيْرى) (والحَوِيَّة) (والحاوية) (والحاوياء) قاله ابن رسلان فيما كتبهُ على الشفا ويقال لها الحشوة والحشا (والقُصْب) بالضم والاسكان وفي حديث عمرو بن لحيّ وجدته يجر قصبه في النار . ومن اسمائها (الاقتاب) بالكسر والارجاب قالهُ في القاموس ولا واحد لها وقال كراع واحدها رجب محركة او كقفل . ومن اسمائها (المصران) وهو جمع

مصير مثل رغيف ورغفان والمصارين جمع الجمع قاله في المصباح (والاعفاج) هي
التي يصير الطعام بعد المعدة اليها وواحدها عفج قاله في ادب الكاتب وهي في الناس
وفي الحافر كله وفي السباع كلها . والمصارين لذوات الخف والظلف وهي التي تؤدي
اليها الكرش ما فيها (والقوانص) للطير كالمعدة للانسان (والمسربة) بفتح الراء هي مجتمع
الثفل من الآدمي والقوة الدافعة هي التي تدفع الطعام الى الخروج من باب الدبر
وللدبر جملة اسماء منها (الاست) وهمزته همزة وصل وهي عوض عن الهاء المحذوفة
من آخره لان اصله سته ولهذا يجمع على استاه كسبب واسباب و يصغر على ستيه لان
الجمع والتصغير يردان الاسماء الى اصلها و يقال فيه سه وست فيعرب اعراب يدٍ
ودمٍ و بعضهم يجعل تاء الآخرة هاء في الوقف وتاء في الوصل فيقول هذا سه زيد
ومنه حديث العينان وكاء السه فمن نام فليتوضأ قال في المغرب وفي رواية وكاء
الست بالتاء اهـ شبه السه بالاناء المملوء واليقظة بالوكاء له وهو الرباط فاذا انحل
الوكاء خرج ما في الانا . وحله بالنوم . ومن اسمائه (الجحر) بتقديم الجيم على الحاء
المهملة و يطلق الجحر على القبل ايضاً ومنه حديث عائشة اذا حاضت المرأة حرم
الجحران بالتثنية والمعنى ان احدها محرم فاذا حاضت حرم الآخر والجحران بزيادة
الالف والنون هو الفرج ايضاً . ومن اسماء الدبر (الوَضْرَى) (والوضراء) (والصلة)
كما في الاساس . ومن اسمائه (الجَعْرَاء) كما قاله ابن ولاد في المقصور والممدود
و يعيّر به قوم من العرب فيقال لهم بنو الجعراء . ومن اسمائه (الزّبّاء) كما في القاموس
قال فيه . ومن اسمائه (السنباب) بفتح اوله وسكون ثانيه كالسنباء بالفتح والهمزة .
ومن اسمائه (العَذّالة) (والجِعِبّي) بكسر اوله وثانيه وتشديد الباء . ومن اسمائه
(السَّوْأَةُ) (واللَّوْأَة) (والخربة) بفتح فسكون كما ضبطه صاحب العباب وحكاه
النووي عنه في شرح القاموس خلافاً لما في القاموس من انها بالتحريك والخربة بالضم
والخرابة بالفتح والضم ثقب الدبر . ومن اسماء الاست (الخَوّارَة) (والصَّفّارَة)
كجبّانة (والزَرْنب) (والفَهْدَةُ) (والذُعرَةُ) (والعذبة) (والمنحة) بالكسر
و يكنى بام سويد وام عِزْمة بالكسر وام خنور كتنور * وما يخرج من الدبر يسمى
(بالثفل) (والرجيع) (والطوف) ومنه حديث نهي عن متحدثين على طوفهما .
ومن اسمائه (العَذِرَة) (والدُّبوقَاء) كما قاله في مختصر العين و يقال له وللبول
(الاخبثان) و يكنى عنه (بالغائط . و بالخلاء . و بالفضاء) لان الفضاء المحل الواسع

كالخلاء والغائط اسم لما اطمأن من الارض ومنهُ قيل لارض دمشق الغوطة واهل مصر يسمون البستان بالغيط* ويقال للمحلات قضاء الحاجة (المذهب) (والمرفق) (والحش) (والكنيف) (والمرحاض)* (والثلط) الرجيع الرقيق (والعِقْيُ) اول ما يخرج من بطن المولود وما يخرج بعد ذلك يقال لهُ (الفق . والصص) قال في القاموس ولم يوجد ما فاؤه وعينه ولامه من جنس واحد سواهما واستدركوا عليهِ بلفظة (ببَّة) لقب قرشي

وقد خرجنا عن المقصود لكن للمناسبة فنعود الى ما كنا بِصَدَده من ذكر صفات الرجال الممدوحة

فمن ذلك ايضاً الرجل (الاشم) والرجل (الاقنى) فالاشم من في انفهِ شمم وهو ارتفاع في عرنين الانف (والعرنين) هو طرفهُ الاعلى الذي فوقه الحاجبان وعرنين كل شيء اعلاه ومنهُ عرنين الجبل ومما يدلك ان الشمم في العرنين قول الفرزدق يمدح عليا زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم بقولهِ

في كفهِ خيزرانٌ ريحهُ عبقٌ من كف اروع في عرنينهِ شممُ

وهي قصيدة غرّاء يرجى بها لهُ الشفاعة من جده ولها واقعة حال تطلب من محلها والشمم يدل على الاصل والكرم وكذا القنا وكان صلى الله عليهِ وسلم اقنى الانف كما في مجمع البحار والقنا هو الشمم ويزيد عليهِ باحد يداب لطيف في وسطه والمرأة قنواء وشماء . ومن اسماء الانف (المَخَنَّة) مشتق من الخنان يقال لمن يراد ذلة لأطأنَّ مَخَنَّتَك وهذا كقولك لأرغمنَّ انفك اي لالصقنهُ بالرّغام وهو التراب . ومن اسمآئهِ (المَخْطِم) وخطم كل دابة مقدم انفها وكل طير منقاره . ومن اسمآئهِ (الخرطوم) كعصفور ومنهُ قولهُ تعالى سنسمه على الخرطوم . ومن اسمآئهِ (الشرف) لارتفاعه وشرف كل شيء ما ارتفع منهُ واشرف . ومن اسمآئهِ (المراعف) لانهُ محل الرعاف . ومن اسمآئهِ (المرسن) وهو مجاز لان اصل المرسن من الدابة ما يوضع فيهِ رسنه وهو الحبل الذي يقاد بهِ قال العجاج (وفاحما ومرسنا مسرجا) اي كالسيف السريجي . ومن اسمآئه (النثرة) وهي في الاصل الخطة ومنه حديث الجراد نثرة حوت فيكون تسمية الانف بالنثرة من المجاز المرسل والعلاقة الحالية والمحلية . ومن اسمآئهِ (الزنبور) وشاهده في الاساس قول الشاعر

وكأن مطّرد النسيم اذا جرى بعد الكلال خليتا زنبورُ

اي ثقبتا انفهِ ومنهُ استفدنا ان ثقبة الانف يقال لها خلية . وما اتصل بالجبهة من الانف يقال لهُ العرنين كما تقدم . وقصبة الانف عظمه وما صلب منهُ . ومارنه مالان منهُ . والارنبة طرفه الاسفل . والراعف طرف الارنبة . والمراغم والملاغم طرف الانف وما حولهُ من الشفتين . والخيشوم اقصى الانف وهو مخرج الغنَّة قال الجزري . (وغنة مخرجها الخيشوم) . قال في المصباح و بعضهم يطلق الخيشوم على الانف . والمنخر كمسجد خرق الانف لانهُ موضع النَّخير وهو الصوت الخارج من الانف و يقال فيهِ ايضاً منخر بكسر الميم اتباعاً لكسر الخاء ومثلهُ منتن قالوا ولا ثالث لهما كما في المصباح اي في الوزن والمنخور كعصفور لغة طيء والجمع مناخير كعصافير (والخِنَّابتان) بتشديد النون المنخران و يقال للحاجز بينهما وَتَرَة الانف

ومن الاوصاف الممدوحة في العينين (الحوَر) وهو شدة بياض البياض في العين وشدة سواد السواد فيها والوصف منها للرجل احور وللمرأة حوراء والحوراء جمعها الحور وقيل الاحور من مقلتهُ كلها سوداء كعيون الظباء . ومن محمود الاوصاف في العين (الكحل) بالتحريك وهو سواد يعلق خِلقةً باجفان العينين لا مثل سواد الكُحل ولذا قالوا (ليس التكحل في العينين كالكحل) . والوصف منهُ للرجل اكحل وللمرأة كحلاء

ومن اوصاف العين المحمودة (الدعج) وهو سعة العين مع شدة سوادها والوصف منهُ للرجل ادعج وللمرأة وللعين دعجاء ومن الاوصاف (النجل) بالتحريك وهو سعة العين مع حسنها فيكون قريباً من الدعج والوصف منهُ للرجل انجل وللمرأة نجلاء ومثل الانجل (الاعين) والمرأة عيناء والجمع العِين بالكسر . ومنهُ الحور العين . (والابرج) من يكون بياض عينه محدقاً بسوادها كلهِ بحيث لا يغيب من سواد العين شيء (والاشكل) من في عينيهِ شكلة . والشكلة حمرة دقيقة كالشعر والخيطان الدقيقة في بياض العين وهي ممدوحة مستحسنة وتدل على شجاعة صاحبها وكان النبي صلى الله عليهِ وسلم اشكل العينين . قال الشهاب الخفاجي في تاج العروس ومثل الاشكل (الاسجر) بالسين المهملة والجيم . فان كانت الحمرة المذكورة في سواد العين فهي (الشهلة) كما قالهُ الشهاب الخفاجي في تاج العروس قال وقد استحسنها قوم . وقال غيره الشهلة هي زرقة في سواد العين . قال الشهاب الخفاجي في تاج العروس واما الزرقة فكرهها بعضهم لكن روي عن عائشة حديث ترفعهُ الزرق في العين يمن وذكر ابو الفرج في كتاب النساء تزوجوا الزرق العينين فان فيهنَّ يمناً وانشد الثعالبي

يامن هو الماء في تكوين خلقتهِ ... ومن هو الخمر في افعال مقلتهِ
ومن بزرقة سيف اللحظ طلّ دمي ... والسيفُ ما فخرهُ الاّ بزرقتهِ

وانشد السريّ الموصلي

ببيروت قد احببت ظبياً مهفهفاً ... باهدابهِ قد صاد اسد الشّرى صيدا
لهُ وجنةٌ بيضاءُ محمرةٌ وكم ... بمقلتهِ الزرقاء قد قلع السودا

وقلتُ في ذلك

رأَت عينهُ الزرقاء اني احبهُ ... فتاه الى ان ذبتُ من تيهِ عشقا
فلا تعجبوا من مقلةٍ قد أَرتهُ ما ... اواريه عنهُ في الحشا فهي الزرقا

والطرف الساجي . والغضيض . والاغض . هو الساكن الفاتر وهو مما يدل على الحياء والغض اذ الغض عن الشيء معناه عدم استيفاء النظر اليهِ . واما من لا يسكن طرفهُ او يديم النظر الى من يجالسهُ فهو دليل على وقاحتهِ . واما دوام حركة الحدقة وعدم اسقرارها حتى كانها نقط من زئبق فهو دليل على ان صاحبها مجبول على السرقة وقد وصف الله تعالى بفتور الطرف نساء اهل الجنة بقولهِ فيهنّ قاصرات الطرف اي قصرنَ طرفهن على النظر الي ازواجهنّ فقط . ومن اسماء العين (البَرْقاء) يقال كلمتهُ فأَرسل اليَّ برقاويهِ اي عينيهِ سميت بذلك لبرقها . والحدقة هي السواد الاعظم في العين واما السواد الاصغر فهو الناظر وفيهِ انسان العين فالناظر كالمرآة اذا استقبلتها رأَيت نفسك فيها فالذي تراهُ في الناظر هو شخصك . ويسمى الناظر انسان العين . والبُؤْبُؤُ . وذباب العين والعير بالفتح . كما قالهُ ابن خالويه في شرح المقصورة . والطَّرْف نظر العين هو مصدر لا يثنى ولا يجمع ولذا تقدم في الآية فيهنّ قاطرت الطرف ولم يقل الاطراف والبصر هو النور الذي في الناظر وبهِ تدرك المبصرات . (والمقلة) ما جمع السواد والبياض من العين (والموْق) بالهمز وتركه طَرَف العين الذي يلي الصدغ ومثلهُ الماق والماقي لُغةٌ فيهِ ويقال ايضاً لطرَف العين المذكور اللحظ وفرق بعضهم بان الموق ما كان مما يلي الانف والماق ما كان مما يلي الصدغ كما في المصباح . والمحجر كمجلس ما ظهر من النقاب من المرأَة والرجل من الجفن الاسفل وقد يكون من الاعلى وقال بعض العرب هو ما دار بالعين من جميع الجوانب وبدا من البرقع قالهُ في المصباح

ومن صفات المدح (الشنب) وهو برْد الثغر من قولهم ماء شنب اي بارد وقيل الشنب هو ماء الاسنان وجوهرها الذي يسري فيها كسريان فرند السيف وجوهره فيهِ ومثل

الشنب (الظلم) بفتح الظاء المعجمة والنعت من الشنب اشنب . ومثل الشنب في الاستحسان (الفلج) بالتحريك وهو فرجة بين الثنايا والرباعيات والنعت منهُ افلج ومفلج كمعظم واما المفلوج فهو المبتلي بداء الفالج وهو بطلان احساس احدشقي الانسان طولاً وهو في كتب الطب من الادواء الخطرة قبل سابع يوم منهُ فان جاوز السابع انقضت حدتهُ فان جاوز الرابع عشر صار مرضاً مزمناً قالهُ في المصباح . وكان نبينا صلى الله عليهِ وسلم مفلج الثنايا وفي الحديث لعن الله المتفلجات للحسن وفيهِ ايضاً لُعنت الآشرة والمأشورة . هي من تؤشر اسنانها اي تبردها بنحو مبرد لتصير رقيقة فتحسنها بذلك . والآشرة من تفعل ذلك بالمأشورة واصل الأشر شق الخشبة بالمئشار وفي لغة يقال وشرتها بالميشار واذا عرفت ان الفلج هو فرجة بين الثنايا والرباعيات فاعلم ان الفرجة بين الثنيتين يقال لها (الفرق) بالتحريك وصاحبها افرق «واعلم» ان الثنايا في الفم اربع اثنتان منها فوق واثنتان تحت وهي اول ما يبدو من الاسنان عند شق الفم ويليها اربع اسنان يقال لها الضواحك ويليها اربع تسمى الرباعيات جمع رباعية مثل ثمانية ويليها اربعة انياب وتسمى بالنواجز ويليها الاضراس وهي اثنا عشر ضرساً فهذه ثمان وعشرون سناً فاذا بلغ الانسان نبت لهُ اربعة اضراس يقال لها اضراس الحلم فالجملة اثنتان وثلاثون سناً وفم الانسان معروف ويجمع على افواه على غير قياس كما في المصباح ونقل فيهِ عن الفارابي ان اصلهُ فوه بالتحريك وانهُ يجمع على افواه على القياس كسبب واسباب لكنهُ يثنى على لفظ الواحد فيقال فمان وهو من غريب الالفاظ التي لم يطابق مفردها جمعها واذا اضيف الى الياء قيل فيّ وفمي والى غير الياء اعرب بالحروف فيقال فوه وفاه وفيه ويقال ايضاً فمه اهـ . قلتُ ويسمى الريق اذا كان في الفم بالرُّضاب كغراب ويسمى الريق ايضاً بالمجاج كما قالهُ العكبري في شرح المقامات . ويسمى ايضاً بالبَرْد كما في القاموس . انتهى ما يسره الله من صفات الرجال المحمودة

﴿مطلب في الصفات المذمومة﴾

وهذه نبذة من الصفات المذمومة فاقول (الملباجة) عند العرب الجامع لكل عيب (والمدخ) كمنبر الذي لا يبالي ما قيل فيهِ (والمحدود) بالحاء المهملة هو الذي لا يظفر بخير وهو ضد المجدود بالجيم وقد تقدم في الصفات المحمودة (والقِشب الخِشب) من لا خير فيهِ . (والسبهلل) . الفارغ من عمل الدنيا والآخرة . (والخالب) القلاب .

والعائث . والدَّعَر المفسد . والعتريف كزنبيل الخبيث الفاجر (قلتُ) و بينهُ و بين العفريت مجانسة في الحروف تدل على المجانسة في الطباع . والاعرم المتلون والمحاح الذي يرضيك بالقول ولا فعل . والتِلِمّاظ كسِنِمّار من لا يثبت على محبة احد والقبضة الرفضة كهمزةٍ فيهما من يتمسك بالشيء ثم يدعهُ . والخَيدع من لا يوثق بمودتهِ والامع . والامعة بكسر الهمزة وتشديد الميم هو الذي يتابع كل احد على رأيهِ . والمعمعيّ الذي يكون مع من غلب . والخاتل . والخَبُّ بفتح الخاء المعجمة الخادع سمي خبا بالمصدر وفعلهُ من باب قتل يقال هو خبٌّ ضبٌّ . والخنب بالكسر الخداع . وكاسف الوجه وجهمهُ ومكفهِرُّهُ هو العابس . والشجي الحزين . والواجم الحزين الساكت . والحصِر من لا يقدر على الجواب . والمفحم من الفحمة الجواب . والموعوك المريض ومثلهُ الوصب كفرح . والمدنف من اشتد مرضهُ . والمحتضر من كان في حالة النزع . والأسيف الضعيف . والشاحب المتغير اللون من هزال ومقاساة جهد . والسادم المتغير اللون من الحزن . والمطبوب المسحور . والمعين المصاب بالعين . والعائن المصيب . والناقة والبالّ بتشديد اللام . والمبل . والباري الخارج من المرض . والسُّبْرُوت . والمُدْقِع والمُلْفَج الفقير وهو بفتح الفاء على غير القياس لانهُ من ألفج الرباعي فقياسهُ الكسر لكن هكذا نطقت بهِ العرب ومنهُ احصن الرجل فهو محصن . واسهب فهو مسهَب . قيل ولا يوجد لهذهِ الثلاثة رابع والرجل الاصرم الفقير الكثير العيال وهذا هو جهد البلاء نعوذ بالله من جَهْدِ البلاء . والرجل البهبهي هو السمين الجريّ . والناظي والخاظي والكاظي كثير اللحم قالهُ الجرمي في شرح غريب كتاب سيبويه . والمدموم بالدال المهملة المتناهي في السمن . والخندوف كزنبور المتبختر في مشيتهِ كبرًا وعجبًا . والطرمّاح كسنمار الفاخر المتكبر قالهُ ابن فارس في كتاب الاتباع والمزاوجة . والفره . والفكه . والاشر كفرح هو الرجل البَطِر . والملول من يتضجر من الشيء . والسالي من يترك ما يحب اختيارًا وقال ابو زيد السلوطيب نفس الالف عن إلفهِ والرجل الهوجل هو الثقيل شبه بالهوجل وهو مرساة السفينة كما تقدم . قال الجرمي في تفسير غريب كتاب سيبويه والعجبأ والعجاسأ الرجل الثقيل . والعِثْوَلُ الشيخ الثقيل . والرجل الصُغسوس هو الذليل المهين . والرجل المتيح كمنبر والتَيَّاح . والتيحان المتعرض لما لا يعنيه وهو الفضولي . والوجم بالتحريك والاصلد . والمُسُك بضمتين . والمسيل كفعيل البخيل . والرجل الشحشاح . والمجاب بالجيم والحاء المعجمة البخيل جدًّا . والكعل كصرد البخيل الغني

والكتّ بالضم وتشديد التاء المثناة فوقُ البخيل الكسوب وفي المثل جَلْبَ الكتّ الى وَثِيَّةٍ .قال الميداني نصب جلب على المصدر والتقدير جلبة جلبَ الكتّ الى وثيةٍ والوثيـة المرأة الحفيظة اه والملاهس المزاحم على الطعام .والجَعنظَر. والجِعنظَار . النَّهم الأكولُ الشره. والهَبلَع الاكول (قلتُ) والهاء فيهِ زائدة لانهُ من البلع قال الجرمي والجروز الذي اذا أكل لم يترك على المائدة شيئاً وقالت العرب هو آكل من الحوت ومن السوس ومن ضرس ومن الفيل ومن النار ومن لقمان يعني لقمان العادي. زعموا انهُ كان يتغدى بجزور ويتعشى بجزور قالهُ الميداني والوارش .والراشن هو من يأكل من طعام القوم بلا دعوةٍ ويدخل عليهم بلا اذن قال ابن خالويه في شرح الدريدية ومن اسمائهِ الراشن .والشَوْلقيُّ . والارشم . والحضر .والقسقاس . والجردبان . بالفتح والضم اه فهذه سبعة اسماء (قلتُ) والجردبان فارسي معرب واصلهُ كرده بان بكسر الكاف وإسكان الراء ومعناه بالفارسية حافظ الرغيف (قلتُ) وقد رأيت من اسمائهِ ما اكملت بهِ عشرةَ اسماء وهي اللُّعموظ . والضيفن بزيادة نون على الضيف لان معناهُ من يدخل على الطعام مع الضيف من غير دعوةٍ والعاشر الطفيلي وان كانت العرب لم تستعملهُ لان الذي استعملهُ اهل العراق واختلف فيهِ فقيل منسوب الى الطفل بالتحريك وهو هجوم الليل على النهار وقيل الطفل هو الظلام نفسهُ وقال ابن السكيت والازهري وجماعة انهُ منسوب لرجل من الكوفة من ولد عبدالله بن غطفان يسمى طفيلاً كان يدخل على طعام الناس بلا دعوةٍ حتى قيل فيهِ طفيل الاعراس ونسبوا اليهِ كل من فعل كفعلهِ (قلتُ) والاحسن ان يكون منسوباً لمصغر الطِفْل لانهُ يفعل كفعالهِ من الوقاحة والاكل من طعام الغير بلا اذن ونحو ذلك واما الداخل على القوم في الشرب بلا اذن فكانت العرب تسميهِ بالواغل

واعلم ان كثرة الاكل اجمع على ذمها اهل الملل والنِحَل . وسكان السهل والجبل . وكانت العرب تتمدح في جاهليتها بقلة الطعام وتذم وتعير بكثرتهِ حتى قال بعضهم

لولا اتقاءُ الردى نّزهتُ انملتي عن ان تهمّ بمطعومٍ ومشروبِ

وقال آخر

وانك مهما تعطِ بطنك سؤلهُ وفرجك نالا غاية الذمّ اجمعا

وقال عروة بن الورد

افرّق نفسي في نفوسٍ كثيرةٍ واحسو زلال الماء والماءُ باردُ

والمعنى اني افرّق زادي الذي يأكلهُ الواحد في نفوس كثيرة تعيش بهِ واقنع بشرب الماء حال كون الماء بارداً وعبّر عن الزاد بالنفس لانهُ سبب بقائها وقال عنترة

ولقد ابيت على الطوى واظلّهُ حتى انال بهِ كريم المأكلِ

والطوى الجوع قولهُ واظلهُ من باب الحذف والايصال واصلهُ واظل عليهِ فلما حذف الجار انصل الضمير بالفعل وقال الشنفري في لامية العرب

وان مدّت الايدي الى الزادِ لم اكن بأعجلهم اذ أجشع القوم اعجلُ

وقال حاتم

واني لأَستحيي من الضيف ان يرى مكان يدي من جانب الزاد اقرعا

وقد ذمّهُ الشارع ففي الحديث حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه واجمعت الاطباء على ذمهِ . وقالوا البطنة تذهب الفطنة. ورب اكلة منعت اكلات. واصل كل داء البَرْدَة وهي التخمة ومعناها ادخال طعام على طعام لم ينهضم. وقالوا كل كثير عدوٌ للطبيعة ومن حرية العرب انها كانت تكره ذكره فضلاً عن الامتلاء منهُ والانهماك عليهِ فقد روي عن الاحنف بن قيس سيد بني تميم انهُ كان يقول لقومهِ اذا اجتمعوا جنبوا مجالسنا ذكر الطعام والنساء وقولوا ما شئتم وقال آخر

لا تتركوا نصحنا يضيع سدى ولا تكونوا كانكم سبخُ

ولا كقومٍ حديث ليلهمِ ما اكلوا يومهم وما طبخوا

ومما يناسب الاكل المَشْغُ وهو نوع من الاكل ليس بالقوي. والضغث لوك الطعام بالانياب والقضم الاكل باطراف الاسنان. والخضم الاكل بالاسنان كلها. والنهس كالقضم ومعناه بالمهملة والمعجمة واحد كما في الصحاح . والمضغ طحن الطعام بالاسنان فان كان شديداً فهو اللوق. واللوك. فان ارسل الطعام بعد المضغ الى المريء فهو الابتلاع والازدراد. والاسترط . والالتهام. فان كان الابتلاع مع سهولة فهو السوغ تقول ساغ الطعام والشراب سوغاً قال تعالى سائغ شرابه والسائغ. والهنيء والمريء بمعنى واحد تقول هَنَأَني الطعام وَمَرَأَني فان افردت المريء قلتَ امرأني وانما حذفت الفهُ عند عدم افراده للمزاوجة وقيل يقال عند الافراد مَرَأَني كما يقال هَنَأَني وهو لغة كما في المصباح فان كان ابتلاع الطعام بغير سهولة فهو الغُصة . وسبب الغصة ميل الطعام والشراب عن مجراها وهو المريء الى مجرى النفس وهو الرئة يقال غص بالطعام والشراب وقيل الغصة خاصة بالطعام والشرق خاص بالماء . قلتُ وفي قول الشاعر

وساغ لِيَ الطعامُ وكنتُ قبلاً   أكاد اغص بالماء الفرات

ما يشهد للاول وقال آخر

من غَصَّ داوى بشرب الماءِ غصتهُ   فكيف يفعل من قد غَصَّ بالماءِ

(قلتُ) وقريب من هذا المعنى قول الشاعر

يا علماءَ العصر يا ملح البلدْ   ما يصلح الملح اذا الملح فسدْ

وقد قدمنا التخمة. والهيضة اسهال بنشأ عن فساد الطعام في المعدة . والوجبة اكلة واحدة في النهار . والبلغة من الطعام ما يسد الرمق . والشبع فوق ذلك . والكِظَّة الامتلاء . والثميلة بقية الطعام في الجوف قالهُ ابو هلال العسكري في كتابهِ بقايا الاشياء . والسُّلْفة واللُّهنة . والعُجالة . ما يتعجله الانسان قبل الغداء او العشاء او ما يعجل للضيف قبل حضور ما يصنع لهُ من الطعام . واللَّوِيَّة . والزَّلَّة بالفتح ما يرفع من نفيس الطعام ليطعم لشخص عزيز . والقِرى ما يقدم للضيف . والنُّزُل ما يهيأ لهُ ومنهُ نزلاً من غفور رحيم . ويقال لمن وضع احدى شفتيه على الأُخرى عند مضغ الطعام مع صوت يكون منهما تمطَّق ويقال لفعله تمطق . والتلمُّظ تحريك الشفتين بعد الاكل كانهُ يتتبع شيئًا من الطعام بذلك بين اسنانه . ويقال لما بين الاسنان . الخَلَل . والفَغم وفي الحديث كل الوَغْم واطرح الفغم والوغم ما تناثر من الطعام على الارض قال ابن قتيبة في ادب الكاتب وصفت اعرابية رجلاً بالجشع فقالت هو أُكَلَةٌ تَكله يا كل من جَشَعِهِ خلله قال ولم اسمع في الجشع ابلغ من هذا . والسغب بالتحريك . والغَرَث بالثاء المثلثة . والخوى بالفتح والقصر . والطوى . والسُّعار كما قالهُ الميداني والجود كما في القاموس كلها من اسماء الجوع . والظمأ . والصدى . والغليل والحِرَّة بالكسر . والأُروى . والأُحاح بالضم كلها من اسماء العطش

ومن اجل الاشربة (الماء) ومن اسمائهِ الشرب بالكسر . والذميم كما في القاموس . والماعون كما ذكره الجوهري . والشَّرَاب قال في القاموس الشَّرَابُ كل مايشرب قال شارحه المناوي فيشمل الماء وغيره من كل مائع . ومن اسماء الماء الاباب كسحاب قالهُ في القاموس . والماء القراح كسحاب ما كان منهُ خالصًا غير مختلط بغيره . والنُقاخ بالخاء المعجمة البارد العذب . والخصر . والشبم . والرتل . كلها كفرح والفرقف . والسر بالفتح . والشنب . والخَرِيص . والنفيص بالنون والفاء وبالقاف ايضًا الماء البارد . والفرات والنمير العذب . وكذا هو الفظيعُ . والمعين الجاري

ويقال لهُ العِدُّ ايضاً والراكد الواقف . والمِدَّان الذي بقي في الحوض وقيل هو الذي يسيل من الدلاء كما قالهُ الانباري في شرح الفضليات . والغمر بالفتح . والزَّغْرَب المآء الكثير ذكر الثاني في مختصر العين . والعُرْبُب بالضم مثل الغمر . والقورب كجورب هو المآء الذي لايطاق كثرة . والرائق ما شرب على الريق ويطلق الرائق على الخالص لكن استعماله فيهِ مجاز كما في الاساس . والماء الرنق . والمرنق . هو المكدر كانهُ ذهب رونقه وهو حسنه وبهاؤه . والزلال الصافي سمي زلالاً لانهُ يزل عن الحلق بسهولة اي يسرع في مروره فيهِ وقال الحافظ السيوطي ان الزلال حيوان كالدود يكون في الثلج داخله ماء بارد يشربهُ الناس وقد استدرك عليهِ بعضهم في قولهِ يشربهُ الناس بعد قولهِ ان المآء في جوفه وانهُ حيوان واجاب عنهُ بعضهم بقولهِ ان مراده انهُ على صورة الحيوان وليس بحيوان حقيقة ورد بأن بعضهم قال في تعريفه انهُ متى فارق الثلج مات (قلتُ) والجواب ان السيوطي وغيره ذكره على سبيل التعريف وذلك لاتعلق لهُ بالاحكام الشرعية . والثَمَل . والبَرْض . والغيض بالغين المعجمة والثمد بالتحريك . والوشل مثلهُ كل ذلك المآء القليل . والرُحاض ما غسلتَ بِهِ يدك مما ينبغي غسلها منهُ قالهُ الهجري في نوادره . والمساح والتكرُّع ما يتوضأ بِهِ ذكر الثاني والذي قبلهُ الهجري في النوادر . والطهور ما يتطهر بِهِ . والآسن المتغير والنَدَى ما ينزل من السمآء بلا سحاب نهارًا فان كان ليلاً فهو السَدَى . والوَمَد ندى يأتي من قبل البحر في صميم الحر ويقال ليلةٌ وَمِدة اذا وقع فيها الومد واما النازل من السمآء بواسطة السحاب فهو الغيث والوابل والقطر . والمطر . والفتح . والنصر . ويقال للارض المطورة منصورة كما في القاموس . ويقال للامطار يتبع بعضها بعضاً العِهاد والرَّصد فان تفاوتت لم تلحقها هذه الاسمآء قالهُ الانباري . والجدا المطر العام كما في الاساس . والدِّيمة المطر الدائم . والرِّك المطر القليل . والطَش القليل الضعيف . والطَل الخفيف (ومن اسمآء السحاب) الغيم . والغين . والغمام . والأوب . كما في القاموس . والحسبان واحدته حسبانة . والعنان بفتح العين المهملة واحدته عنانة . والمزن . والحَبيُّ . والعمآء . هو السحاب الرقيق ومثلهُ الطخآء . والطهاء . والدَّغْن الغيم الذي يبقى مع المطر . والمُكْفَهِرُّ والكَنَهْوَر كسفرجل السحاب الغليظ . قال الهجري والسحاب الاسود يسمى الجُلْب والابيض يسمى الصبير . وقال ويقال للسحاب اذا كان دون سحاب آخر اعلى منهُ الغفارة . والغفيرة والغَدَقة كفرحة . والودقة مثلها . والرَّبابة . والهَيْدَب . ويقال لما تراكم من السحاب الكِرْفِئ

كزبرج . والنِشَاص. ولماّ اريق ماؤه الجهام. ولما لا ماء فيهِ الهِف. والزبرج. والصرّاد ويقال لما يرى من السحاب كالجبل وليس فيهِ ماء الجلب. (ومن اسماء الرعد) الأَجشُّ والمرتجس. والهزيم . والمُرْزِم (ويقال للبرق) العقيقة. ويقال للمضطرب منهُ العرّاص. ويقال للمعه الخفي الايماض. والانكلال. والشيم ان تنظر البرق هل يمطر اولا يقال شام البرقَ اذا فعل ذلك . فان كان البرقُ ولا مطر فهو الخُلَّب سمي بذلك من الخلابة وهي الخديعة لانهُ يخدع من يراه ويغره. وعزالَى السحاب ما يجري منها المطر واحدتها عَزْلاء وذلك تشبيه بعزالي الاناء وهي التي يخرج منها ما فيهِ من المائعات. ويقال لما يطفو على وجه الماء كالدرة المجوفة عند تقاطر المطر الحبابة وجمعها حباب كسحابة وسحاب والغَلْفَق والطُحلُب خضرة تعلو وجه الماء كالحشيش (ومن اسماء الطحلب) العَذْبَة بالفتح وبالتحريك وبكسر الثانية قالهُ في القاموس. والقَشم مجرى الماء والجمع قشوم. ويقال لهُ القناة والرِجلَة والرِجلة ايضاً هي البقلة الحمقاء لنباتها في ذلك المحل الذي ربما كان سبباً لهلاكها بجريان الماء. والرَّدْهة نقرة يجتمع فيها ماء السماء ومثلها القلت باسكان اللام واما بتحريكها فهو الهلاك ومنهُ حديث ان المسافر وما لهُ على قَلَتٍ. والمِيضأَة مفعلة وهي ما يتوضأ منهُ ويقال لها المِرْحَضَة من الرحك وهو الغسل لان المتوضيء يغسل منها اعضاءه. والبركة معروفة سميت بركة لاستقرار الماء فيها كما يستقر برك الجمل على الارض وهو صدره. واما الفسقية فليست من كلام العرب بل هي مولدة كما افاده الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل (ومن اسماء النهر) الفَلَج والسعيد والسريُّ ومنهُ قد جعل ربكِ تحتك سريًا على قولٍ وقيل المراد بالسري في الآية السيد وهو ولدها عيسى عليهِ السلام . ومن اسماء النهر جعفر. والروط بالضم معرب رود كما في القاموس. والماذبان النهر الكبير لغة سوادية كما في مجمع البحار . ومن اسماء النهر الجِلْواح كما قالهُ الجرمي في تفسير كتاب سيبويه والجمع الجوالح . ومن اسمائهِ النِّهْيُ. واما الخليج فهو نهر صغير يخرج من نهرٍ كبير . والغدير قيل هو النهر كما في المصباح وقيل هو حفرة في الارض ينتقع فيها الماء كما في مجمع البحار وسمي غديرًا لما ترك فيهِ من ماء المطر من قولك غادرت زيدًا اذا تركتهُ ومنهُ قولهُ تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وحديث شفاء لا يغادر سقماً . ومن اسماء الغدير اليعلول والجمع يعاليل ويقال لِفم النهر فُوّهَة بضم اوله وتشديد ثانيه. والزقاق ويقال للمحل الذي يتوصل منهُ اليهِ فُرْضَة. وشريعة وشرعة وشطّ . وعِرَاق. وشاطئ. وَكلاَّء . بالفتح والتشديد والهمز والمد وفي الحديث من مشى على

الكلاء قذفناه في الماء اي من تعدى الحد اقمنا عليهِ الحد. والخريص حوض ينبثق فيهِ الماء كالخَوْر والخَوَرْنق هو الحوض كما في مختصر العين. وهو ايضًا الدَّيسق. والكارخ هوالذي يسوق الماء. والقُنَاقِن هو الذي يعرف كم بين وجه الارض والماء من المسافة ويعلم كثرة الماء وقلته تحت الارض. والقلوص النهر القذر الجاري قال في مجمع البحار واهل دمشق يسمونهُ بالقلوط اه (قلتُ) لعل ذلك كان قديمًا واما الآن فقد صغروه وسموه قليطًا ويحق لهم تصغيره

واعلم ان من اجل الاشربة بعد الماء (العسل) - ومن اسمائهِ الماذِيُّ وهو الصافي ومثلهُ اللَّواص كسحاب والأَرْيُ كالثدى. والثَّوَابُ. والرُّضَابُ كغراب والحلب كمقعد والذَّوْب كالثوب. والضيح كالريح. والنَاصِحُ. والطِرْيَمَ. والطِرم. ومن الغرائب ماروي عن زبان بن قسوره رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليهِ وسلم وهو نازل بوادي الشوحط فكلمتهُ فقلت يا رسول الله ان لنا لوبا كانت في عيلم لنا فيهِ طرم وشمع فجاء رجل فضرب ميتنين فأَنتج حيا وكفنه بالثمام ونحسه فطار اللُّوب هاربًا وادلى مشواره في العيلم فاشتار العسل فمضى بهِ فقال رسول الله صلى عليه وسلم ملعون ملعون من سرق شِرْوَقَوْمٍ فَأَضَرَّ بهم افلا تبعتم اثره وعرفتم خبره قال قلتُ يارسول الله انهُ دخل في قوم لهم منعة وهم جيرتنا من هذيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرَك صبرَك ترد نهر الجنة وان سعته كما بين العقيقة والسحيقة يتسبسب جريًا بعسل صاف من قذاه ما تقيأه لُوب ولا مجه نوب «تفسير ما فيهِ من غريب اللغة» اللُّوب النحل. والعيلم اصلها البئر واراد بها هنا خلية النحل وبيتهِ. والطرم العسل. وقولهُ ضرب ميتنين مراده قدح بزندين وقولهُ فانتج حيًا مراده انهُ اورى نارًا وقوله فكفنه بالثمام اي القاه عليهِ لاجل ان يصعد منهُ دخان فيهرب النحل والثمام كغراب نبت ضعيف لهُ خوص ربما حشي بهِ خصاص البيوت وقوله ونحسه فطار اللوب اي دخنه لان النحاس هو الدخان ومنهُ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس والمشوار الآلة التي يقطف بها العسل وشار العسل واشتاره اذا جناه والشر وبكسر الشين المعجمة كما ضبطه الرواة لم يوجد في كتب اللغة وكذا قولهُ العقيقة والسحيقة وكانهما اسما موضعين يعرفهما المخاطب وقولهُ يتسبسب قال الازهري تسبسب اذا سار سيرًا لينا فاستعير هنا للين جريان النهر واللوب والنوب النحل اه (قلتُ) وقد افاد بقولهِ ما تقيأه ولا مجه ان العسل يخرج من افواه النحل لان الفم هو محل خروج القيءُ والمجاج خلافًا لمن زعم خلاف ذلك.

(ومن اسماء العسل) النسيل والنسيلة والسلوى قال الشاعر * (ألذّ من السلوى اذا ما نشورها) . ومنها السَّنُوتُ وشاهده قول الاعشى

هم السمن بالسَّنُوت لا الِس فيهم وهم يمنعون جارهم ان يُقرّدا

قوله لا الِس فيهم اي لا خداع وقوله ان يقرّد اي يخدعهُ غيره وهمزة الالس منقلبة عن واو كهمزة الارث والدليل قولهم لا يدالس ولا يوالس . ومن اسمائهِ السَّدى كما قالهُ ثعلب في كتاب شجر الدر . ومن اسمائهِ الرضاب كغراب وتسمى بهِ رغوته ايضاً كما في القاموس . ومن اسمائهِ اللِّـثم والإبليم بكسر الهمزة . ومن اسمائهِ الشَّهدُ بالفتح والضم وذلك قبل ان يصفّى من شمعهِ ويسمى الشهد ايضاً بالمزج قال الشاعر

وجاء بمزج لم يرَ الناس مثلهُ هو الضحك الاّ انهُ عمل النحل

ومن اسمائه الحافظ والامين كما سيجيءُ في الخواص ان شاء الله تعالى (واماّ ذبابهُ) فلهُ اسماء كثيرة منها الثَّوْل . واللُّوب . والنُّوب . والجوارس . سميت بذلك لجرسها وهو صوتها عند الاكل كما ذكره في مختصر العين . ومن اسمآئها النحل لنحول جسمها اولأن الله تعالى نحلنا عسلها من النحلة وهي العطية . ومنهُ قولهُ تعالى وآتوا النسآء صدقاتهنّ نحلة . ومن اسمائها الوغى . والدَّبر بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة جماعة النحل لا واحد لهُ من لفظهِ وقيل واحدهُ خشرمة ويجمع الدَّبر على دبور . والديلم فرخ النحل . وهو من الحيوان الذي لهُ كبير يطيعهُ و يكون تحت حكمهِ وكبيرها وملكها يسمى باليعسوب . والخشرم . وهو اكبر جثة منها حتى يكون في مقدار الجرادة وهو يتوارث الملك عن آبائهِ واجداده ولا يخرج عن الخلية بل يرتب على كل نحلة ما يليق بهـا فيرتب على البعض بناء البيوت وعلى البعض جلب الماء وعلى البعض العسل ولا يخرج احد عن امره ومن خصوصياتهِ انهُ ليس لهُ حمة يلسع بها كالنحل واذا خرج من الخلية تبعهُ النحل فوقف العمل واذا كبرَ ولم يستطع الطيران حملتهُ النحل واذا رأت منهُ فساداً فاما ان تقتلهُ او تعزلهُ (ومأوى النحل) يقال لهُ الكُوارة بضم الكاف وكسرها والخلية . والعيلم . كما تقدم في حديث زبان بن قسورة . والنحل يوافقهُ الاصوات المطربة ويصلح عليها (فائدة) ذكرها النووي في كتاب التهذيب عن الازهري عند قولهِ تعالى واوحى ربك الى النحل . قال . قال الازهري وكذا يجوز في كل جمع ليس بينهُ و بين واحده الاّ التاء تذكيره وتأنيثهُ الاول على اللفظ والثاني على المعنى لان كل جمع مؤنث الاّ جمع المذكر السالم . (فائدة) في الحديث الذباب كلهُ في النار الاّ النحل . قال

المفسرون اي لاجل ان يعذب بهِ اهلها بوقوعه عليهم . وقد رتع القلم في هذه الرياض الانيقه . وورد تلك الحياض العميقة . وقد آن لهُ ان يرجع الى ما كان بصدده من ذكر صفات الانسان . ليكمل نظام ذلك العقد الفائق على عقود الجمان . فاقول

ومن صفات الانسان الذميمة . وخلاله اللئيمة . (المداهن) وهو باذل الدين للدنيا ومن ذلك (الكذاب) وهو من يخبر بالاخبار التي لا تطابق الواقع . ومن اسمائهِ الاراج كشداد . والشرّاج . والسرّاج . والنسّاج . والافاك . والافيك . والمائن والخارص . والخراص . ومنهُ قتل الخراصون . ومن الصفات الذميمة (النميمة) وهي نقل كلام الغير لاجل الافساد فان خلا عن قصد الافساد خرج عن كونهِ نميمة وهي محرّمة من الكبائر هذا ان كان الناقل صادقًا فيما نقلهُ فان كان كاذبًا على المنقول فانها حينئذٍ تسمى بُهتانا . وبَهِيتةً . وفعلها من باب نفع ومصدرها بَهْتًا كمصدره . والبهتان الاسم والفاعل بَهُوت والجمع بهت كرسول ورسل . وللنمام اسماء كثيرة . فمن اسمائهِ المهتهت . والمثلِّث . سمي بذلك لانهُ يُهْلِكُ بالنميمة ثلاثةً وهي نفسهُ والمنقول عنهُ والمنقول اليهِ . ومن اسمائهِ الدراج كشداد . والصقّار مثلهُ . كما في مختصر العين والنمّاس . والهمام . والقتات . والمآ آر . والخُبروع كعصفور . والنَيْرَج . والنمِل كفرِح . والنامل . والمنمل . واللُّقَيْطيَ . والخُلَّيْطى . قال في الاساس . سمي لقيطًا لانهُ يلتقط كلام الناس للنميمة . ومن اسمائهِ الغربال . قال الشاعر

اغربالاً اذا استودعت سرًّا   وكانونًا على المتحدثينا

سمي غربالاً لعدم امساكه للسر تشبيهًا بالغربال وما احسن قول كعب رضي الله عنهُ

ولا تمسّكُ بالعهد الذي زعمت   الاَّ كما يمسك الماء الغرابيلُ

واما الكانون فهو الرجل الثقيل سمي بذلك لان المتحدثين يكنون في حديثهم اذا كان مُجالِسَهم حذرًا من اطلاعه عليهِ ونقله . ويقولون في النمام طير يلتقط الحب ويقال فيهِ هو الذي يشرب الراح في الزجاج اخذًا من قول الشاعر

فانك كلما استُودِعت سرًّا   انمّ من الزجاج بما حواهُ

وقول الآخر

انمّ من الزجاج على الشراب   ومن كوب المشيب على الخضاب

ويقال فلان انم من الصباح ومن الشمس وهو قول الشاعر

لا تأتِ الاَّ بليلٍ من تعاشره   فالشمس نمّامةٌ والليلُ قوّادُ

ويحسن ان يقال .هوانم من الحليّ على ربات الحجال . ومن العطر على ذات الجمال . ومن خد الحبيب .على دم الكئيب .ومن دمعة العاشق على كربهِ .ومن عينهِ على ما ستره من حبهِ .وحسبك في ذم النمام ان الصدق محمود الأمنهُ .وذلك عكس الشاعر فان الكذب مذموم الأمنهُ .لان الشعر اكذبهُ اعذبهُ . بل حسب النمام قول بعض السلف .ما نم الادعيّ يعني ابن زانية . وذلك اخذ من قولهِ تعالى هما زمشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم . عتل بعد ذلك زنيم .اي مع ذلك لان بعد تكون بمعنى مع كما هنا ومع تكون بمعنى بعد كما في قولهِ تعالى. فان مع العسر يسرا . اذ لو لم تكن بمعنى بعد للزم اجتماع الضدين وهما العسر واليسر واجتماعهما محال والعتل هو الثقيل الغليظ من العتلة وهي آلة من حديد ثقيلة غليظة والزنيم هو الدعي يعني المدعو لاب ليس منهُ وهو ابن الزنيمة وهو مأخوذ من زنمة العنز وهي هنةٌ زائدة تكون في اذنها فشبه النمام بها وفي كلام الحكماء من نمّ اليك . نمّ عليك . وقد قلت في النمام

يامن اذا رأى الفتى لَمزَهُ وهَمزَه
حسبك قول ربنا ويلٌ لكل هُمزة

وقلتُ

لقد سئِمتُ سماع الطير كيف شدت سَامَتي الزهر لمّا هزّ اكماما
مذ قيلَ لي انّ في الاطيارِ كائنة من الحمام وفي الازهار نماما

وقال البدر الغزي

ياناقلاً قول الذي في العِرضِ مني قد لغا
اقصر فما اسمعني الـ سوّ سوى من بلّغا

ومن الصفات الذميمة .(الزنى) و يسمى السفاح والفجور ومنهُ حديث ان امة لآل رسول الله صلى الله عليهِ وسلم فجرت اي زنت و يطلق الفجور على الكذب ومنهُ قول الاعرابي لعمر رضي الله عنهُ (فاغفر لهُ اللهمّ ان كان فجر) و يطلق على المعصية ومنهُ ونخلع ونترك من يفجرك .اي يعصيك .ومن اسماء الزنى العهر . والعهور. يقال عهر من باب تعب وعهر من باب قعد لغة كما في المصباح . وفي الحديث الولد للفراش وللعاهر الحَجَر قولهُ للفراش اي لصاحب الفراش وللعاهر الحجر.قال بعضهم وللزاني الرجم ورُدّ ذلك بانهُ ليس كل زانٍ حدهُ الرجم لان الرجم شرطهُ الاحصان وإنما المراد وللعاهر الحجر اي الخيبة كما يقال بفيهِ الحجر و بفيهِ التراب اي الخيبة اي ليس

للزاني من الولد شيءٌ بل لهُ الخيبة وانما الولد لصاحب الفراش وذلك لان بعض العرب كان يستلحق ولد الزنى اذا غلب عليهِ شبههُ . ومن اسمائهِ الفاحشة . ومنهُ قولهُ تعالى ولا تقربوا الزنى انهُ كان فاحشة . وقولهُ تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم وقولهُ الا أن يأتينَ بفاحشة مبينة . قيل معناهُ الا ان يزنينَ . وقيل الا ان يرتكبن الفاحشة في الخروج بغير اذن قالهُ في المصباح . قال فيهِ والفاحش كل شيءٍ جاوز الحد

ومن الصفات الذميمة (اللواطة) من لاطَ يلوطُ لواطة هكذا نقلهُ في المصباح عن الفارابي واللواطة هي فعل الفاحشة التي فعلها قوم لوط . وسببها انهُ كان لقوم لوط بساتين مشتملة على فواكه فكان بعضهم يأتي تلك البساتين فيسرق من تلك الفواكه فظفروا باللصوص مرارًا وعذبوهم فلم يرجعوا فوسوس لهم الشيطان ان هولاء لا يرجعون الاَّ اذا فعلتم بهم كذا وكذا ففعلوا بهم ذلك واستطابتهُ نفوسهم الخبيثة وكانت العرب لا تعرف اللواطة . (ومن النوادر) نادرة معن بن زائدة لما دخل عليهِ اعرابي وقال لهُ احملني ايها الامير فامر لهُ بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية وسفينة وقال لو علمت انهُ بقي شيءٌ مما يركب لاعطيتك . وقد سمع هذه الحكاية بعض الظرفاء فقال رحم الله معنًا لقد كان عربيًا محضًا فلو كان من الاعاجم لاعطاهُ مع ذلك كله غلامًا . وانما فشا هذا الامر في هذه الامة في دولة بني العباس حين كانوا يغزون البلاد الرومية ويفتحونها فيجدون فيها من الغلمان ما هو اعظم من الجواري وهم في غربة ليس معهم اهل فحسَّن لهم الشيطان ذلك وزينهُ حتى ارتكبوهُ والدليل على ان العرب كانت لا تعرف اللواطة عدم تغزلها في الغلمان في اشعارها وانما كانت تنظم النسيب وتشبب في النساء وقد قلت سابقًا

قال من يعشقُ الغواني لشخصٍ　　عندهُ مذهب اللواطة ملَّه

ليس من ذاق من عسيلة هندٍ　　مثل من كايل الخرا بسلَّه

وقلت ايضًا

من قوم لوط عصبة　　بفسادهم خربوا القرى

قد اشبهوا الفيران اذ　　يتزاحمون على الخرا

فان رأيت لي تغزُّلاً في الغلمان فهو ترويج لبضاعتي . وتحسين في صناعتي . فاللبيب لا يجلب للاسواق . الاَّ ما كان لهُ فيها رواج ونفاق . كما قال ابن الوردي

تالله ما المرد مرادي وان　　نظمت فيها مثل عقد الجمان

لكن من رام نفاق الذي يقولهٔ ينظم خَرج الزمان

ولله درّ من قال

دع اللواط وخلّ المرد عنك وعج الى النساء وطب بالقبل والقبلِ
فانما رجل الدُّنيا وواحدها من لا يعوّل في الدنيا على رجلِ

وقلت

لاتله عن شمس الزمان ببدرهِ فالشمس احسن ما تراهُ الاعينُ
ما كان ضرك حين دافعك الهوى لو كنت تدفع بالتي هي احسن

وللعز الموصلى

قد غنينا عن المليح بخَوْدٍ ذات وجهٍ بهِ الجمالُ تفنن
ورجعنا عن التهتك فيهِ ودفعناهُ بالتي هي احسن

ويقال لمن يرمي باللواطة هو أدبُّ من عقرب ومن ضَيْوَنْ وهو ذكر السنانير

قال الشاعر

ادبَّ بالليل الى جاره من ضيونَ دبَّ الى قرنب

والقَرْنَب هو الفأر . ومن صفات الرجال الذميمة (الدِّياثة) وهي فعل الديوث والديوث من لا غيرة لهُ على اهلهِ وفعلهُ داثَ يديثُ ديثًا وهي من باب باع ومعني داثَ سهُلَ ولانَ . ومن اسمائهِ الكلتبان من الكَلَب بالتحريك وهو القيادة والتاء والنون فيهِ زائدتان كما في المصباح . واما تسمية القواد بالقرطبان فهو من كلام العامة لان اصلهُ الكلتبان فغيرتهُ العامة الاولى بالقلطبان ثم جاءت عامة سفلى فقالت قرطبان قالهُ في المصباح . واما القرنان فهو من تسمية العامة ايضًا كأنهم شبهوهُ بالحيوان لعدم الغيرة على منكحهِ . (قلت) وما الطف قول بعضهم في غلام جميل

سلبت محاسنك الغزال صفاتهِ وتجمَّعت كل المحاسن فيكا
لكَ جيدهُ ولحاظهُ ونفارهُ اما القرون فانها لأبيكا

وقلتُ

ان كنت ذا قرنٍ وقد ضاقت بحيلتك المذاهب
فتمنَّ قرنًا ثانيًا تنلِ الغرائب والرغائب
وانظر لذي القرنين اذ ملك المشارق والمغارب

واما تسميتهُ بالقواد فهي من وضع العامة ايضًا لكن قال في المصباح انها استعارة قريبة

المأخذ اه‍ . (قلتُ) وقد استعمل كثيرًا في هذا المعنى فمن ذلك قول بعضهم

قد لقبوا الراح بالعجوز فما   تخرج القابهم عن العاده
ألانت الغادة التي امتنعت   فصحّ ان العجوز قوّاده

ومن اسماء الخمرة العجوز . وقال الصفي الحلي وجازف حيث قال

طبع المجنّس فيهِ نوع قيادةٍ   افلا ترى تأليفه للأحرفِ

وقلت في ذلك

قيادة ابليس مشهورة   وأُبْنتهُ عند كل الانام
يقود لك الحِبّ في يقظة   و يأتي بصورتهِ في المنام

ورحم الله من قال

تاه على آدم في سجدة   و بات قودًا لذريته

(قلتُ) وقول بعض ائمة اللغة ان استعمال القواد بمعنى الديوث من استعمال العامة لا من كلام العرب يعارضهُ ان في امثال العرب قولهم اقود من ظلمة وقد ذكر المثل الميداني وهذا مما يدل على ان العرب استعملتهُ في ذلك المعنى ثم اختلفوا في تفسير الظلمة في المثل فقال بعضهم مرادهم ظلمة الليل وهي معنى قول الشاعر (فالشمس نمّامةٌ والليل قوّادُ)وقد تقدم وقال آخرون ان ظلمة عَلَمٌ لامرأة كانت في العرب بغيًا فلما كبرت قادت فلما عجزت عن القيادة اشترت لها تيسًا وعنزًا لاجل ان تنظر التيس اذا نَزَا على العنز فضربوا بها المثل وقالوا اقود من ظلمة وقال الشاعر

انا في مقعد صدقٍ   بين قواد وعلق

(قلتُ) ومن لطيف ما اتفق لي في هذا البيت انني كنت يومًا جالسًا بمجلس وعن يميني امرد جميل .وعن يساري ذو لحية كانها ذنب احدى طيور الابابيل .ففاجأ نا بالدخول علينا من كان لهُ الفضل كالشعار . واللطف كالدثار . الفاضل الكامل الشيخ حسين المدرس الشهير في دمشق بالعطار . واصل الله على روض قبره سحائب غيث رحمته المدرار . فبمجرد ما وقعت عينه عليَّ . هش و بش وسعى بارتياح اليَّ . وقال ابن انت فقلت لهُ مجيبًا (انا في مقعد صدق)فطرب لهذا الجواب .طرب النديم بالشراب .واستغرق في الضحك حتى كاد ان يغشى عليهِ .ولم يفطن احد من الحاضرين لما اشرت في الجواب اليهِ . ومثل هذه النادرة ما حدث بهِ ابو عبيدة عن روّبة بن العجاج قال لقي الفرزدق جريرًا في دمشق فقال لهُ اراك تمرغ في طواحين الشأم فقال

جرير ايهاه اذا سمعت بسُرَى القين فاعلم انهُ مصبِّح قال روءبة فتعجبت كيف اتفق لهما لفظ التمرغ ولفظ القين اه‍ . (قلتُ) وبيان ذلك ان الفرزدق كان معاصرًا لجرير وكانا شاعرين مجيدين وكانا دائمًا يتهاجيان كما جرت بهِ عادة المعاصرة وكان الفرزدق يسمي جريرا بابن المَرَاغة والمراغة معناها البغي من النساء وكان جرير يسمي الفرزدق بالقين وقد تقدم ان القين هو الحداد ويطلق على كل صانع وكان يريد جرير بتسمية الفرزدق بالقين وصفهُ بالكذب لان القين من عادتهِ ان يقول انا مرتحل في غد ثم يأتي بالغد فلا يرتحل وذلك لاجل ان يبادر اليهِ من لهُ حاجة بصناعتهِ ولذلك قالت العرب في امثالها اذا سمعت بسرى القين فاعلم انهُ مصبح اي فانهُ لا يسافر بل هو كذاب ولذلك تعجب روءبة من اتفاق لفظ التمرغ للفرزدق ولفظ القين لجرير . ومثل ذلك ما حكاه الميداني ان سيد بني فزاره كتب الى عمر بن عبد العزيز ان يزوجه بهند بنت اسماء بن خارجة رضي الله عنه فكتب اليهِ عمر اما بعد فان الفزاري لا ينفك والسلام فلما وصل اليهِ الكتاب لم يفهم ما اراد عمر حتى ارسلهُ الى عيينة بن المهلب بن ابي صفرة فقال انا اعرف ما اراد اراد قول الشاعر

ان الفزاريَّ لا ينفك مغتلما   من النواكة دهرارًا بدهرار

اي باطلاً بباطل وهذه هند تزوجها عبد الملك بن مروان وكانت قبله تحت الحجاج بن يوسف وكانت غاية في الجمال وكان الحجاج بن يوسف قبيح المنظر فنظرت الى صورتها في المرآة وتذكرت صورة الحجاج فانشدت تقول

وما هند الاَّ مهرة عربية   سليلة افراس تحللها بغلُ
فان ولدت مهرًّا فللّهِ درّها   وان ولدت بغلاً فعلتّهُ البغلُ

فاتفق ان الحجاج سمعها فصبر حتى اتمت انشادها وارسل اليها . ان الحقي باهلك وبعث لها موءخر صداقها فقالت للرسول خذهُ بشارة لك ولها قصة مطولة تطلب من محلها . ومثل نادرة عمر بن عبد العزيز ان عبد الملك بن مروان كتب يومًا للحجاج انت عندي كسالم فلما قرأ الحجاج كتابه لم يدرِ ما اراد حتى احضر رجلاً من البلغاء وعرض عليهِ الكتاب فقال لهُ انهُ اراد قول عبد الله بن عمر بن الخطاب في ولده سالم وكان مفرطًا في حبهِ

يديرونني عن سالمٍ وادبرهم   وجلدة بين العين والانف سالمُ

والطف من ذلك ان معاوية قال يوماً للاحنف بن قيس ما الشيء الملفف في البجاد فقال هو السخينة يا أمير المؤمنين فمزح كلٌّ مع صاحبه وبلغ كلٌّ مراده مع السكينة والوقار ولم يدر احد من الحاضرين معنى السوآل ولا معنى الجواب وبيان ذلك ان المسؤل وهو الاحنف بن قيس كان تميمياً وسيداً لبني تميم وكانت تميم موصوفة عند العرب بالشراهة في الاكل حتى قال فيهم الشاعر

اذا ما مات شخصٌ من تميمٍ ورمت بان يعيش فجيء بزادِ
بتمرٍ أو بخبزٍ أو سويقٍ او الشيء الملفف في البجادِ

واراد بالشيء الملفف في البجاد اللبن وعليه فقد وصفهم بالشراهة والبخل حيث كانوا يلفون اللبن في البجاد والبجاد ثوب من ثياب الناس فسألهُ معاوية عن الشيء الملفف في البجاد واراد بذلك ذم قومه لان الانسان اذا ذم قوم انسان فقد ذمهُ ولو مدحهُ بخصوصهِ فقد قيل ان الشاعر لما مدح جريرا البجلي بقولهِ

لولا جرير لم تكن بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

وسمعهُ بعض اللطفاء فسأل بعض اصحابهِ فقال لهُ أمدح جريرًا بهذا ام هجاهُ فقال لا والله بل هجاهُ فلما علم الاحنف ان قصد معاوية ذم بني تميم قال لهُ السخينة يا امير المؤمنين وذلك انهُ اراد ذم قريش مثلما اراد معاوية ذم تميم بيان ذلك ان قريشاً كانت اصابتها مجاعة فكانوا يخلطون النخالة بالماء ويأكلونها ويسمونها سخينة فعيرتهم العرب بذلك حتى سمت قريشاً سخينة قال الشاعر

زعمت سخينة ان تغالب ربها وليُغلبنّ مُغالب الغلاّب

ومن اقبح الصفات المذمومة في الرجال (الأُبنة) واصل الأُبنة العقدة في القصب وغيره ثم اطلقوها على داء الاست وتسمى داء الاست واول من أُبتلي بها ابليس ويقال ابن الرجل ببنائهِ للمفعول فهو مأبون اذا ابتلى بذلك الداء العضال. ومن اسمائهِ الدُعبوث. والمثفار. والمِثفر بالثاء المثلثة فيهما وبالفاء وبصفة المفعول في الثاني كأنهُ مأخوذ من قولك اثفرت الدابة اذا وضعت لها الثفْر وهو الشيء الذي تديرُ على كفل الدابة تحت ذنبها لتثبت بهِ رحلها ويقال استثفر الكلب اذا ادخل ذنبهُ بين فخذيهِ. ويكنون عن المأبون بالغراب ومرادهم انهُ يواري سوأة اخيهِ. وبالهدهد يريدون انهُ كثير السجود. وبالفراش كما يكنون عمن يفعل بالمأبون الفاحشة باللحاف ومن اللطائف ان احد الشعراء زار كبيرًا فخرج لهُ غلامهُ وقال لهُ سيدي نائم فانشأ

الشاعر يقول

لما وقفت بباب دارك زائرًا　　خرج اللحاف وقال انك نائمُ
فاجبتهُ أبِلَا لحافٍ نائمٌ　　هذا المحال وانت عندي ظالمُ
فتضاحك الظبي الغرير وقال لي　　أفأنت ايضًا بالقضية عالمُ

والطف من ذلك ما جرى بين ولّادة بنت المستكفي وبين الوزير ابن زيدون وذلك انهُ كان بينهما اعظم مايكون من الحب والمساجلات الادبية فجرت حادثة ادت لتقاطعهما فتهاجيا وكانت ولادة أبدلت ابن زيدون بآخر يلقب بالفار فما قالهُ ابن زيدون فيها

أكرم بولادة علقًا لمعتلقٍ　　لو فرّقت بين بيطارٍ وعطارِ
اكلاً شهيًا أكلنا من اطايبهِ　　بعضًا وبعضًا صفحنا عنهُ للفارِ

وكان عند ابن زيدون غلام جميل يؤثره على بقية خدمهِ يسمى عليًّا فلما سمعت ولّادة قولهُ فيها هجته بقولها

ان ابن زيدون على فضلهِ　　يشتمني ظلمًا ولا ذنب لي
يلحظني شزرًا اذا زرتهُ　　كانما جئتُ لاخصي علي

(قلتُ) وما الطف هذه الكناية فمن المعلوم انها اذا خصتهُ ابطلت مادة نكاحه ففات غرض ابن زيدون منهُ فحق لهُ ان يلحظها شزرًا وقد قلت من الكناية فيما نحن فيهِ

صبّ الدموع فما ظفِرْ　　تُ بمثلهِ في الناس صبّا
وأحب ظبيًا نافرًا　　ويودّه لو كان ضبّا

وذلك لان الضب لهُ ذكران كما ذكره كثير منهم الدميري في حياة الحيوان. ويقال لمن يرمى بالأبنة هو ابغى من ابرة الخياط ومن محبرة الكاتب وذلك لان الاولى لا يفارقها الخيط والثانية لا يفارقها القلم ويقال للمأبون ايضًا مُصَفّرٍ استهِ ومرادهم بالاست سائر البدن وخصوا الاست من بين سائر البدن بالذكر لقصد المبالغة في الذم لتخصيصهم مايسوء ذكره وارادوا بالتصفير التطييب اي انهُ يستعمل الطيب والرفاهية وانهُ ليس من رجال الحرب وانهُ جبان لانهم كانوا لا يستعملون الطيب الا في الدعة وكانت تعيبهُ العرب اشد العيب وقد كان ابو جهل في غزوة بدر استصحب معهُ الطيب ولذلك قال الشاعر في بني مخزوم قبيلة ابي جهل

ومن جهل ابو جهلٍ اخوكم غزا بدراً بمجمرةٍ ونارِ

واول من قيل له مصفِراً سته قابوس بن النعمان او قابوس بن المنذر لانهُ كان مرفهاً لا يعرف الحروب قالهُ السهيلي وقال غيره قولهم مصفر آسته كناية عن الأُبنة اي يصفرها بالزعفران ليطيبها وكان ابو جهل في العرب ممن يرمى بهذا الدَّاء ومثلهُ الربيع ابن زياد ولهُ واقعة مع لبيد الشاعر الصحابي رضي الله عنهُ الذي قال فيهِ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم اصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد . (الا كل شيء ما خلا الله باطلُ) وذلك ان الملك النعمان كان جعل الربيع بن زياد من ندمائهِ ثم رفع مقامهُ حتى صار يواكلهُ فدخل يوماً على النعمان قوم لبيد ومعهم لبيد صبي صغير وكان الربيع بن زياد حاضراً فازدرى بقوم لبيد بين يدي النعمان فلما خرجوا اقبلوا يتحدثون بما فعلهُ الربيع معهم فسمعهم لبيد فقال لهم انني في غد لابد ان اهجوهُ بين يدي الملك النعمان فقالوا أَلك طاقة بذلك فقال سترون ما يسرّكم ثم بكّر لبيد ودخل على النعمان فوجد الربيع عندهُ يواكلهُ فقال يخاطب الملك النعمان بقولهِ

(مهلاً ابيت اللعن لا تأكل معهُ) . فقال لهُ النعمان ولم ذاك يا غلام . فقال (ان آسته من برصٍ ملمّعه) فقال النعمان وما يضرّنا من ذلك فقال (وانهُ يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يواري اشجعه كأنهُ يطلب شيئاً اودعه

فلما سمع النعمان ذلك نفرت نفسهُ من مواكلتهِ وامر بطرده فكتب اليهِ الربيع بابيات يقسم لهُ فيها ان ذلك امر زوّر عليهِ فلما قرأها النعمان كتب اليهِ بقولهِ

قد قيل ما قيل ان صدقاً وان كذبا فما اعتذارك من قولٍ اذا قيلا

وقد هجا المتنبي اسحقَ بن كغيلغ بقولهِ

يمشي بأربعةٍ على اعقابهِ تحت العلوج ومن وراءِ ملجم

لما قال يمشي باربعة جعلهُ مما يركب كالخيل وغيره وجعلهُ ملجماً وتملح في قولهِ فجعل اللجام من ورائهِ وذلك خلاف المعهود واخذ هذا المعنى الشهاب الخفاجي حيث قال

وذي أُبنةٍ قد صار عد عبيده فماؤهم في الليل ملءُ انائهِ

سفينة نوحٍ ظهرهُ ان دجا الدجى لذاك تراه ملجماً من ورائهِ

قال الخفاجي واهل البديع تسمي هذا النوع بالاطلاح . ومما اتفق لي من المجون ان ظريفاً من اصحابنا كتب اليَّ يشكو سوء مزاجهِ فكتبت اليهِ هذه الابيات

ان رمت يا صاح برءً من كل داءٍ وشدّه

فنم على قلبٍ ربًّا وافطر على نصف زبده
ترَ الشفاءَ سريعًا ان كان في العمر مده

ثم كتبت له بعد ذلك قولي مضمنا البيت الثاني

أفدتهُ شيئًا لداء أسته فقال لي في المحفل الجامعِ
كنا نداريها فقد مزقت واتسع الخرق على الراقعِ

ومن الصفات الذميمة في الرجال غير الانبياء (الافراط في النكاح) لانهُ في غير الانبياء يكون ناشئًا عن الشهوة البهيمية واما في الانبياء عليهم السلام فانما هو ناشيء من غلبة الروحانية ونبيهم فيهِ غير العوام لانهم يقصدون بذلك كثرة الذرية وبقاء النوع الانساني وغيرهم انما قصده قضاء الوطر واعطاء النفس شهوتها الاَّ من كان من وارثيهم من الاولياء والعلماء وقد امتن الله عليهم بذلك في قولهِ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجًا وذرية وقد ثبت ان الله تعالى خلق من الانبياء عليهم السلام عددًا كثيرًا اشار اليهِ بقولهِ تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وثبت ان المرسل منهم صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين ثلثمائة وثلاثة عشر وقد ذكر الله تعالى منهم في كتابهِ العزيز نيفًا وثلاثين رسولاً فقط قال ابن العماد في منظومته وحكمة ذكرهم دون البقية انهم كانوا متزوجين (فان قيل) يرد عليك يحيى فانهُ كان حصورًا لم يأتِ النساء وعيسى (فالجواب) ان يحيى ورد انهُ تزوج امرأة ولم يدخل بها وذلك لاجل احراز فضيلة التزوج والحصور هو الذي يترك النكاح مع القدرة عليهِ واما عيسى فقد ورد انهُ بعد نزولهِ الى الارض يتزوج ويولد لهُ حتى يتحقق من اعتقد ألوهيته انهُ غير اله اذ لا اله الاَّ الله الذي لم يلد ولم يولد وعيسى ولد وولد لهُ وقد عرفت ان الحصور من يترك النكاح مع القدرة عليهِ واما من يتركه عجزًا وعيا فيسمى بالعياياء بالعين المهملة ووزنه فعالاء وهذا الوزن من صيغ المبالغة ومثلهُ الكثاثاء اسم للارض الكثيرة التراب والعجاساء اسم للظلمة والبراكاء اسم لمعظم القتال وقال الجوهري هو الثبات في الحرب مأخوذ من البروك وفي حديث ام زرع زوجي عياياء او غياياء وأو فيهِ للتنويع فقد وصفته بقولها عياياء بعدم القدرة على اتيان النساء وبقولها غياياء بالغين المعجمة بانهُ مظلم كثيف لا اشراق لهُ ولا نور ومثل العياياء العنين كسكين سمي بذلك لان ذكره يعن لقبل المرأة عن يمين وشمال اي يعترض اذا اراد ايلاجهُ وسمي عنان اللجام من ذلك لانهُ يعن اي يعترض الفم فلا يلجهُ قالوا وقول الفقها بهِ

عنّة غير صواب لان العنة بالضم حظيرة من خشب تعمل للابل والخيل واما الاسم من عن الرجل يعن فهو من العنانة بالفتح كما نقلهُ في المصباح عن البارع

وما الطف قول بعضهم

إزْهد اذا الدنيا انالتك المنى   فالزهد فيها من قوام الدّين

والزهد في الدنيا اذا ما رمتها   وابت عليك كعفة العنين

ويقال لمن لا يتزوج صرورة كضرورة وصرورِيّ والعزَبُ بالتحريك من ليست لهُ زوجة قالوا ولا يجوز ان يقال اعزب والتحقيق انهُ يقال في لغة قليلة وعليها فيقال للمرأة عزباء واما العزَب فيستوي فيهِ الذكر والانثى فتقول رجل عزَب وامرأة عزَب والرجل المؤخذ هو الذي حبس عن النكاح بنحو سحر . والرجل المجأّة كثير النكاح والجُرَاف كغراب النكحة الاكول النشيط . والرذوج بالراء المهملة والذال المعجمة والجيم كما ذكرهُ الخفاجي في تاج العروس هو الذي ينزل قبل ان يولج . والمفرك كمعظم هو سريع الانزال بعد الولوج سمي مفرّكًا لان النسآء تفرّكهُ اي تبغضه . والجخاد بتقديم الجيم على الخاء المعجمة بطيءُ الانزال . والنخب . والمنخوب . والرقوب . والابتر . من لا ولد لهُ والناعوظ كل شيءٍ يهيج شهوة النكاح يقال نعظ الرجل ذكرهُ اذا حركه

وحيث ذكرنا النكاح فالمناسب ذكر آلته من الرجال والنساء . (فمن اسماء ذكر الرجل) الاسم المعبر عنهُ بالزاي المعجمة المضمومة والباء الموحدة . والاسم المعبر عنهُ بالهمزة المفتوحة والياء المثناة التحتية الساكنة والراء المهملة وهما افبح اسمائهِ . (فائدة) جمع الذكر ذكرة كعنبة ومذاكير على غير القياس قالهُ في المصباح . ومن اسمائهِ الجَرْدُ . والجلد بكسر الجيم ومنهُ قولهُ تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا . ومنها الذبذب كجعفر ومنهُ حديث من وُقي شر لقلقه وذَبْذَبه اي لسانه وذكره . ومن اسمائهِ الفلهم كجعفر بالفاء خلافًا لمن وهم فيهِ من اهل اللغة فضبطهُ بالقاف . ومن اسمائهِ العَوْف * ومن المشترك بينهُ وبين فرج المرأة البضع بضم الباء الموحدة وفي الحديث . وفي بضع احدكم صدقة قال في المصباح البضع يطلق على الفرج والجماع والتزويج كالنكاح يطلق على العقد والجماع ومن المشترك ايضًا بين فرج المرأة والرجل السرُّ قال الشاعر

ما بال عرسي لا تَبَش كعهدها   لما رأَت سِرّي تغيّر وانثنى

ويقال التقى السران اي الفرجان وسيأْتي شاهد الثاني . ومن المشترك ايضًا الإِرب بكسر الهمزة وفي الحديث كان املككم لاربهِ . ومن اسماء الذكر الذَنب ومنهُ قولهم

استرخى ذنبهُ قال في الاساس وهو مجاز وانشد ابو عبيد

واغلقت بابها في القصر واحتجبت   عند اليآسة من مالي ومن ذنبي

وقد قلت في معنى ذلك

قالت وقد ابصرتني في النهوض لها   كالفرخ يرعد من ضعفٍ ومن زَمَنِ

اليك عني فقد اكسبتني عللاً   يا ليت معرفتي اياك لم تكنِ

ومن اسماء الذكر الطرطب كقنفذ . والكَوْشَلَة . ومن كناه ابو عمير . والغُرمول الذكر الضخم الرخو . والقُمُدُّ الذكر الصلب وقد كتبت فيهِ ملغزًا قولي

رُبَّ عضوٍ وجودهُ   كان للأُنس والصفا

كم وكم في حياتهِ   قد دفناه فاختفى

وتراهُ اذا رأَى   منك هزًّا مضعفا

ذا اعتلال وصحةٍ   ولفيفًا واجوفا

فانتقض اوّل القريـ   ـض تجدهُ مصحفا

اي اول الابيات وهي قولي رب وكتب الامام الفاضل الفقيه المحدث الشيخ عبد الباقي الحنبلي الى ابراهيم افندي العمادي ملغزًا في ذلك بقولهِ

قالت سليمى يا فتا   يَ احبُّ شيئًا لي وراثه

اسمٌ ثلاثيٌّ بهِ   ضرب الثلاثة في ثلاثه

مقلوبهُ يسقيك من   بين الدماء والفراثه

فاجابهُ بقولهِ

يا فاضلاً في شعرهِ   حاز اللطافة والدماثه

الغزت فيما دأْبهُ   عمل الزراعة والحراثه

وهو المحبب للنسا   ءِ وكل من فيهِ خباثه

عوفيت من هذا البلا   ءِ فانهُ بئس الملاثه

وقد الغزت في صاحب هذا الاسم وصديقه فقلت

ما اسم تميل لهُ الرجا   ل وحبهُ فيهم وراثه

اسمٌ ثلاثيٌّ بهِ   تجد النعومة والملاثه

خذ نصف اولهِ وعه   واضربهُ في ضعف الثلاثه

تجد اسم شيءٍ قد تأَهَّـلَ للزراعة والحراثه

واعلم ان ما تغطيهِ القُلفة من ذكر الاقلف يسمى القَيْشَة. والكمرة بالتحريك والحشفة والرَّسُوب سميت بذلك لمغيبها في الفرج حال الجماع. والمَتْك من الرجل وترة احليلهِ والاحليل الثقب الذي يخرج منهُ البول. والانثيان الخصيتان ويقال لهما القُنْدان ايضاً وكان الاصمعي يكنى ابا القندين لعظم قنديه واسمهُ عبد الملك بن قريب كزيبر والجِراب وعاء الخصيتين كما في القاموس. قال شارحه المناوي ومثلهُ الجربة كقفربة والزُّكْبَة. والفُراغة. والبيظ بالظاء نطفة الرجل. والفظى بالقصر منيّ المرأة كما قالهُ ابو حيان في كتاب الارتضاء فيما يكتب بالضاد والظاء والرَّوْبَة بالفتح وتضم ماء الفحل من الحيوان وهي سمٌّ قاتلٌ (واما اسماء قبل المرأة) فمنها. الفرج. والسرّ قال الشاعر

لا يَمُدَّنَّ الى سِرّي يَدًا وَالى ما شاءَ مِني فَلْيَمُدْ

ومن اسمائهِ النكح بالضم وقولهم نكحها اي اصاب نكحها كما يقال لحمهُ اذا اصاب بالضرب لحمهُ. ومن اسمائهِ الكَعْثَبُ. والكَيْن. وقيل الكين لحم داخل الفرج. ومن اسمائهِ الجُحوم لانهُ مَصُوص كالمحجام. ومن اسمائهِ الإِرب بالكسر والإِرْزَبُّ بالكسر ايضاً والظَّبْيَة. والحياء بالمد كما نقلهُ في المصباح عن الفارابي. ومن اسمائهِ الحَوْز ذكره ابن خالويه في شرح المقصورة. ومن اسمائهِ المَشْرح قال الشاعر

وانك في اعتذارك عن سويدٍ كحائضةٍ ومشرحها يسيلُ

قلت وفي البيت شاهد آخر وهو انهُ يقال للمرأة حائضة بالتاء. ومن اسمائهِ الأَجْمُ. والشِكْر. والركَبُ بالتحريك والعَذَابة والعدابة بالدال المهملة كما في القاموس قال الازهري انما هو بالمعجمة. ومن اسمائهِ الجار. والشِوَار. ذكره في ادب الكاتب والنَوْفُ. والكَوْمُ. والكَظْر. واما العمارطيّ فهو الفرج الكبير. ومن اسمائهِ ايضاً الحِرُ بكسر الحاء وتشديد الرّاء واصلهُ حرح حذفوا حاءه التي هي لام الكلمة ثم عوضوا عنها راء وادغمت الراءُ في الأخرى وانما قلنا ان اصله حرح لانهُ يصغَّر على حريح و يجمع على احراح والتصغير وجمع التكسير يردان الشيء الى اصلهِ واما اسم فرج المرأة المعبر عنهُ بالكاف والسين فقيل انهُ غير عربي لكن انشد ابو حيان قول الشاعر

ياعجبًا للساحقــات الورس الواضعات الكس فوق الكُسّ

ومن اسمائهِ البضع بالضم كما تقدم في الرجل. فهذه خمسة وعشرون اسماً. والبَيْظ بالظاء المعجمة الرحم. قالهُ ابو حيان في كتاب الارتضاء. والكرّاس حلقة الرحم وقد تقدم ان من اقبح الصفات الذميمة في الذكوران يكون الانسان ممن تُفعلُ بهِ الفاحشة

فان كان المأتيُّ كبير السن فهو ما بون وإن كان غلاماً سمي بالمؤاجر. ويسمى ايضاً بالعلق. ويكنى عنهُ بفوطة الحمام. يراد بذلك انهُ كان كل وقت في وسط انسان وذلك كما كنوا عن اللوطي بالحرباء لانها ان تركت من الشجرة ساقاً تعلقت بالآخر قال الشاعر

أنّى أُتيحَ لهُ حرباءُ تنضبةٍ لا يرسل الساق الاَّ ممسكاً ساقا

واعلم ان تسمية المؤاجر بالعلق تسمية عامية وليست بعربية لان العرب وضعت العلق لكل ما هو نفيس قال شاعرهم في فرس كان عنده يسمى سكاب ساموهُ في بيعهِ فأَنشأَ يقول

ابيت اللعن إنَّ سكابِ علقٌ نفيسٌ لا يباع ولا يعارُ

قالهُ الخفاجي في شفاء الغليل. (قلتُ) وقد وجدت للعلق معنى آخر في اللغة فقد نقل النووي في التهذيب عن ابن الاعرابي ان العلق يقال لكل ما احب (قلت) وعليهِ فيكون مشتقاً من علاقة الهوى وانت خبير بان بعض النفوس الخبيثة تتعلق بهِ لبلوغ شهوتها البهيمية منهُ فيكون اطلاقهم العلق عليهِ اطلاقاً صحيحاً غاية ما فيهِ انهُ كان عاماً فخصصوهُ كما خصصوا الدابة وهي ما دبَّ على الارض بما يمشي على قوائم اربع والعبدَ وهو خلاف الحر بالاسود منهُ (فائدة) رأيت بعض المفسرين ذكر في قولهِ تعالى ولم يكن لهُ وليٌّ من الذل انهُ تعالى لم يجعل الولاية او لم يضعها فيمن يؤتى من الرجال وذكر اهل التجاريب انهُ لا يلوط الاَّ من ليطَ فيهِ وانشدوا على ذلك

بضاعةٌ ما اشتراها غير بائعها بئس البضاعة والمَشْرِيُّ والشاري

قال المناوي في الشرح الكبير على الجامع الصغير سئل جدي الشرف المناوي هل تكون اللواطة في الجنة. فاجاب بانها لا تكون وفي شرح الهداية من كتب الحنفية قيل ان ذلك مبني على اصل وهو ان كان تحريمها في الدنيا عقلاً وسمعاً لا تباح وإن كان سمعاً فقط ابيحت والصحيح انها لا تكون في الجنة لان الله تعالى عدها من الخبائث. والخبائث لا تكون في الجنة وهكذا قرره التمرتاشي اه (قلتُ) وقد خطر لي ان اهل الجنة لا يتغوطون وانما تخرج فضلات أغذيتهم عرقاً من اجسادهم وذلك محتمل لانسداد محل اللواطة واذا انسد محلها امتنعت وحينئذٍ لا يرد البحث (فان قلت) هذا ذكر الرجل الذي هو محل بولهِ لا ينسد في الجنة فلم لا يجوز ان يكون مثله الدبر (قلتُ) ان الدبر خاص بخروج الاذى فقط واما الذكر فمشترك بينهُ وبين النكاح وهو موجود في الجنة

فلذلك لم يذهب الذكر ولم ينسد لانهٗ يخرج منهٗ بدل المنيّ ريح يلتذ بها اضعاف ما يلتذ بالمني . ومن الصفات الذميمة في الرجال (الخناثة) بالكسر ويقال لها الانخناث ولصاحبها خنث كفرح ومخنث بالكسر لانهٗ اسم فاعل من قولك خنث كلامهٗ بالتشديد فهو مخنث والخناثة هي اللين والتكسر ويقال في فعلها خنث من باب تعب ويُعدّى بالتضعيف فيقال خنثه غيرهٗ كما يقال خنث هو كلامه كما مر قال في المصباح والمخنث من فيهِ لين وتكسير اه وزاد بعضهم ولا يشتهي النسآء (قلتُ) وانما يذم التخنث اذا لم يكن خلقيًا لانهٗ والحالة هذه يكون من تشبيه الرجال بالنسآء وقد لعن من يفعلهٗ في الحديث واما اذا كان التخنث خلقيًا فلا اثم ولا ذم وقد كان في المدينة على عهده صلى الله عليهِ وسلم ثلاثة من المخنثين وهم هِيتُ . وهرم . ومانع . فنفى النبي صلى الله عليهِ وسلم منهم هيتا الى خاخ وذلك لان النبي صلى الله عليهِ وسلم كان يظنهٗ انهٗ من غيرأُولي الإِربة من الرجال لما يرى فيهِ من التكسر ولين الكلام فكان يدخل على ازواجه صلى الله عليهِ وسلم فدخل النبي صلى الله عليهِ وسلم عليهِ وهو يصف جارية من العرب فسمعهٗ يقول في وصفها اذا قامت تثنت . واذا قعدت تبنت . وبين فخذيها شيءٌ مخبوء . كانهٗ الاناء المكفوء . فلما سمعهٗ رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قال ما معناه ما كنت احسب هذا الخبيث يدرك هذا الكلام او كما قال ثم نفاه الى خاخ كما تقدم واما بعد وفاتهِ صلى الله عليهِ وسلم فكان في المدينة ستة من المخنثين وهم طويس . ودلال . ونسيم السحر . ونومة الضحى . وبرد الفوآد . وظل الشجر . وكان اشأمهم طويس حتى ضرب بشؤمهِ المثل فقيل اشأم من طويس وكان يقال ان امهٗ كانت تمشي بين نسآء الانصار بالنميمة وانها ولدتهٗ يوم وفاة النبي صلى الله عليهِ وسلم وفطمتهٗ يوم وفاة الصديق رضي الله عنهٗ وختنتهٗ يوم وفاة عمر رضي الله عنهٗ وتزوج يوم وفاة عثمان رضي الله عنهٗ وولد لهٗ يوم وفاة علي رضي الله عنهٗ وهو اول من غنى في المدينة واول من نقر بالدف المربع وكان قد اخذ الغناء من رجال من فارس . واما الخنثى فهو من لهٗ آلة الرجال والنسآء او من ليس لهٗ واحدة منها وانما لهٗ خرق يخرج منهٗ البول وغيره ولا يشبه احدى الآلتين قال صاحب التتمة لا يوجد الخنثى الا في الآدمي والابل اه (قلتُ) لكن رأيت في المنقول ان بعض العلمآء استفتي عن التضحية ببقرة خنثى فاجاب بالجواز لانها لا تخلو من كونها ذكرًا او انثى وقد جيءَ اليَّ بالبقرة فرأيت بعيني لها آلة الذكور وآلة الاناث وسمي الخنثى خنثى من التخنيث وهو التشبيه

ومن الصفات الذميمة في الخلقة (الحَدَبُ) بالتحريك وهو خروج الظهر وانخساف الصدر ويقال لصاحبه الأحدب. والأجنأ. والأحنأ والأدنأ. والاهتأ. والاهدأ. واما الافعس فهو منحني الظهر كما ذكره المناوي في شرح القاموس (قلتُ) لكن رأيت غيره ذكر أن الاقعس خارج الصدر والأحدب خارج الظهر فحرره

واما التقشف في المعيشة في المآكل والملبس وغيرها فالبعض مدحه والبعض ذمه والحق التفصيل فان كان التقشف ناشئاً عن حرص او بخل فهو المذموم وان كان ناشئاً عن عدم اعتبار متاع الدنيا والزهد فهو المحمود (فان قلتَ) قد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واذا كان التمتع بلذائذ الدنيا حلالا فكيف تركه الزاهدون والعابدون وعدوه مذموماً (قلتُ) اعلم ان الشيء قد يكون حلالاً ومبغوضاً الى الله تعالى فالحل لا يناقض البغض الا ترى انه ورد في الحديث ان ابغض الحلال الى الله الطلاق يعني الطلاق الذي يكون عن غير سبب شرعي كأن يخاف الزوجان او احدهما ان لا يقيما حدود الله فاهل الله تعالى تركوا ملاذّ الدنيا لكونها مبغوضةً لله تعالى ايثاراً لحب رضاء الله تعالى على شهوات انفسهم فانها وان كانت لذّات لكنها مشوبة بالاكدار و ببغض الملك القهار ولهذا قال تعالى قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا اي مشوبة بما ذكرنا ولهذا قال بعدها خالصة يوم القيمة هكذا قرره بعض الافاضل فيكون في الآية على هذا الاكتفاء بذكر الضد عن ذكر ضده كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحرّ اي والبرد وقوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار اي وما تحرك فيهما

﴿مطلب في الصفات المحمودة والمذمومة في النساء﴾

وحيث تيسر لنا من صفات الرجال ما تقدم ناسب ان نذكر من صفات النساء ما يحمد منها وما يذم. فمن المحمود في صفات النساء ان تكون دون الطويلة وفوق القصيرة بان تكون رَبعة كما تقدم في وصف الرجل اي معتدلة فخير الامور اوسطها وما ذكر في اشعار العرب من مدح الطول في النساء محمول على المعتدلة واما الشاهقة في الطول فيقال لها النارغة والغيطاء واما الفرعاء فهي كما تقدم تامة شعر الرأس

قال الشاعر

طويلةُ خُوطِ المتن عند قيامها ولي بطويلات المتونِ ولوعُ

واما قول الآخر

وانت الذي حببت كل قصيرة　　الي وما تدري بذاك القصائرُ

اردت قصيرات الحجال ولم ارد　　قصار الخطا شرّ النساء البحاترُ

فانهُ اراد بالقصيرة المقصورة في خدرها لا قصيرة القامة وقد فسر ذلك في البيت الثاني . سئل بعض الحكماء اي النساء احب اليك الطويلة ام القصيرة فقال القصيرة قيل ولم ذلك قال لان النساء شر كلهنّ وما قصر من الشر اقل ضررًا مما طال . واللَّعَةُ من النساء هي المليحة العفيفة . والكاعب هي التي تكعّب ثديها واستدار وجمعها كواعب قال تعالى وكواعب اترابًا والاتراب جمع ترب من يكن من النساء على سنٍ واحد وما الطف قول صاحب القصيدة اليتيمة التي ادّعاها ستون شاعرًا ولم تثبت لواحد منهم في وصف الكاعب

وبصدرها حقان خلتهما　　كافورتين علاهما ندُّ

وقول الآخر

حقاقٌ من العاج قد رُكّبت　　على صحن صدرٍ من المرمرِ

خشين السقوط فأثبتنها　　بشبه المسامير من عنبرِ

والغاية القصوى قول الآخر

ابت الروادف والثُّدى لقميصها　　مسّ البطون وان يمس ظهورا

اي لان بطنها يُمنع عنهُ القميص بارتفاع نهودها وظهرها يمنعهُ عنهُ ارتفاع ردفها فالقميص لا يمس منها بطنًا ولا ظهرًا . والمرأة الجباي قائمة الثديين ايضًا قال المناوي في شرح القاموس وهي مما فات المؤلف والمرأة الكَنيسة الحسناء . والبَهْنانَة طيبة الرائحة . والعليلة التي تطيب مرة بعد اخرى . والعاتكة المتضمخة بالطيب . وفي الحديث (انا ابنُ العَوَاتكِ مِنْ سُلَيم) والمراد بتلك العواتك ثلاثُ جدّات لهُ صلى الله عليهِ وسلم عاتكة ام جده هاشم وعاتكة ام عبد المطلب وعاتكة ام وهب اي جدة آمنة ام النبي صلى الله عليهِ وسلم وذكر الشمني فيما كتبهُ على الشفاء . قال نقل السهيلي عن بعضهم ان المراد بقولهِ انا ابن العواتك ثلاث نساء ممن ارضعنهُ صلى الله عليهِ وسلم لان جملة من ارضعنه صلى الله عليهِ وسلم ثماني نسوة ثوبية وكان لها ابن يرضع معهُ اسمه مسروح . وحليمة . وخولة بنت المنذر . وام ايمن . والمشهور انها من الحواضن وامرأة سعديه غير حليمة ذكرها ابن القيم في الهدى والعواتك الثلاث . والمرأة الرِّفَلة

كفرحة . والمرفال من تجر ذيلها اذا مشت وتبختر . والمتفخنة التي تمشي مشية الفاخنة .
والمبتدحة التي تمشي مشية الخائل مع جرذيل . والعَروب هي المحببة الى زوجها وجمعها
عُرُب . قال الله تعالى في صفات نساء الجنة عربًا اترابا . والمرأة الرَّعبليبُ كزنجبيل
الملاطفة . قال المناوي في شرح القاموس بكسر الطاء اه والمرأة الهَلوب هي المتقربة
من زوجها والمتجنبة منهُ . وفي حديث ابن عمر رحم الله الهلوب ولعن الله الهلوب .
والمرأة المِطماع هي التي تُطمع ولا تمكّن كما قيل فيها

غيدٌ حرائرُ ما هَمَمْنَ بريبةٍ كظباء مكة صيدهنّ حرامُ
يُحسَبْنَ من لين الكلام زوانيًا ويصدُّهنَّ عن الخنا الإسلامُ

والغانية من النساء التي استغنت عن الزواج بأبويها وقيل هي التي استغنت
بجمالها عن الزينة. والهيفاء ضامرة الكشح والخصرين . والغَضَّة الطرية . والبَضَّة الرقيقة
الجلد . والغادة . والأُملود . والرّود . والطَّفْلة بفتح الطاء . والعُطْبول . وألبَرَهْرَهَةُ
كل ذلك الناعمة البدن . والخفِرة كفرحَة . والخريدة الحييَّة والرّداح ثقيلة العَجز
والساقين . والرُعْبوبة البيضاء الناعمة والنوّار النفور من الريبة . والشّنباء من
لإسنانها بريق ولمعان من صفائها . والحَصان هي الحصينة العفيفة . قال حسان يمدح
عائشة رضي الله عنها

حَصانٌ رَزان ما تزنُّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

والجهانة الشابّة كما في القاموس . والرّهيدَة الشابة الرخصة الناعمة . والخَوْد
الشابة . والشُّغموم . والشغمومة الطويلة المليحة . والشِطبَة بالكسر الطويلة الحسناء
الغضَّة . والعقِيلة الكريمة المخدرة . والبهيرة السيدة الشريفة . والثُرّةُ بالضم الحسناء
الرعناء . والشَمُوع اللّعوب المزاحة الضحاكة . والمِهزاق كثيرة الضحك والتي لا تستقر
في مكان . والمَيْنَغ الملاعبة كما في مختصر العين . واللاّعَة هي التي تغازلك ولا تمكنك
والطرخانة المليحة التايهة . والبَيْدخة التّارة اي اللينة المتثنية المسترخية . والهَاجِنُ هي
التي افترعت قبل البلوغ . وفي المثل جلّت الهاجن عن الولد اي صغرت عن ذلك
يضرب للتعرض للشيء قبل وقته . والرّقيمة المرأة العاقلة البَرْزَة . والعَبْهَرَة ممتلئة
الجسم بغير افراط في السمن والعرب تمدح بهذا الوصف وتذم بضده . والغيلم الجارية
الحسناء . والرُّسُل الصغيرة التي لم تختمر بعد . والعذراء هي البكر سميت عذراء لوجود
العذرة فيها وهي البكارة وهي جلدة رقيقة في مدخل الذكر

كانت فضل المتوكلية الشاعرة ثيباً فاراد ابودلف ان ينكت عليها فأنشأ يقول

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم　　اشهى المطيّ اليّ مالم يركبِ

كم بين حبة لؤلوءٍ مثقوبةٍ　　نُظمت وحبة لؤلوءٍ لم تثقبِ

فاجابتهُ بقولها

انّ المطيّةَ لا يلَذُّ ركوبها　　مالم تذلل باللجام وتركبِ

والدرُّ ليس بنافعٍ اربابَهُ　　مالم يوَّلف في النظام ويثقبِ

واتفق ان ملكاً عُرضَ عليهِ جاريتان في سنٍّ واحد احداهنّ بكر والاخرى ثيب فاشترى البكر وترك الاخرى . فقالت اشترني ايها الملك فليس بيني وبينها الاّ ليلة واحدة . وعرضت جارية على ملك فسألها انتِ بكر أم ثيب فقالت ان الفتوحات قد كثرت في دولة الملك ابقاهُ الله فاعجبهُ كلامها فاشتراها . وعرضت على المعتضد جارية صغيرة السن فقال لولا صغرها لاشتريتها . فقالت اما سمع امير المؤمنين قول الشاعر

مطيّات السرورِ بنات عشرٍ　　الى العشرين ثم قف المطايا

وعرضت على الرشيد جارية فقال لولا نمش في خديها وخنس في منخريها لاشتريتها فانشأت الجارية تقول

ما سلم الظبي على حسنهِ　　كلاّ ولا البدر الذي يوصفُ

الظبي فيهِ خنسٌ ظاهرٌ　　والبدرُ فيهِ كلفٌ يعرفُ

فاستحسن منها ذلك واشتراها . والعاتق من النساء . كالمراهق من الغلمان وهي التي حان بلوغها قالهُ النووي في شرح مسلم عن ابن دريد . وقال غيرهُ هي البالغة حتى تعنس . والتعنيس هو طول مكث الجارية في بيت اهلها بعد البلوغ بلا تزوج ويقال لها العانس . وسئل بعض التابعين عن رجلٍ تزوج بكراً فاذا هي لا عذرة لها فقال ان العذرة يذهبها التعنيس والحيضة

والعرب تذم النساء بالسمن المفرط كما تذمهنّ بالهزال قال الشاعر في مهزولةٍ

في كل عضو لها قرن تُصيبُ بهِ　　جنب الضجيع فيمسي واهيَ الجسدِ

وقلت انا مضمناً

قد همت في ذات شحمٍ مثل شمس ضحى　　لو انها قابلت بدر الدجى أفلا

وملت عن ذات عرقوبٍ جرحت بهِ　　كانت مواعيد عرقوبٍ لها مثلا

ولا تمدح العرب الاّ الممتلئة شحماً بغير افراط ولا رخاوة فيهِ ولا كبر بطن معهُ

ولا افاضة فيها . ويسمون المرأة الممتلئة الجسم عَبْهَرَة . وتسمى الممتلئة الرخوة الفَضْفاضة . ويذمونها كما يذمون العظيمة البطن وتسميها المُفاضة . قال الرقاشي السمن في الرجال غفلة. وفي النسآء غلمة (قلتُ) ولذلك قال امامنا الشافعي رضي الله عنهُ ما افلح سمين قط الّا ان يكون محمد بن الحسن اي لان السمن لا يكون الّا من عدم الاهتمام بأمر الدين فمن لم يهتم بأمر دنياه ولا بأمر اخراه كيف يكون مفلحًا . والمرأة الخَدَلَّجة ممتلئة الذراعين والساقين . والمرأة المربوبة المحتسبة لكرامتها وكذا يقال لكل شيءٍ احتسبتهُ عند البيت لكرامة . والمرأة النَّجُود العاقلة . والمرأة اللَّبة بالفتح اللطيفة الظريفة . والمرأة التي تباشر عملها وعمل زوجها بيدها وتشتغل بصناعة او حرفة يقال لها الصَّناع . والفارغة الخالية الملازمة للبطالة يقال لها الخرْقاء . والخَلْباء والخلبن . والمرأة العاتق كثيرة الاولاد . ومثلها البَقَّة . والمرأة المقلاة التي لا اولاد لها . والثكلى التي كان لها اولاد وعدمتهم . والعُبَّي كالرُّبَّى التي لا يكاد يموت لها ولد . والعاقر هي التي لا تحبل ويقال لها العقيم ايضًا . والعَقر والعَقْم دآء يكون في ارحام النسآء وفساد يكون في منيّ الرجال يمنع من انعقاده. لان منيّ الرجل كالروبة . ومنيّ المرأة كاللبن . فمتى صلحت الروبة واللبن انعقد جنينا ومتى فسد احدهما لم ينعقد الجنين . واذا انعقدت النطفة في الرحم يقال للمرأة حبلت وهي حبلى ولا يقال لغير النسآء حبلت بل يقال حملت الدابة فان القت المرأة الحمل فان كان قبل تمام خلقه فهو الغَيض . او بعده فهو السِقْط . وان مات الجنين في الرحم يقال قد غرّقتهُ القوابل قال الشاعر

فليت سعيرًا كان حيضًا برجلهم وليت سعيرًا غرّقتهُ القوابلُ

(قلتُ) لانهُ اذا اراد الله موته في الرحم ارسل على امه الحيض فكأن الحيض يغرقهُ . وقد ذكر سيدي العارف الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره في رحلته الكبرى انهُ لما دخل بيروت واجتمع فيها بتلميذ والده الفاضل السيد احمد عز الدين البيروتي وكان السيد احمد من المعمرين وكان وقت اجتماعه بجناب الشيخ قد جاوز الثمانين قال الشيخ قدس سره وقد انشدني لنفسهِ قولهُ

ثمانون عامًا كأنْ لم تكن مضت يا آبن ودّي بلا فائده

فيا ليتني لم اكن مضغة ويا ليتها حاضت الوالده

وان كان بعد تمام المدة فهو الجنين . ويقال للمولود قبل ستةٍ او سبعةٍ مَقط كَكَتف . واذا خرجت رجلا المولود قبل رأسهِ يقال لهُ اليتن . وربما قتل امه والعرب

تتشاءم بهِ فان ولدت ولدا واحداً فهي مفرِد . وان ولدت ولدين فهي مُتئِم وان ولدت الذكور فهي مذكار . او الاناث فهي مئناث . او كانت مرضعا وحملت وارضعت ولدها فهي المُغيلة . ويقال للبنها الغَيْلة . وكانت العرب تكره الغيلة والاطباء يقولون لبن الغيلة داء لكن لم ينه النبي صلى الله عليهِ وسلم عنهُ ولكن قال لقد هممت ان انهي عن الغَيلة . وفي ترك النهي بيان الجواز وانما همَّ لان فيهِ اضراراً للرضيع . ومن المستحسن في النساء صغر الثدي . ويقال لصغيرة الثدي الجدّاء . ولكبيرته الطُرْطُبَة . والحَلَمة في الثدي ما يرتضع منها واللُّعوَة والسُعْدَانة هما السواد الذي حول الحلمة قال في الاساس واعلم بان الثدي خاص بالمرأة واما ما هي للرجل بمنزلة الثدي للمرأة فيقال لها ثُندُوة بضم الثاء المثلثة والدال وقال في المصباح قال ابن السكيت الثدي يقال للرجل ايضاً وكان رؤبة يهمز الثندؤة وعن ابي عبيد ان عامة العرب لا تهمزها وحكى في البارع ضم الثاء مع الواو وقال ابن السكيت وجمعها ثناد على النقص قالهُ في المصباح . ويقال لمجرى اللبن من ذات الحافر والسباع الطُبْيُ . ولذات الخف الخلف ولذات الظلف الضرع . والمُعصر من بلغت سن الحيض وتقدم ان العاتق من حان وقت حيضها . والضهيأ كمعبد المرأة التي لم تحض ويقال لها القَشْوَر . والنسيء كفعيل التي تأخر حيضها وجمعها نساء ككريم وكرام قالهُ السهيلي (قلتُ) وعليهِ فيقال النساء نوع من النساء والسَلَقْلق المرأة تحيض من دبرها والمستحاضة ترى الدم في غير ايام الحيض ولها اقسام مذكورة في كتب الفقه وعن ائمتنا ان اقرب زمن تحيض فيهِ الجارية تسع سنين ونقل عن امامنا الشافعي رضي الله عنهُ انهُ رأى جدةً عمرها احدى وعشرين سنة والحيض دم يخرج من عرق داخل الرحم يقال لهُ العاذل . واول امرأة حاضت حوّاء . روي انها لما دميت نادت ربها جاءني دم لم اعرفهُ فناداها لأُدمينَّك وذريتك ولاجعلنهُ لك كفارة وطهوراً . والحيض مشترك بين النساء وتسع من اناث الحيوان ذكر منها بعض الفضلا خمساً في قولهِ

تحيض انثى حيوان لقد	عُدّت بخمس عندما تحسبُ
انثى بني آدم مع كلبةٍ	والضبع والخفاش والارنبُ

وقد ترك الناقة . والحِجْرة . والوزغة . وبنات وردان . وعلى الخمس الاولى اقتصر الدميري في حياة الحيوان الكبرى وذكر ان ابا داود روى في سننهِ من حديث جابر بن الحويرث عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال في الارنب

انها تحيض . قال ابو داود قال ابن المعين جابر هذا لا اعرفهُ وذكره ابن حبان في الثقات ولا يعرف لهُ الاَّ هذا الحديث اه . وتزعم العرب ان الجن تهرب من الارنب لمكان حيضها ومن اشعارهم في حيضها قول الشاعر

وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الحيض عند اللقا

(قلتُ) وزعمهم ان الجن لا تقرب الارنب لمكان حيضها زعم باطل اذ لو كان صحيحًا لكانت النساء اولى بان تهرب منهنَّ الجن اكثر من الارانب وكم رأينا امرأة اصابها مس الجن . وللحيض ثلاثة عشر اسماً جمعها الشيخ عبد الباسط البلقيني في قوله

وللحيض اسماءٌ ثلاثٌ وعشرةٌ مَحِيضٌ مَحاض حيض كَيْدٌ وإعصارُ
دِراسٌ وضَحْكٌ ثم طَمْثٌ عَراكُها وَضَيْفٌ وإشهادٌ نِفاسٌ وإكبارُ

(قلتُ) ومن الاخير على بعض التفاسير قولهُ تعالى فلما رأينهُ اكبرنهُ (قلتُ) اصلهُ اكبرن لهُ اي حضنَ لرؤية جمالهِ وحسنهِ كما قال الشاعر

خَفِ الله واستر ذا الجمال ببرقعٍ فإن لحت حاضت في الخدور العواتقُ

والقاعد بغير هاء هي التي قعدت عن الحيض والزواج . قال تعالى والقواعد من النساء اللاَّتي لا يرجون نكاحا . وههنا كلَّ جواد القلم عن بلوغ الغاية . وايس من ان يكون لجريهِ في هذا الميدان نهاية . فوقف واستوقف . ولوى عنانه الى غير هذه المهمه والنفنف . فعندها اخذتُ من عنانه . وكفكفت غرب لسانه . وقلت

❊ مطلب في علم التصريف ❊

اعلم ان الشاعر كما يحتاج الى علم اللغة يحتاج الى علم التصريف . وهو علمٌ باصول يعلم بها احوال ابنية الكَلِم التي ليست باعراب وفائدتهُ كفائدة النحو وهو الاحتراز عن الخطإِ في اللسان فالشاعر لا بدَّ ان تكون لهُ مشاركة في علم التصريف يستعين بها على انشائهِ مثل قولي في مدرس

يا غبيًّا ما لهُ في رتبة الفضل مقامُ
انت في العلم ابو جهـــلٍ وفي الجهلِ امامُ
لك تدريسٌ ولكن عين تدريسك لامُ

فقولي عين تدريسك لامُ . اردت عين ميزان التدريس لأن ميزان التدريس تفعيل فتكون عينهُ حرف الرَّاء واذا كانت عين التدريس لاماً كان تدليساً وذلك لان

الصرفيين ينظرون الى اصول الكلمة الثلاثية كضربَ فيعبرون عن ضاد ضرب بالفاء وعن رائهِ بالعين وعن بائهِ باللام فيقولون ميزان ضرب فعل فاذا زيد الفعل والاسم عن الاصول الثلاثية عبروا عنهُ بمثل ذلك الحرف الزائد فيقولون وزن يضرب يفعل ووزن ضربا فعلا ووزن ضارب فاعل ووزن مضروب مفعول ووزن مضرب مفعل وهكذا في جميع الكلمات . ومما يتعلق بالصرف قول الشاعر

انا من صفات الفضل فيكم افْعَلُ لكنْ كأنّي في اللغات المهملُ

وذلك لانهُ اراد ان ميزانه في كل فضيلة صيغة افعل فهو في العلم اعلم . وفي الكرم اكرم . وفي الشرف اشرف . وفي المعرفة اعرف . وهلما جرّا ولكنهُ مع ذلك الفضل كأنما هو بين قومهِ كالكلمة المهملة عند اهل اللغة فكما تعتبر اهل اللغة الكلمة المهملة فكذلك هو لا يعتبرهُ قومهُ ومن ذلك قولي من النثر . المَلِكُ من ملك نفسهُ فكان عند ربهِ مَرْضيًّا . وفتح عينهُ فصار مَلَكًا روحانيًّا . ومما يتعلق معرفة معناه بعلم الصرف قول بعضهم يهجو صرفيًّا بقولهِ

وصرفيٍّ لهُ وجهٌ سداسي لفيفٌ اجوف العينين قاسي
مضى في الصرف نقدُ العمر منهُ وماعرف الرصاص من النحاس

فقوله لهُ وجهٌ سداسي قد تقدَّم ان اصل الفعل الثلاثي المجرَّد فان زاد حرفًا كان رباعيًّا مزيدًا او حرفين كان خماسيا او ثلاثة احرف كان سداسيًّا . فاراد الشاعر بقولهِ (لهُ وجهٌ سداسي) انَّ وجههُ مزيد فيهِ كالفعل والاسم السداسي زيادة وذلك اما بطول لحيتهِ او بانفهِ او باجتماع الكل فيهِ حتى خرج من صفات البشر الى صفات البقر واعلم ان اصول الفعل سبعة انواع جمعها الشاعر بقولهِ

اصول جميع الفعل سبعة اضربٍ كما جاء في بيتٍ من الشعرِ واصفُ
صحيحٌ ومهموزٌ مثالٌ واجوفٌ لفيفٌ ومنقوصُ البناء مضاعفُ

فالصحيح ما سلمت فاؤهُ وعينهُ ولامهُ من احرف العلة كضربَ وقتلَ والمهموز ما كان احد احرفهِ الثلاثة مهموزًا كأمرَ وسألَ وقرأَ . والمعتلُّ ما كان احد احرفهِ الثلاثة من احرف العلة وهي ثلاثة احرف الالف والواو والياء وهذه الاحرف تسمى عند سكونها احرف اللين فان كانت حركة ما قبلها من جنسها عند السكون سميت حروف المدّ والالف لا تكون الاّ كذلك فهي حرف علة ومد ولين . ثم ان حرف العلة ان كان فاء سمي الفعل مثالاً كوعدَ . وسمي مثالاً لمماثلتهِ للصحيح لعدم تغير فائه اي عدم ثقله بها

بخلاف الاجوف . وإن كان حرف العلة عين الفعل سمي اجوف لان حرف العلة بجوفه فان كان حرف العلة لام الكلمة فهو المنقوص فان كان في الفعل حرفا علة فهو اللفيف اذ يقال للمجتمع من قبائل شتى لفيف فان كان حرف العلة عينهُ ولامهُ سمي لفيفاً مقروناً لمقارنة حرفي العلة فيهِ كقولك قوى ونوى ورمى . فان لم يقترن فيهِ حرفا العلة كولي يلي ووقى يقي سمي مفروقاً لوجود الفارق فيهِ بين حرفي العلة . والسابع من الافعال المضاعف ويسمى الاصم وهو ما كان عينه ولامهُ من جنس واحد ان كان ثلاثياً مثل شدَّ وردَّ أو فاؤهُ ولامه الاولى من جنس واحد وعينه ولامه الثانية من جنس واحد ان كان رباعياً نحو زلزل وسلسل وقد جعلوا المهموز والمضاعف كالمعتل نظراً الى ان المهموز قد تقلب همزته حرف علة كقولك قرأْت وقريت وبدأْت وبديت على المعتمد في الثانية خلافاً لمن انكره من ائمة اللغة فقال لا يقال بديت بل بدأْت وعدَّ ذلك من اللحن ورد عليهِ بانهُ ورد من كلام بعض الصحابة واظنه عبد الله بن رواحة احد شعراء الصحابة انهُ في حفر الخندق قال من الرجز (باسم الاله ربنا بدينا) وكفى بذلك حجة وإن حرف التضعيف قد يقلب حرف علة كما في قولك امليت واحسيت من امللت واحسست واذا عرفت ذلك عرفت قول الشاعر المتقدم (لفيف ٣ اجوف العينين قاسي) لانهُ اراد باللفيف انهُ تعددت فيهِ العلل كما تعددت في اللفيف حتى استغرقت اكثر اعضائهِ كما قالت امرأة في حديث ام زرع تصف زوجها كل داءٍ لهُ داء يعني ان زوجها اجتمع فيهِ الادواء او ان الشاعر اراد باللفيف معناه اللغوي . وقد تقدم ان معناهُ المجتمع من قبائل شتى فيكون ذلك من اخبث الهجو لانهُ كناية عن كون ذلك المهجو من اولاد الزنى المجتمعين من نطف شتى . ومما يتعلق بالصرف قول الشهاب الخفاجي

اری الشيب عند الغانيات اشدَّ من ... عيوب جميع العالمين واصعبُ
ولو لم يكن عيبًا لما كان وصفهُ ... على افعلٍ يبنى اذا قيلَ اشيبُ

ومعنى ذلك ان الخفاجي صوَّب رأي النساء في عدّهنَّ الشيب من العيب واقام على ذلك دليلاً وهو ان الانسان اذا شاب لا يقال لهُ شائب وانما يقال رجل اشيب وهذه الصيغة التي هي صيغة افعل لم تضعها العرب الاَّ للوصف بالعيب كالأعمى والأعشى والأعرج والأبكم ونحوها فلو لم يكن الشيب عندهم عيبًا لما اتى الوصف منهُ على زنة افعل بل كان يأْتي على زنة فاعل (قلتُ) ويجاب عن ذلك ان العرب كما وضعت صيغة افعل للعيوب فكذلك وضعتها للألوان كالأبيض والأحمر والأسود ونحو

ذلك وقد وصفوا من شاب بالأشيب نظرًا الى لون مشيبهِ وهو البياض فاعلم ذلك

ولأبي العلاء المعرّي مما يتعلق بالصرف قولهُ يمدح صريع البين

دُعيت بصارعٍ فتداركتهُ مبالغةٌ فرُدَّ الى فعيلِ

كما قالوا عليم اذ ارادوا تناهي العلم في الله الجليلِ

اراد ان لفظ صريع ليس اسم مفعول ولكنهُ صيغة مبالغة لان فعيلا يصلح ان يكون بمعنى المفعول كقتيل وجريح . ويصلح ان يكون بمعنى فاعل كقدير وعليم . والمعنى انك تصرع البين ولا يصرعك. ومما يتعلق بالصرف قول ابي العلاء ايضًا

وصرّفني فغيّرني زماني سيعقبني بحذفٍ وادّغامِ

فذكر فيهِ من انواع الصرف التغيير . والحذف . والادغام. فقولهُ وصرفني اي رماني بصروفهِ وبعد ذلك سيعقبني بعد الذي قاسيتهُ من صروفهِ بحذفٍ اي طرحٍ على الارض وادّغام اي ادخال في القبر لان معنى الادّغام لغةً ادخال شيءٍ في شيءٍ

ومنهُ قولهُ ايضًا

وتلقى المرء تحسبهُ صحيحًا كحرف لا يفارقهُ اعتلالُ

فقولهُ صحيحًا حال من المرء والتقدير وتلقى المرء كحرف لا يفارقهُ اعتلال في حال الصحة اي انك تراه معتلاً في حال الصحة لانهُ خلق للإبتلاء والموت . قال تعالى انّا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليهِ فهو كحرف من حروف العلّة التي لا يفارقها الاعتلال او مراده ان الانسان لا يفعل شيئًا الاّ لعلة فهو دائمًا معتلّ وعلته التي تبعثهُ على فعل الاشياء او تركها سواء دنيوية ام دينية ولم يتنزه فعله عن علة الاّ الحق تعالى فلا تبعثه علةٌ على فعل شيءٍ او تركه وانما هي حكمة بالغة ولهذا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون واما ما جاء في القرآن مما يشعر ظاهره بالعلة مثل قولهِ تعالى .وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الاّ لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيهِ . فمعناه الاّ لحكمة وهي اظهارنا لعبادنا انا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيهِ

﴿ مطلب تعلقات علم الاشتقاق ﴾

ومما يحتاج اليهِ الشاعر علم الاشتقاق . وهو علم باصول يعلم بها اصول الكلم وفروعها . وفائدته التمييز بين الاصل والفرع فيحتاجه الشاعر لاجل ان يتسع معهُ مجال الكلام ويقتدر بهِ على النظم مثل قول الشاعر يهجو اسود بقولهِ

فعلكَ من لونكَ مستخرجٌ   والظُّلْم مشتق من الظُّلَمِ

(وقلتُ) بعكس ذلك امدح كبيرًا و ولده بقولي

يا سيدًا فاق الورى شرفًا   بمحاسن الاخلاق والشيمِ

ان كان نجلُكَ سيدًا سندًا   فالكرمُ مشتقٌ من الكرَمِ

واعلم ان الاشتقاق صغير وكبير . فالصغير ان تأخذ اصلاً من الاصول فتجمع بين معانيه. وان اختلفت صيغة ومبانيه . مثال ذلك ان تاخذ مادة (س ل م) . فانك تاخذ معنى السلامة في تصريفه اذا صرفته لسليمان . وسليم . وسالم . وسلمى . فان الجميع مشتق من السلامة ولا بد ان يكون المشتق منهُ مصدرًا فلا يكون الاشتقاق الاَّ من المصادر واذا عرفت ذلك عرفت ان قولهُ صلى الله عليهِ وسلم أَسلَم سالمها الله . وغِفار غفر الله لها . وعصيَّة عصت الله ورسولهُ . ليس فيهِ اشتقاق لان اسلم قبيلة . والاشتقاق لا يكون الاَّ من المصادر كما تقدم . وقولهُ سالمها الله من المسالمة . وقولهُ وغِفار غفر الله لها مثلهُ . وكذلك قولهُ وعُصيَّة عصت الله ورسوله . فان نظرنا الى ما في الحديث فليس بين اسلم وسالمها اشتقاق بل سماه المتأخرون شبيه الاشتقاق . وان نظرنا الى ان كلاً من قولهِ اسلم وسالمها مشتق من اصل واحد وهو المسالمة فهو الاشتقاق . ومثل ذلك قولهُ تعالى . فأقم وجهك للدين القيِّم . اذا نظرنا الى قولهِ فأقم والقيم كلاهما مشتق من اصل واحد وهو القيام فذاك هو الاشتقاق فان لم يرجع اللفظان الى اصل واحد كقولهِ تعالى قال اني لعملكم من القالين . اذ الاول من القول والثاني من القلاء وهو الهجر فهو اشتقاق مطلق كما ذكره ابن عبد الحق في شرح النقاية . وقد تقدم انهم سموهُ شبه الاشتقاق واما الاشتقاق الكبير . فهو ان تأخذ اصلاً من الاصول فتعقد عليهِ وعلى تراكيبه معنىً واحدًا تجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وان تباعد شيءٌ من ذلك عنها رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل اليها مثالهُ ان مادة (ق ر م) تراكيب وهي قرم . وقمر . ورقم . ورمق . ومقر . ومرق فهذه التراكيب يجمعها معنى واحد وهو القوة . والشدة . لان القَرَم شدة الشهوة للحم . وتقمَّر الرجل اذا غلب من يلاعبهُ في القمار . والرقم الداهية وهي الشدة تصيب الانسان من دهره . وعيش رَمِق اي ضيق وذلك نوع من الشدة . والمَقر شيءٌ يشبه الصبر في المرار . يقال امقر اذا مر وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة . ومرَق السهم اذا نفذ من الرمية وذلك لشدة مضائهِ وقوتهِ لكن الكثير استعمال الاشتقاق الصغير لوقوع الفصاحة فيهِ دون الكبير . ومن الاشتقاق

قول حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح نبينا صلى الله عليه وسلم

وضم الاله اسم النبي الى اسمه　　اذا قال في الخمس المؤذن أشهدُ

وشق له من إسمه ليجلّه　　فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

فانِ قلت ظاهر قول حسان ان اسم محمد مشتق من اسم محمود وهو يخالف ماذكرت من كون الاشتقاق لا يكون الاَّ من المصادر (قلتُ) في قول حسان مجاز الاضمار وهو تقدير مضاف وشق له من اصل اسمه واصل محمود الحمد وهو مصدر ومثل ذلك ما رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلكِ وصلتهُ . ومن قطعكِ قطعتهُ . اي شجنة من اصل الرحمن واصله الرحمة فشبه الرحمة بروضة خرجت منها شجر الرحم واسم الرحمن . وشبه الرحم بالشجر الملتف نظراً لكثرة انواع الرحم . وهنا لاحت لي بشارة عظيمة . وهي انهُ تعالى راعى للرحم نسبة الاشتقاق بينها وبين اسمه الرحمن فوصل من وصلها . وقطع من قطعها . فكيف لا يراعي عبده المؤمن الذي وافق اسمهُ اسمهُ لأن المؤمن من اسماء الله الحسنى واذا كان صاحب البرأة يقول في مدح عبد الله ونبيه صلى الله عليه وسلم

فانَّ لي ذمةً منهُ بتسميتي　　محمداً وهو أوفى الخلق بالذممِ

فما بالك بالرب العظيم فيالها من بشارةٍ الطف من مرور النسيم . على وجه الروض البسيم . توجب فرح المومن وسروره . وغبطتهُ وحبوره . وافتخاره على من سواه . لموافقة اسمه اسم سيده ومولاه . واعلم ان المومن معناه المصدِّق فالحق تعالى سمي مومناً لانهُ يصدق رسلهُ باظهار ما يخلقهُ ويجريه على ايديهم من المعجزات لأن الرسول يقول اني مبعوثٌ من عند الله فجعل الله المعجزة لهُ نازلة منزلة قوله صدق عبدي فيما يحدِّث عني فاسم الله تعالى مؤمن أي مصدق بهذا الاعتبار (فائدة) الفرق بين التجنيس والاشتقاق ان التجنيس اتفاق اللفظ واختلاف المعنى والاشتقاق عكس ذلك

مطلب تعلقات علم النحو

واعظم علم يحتاج اليه الشاعر علم النحو . وهو علمٌ يبحث فيه عن احوال اواخر الكلم من حيث الاعراب والبناء . وفائدتهُ الاحتراز عن خطإِ اللسان وعن الخطإِ في فهم معاني الكلام العربي ويحتاجهُ الشاعر لينشئ او يفهم مثل قول ابن عنين

كأنيَ من اخبار إنَّ ولم يُجزْ　　لهُ احدٌ في النحو ان يتقدَّما

والمعنى ان الدهر اخرني حتى كأني خبر إنّ الذي لا يجوّز احد من النحاة تقديمهُ على اسمها فضلاً عن تقديمه عليها فلا يقال ان قائمٌ زيداً الاّ اذا كان الخبر ظرفاً نحو انّ زيداً عندك او مجروراً نحو انّ في الدار زيداً فحينئذٍ يجوز تقديم الخبر ولذلك اجاب بعض الشعراء ابن عنين بقولهِ

فلو كنت ظرفاً يا ابن عنين اوجبت لكَ الناسُ تقديماً عليها محتما

اي انك لو كنت كالظرف تسع غيرك لقدّمتك الناس عليهم والمراد انك لو كنت ذا ظرف والظرف كالفلس هو البراعة وذكاء القلب كما في المصباح اي لو كنت بارعاً ذا ذكاء لقدمتك الناس . وكان ابن عنين بذيّ اللسان حتى انهُ هجا اكابر اهل دمشق عموماً . ومن المتوقف فهمهُ على معرفة النحو قول الشاعر

اذا غاب كان الميل مني لغيرهِ وان لاحَ كان الميل مني لهُ حتما

كأنيَ هل في النحو والفعل جنبهُ وكل الورى ان غاب محبوبيَ الاّ سما

اشار الشاعر الى ان هل مثل قد في اختصاصها بالدخول على الأفعال ولذلك استعملوا هل في محل قد . ومنهُ قولهُ تعالى (هل اتى على الانسان حين من الدهر) لان المراد قد اتى لكن لما كانت هل كهمزة الاستفهام انحطت رتبتها عن قد في اختصاصها بالفعل فدخلت على الاسماء فهي تختص بالفعل اذا كان في حيّزها والاّ تسلت عنهُ بدخولها على الاسم فالشاعر شبه نفسهُ بها وشبه محبوبهُ بالفعل وشبه غير محبوبهِ بالاسم فاذا كان محبوبهُ حاضراً فلا يميل لغيرهِ والاّ مال للغير تعللاً بهِ حتى يحضر محبوبهُ ومما يتعلق بالنحو قول الورّاق يهجو بخيلاً

ومبخّلٍ بالمال قلتُ لعلهُ يُندي وظني فيهِ خُلفٌ مُخْلِفُ

جمعُ الدراهم ليس جمع سلامة فاجابني لكنهُ لا يصرفُ

معناهُ ان الدراهم جمع تكسير واراك تريد جمعهُ جمع سلامة لتمنعهُ من الكسر ومرادهُ الانفاق فاجاب بانهُ وان كان جمع الدراهم جمع تكسير الاّ انهُ منتهى صيغة الجموع وهذا الجمع لا يصرف فكيف تروم مني ان اصرفهُ . ومن النحو قول ابي العلاء يصف نوقا

حروف سُرى جاءت لمعنىّ ارومهُ برتنيَ اسماءً لهنّ وأفعالُ

وفي قولهِ مما يخص النحو ذكر الاسم والفعل والحرف وقد تقدم ان العرب تسمي الناقة حرفاً تشبيهاً لها بالحرف في النحول ورقة الجسم لانها اذا كانت كذلك كانت اقدر على الاسراع في السير . وما الطف قول الحافظ ابن حجر في ناقة صالح عليهِ السلام

يا ايها القاريءُ ما آيةٌ حروفها اربعةٌ ظاهره
وقيل حرفٌ واحدٌ كلها فاعجب لها من آية باهره

ومن اللطائف قول القيراطي

اميل لاعطاف القدود صبابة وان هي زادتني قلًى وتباعدا
ويعجبني بين الانام تطفلي عليها اذا شاهدتهن موائدا

وقد ذكر ابن خالويه ان الحرف من اسماء الحية وقولهُ برتني اسماء من المشكل الاَّ ان يراد بالاسماء مسمياتها مجازًا مرسلاً هي عينها فيكون التقدير برتني هي وافعالها يعني انهُ لكثرة ملازمتهِ للاسفار برتهُ النوق وافعالها وهي مواصلة السير في الحرِ والقرِ وانما عبر عن النوق وهي المسميات بالاسماء ليتم لهُ ذكر بقية ما يتألف منهُ الكلام عند النحاة

ومن ذلك قول ابي العلاء ايضاً

فدونكم خفض الحياة فاننا نصبنا المطايا في الفلاة على القطع

وجهٌ في هذا البيت بذكر بعض علامات الاعراب وهي الخفض والنصب . وذكر ايضاً النصب على القطع وهو عند النحاة مشهور . ومنهُ قولهُ تعالى (وامرأتهُ حمالةَ الحطب) بنصب حمالة على التقدير ونية القطع واما معنى البيت الشعري فمعناهُ انهُ يحض اصحابهُ على الاخذ في خفض الحياة وهي سعة العيش يقال فلان في خفض من العيش اي في سعة وراحة اي ان اردتم الراحة وسعة العيش فخذوا في اهبة السفر لاننا نصبنا المطايا اي اقمناها من مباركها لاجل قطع المسافات فإن قلت ان السفر تعب فكيف عبر عنهُ بالراحة (قلتُ) لانهُ يكون سبباً لادراك الراحة كما قيل لبعضهم لقد طال وقوفك في الشمس . فقال ليطول جلوسي في الظل . ومن المعنى قول الشاعر

سأطلب بُعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

ومما يتعلق بالنحو قول ابي العلاء ايضاً

تلاقٍ تعرّى عن فراقٍ تذمهُ مآقٍ وتكسير الصحاح من الجمعِ

فمعناه الشعري والنحوي ان تلاقينا تعرّى اي تكشف عن فراقنا فهو تلاقٍ اوجب الفراق وليس هذا بامرٍ عجيب لان الجمع عند النحاه في بعض المواضع يوجب تكسير الاسماء الصحاح كزيد وزيودٍ وعمروٍ وعمورٍ فهو جمع اوجب تكسير الصحاح كما اوجب جمعنا فراقنا وهو معنى لطيف ومن تعلقات النحو قول الشاعر

لنا صديقٌ لهُ خلالٌ تعرب عن طبعهِ الأخسِّ

لهُ يدٌ مثل حيث اضحت يا ليتها اصبحت كامسِ

اشار الى ان يده مضمومةٌ وهي كناية عن بخلهِ وشبهها بحيث وهي ظرفٌ مبني على الضم وان كان اسماً لافتقاره الى جملة تضاف اليهِ افتقاراً كافتقار الحرف ثم لما ذكر ان يد مهجوّه مبنية على الضم كحيث تمنى ان تكسر كما كسرت العرب امس و بنوهُ على الكسر في احوالهِ الثلاثة وانما بنوهُ وان كان اسماً لانهُ تضمن حرف التعريف و بعض العرب يمنعهُ من الصرف مطلقًا و يعربه ومنهُ قولهم (اني رأيت عجبًا مذ امسا) و بعضهم يمنعه من الصرف حالة الرفع و يبنيهِ على الكسر حالة النصب والجر و بهِ علم ان لهُ عند العرب استعمالات ثلاثًا ومما يتعلق بالنحو قول بعضهم يمدح كبيرًا

نصبتَ رماح الخط وهي خوافضٌ وما نصبت الاَّ لانك فاعلُ

فيهِ من النحو النصب والخفض والفاعل ومعناه الشعري انك نصبت الرماح اي اقمتها والحال انها خوافض تخفض روس العدا اذا انتصبت وما انتصبت تلك الرماح الاَّ لانك فاعل . اي نصبها يدل على انك فاعل اي ميزان وصفك فاعل وهو انك فارس وصائل وجارح وقاتل وسالب الى غير ذلك وحصر علة انتصابها في كونه فاعلاً لان النصبَ قد يكون لغير الفاعل كنصب الظرف والتمييز والحال والمصدر وغيره (لطيفة) حكي ان الخوارزمي مرض فكتب الى الوزير الصاحب ابن عباد قولهُ

انظر اليَّ بعين مولىً لم يزل يولي النَّدا وتلافَ قبل تلافي

انا كالذي احتاج ما يحتاجهُ فاغنم ثنائي والدعاء الوافي

فلما قرأها الصاحب توجه الى عيادته ثم لما واجهه وضع بين يديهِ صرة فيها خمسمائة دينار وقال لهُ هذه الصلةُ وانا العائد وذلك لان الخوارزمي قال في شعره انا كالذي احتاج ما يحتاجه والذي اسم موصول يحتاج دائمًا الى صلة وعائد كقولك جاءَ الذي احببتهُ فاحببت هي الصلة والضمير هو العائد فتلطف الصاحب في قولهِ هذه الصلة وانا العائد فقولهُ وانا العائد معناه الزائر ويحتمل معنى آخر وهو العود اي انا العائد بالصلة مرة بعد اخرى ولبعض الشعراءِ يهجو صديقًا عاده فارغًا بقولهِ

مرضتُ حتى عاد من لم ارَ منهُ بَصلَه

تبًّا لهُ من زائرٍ وعائدٍ بلا صِله

ومما كتبت بهِ لخليل افندي المرادي رحمهُ الله تعالى قولي

قد كنت فيما قد مضى زرتكم فرحت بالطارفِ والتالدِ

وعدت علما ان يمناكم　　صلاتها اشتاقت الى العائد

وكتبت اليه مرة أخرى وكنت زرته في داره فلم اصادفه قولي

نحا احمد البربير دارك فانثنى　　له الدهر صرفاً عنك ياصاحب اللطف

فهل رأت الايام فيه اضافة　　لغيرك حتى سامه الدهر بالصرف

فقولي نحا احمد فيه اشارة الى انه لا ينصرف فكيف صرفه فهل اراه اضيف لغيرك حتى صرفه لان الاسم الممنوع من الصرف اذا اضيف او دخلته ال انصرف . وقولي بالصرف يحتمل ثلاثة معان . الصرف الاصطلاحي وهو التنوين . والصرف بمعنى التخلية تقول صرفت فلاناً اذا خليت سبيله والصرف واحد صروف الدهر وهو حوادثه . ومما قلته مما يتعلق بالنحو قولي

نصبوا فلاناً حاكماً　　من بعد كسرة هُدْبِهِ

فعلا على من كان به　　لو فوقه من صحبه

لكنهم لم يلحنوا　　اذ كان مفعولاً به

ومثله قولي

وشادن كان ذا حجاب　　عن كل ذي تهمة وآفه

فافسدوه وبات يُدعى　　للحم والرز والكنافه

وكان ينضم عن سواهم　　فانجرَّ للقوم بالاضافه

الاضافة اللغوية ضم شيء الى شيء وإمالته اليه . وعند النحاة ضم اول الى ثانٍ ليكتسب منه التعريف او التخصيص وهي في اللغة ايضاً قِرى الضيف تقول اضفت زيداً اذا انزلته وقريته والمعنى في ابياتي ظاهر وقلت ايضاً

وحمّام رأيت به غزالاً　　من الصنّاع مسك الخال عمّه

حباني ضمة للصدر فيه　　فحرّك ساكن الاحشا بضمه

واعلم ان تحريك الساكن عند النحاة لا يكون الاّ بالكسر فاذا حرّك بغيرها خرج عن القياس فيسأل عنه لم كانت حركته كذا وقد حرّك النحاة اسماء بالضم كقبل و بعد ايثاراً لها باقوى حركات البناء وسموها غايات لانها بعد حذف ما يضاف اليها تكون غاية للكلام فكأن ذلك المحبوب لمّا رأى الاحشاء ساكنة حركها بضمة لانه جعلها غاية للحب والوجد والغرام فالحقها بالغايات . ومما يتعلق بالنحو قول ابن العفيف

ياساكنا قلبيَ المعنّى　　وليس فيه سواكَ ثاني

لِأَي شيءٍ كسرت قلبي وما التقى فيهِ ساكنانِ

قلت وقد اجبت عن المحبوب بقولي

كسرت منك الفؤاد لما امسى لجفني من القوافي

فهل تراني ارتكبت لحنًا يوجب بين الورى خلافي

وقد نقل الخفاجي في سوانحهِ ان بعض البلغاء زيف قول ابن العفيف

لاي شيءٍ كسرت قلبي وما التقى فيهِ ساكنان

بقولهِ ان قلبهُ ظرف للساكنين واذا التقى الساكنان كسر احدهما لاظرفهما اهـ (قلت)
وهو تزييف في محلهِ وقد نظمت في ذلك ما يكون ان شاء الله خاليًا من هذا التزييف
وهو قولي

ظن حبيبي انهُ مذ جفا اسكنت شخصًا غيره في الجَنان

فحركتهُ غيرة واثنى يهتز حتى خلتهُ غصن بان

خوفًا على قلبيَ ان يلتقي فيهِ حبيبان بهِ ساكنان

ومما يتعلق بالنحو قولي

افدي الذي نصوه حقًا واليًا لما رأوه كخالص الابريزِ

رفعوا بنصب جنابهِ قدر الورى لازال منصوبًا على التمييزِ

ومما يتعلق بالنحو قول الصفي الحلي

لولاكمُ لم يكن في الشعر لي اربٌ ولا خرجت بهِ من خدْرِ تأْموري

فضيلة نقّصت قدري زيادتها كالاسم زيدت بهِ ياء لتصغيرِ

وذلك ان النحاة اذا ارادوا تصغير اسم زادوه ياء فقالوا في رجل رجيلُ وهذه
الزيادة هي عين النقص فالشاعر يقول ان الشعر مع شرفه كان لهُ كياء التصغير ثم اعلم
ان التصغير كما يكون للتحقير فكذا يكون للتحبب كما يقول الوالد لولدهِ يا بني وان كان
ابنهُ كبيرًا قال سيدي عمر بن الفارض رحمهُ الله

ما قلتُ حُبَيّبي من التحقيرِ بل يعذب اسم الشخص بالتصغيرِ

وكما يكون للتحبيب فكذلك يكون للتعظيم كما صغر الشاعر الداهية فقال
(دُوَيهية تصفرُّ منها الانامل) قلتُ ومن الزيادة التي حقيقتها نقصٌ (الشيب) كما قلت فيهِ

قالت وقد رات المشيـ ـب بعارضيّ فلم تحبّه

هذي الزيادة عندنا تدعو الى نقص المحبه

(قلتُ) ومنها النون الزائدة في الضيف فان العرب اذا ارادت تنقيص الضيف زادوه نونًا فقالوا ضيفن وهو عبارة عندهم عمن ياتي الطعام او الشراب بغير دعوة وهو المعروف عند الناس بالطفيلي وتقول له العرب ايضًا الوارش والجُرذُبان وهو المتطفل على الطعام ويسمون المتطفل على الشراب بالواغل ويسمي الناس كلاً منهم بالطفيلي نسبة الى رجل يقال له طفيل كان يدخل على الولائم بغير دعوة وقيل مأخوذ من الطفل بالتحريك وهو هجوم الليل على النهار لان الطفيلي يهجم على ولائم الناس هجوم الطفل او انه منسوب الى مصغر الطِفْل لانه يفعل افعال الاطفال من الوقاحة وعدم الحياء وقلةِ المبالاة بالناس والهجوم على الطعام وغير ذلك وقد قلت في نون ضيفن سابقًا

وطفيلي قد سَئِمتُ أَلْ ... أَكلَ مذ شمت ازدراده
قلت ضيفٌ قال لا بل ... انا ضيف وزيـاده

وقلت ايضًا

انا ضيفٌ في هذه الدار لكن ... لحقتني في الدهر نون نظامي
واراها زيادة اوجبت لي ... نقص حظي وخفض سامي مقامي

(قلتُ)وهذا والذي قبله خارج عن القاعدة عند النحاة لان القاعدة عندهم ان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى لكن قالوا غالبًا فخرج بهِ النادر كياء التصغير ونون ضيفن و بعض كلمات اخرى (قلتُ) ومن اسماء الطفيلي ايضًا الراشن . والقسقاس . والارشم . والشولقيُّ والحضر . (نادرة)ذكر ابن حبيب في تاريخهِ انه في سنة ٧١٧ سبعة عشر وسبعمائة حصلت في بعلبك زيادة اخربت ستمائة مكان . واهلكت مائة وار بعين نفرًا من السكان . فقال فيها ابن الوردي

سيلٌ طغى في بَعلَبَكَّ وَرَاعِدٌ ... ولهيب نارٍ ثار للتعذيبِ
فَلَآن تركّب ثم مازج سورها ... فلعلبك المزج في التركيبِ

ومما يتعلق بالنحو قولي في صاحب تولّى منصبًا فاسكرته خمرته وغلبته سكرته

ولقد ظننتُ بان نصبك يقتضي ... رفعي لاوجهٍ لا مزيد عليهِ
فوجدتُ حالك كالمضاف وانني ... في كل حالٍ كالمضاف اليهِ

ومنه قولي في محبوب

حييّته وكاد ان ... يلثم ثغري قدمه

فلم يجب حاجبهُ الا بنون العظمه

ونون العظمة هي الموجودة في نحو قولك آكلنا وشربنا فاذا قالها المتكلم وحده كان معظماً لنفسهِ . ومما يتعلق بالنحو قول الشاعر

وحاجبهُ نون الوقاية ما وقت على شرطها فعل الجفون من الكسر

نون الوقاية هي التي تقي الفعل من الكسر وهو الفعل الماضي لانهُ مبني على الفتح وذلك كقولك اكرمني فالنون في اكرمني نون الوقايةِ لانك لو لم تأتِ بها لكنت تقول اكرمي فتكسر الميم لتناسب كسرة الياء فالشاعر يقول ان هذا المحبوب من عجائبهِ ان حاجبه نون الوقاية وهي دائمًا تقي الفعل من الكسر فكيف لم تقِ فعل اجفانهِ من الكسر

وفي المعنى قول الاخر

اما قلتمُ لا كسر في الفعل مالكم اجزتم لهُ فعل الجفون من الكسر

وقلت في كسر الجفن وان لم يكن مما نحن فيهِ

افدي الذي يبسم عن لعلعٍ وعن اقاحٍ يالهُ من اقاح

جارح جفنيهِ غدا كاسرًا قلوبنا وهو كسير الجناح

وما الطف قولي كسير الجناح اردت بجناح جفنهِ هدبه وشبهته بجناح الطائر وذلك غاية المدح في الهدب وجعلت ذلك الجناح مكسورًا ومن ذلك قولي امدح كبيرًا

لله مخدوم رأيتُ لهُ امرًا يضارع ماضيَ العضبِ

وكأنهُ شمس تلاحظنا بالنفع من بُعدٍ ومن قربِ

ورّيت في البيت الاول بالافعال الثلاثة وهي . الماضي . والمضارع . والامر .

ومما يتعلق بالنحو قول بعضهم

ومستترٍ من سنا وجهه بشمس لهاذلك الصدغ فيْ

كوى القلب مني بلام العذار فعرّفني انهـا لام كيْ

لام كي عند النحاة تدخل على الفعل المضارع فتنصبهُ بان مضمرة وفي ذلك يقول ابن الفارض

نَصَبًا اكسبني الشوق كما تكسب الافعالَ نصبًا لامُ كي

لكن الشاعر الاول اراد كي النار ويصح ارادة المعنى الثاني ويكون مراده فعرفني انها لام كي اي كوى القلب مني بتلك اللام ليعرّفني انها لام كي العاملة . واعلم ان الشعراء شبهوا عذار المحبوب باللام ثم تلاعبوا وتفننوا و نوعوا تلك اللام فالبعض قال

انها لام ابتداء العشق والغرام . والبعض قال انها لام الخفض لانها تخفض من كان يرتفع بحسنه اوج بهرام . وقيل انها لام تأكيد وقيل بل هي لام التعريف تزيل الابهام فمن اشعارهم في ذلك قول بعضهم

لام العذار اطالت فيك تسهيدي كانها لغرامي لام تأكيد

وقال آخر

قال العذول التحى فقلت له حسن جديد قضى بتجديد

اما ترى عارضيه فوقهما لام ابتدا او لام تأكيدِ

وللسراج الوراق

قال الوشاة وكنت انكرت الذي اهوى لامنَ من لوعة التعنيفِ

الف القوام ولام خط عذاره دلاّ عليه بآلة التعريفِ

فانظر ما الطف قوله (وكنت انكرت الذي) فانه اراد به ان حبيبه صار نكرة حين خط عذاره وانه ما انكره لبشاعة العذار ولكن ليأمن لوعة تعنيف عذاله فأنطق الله عذاله بقولهم ان الف قوامه ولام عذاره آلة تعريف تعرفه لمن ينكره واحسن من ذلك قولي

مذ انكرت حسن من اهوى عواذله واصبحت بصفات الذم تقذفه

لاحت لنا ولهم من فوق وجنته لامٌ من المسك لازالت تعرّفه

يحتمل معنيين الاول من التعريف المقابل للتنكير . والثاني من التعريف المأخوذ من العرف وهو رائحة الطيب فمعنى تعرّفه تطيبه وقد شحت للمعنى الاول بقولي مذ انكرت وللمعنى الثاني بقولي لام من المسك ومثل ذلك في احتمال المعنيين قوله تعالى ويدخلهم الجنة عرّفها لهم . وقد جريت في البيتين على ان اللام وحدها هي آلة التعريف وهو احد قولين ثانيهما انها مع الالف كما اشار الى ذلك ابن مالك في الخلاصة بقوله (ال حرف تعريف او اللام فقط) وذكر بعض الشعراء ان لام العذار هي لام الامر حيث قال

لائمي فيه خلّني انا عبد لرقه

فحبيبي عذاره لام امر لعشقه

ولام الامر عند النحاة هي الموضوعة لطلب الفعل كقوله تعالى فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرًا . وقد ادّعيت ان لام العذار هي لام الجحود فقلت

يا برو حي منكرًا سفك دمي وهو بادٍ منه في تلك الخدود

لم يزل يجحدهُ حتى بدت　　　من عذاريهِ لنا لام الجحود

ولام الجحود عند النحاة هي اللام الداخلة على الفعل المضارع المسبوقة بكان الناقصة المنفية وما تصرف منها مثل قولهِ تعالى . وما كانوا ليؤمنوا. لم يكن الله ليغفر لهم . فهي تنصب المضارع بان مضمرة وجوبًا . وقلت ايضًا في لام العذار

يا بديع الجمال مذ بتّ تجفو　　　مَن قوى صبره غدت مضمحلّه

رسم الدهر فوق خدك لامًا　　　فتحققت انها لام علّه

ولام العلة مثل قولهِ تعالى . لِتبين للناس وهذه لام جارة بخلاف لام كي وقلت ايضاً

قد قال لي مذ تبدّا　　　عذارهُ مثل مسكِ

ملكت كل البرايا　　　وهذه لام ملكِ

ومعناهُ ظاهر ولام الملك عند النحاة هي الداخلة على من يملك من العقلاء كالتي في قولنا المال لزيد فان دخلت على من لا يملك فانها لام الاختصاص كالتي في قولنا السرج للفرس والباب للدار . وقلت ايضاً

الاَ ربّ يومٍ قلتُ للظالم الذي　　　لهُ حسن قدٍّ بات ينسب للعدلِ

خف الله في فعل الجفون فانها　　　بنا فعلت فعل الاسنة والنصلِ

فقال تأمل لام صدغي فانهـا　　　هي اللام قد زيدت لتقويةِ الفعلِ

اعلم ان اللام الزائدة هي اللام التي تزاد للتقوية فتكون في معمول مصدر مثل عجبت من ضربك لزيد . او معمول اسم فاعل نحو رأيت المكرم لزيد وانما زيدت لان العمل في الاصل للافعال واما عمل المصادر والاسماء المشتقة فانما هي بالنيابة عن الفعل فلما ضعف عملها قوي بهذه اللام ولم تزل الشعراء تتغزل في تلك اللام . وتطلق في مدحها السنة الاقلام . حتى نسبوها الى اللام وسموها لامية . ونظموا في ذلك العقود الجوهرية فمن ذلك قول الحافظ ابن حجر

هويتهُ محجبًا فوق وجنتهِ　　　لامية عوّذتها احرف القسم

بمدحها السن الاقلام قد نظمت　　　وطال شرحيَ في لامية العجم

ولامية العجم هي اللامية المنسوبة للطغرائي . وقلت في ذلك

حبيبٌ اذا ما شمت مخضرّ صدغه　　　على الوجنة الحمراء يهتاجني الطرب

وليس ببدع ان أُرى مترنمًا　　　مدى الدهر في صحبي بلامية العرب

ولامية العرب هي اللامية المشهورة المنسوبة الى الشنفري الشاعر المشهور . وقد قلت

في تلك اللام ما لم اسبق اليهِ من الابتكار . ولم ازاحم عليهِ في وصف العذار .

قال صف لي ان شئت نبت عذاري   قلت لبيك فاستمع لنظامي
ذاك درعٌ لبستـهُ حذر العيـ   ـن فنادى شبهت لاماً بلامِ

والمعنى في ذلك انك شبهت لام عذاري باللام وهي الدروع جمع لامة وفيهِ تلميح لقول الشاعر . (وشبه الماءَ بعد الجهد بالماءِ) وقد شبهوا العذار بالواو ايضاً وتفننوا فيها كما تفننوا باللام فقيل فيها انها واو العطف لانها تعطف الحبيب . على المغرم الكئيب وقيل انها واو الإستئناف . لانها تستأنف للمحبوب احسن الاوصاف . ومنهُ قولي في ذلك

عذاره واوٌ قد استأنفت   حبي بحسن قد بدا لي طريف
فيا لها حرف عظيم البها   جاءَ لمعنى في المعاني ظريف

وقلت ايضاً

واو صدغيهِ مذ بدت   صرت في الناس صاحبه
فتيقنـت انهـا   هي واو المصـاحبه

واو المصاحبة هي التي يكون قبلها فعل او اسم مشتق و بعدها اسم بشرط ان يكون مدلولها المعية نحو سرت والنيل وانا سائر والنيل بنصب النيل على انهُ مفعول معهُ واختلف في ناصبه فقيل الواو وعليهِ الجرجاني وقيل فعل مقدر وعليهِ الزجاج فعنده يقدر في مثالنا سرت ولاقيت النيل وردبان النيل بهذا التقدير يكون مفعولاً بهِ لا مفعولاً معهُ والمعتمدان العامل فيهِ هو الفعل المذكور معهُ وعليهِ فالعامل في النيل هو قولك سرت ويقال لهذه الواو واو المعية و واو المصاحبة (قلتُ) وقد ذكرت الخلاف بين الادباءَ في العذار مع كونهِ لاماً او واواً واختلافهم في انواع تلك اللام والواو فقلت في ذلك

عذار من اهواه في حرفهِ   صار اختلاف بين اهل الحجا
فقيل لام اكدت حسنهُ   وقيل واو عطفهُ يرتجى
فاتفق الكل على انهُ   حرف عظيم من حروف الهجا

الهجا مشترك بين الذم والقراءة تقول هجوت زيداً اذا ذممته وهجوت الكتاب وتهجيته اذا قرأته كما في المصباح وفي المغرب هجى الحروف عدها اه وعليهِ فيكون معنى التهجي تعديد الحروف واذا عرفت ذلك تبينت لك التورية في قولي من حروف الهجا . ومما يتعلق بالنحو قول ابن نباتة يمدح احد قصاة حلب بقولهِ

لِيَهْنَ حمى الشبهاء قاضٍ سمت بهِ كمالاً على تفضيلهِ اتفق النصُّ
فلو مثلتْ كتب النحاة بنعتهِ لما جاز ان يجري على نعتهِ نقصُ

(اعلم) ان الاسم عند النحاة اذا كان آخره الفاً يسمونهُ مقصوراً كموسى وعيسى وان كان آخره ياء كالقاضي فانهم يسمونهُ منقوصاً وسموه منقوصاً لانهُ اذا تجرد من ال في حالة الرفع والجر حذفت ياؤهُ فكان منقوص الآخر ومنهُ قولهُ تعالى فاقض ما انت قاض وقد اشار الى هذا النقص ابن الوردي بقولهِ

ان في النقص والاستثقال في لفظة القاضي لوعظاً ومثل

يعني انهُ يكفي من اراد منصب القضاء زجراً ووعظاً ما في لفظ القاضي من النقص والاستثقال فالنقص قد تقدم والاستثقال عند النحاة استثقال النطق بالضم والكسر في لفظة القاضي اذا كان مصاحباً لِألْ وحينئذٍ يقدرون الضمة والكسرة على يائهِ ويقولون منع من ظهورها الاستثقال ويأتون بالفتحة حال النصب لخفتها مع الياء فابن نباتة يقول لو ان النحاة مثلت بنعت هذا القاضي من كونهِ عادلاً صالحاً فاضلاً كريماً لما اجازت ان تقول فيهِ نقصاً ولا استثقالاً ومما يتعلق بالنحو قول بعضهم

والله ما من خبر سرني الا وذكراكَ لهُ مبتدا
وطالما باسمك في خلوتي ناديت او كلّت حروف الندا

وفي قولهِ ذكر المبتدا والخبر والندا وحروفه ولكنه استعمل او التي بمعنى الى الغائية وادخلها على الفعل الماضي مع انها مخصوصة بالمضارع وتنصبه اذا دخلت عليهِ ولم ارَ من استعملها كما استعملها هذا الشاعر الا صاحب البرأة بقوله فيها

بعارض جاد او خلت البطاح بها سيب من اليم او سيل من العرم

وقولهِ في الهمزية

فاختفى عند كشفها الرأس جبريـ ـل وما عاد او اعيد الغطاء

ومما يتعلق بالنحو قول الآخر

واهيفٍ احدث لي نحوه تعجباً يعجب من ظرفه
علامة التأنيث في لفظه واحرف العلة في طرفه

علامة التانيث عند النحاة التاء والالف المقصورة والممدودة ومراد الشاعر بها تانيث لفظ محبوبهِ واحرف العلة مرَّ انها الالف والواو والياء ومراد الشاعر ان طرفه معلول لانهُ لا يفارقهُ السقم . والسقم في جفون المحبوب من صفات المدح

وما يتعلق بالنحو قولي

ان كنت لا تعلم اني امرؤٌ مصرّفه في داره وافرُ
فسل ثقاة النحو هل من فتىً يصرف ما يصرفهُ الشاعرُ

وذلك لان الشاعر لهُ ان يصرف ما لا ينصرف من الاسماء لضرورة النظم ولا يجوز لغيره كما قلت ايضاً

قالوا اتمدحهم وعندهمُ لا فرق بين الترب والتبر
فاجبت مثلي قد ابيح لهُ ما لم يبح لضرورة الشعر

ومن التوجيه باسماء كتب النحو قولي

احببت نحويا لهُ وجنة يصطحب الماء بها واللهب
وفي حواشيها عذار بدا يتحف عيني بشذور الذهب

وقولي

افديهِ نحويًّا سألت قوامهُ عطفًا فكان جوابهُ لا النافيه
مغني اللبيب ارى خلاصة قطرهِ عند الكثيب عن السلافة كافيه

وفي البيت الثاني من كتب النحو المغني والخلاصة والقطر والكافية واما السلافة فهي في الادب لابن معصوم وهو كتاب جليل فالشهاب الخفاجي لهُ في الادب كتاب سماه الريحانة وذيّله المحبي بكتاب سماه نفحة الريحانة وصنف ابن معصوم كتابهُ وسماه بالسلافة وقد هجاه بعض معاصريهِ تحاملا فقال

أَنشقّ شذا ريحانة ابن خفاجةٍ لا عطر بعد عروس ذاك المنتمي
واترك سلافة رافضيٍّ مبدع انّ السلافةَ لا تحلّ لمسلمِ

وقلتُ اهجو نحويًّا

ونحويٍّ قومٍ غدا باردا فانسى المبرّد حين اشتهر
توغل في الظلم حتى غدا يَبحَثُ عن ضرب زيد لعمرو
هو اسم ترى فعلهُ مهملاً وحرفٌ ولكنهُ حرف جرّ

واما الألغاز النحوية فهي اكثر من ان تحصى وتستقصى فمنها قولي

ايها الفاضل الممارس للنحو افدنا فأنت نعم الخبيرُ
كيف اعراب قولنا انتن الجو بريح الوبا وريح الغديرُ

ومنها قول بعض البلغاء

ما اربع كلمات وهي احرفها ايضًا وقد جمعتها كلها كلمه

يسأل عن اربع كلمات كلها احرف نحوية جاءت لمعنى قد جمعت تلك الكلمات الاربع كلمة . وجواب هذا اللغز فيه وهو قوله كلمة لان الكاف للتشبيه واللام للجر والميم للاستفهام دخلت عليها اللام الجارة فحذفت الفها والهاء للسكت كالتي في قول الزرقاء حين رأت سربًا من القطا

ليت الحمام ليه الى حمامتيه

او نصفهُ قديه تم الحمام ميه

ومن الالغاز النحوية قول بعض الفضلاء

ما تاء مخبرٍ ان نقل هي فاعلٌ او تاء مفعولٍ فانت مصدّقٌ

واسم لفاعلٍ ان نطقت بلفظهِ وعنيت مفعولاً فانت محققٌ

والجواب عن التاء انها التاء التي تكون في مثل قول العبد المملوك بعت لان تاءهُ تصلح ان تكون فاعلاً وهو ظاهر ومفعولاً ويكون الفعل فيها مبنيًّا للمجهول فيكون اصلهُ قبل دخول التاء عليهِ بيع باسكان الياء فلما ادخلوا التاء عليهِ سكنت العين والياء قبلها ساكنة فحذفوا الياء لإلتقاء الساكنين فصار بعت كالمبني للفاعل واما الاسم الذي يصلح ان يكون اسم فاعل واسم مفعول فهو ما كان كمختار ومشتار لان اصلهُ في صيغة الفاعل مختير تحركت ياؤهُ وانفتح ما قبلها فقلبت الفًا فصار مختارًا واصل اسم مفعولهِ مختير بفتح الياء وزن مختبر تحركت ياؤهُ كذلك وانفتح ما قبلها فقلبت الفًا فصار مختارًا فاتحد بعد الاعتلال الفاعل والمفعول وليكن هذا آخر الكلام على ما يتعلق بالنحو

﴿ مطلب علم العروض ﴾

واما احتياج الشاعر الى علم العروض فهو كاحتياج الحيوان الى الغذاء . والبصر الى النور والضياء . والعروض في اللغة هو مكة والمدينة واليمن . والعروض الناحية تقول العرب (انت في عروض لا تلايمني) اي في ناحية . وسمي علم الشعر عروضًا لانهُ ناحية من الكلام. قاله ابن عبد الحق في شرح النقاية .وقال ايضًا في شرح النقاية وهو العامود المعترض وسط الخباء وبهِ سمي آخر جزء من الشطر الاول من كل بيت من الشعر تشبيهًا لهُ بهِ اه . (قلت) لأنهُ معترض في وسط بيت شِعر كاعتراض ذلك العمود في بيت

الشَعْر لانهم سموا بيت الشعر بيتاً تشبيهاً لهُ ببيت الشَعر وذلك لان كلاً من البيتين يشتمل على اسباب واوتاد وفواصل وقال ابو العلاء

حسّنتِ نظم كلامٍ توصفين بهِ ومنزلاً بك معموراً من الخَفَرِ
فالحسنُ يظهر في بيتين رونقهُ بيتٍ من الشِعر او بيتٍ من الشَعَرِ

فهذا فيهِ تلميح ان بيت الشِعر مشبه ببيت الشَعر بجامع ان كلاً من البيتين يشتمل على المحبوب هنا على صفاتهِ وذاك على ذاتهِ وعلم العروض اصطلاحاً هو علم بقوانين يعرف بها صحيح وزن الشعر العربي من مكسوره فمما يتعلق بالعروض قول بعضهم يهجو شخصاً

ان كنت في شعره تشكُّ فقد اثبت دعواهُ انهُ شاعرْ
يُريك وهو البسيط دائرةً ينفك منها الطويلُ والوافرْ

وهذا من اخبث الهجو لان مراده بقولهِ يريك وهو البسيط اي وهو مبسوط على الارض واراد بالدائرة سوءتهُ واراد بالطويل والوافر الذكر فيكون قد وصفهُ بالأُبنة والمعنى انهُ يريك وهو منبسط على الارض سوءتهُ ينفك وينخلع منها كل ذكر طويل وافر وهذه الدائرة غريبة عند العروضيين فليس عندهم دائرة ينفك منها البحر الطويل والبحر الوافر لان الدوائر عندهم خمس . دائرة المختلف . ودائرة المؤتلف . ودائرة المجتلب . ودائرة المشتبه . ودائرة المتفق . فالطويل ينفك من دائرة المختلف . والوافر من دائرة المؤتلف . (قلتُ) ومثل هذه الغريبة قول بعض الفضلاء

يا ايها الحبر الذي علم العروض بهِ امتزجْ
بيّن لنا دائرةً فيها بسيطٌ وهزجْ

وهذا مما يحار فيهِ الفكر . لان البسيط من دائرة المختلف . والهزج من دائرة المجتلب . فهما من دائرتين فكيف يكونان من دائرة واحدة . وبيانهُ انهُ اراد بالدائرة الناعورة . وبالبسيط الماء الذي تاخذه من النهر ونحوه وبالهزج صوتها فقد جمعت تلك الدائرة بين البسيط والهزج وقوله دائرة يصح ان يراد دائرة من الدوائر وسميت دائرة الهزج بدائرة المجتلب لاجتلابها من الدائرة الاولى وهي دائرة المختلف لانها مركبة من مفاعيلن مفاعيل قال بعضهم يشير الى ميزان الهزج بقوله

على الاهزاج تسهيلُ مفاعيلن مفاعيلُ

ومثل ما تقدم قول الشاعر

يا عروضيًا لهُ فِطَنٌ   بحرها في الفكر مضطربُ
ايّ إسم وضعهُ وتدٌ   وهو ان صحفتهُ سببُ
ويُرى في الوزن فاصلةً   ساكنًا تحريكهُ عجبُ

وهذا من الغريب لان الوتد لا يكون تصحيفهُ سببًا لان الوتد ثلاثة احرف والسبب حرفان فكيف يتأتى ان تصير الاحرف الثلاثة حرفين ام كيف يتأتى ان يكون الوتد فاصلة والفاصلة اما اربعة احرف او خمسة وبيان ذلك ان الشاعر ألغز في جبل فهو وتد . قال تعالى والجبال اوتادًا واذا صحف صار حبلاً والحبل سبب وهو في وزنهِ فاصلة صغرى لانهُ عند العروضيين اربعة احرف لان التنوين عندهم حرف فيكتب في اصطلاحهم هكذا (جبلن) واعلم ان الشعر مركب من اجزاء والاجزاء مركبة من اسباب واوتاد فالسبب حرفان اولها متحرك والثاني ان سكن كان سببًا خفيفًا وان تحرك كان سببًا ثقيلاً فالاول كَلْم والثاني كَبِكَ وهُوَ . والوتد ثلاثة احرف فان كان ثانيها ساكنًا فهو الوتد المفروق كقال وباع وان كان متحركًا فهو الوتد المجموع لاجتماع حركتيهِ كعلم وسلم . والفاصلة صغرى وكبرى فالصغرى اربعة احرف رابعها ساكن كأ كَلَتْ اي المرأة وشربت وهذه الفاصلة مركبة من سبب ثقيل وسبب خفيف والكبرى خمسة احرف خامسها ساكن كقولك تحرك زيد حركتين فحركتين هي الفاصلة الكبرى وهي مركبة من سبب ثقيل ووتد مجموع ومما يتعلق بالعروض قولي

يامن يعذّب نفسي وهو مالكها   ولم ازل خلفهُ بالجدِّ والطلبِ
بحور عشقك لي امست عروض ردىً   فهل لفاصلتي في الدهر من سببِ

فتأمل تجد ذكر البحور والعروض والفاصلة والسبب . والمعنى ان بحور عشقك قصدت بي ناحية الهلاك فهل للفصل من سبب وقلت ايضًا

يارب بالمصطفى المختار من مضرٍ   ادرك عُبيدَك من ضاقت بهِ السبلُ
اشكو اليك فمالي من ألوذ بهِ   ولا لغيرك ربي يجنح الاملُ
فقد تطاول بي دائي واعجزني   علاجهُ واعتراني الهمُّ والمللُ
فغير طبك لا يرجى لعافيةٍ   فعافني قبل ان يقضي ليَ الاجلُ
فالجسم مني كبيت الشعر قد جمعت   فيهِ مزاحفة الاسباب والعللُ
وصلِّ وامنن وسلم دائمًا ابدًا   على نبيك من لاذت بهِ الرسلُ
وآلهِ وجميع الصحب قاطبة   ما للعُذيب وسَلعٍ حنّت الابلُ

قولي كبيت الشعر الذي اجتمعت فيهِ مزاحفة الاسباب اي ملاصقتها لان المزاحفة معناها اللغوي هي الملاصقة اي ان جسمي اجتمع فيهِ ملاصقة اسباب الضجر والقلق والشكوى كما اجتمعت فيهِ العلل . واما معنى المزاحفة والزحاف عند العروضيين فهو حذف الحرف الثاني من السبب او تسكينهُ سموهُ زحافًا لانه يلصق احد الحرفين اللذين كانا متباعدين بالآخر او يقرب منهُ بحذف ما كان بينهما او تسكينهُ وعلم من قولي هو حذف الحرف الثاني من السبب انهُ لا يدخل الاَّ على الاسباب ولا يدخل على الاوتاد وقد اشرت الى ذلك في اياتي المتقدمة بقولي مزاحفة الاسباب . واما العلة عند العروضيين فهو ما يخالف الزحاف متعلقًا وحكماً فالزحاف متعلق بثاني الاسباب كما تقدم وغير لازم غالبًا والعلة متعلقة بغيرها ولازمة غالبًا ومتعلق العلة الاوتاد فمنها ما يحذف الوتد بتمامهِ مفروقًا ومجموعًا ومنها ما يحذف منهُ حرفًا او يسكنهُ وقلت ايضًا

قالوا فلانٌ لهُ ثوبٌ يتيهُ بهِ ... من القريض فنبغي ان نقطعهُ

وكم رأى بيت ذي فضل فخمسهُ ... فرضٌ على من رآهُ ان يسبّعهُ

فقلتُ اسأَل ربي ان يشطرهُ ... بسيف قدرتهِ او ان يصرّعهُ

فيهِ من انواع العروض التقطيع . وهو عندهم تجزئة الفاظ بيت الشعر على وزن اجزاء بحره ليعلم صحيحهُ من مكسوره . مثالهُ ان نقطع اول بيت من الهمزية وهو من الخفيف فاعلاتن . مستفعلن . فاعلاتن (مرتين) فتقول كيف ترقى . فاعلاتن . رقيك ال مستفعلن انبياء . فاعلاتن . ياسماء . فاعلاتن . ما طاولت مستفعلن . ها سماء . فاعلاتن . وهكذا في كل بيت والتخميس معروف والتسبيع زيادة التخميس مصراعين لان التخميس زيادة ثلاثة مصاريع على الاصل . والتشطير هو ان يأخذ صدر بيت غيره فينظم لهُ عجزًا وعجزهُ فينظم له صدرًا . ويقال لهُ التصدير والتعجيز . مثل قول شيخنا القطب السيد عبد الرحمن العيدروس قدس الله سرّه في تشطير البيتين المشهورين

نحن بالله عزّنا ... والنبيّ المقرّبِ

بهما عزّ نصرنا ... لا بجاهٍ ومنصبِ

كل من رام ذلنا ... من قريب واجنبي

سيفنا فيهِ قولنا ... حسبنا الله والنبي

وعند البديعيين التشطير من انواع البديع وهو جعل كل شطر من البيت مسجوعًا بسجعة مخالفة لاختها من الشطر الآخر كقولهِ

تدبير معتصم بالله منتقم ِ   لله مرتقب ٍ في الله مرتغب ِ

والتصريع جعل كل من الشطرين مسجوعًا بسجعة موافقة كأَول بيت من البرأَة ومعنى الابيات انهم قالوا فلان لهُ ثوب شعر دنس قذر يرجو منك ان تمزق لهُ ذلك الثوب حتى لا يقول بعدها ان لهُ ثوبًا من الشعر وهو مع قذارة شعره اذا رأَى بيتًا عظيماً من الشعر لغيره اغار عليهِ فخمسهُ اي اخذ منهُ الخمس ظلمًا وعدوانًا كما يعشّر العشّار اموال التجار أَو أنهُ يخمسهُ التخميس المعروف فينجسهُ بعد طهارتهِ ولذا قالوا فرض على من رآه أَن يسبّعهُ لان نجاسته كلبية او خنزيرية فقلت لهم في الجواب انا افوّض امرهُ الى الله تعالى واسأَلهُ ان يشطرهُ اي ان يجعلهُ شطرين بسيف قدرته واسأَلهُ ان يصرّعه اي يميتهُ بذلّ ويلقيهِ على الارض تقول مات فلان صريعًا والاصل يصرعهُ بالتخفيف وانما شددتهُ طلبًا لتكثير الفعل وتكريرهِ كما شددوا قطع فقالوا قطّع يريدون ذلك وقد وجّه الشعراء باجزاء الشعر قال ابن نباتة

ولا تأْمننّ عروض الزمان ِ   فإن الزمان فعولن فعولُ

اي لا تامن ناحية الزمان فان الزمان فعولن اي كثير الفعل وأكده باعادة فعول مرة اخرى وفيهِ اجزاء بحر المتقارب وهو فعولن ثمان مرات ومنهُ قول الشاعر

فاما تميم تميم بن مر ٍ   فأَلفاهم القوم روبى نياما

وقد وجهوا ايضًا باسماء ابحر الشعر فمنهُ قول بعضهم

وسريع الجفا طويل صدود ٍ   كامل الحسن فيهِ وجديَ وافر

ذكر فيهِ من ابحر الشعر اربعة . السريع . والطويل . والكامل . والوافر . وهي خمسة عشر بحرًا عند الخليل وزاد الاخفش عليها بحرًا سماه متداركًا وهي بعد الخمسة المتقدمة البسيط . والخفيف والرجز . والهزج . والرمل . والمضارع . والمنسرح . والمقتضب . والمجتثّ . والمتقارب . والخبب . ومما قلت في ذلك

بسيطُ بحري المديدُ وافرْ   وليلُ هجري الطويلُ كافرْ

وبي غزالٌ خفيف روح ٍ   سريع هجر ٍ يظَل نافر

كامل حسن ٍ لهُ لحاظ   مضارعٌ فتكها البواتر

قلوبنا كلها قوافي   نظيم ثناياه وهو شاعر

وورد جدّيه ضاع حتى   امسى عليهِ العذار دائر

والقلب لما رآهُ غصنًا   يميس امسى عليهِ طائر

فتأمل لطافة قولي قلوبنا كلها قوافي الى آخر فان معناه ان قلوبنا معشر العشاق كلها تابعة لهُ لأنهُ لها بمنزلة المغناطيس لايزال يجذبها اليهِ كما قيل

فانما انت مغناطيس انفسنا فحيثما ملت مالت نحوك الصورُ

وانظر المناسبة في البيت بين القوافي والنظم وما بينهما و بين الشاعر. وقولي وهو شاعر اي والحال انهُ عالم بان قلوبنا تابعة لهُ واختلف في حقيقة القافية عند العروضيين قال المرادي في شرح الحاجبية الى عشرة اقوال اصحها انها من آخر البيت الاول الى اول متحرك من قبل ساكن وتكون بعض كلمة مثل قول امرء القيس (يقولون لا تهلك اسىً وتجمل) لانها فيهِ من الحاء الى اللام لانها اول متحرك من قبل ساكن واما اللام من قولهِ وتجمل فهي الروي لانهُ الحرف الذي تبنى عليهِ القصيدة وقد تكون القافية كلمة بتمامها كما في قولهِ

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

فان القافية فيهِ من الراء الى آخر الكلمة لان الراء هي اول متحركٍ من قبل ساكن وهو الالف من قولهِ راقيًا وقد تكون القافية كلمة و بعض اخرى كقولهِ

دِمنٌ عفت ومحى معالمَها هَطِلٌ اجشٌ و بارحٌ تَرِبُ

لانها من الحاء الى الآخر لان الحاء هي اول متحرك من قبل ساكن وهو التنوين من بارحٌ وقد تكون كلمتين كقول امرء القيس (كجلمود صخر حطه السيل من علِ) لانها من ميم من الى الاخر

* مطلب تعلقات علم المعاني *

ومما يحتاجهُ الشعر والشاعر من العلوم . علم المعاني وهو علم يعرف بهِ مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهو منحصر في ثمانية ابواب اولها وثانيها المسند والمسند اليهِ . فالمسند هو الذي تعبر عنهُ النحاة بالخبر او بالفعل . والمسند اليهِ هو الذي تعبر عنهُ بالمبتدا او بالفاعل مثال ذلك زيد قائم وقام زيد فزيد مسند اليهِ وقائم مسند وقام مسند وزيد مسند اليهِ . الثالث من الابواب الاسناد الخبري . وهو ضم كلمة الى اخرى بحيث يفيد الحكم بان مفهوم احداهما ثابت للاخرى او منفي عنهُ كقام زيد ولم يقم عمرو. والباب الرابع متعلقات الفعل كالمفعول لان المفعول من متعلقات الفعل اذ الفعل لا بد لهُ من فاعل . والفاعل لا بد لهُ من مفعول . فهذا المفعول تحذفهُ اهل المعاني

لاجل مطابقة الكلام لمقتضى الحال فتحذفهٔ لاجل افادة العموم كقولهم زيد يعطي وتارة تذكره لغرض . وتارة تقدمهٔ . وتارة لا . الباب الخامس القصر . وهو اما قصر حقيقي واما اضافي وكل منهما اما قصر موصوف على صفة او عكسه وكل منهما اما قصر افراد كقولك زيدٌ قائمٌ لاقاعد لمن زعم انهٔ متصف بالقعود والقيام معًا وقصر قلب لمن اعتقد انهٔ متصف بالقعود فقط دون القيام وقصر تعيين لمن اعتقد انهٔ متصف باحدهما لا على التعيين . الباب السادس الانشاء . وهو الكلام الذي ليس لنسبته خارج وهو عكس الخبر لان الخبر لنسبته خارج . مثال ذلك انك اذا قلت اعتقت عبدي فان كان حصل منك اعتاقه قبل قولك هذا كان قولك خبرًا لان لنسبته خارجًا اي وجودًا في الخارج وان لم يحصل منك اعتاقه يكون قولك انشاء فيعتق العبد بهِ لانهٔ ليس لنسبته خارج . الباب السابع الوصل والفصل . فالوصل عطف الجمل بعضها على بعض . والفصل تركه فان كان بين جملتين مناسبة فالوصل مثل قولك قام زيد وقعد عمرو والا ترك الوصل وجيء بالفصل نحو مات زيد رحمهُ الله ولا يقال ورحمهُ الله . الباب الثامن الاطناب والايجاز والمساواة . فالاطناب التعبير بلفظ زائد عن المقصود والايجاز التعبير بلفظ موجز وافٍ بالمقصود . والمساواة التعبير بلفظ مُسَاوٍ فان خلا الاطناب عن الغرض فهو التطويل او خلا الايجاز عن التوفية بالمقصود فهو الاخلال واذا عرفت هذه المقدمات عرفت معنى قولي

صناعة الدهر تعريفٌ وتنكيرُ ... كم نالنا منهُ تقديمٌ وتأخيرُ
لكنْ معانيهِ قد جاءت مطابقةً ... لمقتضى حالنا والدهر معذورُ
فاصبر لدنياك ان ضاقت بما رحبت ... فانما انت في دنياك محصورُ
وكن مع الصبر شهماً راضيًا ابدًا ... بما عليك بهِ تجري المقاديرُ

ففي هذه الابيات مما يتعلق بعلم المعاني التعريف والتنكير والتقديم والتأخير والحصر ومطابقة الكلام لمقتضى الحال وكل من التعريف والتنكير والتقديم والتأخير يكون في المسند والمسند اليهِ لنكتة فالتعريف يكون بالضمير والموصول واسم الاشارة والاسم العَلَم والاضافة والالف واللام . مثال التعريف زيد العالم وعمرو الشاعر اذا اردت حصر العلم في الاول والشعر في الثاني وان اردت نفي الحصر قلت زيدٌ عالمٌ وعمرو شاعرٌ بتنكير المسند وكذلك التقديم يفيد الحصر كافادتهِ في قولهِ تعالى بسم الله مجراها لانهُ افاده تقديم بسم الله على مجراها ومعناه باسمهِ تعالى لا باسم غيره جري السفينة وكذلك

اياك نعبدُ فانهُ عدل عن التعبير بقولهِ . نعبدك الى اياك نعبدُ لافادة الحصر اي نعبدك لا نعبد غيرك وتارة يؤخرونهُ ليطابقوا بهِ مقتضى الحال وقد تقدم معنى الحصر بانواعه ولي فيما يتعلق بعلم المعاني قولي

وافى كتابك فاستقرَّ بمهجتي   وهناك قد ضُربت لهُ الأَطنابُ
ساوى طوال الكتب في ايجازه   فحلا لنا في مدحه الإِطنابُ

وقولي

ان شاء سيدنا اسمعتهُ خبرًا   في الوصل والفصل ايجازًا واطنابا
او لا سكتُّ واهملت الكلام فلم   افتح لذلك مصراعًا ولا بابا

فتأَمل لطافة البيت الاول وما جمعهُ مما يتعلق بعلم المعاني تجدهُ قد جمع منها ستة اشياء وهي الانشاء . والخبر . والوصل . والفصل . والايجاز . والإِطناب . وفي قولي ان شاء وذكر الخبر معهُ ايهام مراعاة النظير لانهُ يوهم بذكر الخبر معهُ الانشاء عند ارباب المعاني والحال انهُ من المشيئة . وقد تقدم تعريف الانشاء والخبر وتقدم معنى الايجاز والاطناب

﴿ مطلب تعلقات علم البيان ﴾

ومما يحتاج اليهِ الشاعر علم البيان . وهو ملكة او علم يقتدر بهِ المتكلم على ايراد المعنى الواحد بعبارات متعددة كما يقول من يريد وصف زيد بالكرم زيدٌ كريمٌ وزيدٌ بحرٌ وزيدٌ حاتمٌ . وزيدٌ كثير الرماد . وزيدٌ نديُّ الراحة . وزيدٌ يداهُ مبسوطتان . وزيدٌ برمكي . وزيدٌ لا يحبس الدينار . او لا يعرف الدينارُ صرتهُ . وزيدٌ يقسم جسمهُ في جسوم كثيرة اي يقسم غذاءهُ الذي بهِ قوام جسمهِ فهو من ذكر السبب وارادة المسبب اي يفرّق غذاءهُ على الضعفاء كما قال عروة بن الورد

اقسّم نفسي في جسومٍ كثيرةٍ   واحسو زلال الماء والماء باردُ

المعنى افرق زادي على ضيفاني حتى ينفد واقنع بشرب الماء وحدهُ في زمن البرد وهو قولهُ والماء بارد وهذا غاية الكرم لانهُ إِيثار المرء غيره على نفسهِ . وعلم البيان ينحصر في ثلاثة مقاصد . التشبيه . والمجاز . والكناية . فالتشبيه هو مشاركة امر لامر في معنى نفيس او خسيس وينقسم الى بليغ . وهو ما حذفت منهُ اداة التشبيه ونو يت كقولك زيدٌ اسدٌ اذا نويت كأَسد فان لم تنوِ فيهِ اداة التشبيه فهو استعارة كما حققهُ ابن عبد الحق

في شرح النقاية واقسام التشبيه كثيرة تطلب من المطولات . والثاني المجاز وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من الحقيقة كقولك في شخص بليد جاء الحمار وفي شخص شجاع جاء الاسد فالاول والثاني استعارة لان الحمار والاسد استعمل كل منهما في غير ما وضع له لعلاقة هي المشابهة مع القرينة المانعة من ارادة الحقيقة لانه لا يصح ارادة الحيوان في كلّ منهما . ثم المجاز ان كانت علاقته المشابهة فهي الاستعارة ولها اقسام مذكورة في محلها فان لم تكن علاقته المشابهة فهو المجاز المرسل . ثم علاقات المجاز المرسل كثيرة منها الكلية . والجزئية . فمن الاول قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق لان المراد بالاصابع اطراف الانامل لان الاصابع لا تدخل في الآذان فاطلق الكل وهو الاصابع واراد الجزء وهو اطراف الاصابع . ومن الثاني قوله تعالى فك رقبة اذ المراد فك الذات كلها فعبر بالجزء واراد الكل . ومن ذلك قوله تعالى ناصية كاذبة خاطئة عبر بالناصية واراد الذات كلها لان الناصية لا تكذب ولا تخطئ واما وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فيصح فيه ارادة المعنيين لاننا ان قلنا انه اراد بالوجوه بعض الذوات فهو من اطلاق البعض على الكل وان قلنا انه اراد بالوجوه العيون الناظرة فهو من اطلاق الكل وارادة الجزء وهذا انما هو عند غير العارفين واما هم فيرونه بكل جارحة كما قال بعضهم

اذا ما بدت ليلى فكلّي اعينٌ وان هي ناجتني فكلّي مسامعُ

فالآية عند هولاء ليس فيها مجاز وانما يرون بوجوههم كما انهم يشهدونه في كل شيء

قال ابن الفارض

تراهُ ان غاب عني كل جارحة في كل معنى لطيف رائق بهج

فان قلت كيف قال ان غاب عني مع ان الحق تعالى لا يغيب عن امثاله فلو قال ان غبت عنه لكان اجمل قلت

وكم من عائب قولاً صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

والجواب ان الشيخ رضي الله عنه لو اتى باذا الشرطية لربما توجه البحث على قوله لان اذا تقتضي الجزم بوقوع شرطها وان لا تقتضي ذلك والشيخ عبّر بان فهو غير جازم بغيبوبة الحق عنه على انهم قالوا ان الجملة الشرطية لا تقتضي الوقوع كما قرروهُ في الجواب على حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا ولو كان بعدي نبي لكان عمر ومن العلاقات الحالية والمحلية فمن تسمية المحل باسم الحال فيه قوله تعالى ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في

جنة سماها رحمة لان الرحمة تحلها وعكس ذلك قولهُ تعالى فليدع نادية لان المراد اهل ناديهِ والنادي هو المحل الذي يجتمع فيهِ القوم للسَمَر اي لحديث الليل والمحل لا يدعى وإنما تدعى اهله فسمي اهل النادي ناديًا لحلولهم فيهِ . ومن العلاقات السببية والمسببية فالاول كقولهِ تعالى ما كانوا يستطيعون السمع اي القبول سماه سمعًا لان السمع سببه . والثاني كقولهِ تعالى قد انزلنا عليكم لباسًا يواري سوآتكم اي انزلنا عليكم مطرًا فسمي المطر لباسًا لانهُ مسبب عنه . ومن العلاقات اعتبار ما كان عليهِ الشيء او ما يؤول اليهِ . فالاول مثل قولهِ تعالى وآتوا اليتامى اموالهم اي البالغين الراشدين بدليل فان آنستم منهم رشدًا فادفعوا اليهم اموالهم سماهم يتامى باعتبار ما كانوا عليهِ . والثاني نحو قولهِ اني اراني اعصر خمرًا اي عنبًا لانهُ هو الذي يعصر سماه خمر باعتبار ما يؤول اليهِ . ومنها تسمية الشيء باسم آلته وتسميته باسم ضده . فالاول كقولهِ تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي ثناء حسنًا سمي الثناء الحسن لسانًا لان اللسان آلته . والثاني كقولهِ تعالى فبشرهم بعذابٍ اليم لان البشارة هي الخبر السّار فاطلاقها على الخبر الذي لا يسر من باب تسمية الشيء باسم ضده ومن ذلك تسميتهم الفلاة المهلكة بالمفازة لان المفازة من الفوز والفوز الظفر بالنجاح فهي من تسمية الشيء بضده . ومن العلاقات المشاكلة والتغليب فمثال الاول تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اطلق النفس على الحق تعالى ليشاكل بذلك النفس التي ذكرها كما قال الشاعر

قالوا اقترح شيئًا نُجِدْ لك طبخَهُ ... قلت اطبخوا لي جُبَّةً وقميصا

فانهُ ما قال اطبخوا لي جبة وقميصا الا مشاكلة لقولهم نجد لك طبخة والثاني مثل قولهِ تعالى يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اي المشرق والمغرب سماه مشرقًا تغليبًا وباب التغليب باب واسع افرده بعضهم بالتأليف مثل القمرين والعمرين والمكّيين وغير ذلك ومن المجاز المرسل التضمين البياني وهو ان تشرب فعلا معنى فعل ليتعدى تعديتهُ مثال ذلك قولك اللهمّ صلِّ على سيدنا محمد بيانهُ ان الصّلاة معناها من الله الرحمة وهي لا تتعدى بعلى لانك لا تقول رحم الله على فلان وانما تقول رَحِمَهُ لكنهم اشربوا صلى معنى تعطف وهو يتعدى بعلى فعدّوا صلى بها لانهم ضمنوه معناه فمما يتعلق بالبيان قول ابن حجة

ما للمدائح الا في مناقبهِ ... حقيقة وهي في الغير استعارات

ومن ذلك قولي

اقول لذي عَجَبٍ قد رأى　　دموعيَ اذكت من القلب نارَه

حقيقة قلبي مجاز الهوى　　فلا بدع ان شمت منهُ استعاره

فيهِ ذكر الحقيقة والمجاز والاستعارة والمعنى ان قلبي صار حقيقةً لمحل جواز الهوى فلا تعجب منهُ اذا رأيت استعاره اي وقوده من قولك سعرت النار سعراً من باب نفع واستعرتها استعاراً اوقدتها وقولي استعاره مع ذكرب للحقيقة والمجاز فيهِ ايهام مراعاة النظير ومن ذلك قول ابي اللطف الحصكفي

قلت لما بدا بخديهِ سطر　　يا بديعاً ارى معانيهِ تجلى

اعذار حقيقة ام مجاز　　قال لي انبت الربيع البقلا

(قلتُ) لا يفهم معنى البيت الثاني الا بمقدمة وهي ان المجاز عندهم ثلاثة اقسام المجاز المرسل والاستعارة وقد تقدما والمجاز العقلي وهو ما كان التجوز فيهِ واقعاً في اسناده فنسب الشيءُ فيهِ الى غير فاعله كقولك انبت الربيع البقل لانك نسبت الانبات فيهِ للربيع وهو غير فاعل للانبات وانما المنبت هو الله تعالى فكانهُ لما سأل المحبوب هل عذاره حقيقي او مجازي اجابه بانهُ حقيقي لانهُ موجود وقد استعمل فيما وضع لهُ ومجازي لان التجوز وقع في نسبته الى عذار عند ما تقول الناس انهُ عذاري والحال انهُ منسوب لخالقهِ ومالكه سبحانهُ وتعالى قال تعالى لله ما في السموات وما في الارض اي ملكاً فنسبتهُ الى غيره مجازية كنسبة الانبات للربيع في قولهم انبت الربيع البقل وما الطف قول المحبوب في الجواب انبت الربيع البقل شبه فيهِ زمن شبابهِ بفصل الربيع ونبت عذاره بالبقل الاخضر الذي تميل اليهِ النفوس كما قال بعضهم

فراعيت النظير وقلت حبّي　　عذارك اخضر والنفس خضرا

فكأنهُ يقول هو عذار حقيقة لكنهُ مما تبتهج بهِ الاشباح . وتنتعش بهِ الارواح . وتقصر تشبيهات ابن المعتز عن حريري خده البديع . فكيف يسلى بهِ الحبيب وهو ريحان الربيع

من كان يسكن ارضاً وهي مجدبة　　فكيف يرحل عنها والربيع اتى

✽ مطلب تعلقات علم البديع ✽

ومما يحتاجه الشاعر علم البديع . وهو علم باصول يعلم بهِ تحسين وجوه الكلام واعلم ان الشعر كالانسان فعلم المعاني والبيان والمنطق روحه وعلم اللغة والاشتقاق والصرف والنحو والعروض اجزاؤه التي يتركب منها جسمهُ وبقية العلوم قسمان قسم لحليتهِ الباطنة

وهي حسن الاخلاق والسجايا والمزايا . وقسم كالحلية الظاهرة وهي الشعر والحسن والجمال فمن حلية الشعر الظاهرة علم البديع لانهُ يحسنهُ وانواع البديع تنوف على مأتي نوع ذكر منها الصفي الحلي في بديعيتهِ مائة وخمسين وقد ذكر البلغآء في بديعياتهم جميع انواعهِ وتلطفوا حتى ذكروا اسم النوع بالتورية اللطيفة منهم الحافظ السيوطي وابن حجة وسيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره وقد ذكر الشهاب الخفاجي انهُ استخرج اسم النوع من كتاب الله تعالى وذلك من قولهِ ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك لانهُ كان حق الكلام ان يقول ولا يلتفت منهم احد لانهُ قال قبلهُ فاسر باهلك ولكنهُ عدل من الغيبة الى الخطاب وهو احد انواع الالتفات واشار الى ذلك بقولهِ ولا يلتفت وذكر اسم النوع وهو الالتفات ومما قلتهُ مما لهُ تعلق بالبديع قولي

جانستهُ في البعض من اخلاقهِ وتركت منها ما يذم الغامصُ
فغدا يعاتبني عتابًا مفرطًا ويقول ماهذا الجناس الناقصُ

الجناس عندهم هو التشابه بين كلمتين فان تشابهتا في عدد الحروف ونوعها وهيأتها شكلاً ونقطًا وترتيبًا فهو الجناس التام وينقسم الى قسمين لانهُ مع اتحاد حروفهِ ان وقع الاتحاد فيهِ بين الكلمتين في الاسمية كقولهِ تعالى . ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة سمي تامًا مماثلاً وان لم يقع الاتحاد كاسم وفعل كقولهِ

ما مات من كرم الزمان فانهُ يحيا لدى يحيي بن عبد الله

سمي تامًا مستوفيًا هذا اذا كانت الكلمتين غير مركبتين فان وجد التركيب في احدهما واتفقا خطًا كقولهِ

اذا ملك لم يكن ذاهبه فدعهُ فدولته ذاهبه

سمي جناسًا متشابهًا وان وجد التركيب في احدى الكلمتين ولم يتحد خطًا كقولهِ

كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا ما الذي ضرَّ مدير الجام لو جاملنا

فالتجنيس بين جام لنا الاولى وجاملنا يسمى جناسًا مفروقًا لافتراق الكلمتين فيهِ باختلاف الخط وهذا اذا لم يكن اللفظ المركب مركبًا من كلمة وبعض كلمة فان كان كذلك كقول الحريري

ولا تلْهُ عن تذكار دمعك وابكهِ بدمع يحاكي الوبل حين مصابهِ
ومثّلْ لعينيك الحمام ووقعهُ وروعة ملقاهُ ومطعم صابهِ

سمي جناسًا مرفوًا فالمصاب في البيت بالفتح مصدر صاب المطر اذا نزل . والصاب

عصارة شجرة مرّة وقد تركب مصابة الثاني في البيت من ميم مطعم ولفظ صابه . وسمي مرفوأ لانك رفأته ببعض كلمة كما ترفيء الثوب وهذا كلهُ فيما اذا اتفق الكلمتان في عدد الحروف ونوعها وترتيبها وشكلها ونقطها فان اختلفا فان كان الاختلاف في الشكل كقولهم جبة البُردُ جنّة البرد والبدعة شرك الشرك فالتجنيس بين البُرد والبَرد والشَرك والشِرك يسمى الجناس المحرّف لانحراف احدى الكلمتين عن الاخرى وان كان الاختلاف في النقط كالجنة والجبة فيما تقدم سمي جناسًا مصحفًا وان كان الاختلاف في عدد الحروف بان نقصت احدى الكلمتين عن الاخرى حرفًا فاكثر سمي جناسًا ناقصًا ثم انك تنظر الى الحرف الزائد في احدى الكلمتين فان كان في اول الكلمة سمي بالجناس المطرف كقولهِ تعالى والتفت الساق بالساق . الى ربك يومئذٍ المساق . فالمساق زائد على الساق بحرف في اولهِ وان كان الحرف الزائد في اوسط الكلمة نحو جدّي جهدي سمي بالمكتنَف وان كان الزائد في آخرهِ سمي بالمذيل كقولهم

دمعي هامٍ هامل وقلبي واهٍ واهل

وقد يكون النقص باكثر من حرف كقولهِ

ان البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح

فان اختلف الكلمتان في نوع حرف من الحروف فان كان الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقاربين في المخرج نحو قوله تعالى . وهم ينهون عنهُ وينأون عنهُ فالاختلاف فيهِ بين الهاء والهمزة وهما متقاربان في المخرج فذلك يسمى جناسًا مضارعًا ومنهُ . الخيل معقود بنواصيها الخير . فان لم يتقاربا في المخرج سمي الجناس لاحقًا كقولهِ تعالى . ويلٌ لكل همزة لمزة . ومثلهُ فاذا جاءهم امر من الأمن . ويشترط في هذا والذي قبلهُ ان لا يزيد الاختلاف بين الكلمتين على حرف فان زاد كنصر ونكل خرج عن الجناس فان كان الاختلاف بين الكلمتين في ترتيب الحروف بان تقدم في احدى الكلمتين بعض الحروف وتأخر في الاخرى سمي جناس القلب وهو اما قلب جميع الحروف كالفتح والحتف او بعضها كاللّهمّ استر عوراتِنَا . وآمن رَوْعَاتنا . ثم اعلم ان الكلمتين اللتين يقع بينهما الجناس ان توالتا سمي الجناس جناسًا مزدوجًا من اي نوع كان كقولهِ وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين فهذا جناس لاحق ومزدوج وقد استوفت هذه الاسطر انواع الجناس وهي ستة عشر نوعًا افردها كثير من الناس بالتاليف فاختصرتها اختصارًا غير مخل بها ولا ممل لطالبها ومما يتعلق بعلم البديع قولي

بأبي الذي قدما تجاهل عارفًا ⁂ وتشابهت في حسنها الطرافهْ
اخذ المراءة في يديهِ فابرزت ⁂ من وجههِ بدرًا علت اوصافهْ
فكأنهُ راعى نظير جماله ⁂ فيها فمالت بيننا اعطافهْ
وَرَّيْتُ فيهِ محبتي فابانها ⁂ واستخدمتهُ في الورى الطافهْ

ففي هذه الابيات من انواع البديع خمسة انواع وهي . تجاهل العارف . وتشابه الاطراف ومراعاة النظير . والتورية . والاستخدام . ومن ذلك قولي

لما بدا قمرُ السما ⁂ ءِ وكان من اهوى سميري
امسى يقلّبُ طرفهُ ⁂ في ذلك البدر المنيرِ
فعلمت حقًّا انهُ ⁂ يهوى مراعاة النظيرِ

مراعاة النظير ذكر متناسبين او اكثر كقولهِ تعالى . الشمس والقمر بحسبان فذكر الشمس مع القمر هو مراعاة النظير لان كلاً منهما مناسب الآخر فان كان لا مناسبة بين المذكورين الاّ باللفظ فقط كقولهِ تعالى بعدُ . والنجم والشجر يسجدان قيل لهُ ايهام التناسب وايهام مراعاة النظير لان النجم يوافق الشمس والقمر في الآية بلفظهِ ويباينهما بمعناهُ اذ معناهُ المقصود فيها انهُ النبات الذي لا ساق لهُ فكل ما ليس لهُ ساق من النبات يسمى نجماً لنجومهِ اي طلوعهِ وبروزه من الارض . وكل ما لهُ ساق يسمى شجرًا فذكر النجم مع الشجر فيهِ مراعاة النظير ومع الشمس والقمر فيهِ ايهام المراعاة فان قلت قد سمى الله ما لا ساق لهُ شجرًا في قولهِ تعالى وانبتنا عليهِ شجرة من يقطين واجيب ان الله تعالى خرق ليونس عليهِ السلام العادة فانبت عليهِ يقطينة لها ساق يستظلّ بها من غير مشقة وحكمة انبات اليقطين فوقهُ انهُ لا يقربهُ الذباب . وقد خرج يونس عليهِ السلام من البحر كالجنين اذا خرج من بطن امهِ فلو لم ينبت الله عليهِ تلك اليقطينة لآذاهُ الذباب اذىً شديدًا . واعلم ان تشابه الاطراف نوع من انواع مراعاة النظير لكنهُ مخصوص بآخر الكلام لانهُ ختم الكلام بما يناسب اولهُ كقولهِ تعالى. لا تدركهُ الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فقولهُ وهو اللطيف يناسب قولهُ لا تدركهُ الابصار لان اللطيف هو الذي لطف حتى لا تدركهُ الابصار . وقولهُ الخبير يناسب قولهُ وهو يدرك الابصار لان من يدرك الابصار يكون خبيرًا ومن كان خبيرًا يدرك الابصار والتورية مشهورة وقد افردوها بالتأليف لانها اجل انواع البديع واقسامها كثيرة والاستخدام ان تذكر كلمة لها معنيان حقيقيان او مجازيان او مختلفان ثم نقصد احد

المعنيين باللفظ والآخر بضميره كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم　　رعيناه وان كانوا غضابا

فالسماء لهُ معنيان مجازيان الغيث والنبات فاراد المعنى الاول باللفظ وهو الغيث بذكر السماء واعاد عليهِ الضمير في رعيناه بمعنى النبات. واما تجاهل العارف . فهو سوق معلومٍ كمجهول لنكتة والنكتة اما المدح كقولهِ (ألمع برقٍ بدا ام نور مصباح) او الذم كقولهِ

وما ادري ولست اخال ادري　　أقومٌ آل حصنٍ ام نساء

او التولّه والتحير كقولهِ

بالله ياظبيات القاع قلنَ لنا　　ليلايَ منكنَّ ام ليلى من البشرِ

وذلك لانهُ لما توله وتحير من الحب لم يبق لهُ ملكة تمييز تدرك هل محبوبتهُ من الغزلان ام من الانسان وقد يكون تجاهل العارف للتعريض . نحو وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ومن البديع قولي

سألت صديقًا كاتبًا بات كذبهُ　　بهِ تضربُ الامثال بين المجامع

لأيّ اضطرارٍ بتّ ياصاح كاذبًا　　فقال بحبي للجناس المضارع

وقد تقدم ان الجناس المضارع هو اختلاف الكلمتين في حرفين قريبي المخرج كما اختلفا في الكاتب والكاذب لان التاء والذال قريبا المخرج والله اعلم

❋ مطلب تعلقات علم الكتابة ❋

ومما يحتاجهُ الشاعر علم الخط . وهو علم باصول يعرف بهِ احوال الحروف في وضعها وكيفية تركيبها خطًا وفائدته الاحتراز عن الخطإِ في الكتابة واعلم ان الاصل في الكتابة ان يرسم الكاتب الكلمة حسب النطق لا يزيد على ذلك ولا ينقص لكن اصطلح الكتّاب ان يزيدوا في بعض الكلمات حروفًا وينقصوا من بعضها حروفًا فمن الزيادة انهم زادوا بعد واو كل فعل جمعٍ الفًا سواءٌ كان الفعل ماضيًا او مضارعًا او امرًا نحو ضربوا ولم يضربوا واضربوا ولا تزاد هذه الالف بعد واو فعل مفردٍ في حالتي الرفع والنصب كزيد يدعو ولن يدعو خلافًا للكسائي فيهما وللفراء حالة النصب وكذلك لا تزاد هذه الالف بعد واو فعل جمع غير متطرف نحو جاؤك ولا بعد واو اسم جمع نحو ضاربُو زيد واولوُ الفضل واختلف في سبب زيادتها فقال قوم وضعوها ليفرقوا بها بين

الضمير المتصل والضمير المنفصل نحو ضربوهم فاذا كان الضمير مفعولاً لم يكتبوا الالف واذا كان تاكيداً كتبوها فرقاً بين الضميرين ثم طردوه في الباقي وقيل زادوها ليفصلوا بها بين واو الجمع وواو العطف نحو آمنوا وعملوا ثم طردوه في الباقي وزادوا الالف في رسم المائة وذلك لئلا تشتبه بمنه واختلفوا في زيادتها في مأتين وجوزه ابن مالك واختاره ولا تزاد في الجمع كمئات ومئين وزادوا الواو بعد الهمزة في اولئك فرقاً بينها و بين اليك واختيرت الواو لمناسبة ضمة الهمزة ولئلا يجتمع مثلان لو زيد الالف وزادوا الواو في اولى واولات . قال ابو حيان ولم ارَ سبباً لزيادتها والذي ظهر لي انهٔ للفرق بين اولى والى الجارة في حالتي النصب والجر ثم حملت حالةُ الرفع عليهما وحمل المؤنث على المذكر وزادوا الواو بعد راء عمرو فرقاً بينهٔ و بين عمر وخصوا بالزيادة عَمْراً لانهٔ اخف من عمَرَ لان وسطه ساكن ولانهٔ منصرف لكنها تحذف الواو من عمروٍ حالة النصب لاستغنائهِ عنها بالالف التي ترسم آخره عند نصبه بخلاف عُمر لانهٔ لا يدخلهٔ الصرف* ومن النقص من احرف الكلمة انهم حذفوا الالف من بسم الله اذا كان معها الرحمن الرحيم للخفة لانها كثيرة الاستعمال بخلاف ما اذا لم يكن معها الرحمن الرحيم او كان معها غير اسم الجلالة كقولهِ تعالى اقرأ باسم ربك فان الالف لا تحذف وحذفوا الف ابن اذا وقع بين علمين صفة غير مفصول سواء كان العلمان اسمين او كنيتين او لقبين او مختلفين فمثال ما وقع بين علمين هذا زيد بن عمرو و بين كنيتين هذا ابو بكر بن عبد الله و بين لقبين هذا بصلة بن قفة و يتصور في الواقع بين مختلفين ست صور فخرج بقولنا ما وقع بين علمين الواقع بين علم وغيره كهذا زيد ابن اختنا وهذا العالم ابن زيد وخرج ما اذا كان بين علمين ولم يكن صفة بان كان خبراً او مفصولا كقولهِ تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله فالابن في الآية وقع خبراً لا صفة وكقولك جاء زيد الفاضل ابن عمرو ففي الصورتين لا تحذف الالف وتحذف الالف ايضاً من كل اسم معرف بأل اذا دخلت عليهِ لام الابتداء كقولهِ وللدار الآخرة خير او لام الجر نحو (وللناس فيما يعشقون مذاهب) وتحذف الف الله وإلّه لكثرة الاستعمال و يحذفون الالف من كل اسم زاد عن ثلاثة احرف وكثر استعمالهٔ ولم يوقع حذف الفه في لبس ولا حذف منهٔ حرف عربياً كان او عجمياً كملك وابرهيم فان قل استعمالهٔ كحاتم وطالوت وجالوت او اوقع حذف الفهِ في لبس كعامر فانهٔ يلتبس بعمر او حذف منهٔ حرف كداود واسرائل لا تحذف الفه وكذا تحذف الالف من ذلك وهذا وهولاء

واولئك ومن ثلثمائة وثلثين وفي ثمانين وجهان وتحذف من الملئكة وتحذف الالف بعد همزة الاستفهام في اسم وفعل نحو أسمك أصطفى البنات * واما الوصل والفصل فانهم يصلون ما اذا كانت ملغاة نحو مما خطاياهم وانيما وحيثما ومهما وكيفما وكما وايما الاجلين قضيت فاما ترين واما انت منطلق انطلقت لانها في هذه الامثلة كلها ملغاة ومثل ذلك ما اذا كانت كافة عن العمل نحو انما وكأنما وليتما ولعلما ويصلون ما الاستفهامية اذا دخلت عليها من وعن وفي كقوله تعالى عمّ يتساءلون. مم خلق فيم انت من ذكراها ويحذفون الف ما هذه اذا دخل عليها حرف من حروف الجر رسماً ولفظاً فاذا كانت ما موصولة يعني اسم موصول ودخلت عليها احرف الجر الثلاثة المتقدمة فصلت عنها نحو عجبتُ من ما عجبت منهُ . ورغبت في ما رغبت فيهِ وعن ما رغبت عنهُ وهذا جزم بهِ ابن عصفور ومذهب ابن مالك وصلها بهنّ غالبًا . ومن اصطلاح الكتبة الابدال فيبدلون الالف المنقلبة عن الواو بالف في الاسم والفعل والمنقلبة عن الياء ياء فالاول كغزا لانها منقلبة عن واو والثاني كرمى لانها منقلبة عن ياء وعصا ورحى فان اشتبه على الكاتب فعل ولم يدرأ واوي هو ام يائي الحق بهِ تاء الضمير مثل دنا وجفا فاذا الحق بهِ التاء وقال دنوت وجفوت تبين لهُ انهُ واوي فيكتبهُ بالالف ومثل حكى وبكى اذا قال حكيت وبكيت ظهر لهُ انهُ يائي فيكتبه بالياء وهذا اذا كان ثلاثيا فان زاد فانه يكتب بالياء مطلقًا واويًا كان او يائيًا او زائدًا للالحاق او التأنيث او غير ذلك كسلمى وحبلى ومغزى ويخشى واعطى ونحو ربى واقتضى واستقضى وقبعثرى وقد نظم بعضهم هذه القاعدة فقال

اذا الفعل يومًا غم عنك هجاؤه فالحق بهِ تاء الخطاب ولا تقف
فان ترَ بالياء يومًا فكتبهُ بياء والاّ فهو يكتب بالالف

هذا في الافعال واما في الاسماء فمعرفة واويها من يائيها لا يميزه الا التثنية كعصا ورحى وحبلى لانك تقول في تثنيتها عصوان ورحيان وحبليان والى هذا والاول اشار الشاطبي بقولهِ

وتثنية الاسماء تكشفها وان رددت اليك الفعل صادفت منهلا

(قلتُ) وقد بقي اشياء أُخر يميز بها الواوي من اليائي فقد ذكر ابن خالويه في شرح مقصورة ابن دريد انها ستة اشياء ذكرنا منها هنا شيئين وبقي اربعة وهي المصدر والجمع وحسن الامالة والمضارع فالمصدر كدعوت دعوة ورميت رمية والجمع كقطوات

جمع قطاة وحصيات جمع حصاة وفتيات جمع فتاة . ومثال ما حسنت فيه الامالة ولم يعلم اصلهُ متى وبلى فيكتبان بالياء المثناة . ومثال المضارع يدعو ويرمي (تنبيه) الحرف عندهم يكتب بالالف الاَّ الى وحتى وعلى اذا لم تدخل على ما الاستفهامية فحينئذٍ يكتب بالالف كقولك حتام وعلام والام (تنبيه آخر) جميع ما تقدم يكتب بالياء مما زاد على الثلاثة بشرط ان لا يكون قبل آخره ياء كدنيا ومحيا واحيا وخطايا واستحيا ويحيا الا يحيي علمًا فانهُ يرسم بالياء فرقًا بينهُ وبين الفعل وانما كتبوا ما تقدم بالالف حذرا من اجتماع يائين . واعلم ان الحرف ما تركبت منهُ الكلمة . والنقط زيادة تلحق المتشابه من الحروف فتميزه عن صورة غيره ومن ثم لا يحتاج ما ليس لهُ نظير من الحروف الى نقط كالالف واللام والميم والكاف والواو والهاء لانها ممتازة بعدم وجود نظيرها في الحروف وانما نقطوا الهاء من رحمة للفرق بينها وبين هاء الضمير وهاء السكت . والشكل زيادة تلحق صورة الحروف للدلالة على الفصل بين صيغ الكلم فلا يصار اليهِ الا لضرورة تمييز ما يشتبه كالنِّدا والنَّدا ولذا قيل لا تشكل الا المشكل ولله در من قال في وجنة محبوبهِ المرسومة بحرف العذار

مشكلات حروفها فهي لا تُعـ   ـرَف الا بنقطة او بشكله

(فائدة) ذكر اهل الحديث انهُ يكره الخط الدقيق المفضي الى عدم انتفاع الكاتب بهِ في كبره الذي هو مظنة ضعف بصره وهو احوج ما يكون اليهِ في تلك الحالة لاحتياجه الى المراجعة فيهِ الا اذا كان يسافر ويحمل كتبهُ معهُ ليخف حملهُ او كان مقيماً وضاق القرطاس الا عن الخط الدقيق قال ابن خلكان اول من كتب الخط العربي اسماعيل عليهِ السلام والاصح عند اهل العلم انهُ مرار بن مرة من اهل الانبار ومن الانبار انتشرت الكتابة في الناس اه (قلتُ) وقد كانت كتابة العربي بالقلم الكوفي حتى جاء الوزير ابو علي بن مقلة فنقلهُ الى هذه الطريقة فلهُ بذلك فضيلة الاختراع والسبق وكان خطهُ في غاية الحسن ثم جاء بعده في القرن الرابع علي بن البواب ويقال لهُ ابن هلال فهذب خط ابن مقلة وزاده حلاوة وطلاوة حتى اجمع الناس على تبرده بحسن الخط فقال بعض الادباء يمدح كتابًا

كتابٌ كَوَشْيِ الرَّوض خط سطوره   يَدُ ابن هلالٍ عن فم ابن هلالِ

ومراده بابن هلال الثاني صاحب رسائل البلاغة (قلتُ) وفي الكتّاب ابن هلال آخر وهو احمد بن سليمان كاتب انساء الامير سيف الدين تنكز بديوان دمشق وقد

مدحهُ ابن نباتة المصري بقولهِ

هُنّيت ما اوتيتهُ من دولة ... حملتك في العينين من اجلالها

في مقلة الاجفان انت فقل لنا ... انت ابن مقلتها ام ابن هلالها

(قلتُ) ولم يستقم هذا المعنى لابن نباتة كما استقام للشيخ شمس الدين الخياط حيث قال

ان الكتابة والوزارة لم تجد ... احداً سواك يزيد في اجلالها

حملتك في العينين منها يا ترى ... انت ابن مقلتها ام ابن هلالها

واما ياقوت الموصلي فقد جآء في القرن السادس وكان يقلد ابن البواب ولم يأتِ بطريقة ابن البواب غيره وقد تفرد في زمنه بحسن الخط حتى قال فيهِ الحسين الواسطي يمدحهُ .

انت بدر والفاضل ابن هلال ... كأبيهِ لا خير في من تولّى

ان يكن اولاً فانك بالفض ... ل لأَ ولى لقد سبقت وصلى

ومما قالتهُ الشعرآء من التورية في ابن مقلة وياقوت من ابحر البلاغة قول بعضهم

ليَ دمعٌ اجاد ما خط في الخدْ ... دِ ولِمْ لا يجيد وهو ابن مقله

وقال آخر

لي من الطرف كاتب يكتب الشوْ ... ق اليهِ اذا الفؤاد املّه

سلسل الدمع في صحيفة خدي ... هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

وقلتُ في ذلك

انسان عيني خط في ... خديهِ بالياقوت جمله

فطفقت انشد في الورى ... قوموا انظروا خطا ابن مقله

مرادي ان انسان عيني ادام النظر في ذلك المحبوب فرسم في خده بياقوت الخجل جملة من المحاسن وفيهِ ايهام مراعاة النظير بذكر ياقوت وابن مقلة

وقلت ايضًا

ومهذب الالفاظ طيب حديثه ... امسى واصبح في البرايا قوتا

لام الزمرد فوق لؤلؤ خده ... كم انجلت لما بدا ياقوتا

ومن رؤساء الكتاب واصل بن عطاء المعتزلي كان آيةً في البلاغة وحسن الخط ومن بلاغتهِ انهُ كان يلثغ في الراء فاستثقل النطق بها فترك استعمالها في كلامهِ لسعة

اطلاعه وتبحره في اللغة العربية ومن العجائب ان اعداءه ارادوا ان يخجلوهُ عند الكبير الذي كان يكتب لهُ فكتبوا لهُ كتابًا فيهِ راآتٌ كثيرة واعطوه اياهُ يقرؤه على ذلك الكبير فلما تأملهُ وجد مكتوبًا فيهِ امر امير الامرآء الكرام ان تحفر بئر في البرية ليشرب منهُ الوارد والصادر فغير الالفاظ واتى بما يرادفها فقال حكم حاكم الحكّام ان يقلب قليب في الفلاة يحتسي منها البادي والغادي فتعجب منهُ كل من حضر حتى قال فيهِ الشاعر

ولم يقل مطرًا والقول يعجلهُ ... فعاذ بالغيث اشفاقًا من المطرِ

وما الطف قول بعضهم في محبوب يلثغ بالراء

اعد لثغة لو ان واصل حاضرٌ ... ليسمعها ما اسقط الراء واصلُ

وقد ذكرت اسمهُ البلغاء مع التورية فمنها قول بعضهم

ولما رأيتُ الشيب رَاءَ بهامَتِي ... تيقنت ان الوصل لي منك واصلُ

اعلم ان الراء شجر سهليٌّ واحدتهُ راءة لهُ ثمر ابيض كما في القاموس وشرحه للمناوي قال المناوي وقيل هو زبد البحر اه اذا عرفت ذلك عرفت معنى قول الشاعر (ولما رأيت الشيب راء بهامتي) اي انني لما رأيت الشيب كشجر الراء برأسي فشبه شيب رأسهِ بالراء لانهُ كما تقدم لك ابيض الثمر وذلك كما شبهت العرب الشيب بالثّغام وهو وزن سلام نبت يكون في الجبال غالبًا اذا يبس ابيضّ . تقول العرب لمن شاب رأسه فلان رأسهُ كالثغامة او انهُ اراد بالراء زبد البحر لانهُ ابيض فيحسن تشبيه الشيب بهِ واحسن من البيت الاول قول الشهاب الخفاجي في ذلك

اراني طريق الرشد شيب بهامتي ... واوقد فوق الرأس مني مشاعلا

تَعوَّجَ لي راآتهُ كلُّ شعرةٍ ... تنفر عني كلُّ من كان واصلا

وقلت في ذلك

يا ايها الرشأُ الذي اجفانهُ ... قد غادرتني عبرة للرآئي

مالي اراك هجرتني وقطعتني ... عمدًا قطيعة واصل للراء

واعلم ان اقلام الكتّاب عشرة ذكرها بعضهم فقال

نسخ ريحان عارضيك نسيبٌ ... بحواشي رقاع حسنك ملحق

قلت عمر الحسود فيك تقضّى ... بغبار وثلث وصلي محقق

ان تكن راضيًا بطومار هجري ... فستعر العذار قلبي معلّق

وقال آخر

في هامش خدك البديع القاني   تفسير غرام كل صبٍّ عاني

قد خرّجها الباري فما الطفها   من حاشية بالقلم الريحاني

وقال آخر

قد قال لي فاتني لما خلوت بهِ   ولم يكن غير عين النجم في الظلمِ

قبّل صحيفة خدي ان احرفها   خطُّ الذي علّم الانسان بالقلمِ

ولا يخفى ان الاحرف ثمانية وعشرون حرفاً وهي على عدد منازل القمر فمنها اربعة عشر حرفاً يقال لها القمرية وهي التي لا تدغم فيها اللام وبقية الحروف يقال لها شمسية وهي التي تدغم فيها اللام كما تنقسم منازل القمر قسمين قسم مستتر تحت الارض لا يظهر وقسم ظاهر ثم ان غاية الكلمة سبعة احرف لا تزيد على ذلك وهي عدد الكواكب السيارة وحروف الإطباق اربعة وهي الصاد . والضاد والطاء . والظاء . وهي التي تنطبقُ عند النطق بها من اللسان على مخارجها ما حاذاه من الحنك وهي كالطبائع الاربع والعناصر والمولدات الاربع الجماد . والنبات . والحيوان . والانسان . والاخلاط الاربعة وهي السوداء . والصفراء . والبلغم . والدم . وعدد فصول السنة وهي الربيع . والخريف . والشتاء . والصيف . وعدد اطوار الانسان في الرحم وهي كونهُ منيا . ثم علقة . ثم مضغة . ثم جنيناً وهي عدد اطواره بعد الولادة وهي كونهُ طفلاً . ثم شاباً . ثم كهلاً . ثم شيخاً . وجميع الحروف تنقسم على الطبائع الاربع فللنار من ذلك سبعة احرف يجمعها قولك اهطم فشذ . وللتراب سبعة احرف يجمعها بوين حتض . وللهواء سبعة يجمعها جزكس قثط . وللماء سبعة يجمعها دصلع رخغ . والاولى يقال لها صيفية . والثانية خريفية . والثالثة ربيعية . والرابعة شتوية . كما ان الاولى للصفراء . والثانية للسوداء . والثالثة للدم والرابعة للبلغم . ثم تنقسم الى نورانية وظلمانية فالنورانية اربعة عشر حرفاً يجمعها قولك طرق سمعك النصيحة . والظلمانية مثلها عدداً . وتنقسم الحروف الى احرف سعد وهي التي لا يوجد فيها نقط واحرف نحس وهي المنقوطة ما عدا احرف القاف والنون والياء لانها من حروف النور كما تقدم . ثم احرف النحس تنقسم الى نحس اصغر وهي ذوات النقطة . ونحس اوسط وهي ذوات النقطتين . ونحس اكبر وهي ذوات الثلاث . ولها تقسيمات اخرى يلهمها الله تعالى من شاء من خلقه فاذا رسمها او نطق بها نشأ من ذلك لها جسد فيخلق الله لذلك الجسد روحاً فيصير ملكاً يعبد الله تعالى

ويخدم من كان سبباً لوجوده واهل الحقيقة يشيرون بالالف الى ذات الحق تعالى لانهُ متقدم على الحروف ومرتفع عنها ولا يتصل بها وهو ظاهر في باطن النطق فلهُ الظهور مع بطونهِ والبطون مع ظهوره ولهُ العلو على سائر الحروف ولا تعتريهِ الحركات ولا النقط ولا يتغير وهو متبوع لسائر الحروف لا تابع لها وهو قائمٌ اشارة الى قيام ذاته تعالى بالقسط وانهُ قائمٌ على كل نفس بما كسبت وانهُ لا يشبهه شيء من الحروف كما تشبه اليآء الثآء والجيم الحآء وفيهِ اشارة الى ان الاحرف كلها وجدت عن الالف لانها اذا زال عنها اعوجاجها ونقطها كانت هي عين الالف وذلك لان الالف مركبة من سبعة نقط وكل حرف مركب منها لا يزيد على ذلك نقطة قالوا واول حرف نشأ عن الالف حرف الباء وهي الحقيقة المحمدية التي نشأَت عنها بقية الحروف المشار اليها الى العالم علويهِ وسفليهِ ولذلك افتتح الله بها كتابهُ العزيز فقال بسم الله الرحمن الرحيم ولما كانت براءة خالية من البسملة افتتحها بحرف الباء وجعل الباء اول حرف نطق بهِ الانسان في عالم الذرّ حين قال الله لهم الست بربكم قالوا بلى ولما رأت الباء ترفع الالف وقيامه تواضعت بين يديهِ وانطرحت فرفعها الله تعالى واعطاها نقطة التمييز فجعلتها تحتها لئلا تشتغل بها عنهُ فاعطاها الحركات فلم تقبل منها الا الكسرة فعند ذلك اعطاها التصريف في الاسمآء وجعلها للاستعانة والتعويض وتعدية الفعل وجعل سائر الحروف لها تابعة (قلتُ) ولما خلق الله آدم على صورته المعنوية وهي كونهُ حيًا قادرًا مريدًا عليماً متكلمًا سميعًا بصيرًا خلقه على صورة اسم نبيه الحسية فخلق رأسهُ كالميم الاولى من محمد ويديهِ كالحاء وسرته كالميم الثانية ورجليهِ كالدال وحكمة خلق آدم من حروف ذلك الاسم الاشارة الى انهُ لولاه ما خلقهُ وذلك لان آدم مثل عيسى كما قال تعالى وكلمته القاها الى مريم ومن المعلوم ان الكلمة لا تكون الا من الحروف فلولا حروف اسم نبينا صلى الله عليهِ وسلم لما خلق الله آدم ويؤيد ذلك قوله تعالى لآدم ولولاه ما خلقتك ولا خلقت سمآء ولا ارضًا فاغنم هذا فانهُ مما فتح بهِ علي وقت الكتابة . ومما صدحت بهِ بلابل الشعرآء في رياض البلاغة والخطابة . وتفننت بهِ على افنان البراعة في فن البراعة والكتابة . قول القيراطي

انظر الى سطر عذارٍ بدت من فوقه الشامات مثل النقط
صحت بهِ نسخة حسنٍ لمن قد راحت الارواح فيهِ غلط

ولابن نباتة

كأن ذاك العذار حاشيةٌ　　خرّجها كاتبٌ لنسيانهِ

ولابن سنا الملك

قرأت كتاب الحسن من فوق خده　　الم ترهُ من فوقه واضح الرسمِ

بباء عذارٍ تحت سينٍ لطرّة　　الى ميم ثغرٍ فهو اوّله بسمِ

وقلت من المعنى

خف الله واحفظ ذا الجمال ولا تشب　　محاسنهُ بالتيهِ والعجب والظلمِ

فحسنك ذو بال ولولاه لم يكن　　على نسختَيْ خديك مبتدأً بسمِ

وللنواجي

شم الف القد ثم لامَيْ　　عذاره المستدير ها له

وهاء ثغرٍ تجد مليحاً　　عليهِ من زيّهِ جلاله

(لطيفة) ذكر القاضي ابو بكر بن العربي ان الوزّان يمسك الميزان بالابهام والسبابة ويرفع اصابعهُ الثلاثة الوسطى والبنصر والخنصر وذلك ليكون شكل اصابعه مقررًا ومشيرًا لقولهِ تعالى بالامر بالقسط في الميزان اه (قلتُ) ومثل ذلك ان بعض ملوك الهند افتتح قلعة في سنة احدى عشرة ومائة والف فأرّخ بعض بلغاء الهند ذلك الفتح بتاريخ منظوم بلغتهم معناه ان الملك لما سمت همّتهُ وضع ابهامهُ في اصل خنصرهِ ورفع اصابعهُ الاربعة فافتتح قلعة كذا وهذا لطيف جدًّا لانهُ اذا وضع ابهامهُ في اصل الخنصر كانت كهيأة رسم سنة وهيأة الاصابع الاربع القائمة هيأة احدى وعشرة ومائة والف ١١١١ . ومثل ذلك ان احد خلفاء بني العباس قبل ان يلي الخلافة رأى في منامهِ شخصًا اراهُ ورقة مرسوم فيها اربع خاآت فلما افاق طلب علماء التعبير فلم يجد عندهم ما يشرح لهُ صدره حتى جاء فاضل فقال لهُ الخاآت الاربع تشير الى انك تلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان الامر كما ذكره المعبر. وحكى ان حُمْصيًا دخل بغداد راكبًا بغلة قد شكل ذنبها في جانبها فرآه امرأتان اديبتان فقالت احداها للاخرى أتدرين من اي بلدة هو .قالت لا . قالت هو من حمص .قالت ومن اين لكِ ذلك .قالت انظري الى حياء بغلتهِ فهو كالصاد ودبرها فوقهُ كالميم وذنب بغلتهِ كالحاء .فلما سمعها الحمصي قال لها قاتلكِ الله من كاهنة شيطانة وولى فصارت تضحك عليهِ . ومن اللطائف ما وجدتهُ في رحلة استاذنا شيخ العارفين الشيخ عبد الغني

النابلسي وهي الرحلة الحجازية انهُ استخار الله يوماً في فعل امر فرأى بعد الاستخارة على الارض قطعة حبل كهيأة لا الناهية فترك ذلك الامر لان الحبل يشير الى لا تفعل وكانت الخيرة في تركه ومن هذا القبيل قول القائل

في صاد مقلته اذا حققتهُ ... مع نون حاجبهِ وميم المبسمِ
عذرٌ لمن قد ظلَّ فيهِ مولَّعًا ... فعلامَ يعذل فيهِ من لم يعلمِ

مرادهُ انهُ صنم والمراد صورة من الصور التي تصورها الكفار لعبادتها ويقال لها دمية والجمع الدمى وهي الصور المنقوشة وفيها حمرة كالدم . والصنم قال بعضهم هو الوثن وجرى عليهِ في المصباح . وقال آخرون انهُ غيره وعليهِ جرى في المغرب فقال الوثن ما لهُ جثة من حجر او خشب او فضة او جوهر .اه (قلتُ) ومفهوم قوله ما لهُ جثة ان ما ليس لهُ جثة لا يقال لهُ وثن بل يقال لهُ صنم وذلك كالصور المنقوشة وان ما لهُ جثة من غير الحجر والخشب والفضة والجوهر كذلك وقد صرَّح الشيخ فتح الله النحاس بهذا الصنم في قولهِ في التغزل في مليح

صنمٌ كأن الله صوَّ ... رَهُ من الارواح جسما

وقال آخر

كأنهُ قمرٌ في حسن صورتهِ ... يغشي العيون بانوار ولألاء
اما ترى صدغه قافًا ومبسمهُ ... ميماً وشاربهُ تعريفة الرَّاء

وقال الآخر

كأنَّ عذارهُ المسكيَّ لامٌ ... وهيأة عينهِ في الشكل صادُ
وطرَّة شعره ليلٌ بهيم ... فلا عجب اذا سُرِقَ الرُّقادُ

مرادهُ انهُ اخذ من هيأة محبوبهِ اللام والصاد وهو اللص ومن طرتهِ الليل فاذا وجد اللص في الليل فلا يتعجب من سرقة نومي من جفوني (وقلتُ)

سألتُ الله لما عيل صبري ... ولا يَشْمَتْ انفي مسك خالك
سوالًا ان اراك بدال صُدغٍ ... يتم بها الجميل سنا جمالك
ويجعلها بنقط الخاء ذالاً ... لعل الله يحدث بعد ذلك

فتأمل ما في البيت الاخير من التورية والاكتفاء والاقتباس تجده لطيفًا جدًا وقال آخر

قرنت بواو الصُّدغ صادَ المقبَّلِ ... وابديت لامًا من عذارٍ مُسَلْسَلِ
فان لم يكن وصل لديك نرومهُ ... فماذا الذي ابديت للتأملِ

اي اذا كنت لم تسمح بالوصل فكيف ابديت احرفهٔ في وجهك لمن يتأملهٔ وقال آخر

ولقد سألت وصالهٔ فاجابني عنهٔ الجمال نيابةً عن قائلِ
في نون حاجبهِ وعين جفونهِ مع ميم مبسمهِ جواب السائلِ

يريد ان جواب السائل نعم (فائـدة) ذكر المعافى بن زكريا في كتابهِ الجليس والانيس ان في نعم ثلاث لغات الاولى فتح النون والعين ـ الثانية فتح النون مع كسر العين وباللغتين قرئ قالوا نعم ـ والثالثة وهي لغة شاذّة نعام بزيادة الالف اه (وقلتُ) في عكس ما تقدم

ارى نون الحواجب فوق عينٍ بميم الثغران رمت الوصالا
تقول نعم باحرفها ولكن قوامك والعذار يقول لا لا

ولله درّ من قال

فتحت لا لأنها خلقت خلقة الجلم
تذهب العرف والجميـ ـل وتأتي على الكرم

والجلم هو المقص وقد فسره بعض الشعراء بقولهِ

انظر للآ مثل المِقَصْ ص تقصّ اجنحةَ النِعَم

وقال آخر

وفمٌ يحاكي الميم إلاّ انَّهُ كم حولهٔ عين تحوم وصادِ

(قلتُ) ولَم يساعده الاعراب على ما ارادمن التورية بالصاد وقد اتفق لغيرهِ في قولهِ

ياعين آمالي اذا استجمعت اني الى مورد لقياك صاد

وقد اتفق لي في ذلك تورية مثلّثة في قولي

اوّاه اوّاه فكم ليلةٍ لم ادرِ فيها كيف طعم الرقاد
من عين ظبيٍ نافرٍ كم بها من ضيغم لريقهِ العذب صاد

فان قولي صاد يحتمل انها من الصيد ومن الصدى وهو العطش وانها الصاد الحرفية

وما احسن قول بعضهم

كل شهرٍ لنا هلالٌ جديدٌ مظهر للفناء كلّ مصونِ
يَقرأُ الحازمُ المفكِّر منـهُ فوق طرس السماء نونَ المنونِ

وقال آخر

ان رمت ترقى للسيادة فاستقم تنل المراد ولَنْ تزال مكرّما

الفـ الكتابة وهو بعض حروفها ... لما استقام على الحروف تقدما

وقال آخر وعكس المعنى

من يستقم يُحرم مناه ومن يمل ... يختص بالاسعاف والتمكينِ

انظر الى الالف استقام ففاته ... نقطٌ وفاز بها اعوجاج النونِ

ومدح بعضهم بعض الامراء بقصيدة زائية وكتب معها

كتبتُ للصاحب المرجّى ... زائيّةً كالجمان يلقط

تروم من برّه نقوطًا ... والحكم للزاي ان تنقط

وقال بعضهم في وصف روضة

وكأنما الاطيار فوق غصونها ... سطر على ألفاتها همزاتُ

ولأبي هفان في يوم كثير المطر والاوحال

اني ركبت وكف الارض كاتبة ... على ثيابي سطورًا ليس تكتتمُ

فالارض محبرة والحبر من لثق ... والطرس ثوبي ويمنى الاشهب القلمُ

وكتب ابو سعيد الى الصاحب بن عباد

من الناس من يعطي المزيد على الغنى ... ويحرم ما دون المنى شاعر مثلي

كما الحقوا واوًا بعمرو زيادة ... وضويق بسم الله في الف الوصلِ

يريد ان عمرا غير محتاج للزيادة زادوه واوًا وبسم الله مع فضله حذفوا منهُ الف الوصل وانما زادوا الواو في عمرو لاجل التمييز بينهُ وبين عمر ولم يزيدوها لعُمر لان عمرًا اخف من عمر لسكون وسطه ولكونه منصرفًا وحذفوا الالف من بسم الله لكثرة الاستعمال وقد تفننوا في واو عمرو قال بعضهم

لما رأيت الناس في غفلاتهم ... ووجدت نار الفضل فيهم خامدهْ

اعرضت عنهم وائتنست بوحدتي ... وجعلت نفسي واو عمرو الزائدهْ

واصل ذلك مأخوذ من قول ابي نواس

ايها المدّعي سليمى سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفرِ

انما انت من سليمى كواوٍ ... أُلحقت في الهجاء ظلمًا بعمرو

ومن ذلك قول بعضهم

ان شيوخ الارض في عصرنا ... تقدم الميم على الصادِ

مراده يقدمون الغلمان على النساء ومما يتعلق بالكتابة قول الصلاح الصفدي

يمدح رئيساً من روٴساء الكتبة بقولهِ

لصفات بدر الدين فضل شائع　　تصبو لهُ الافكار والاسماعُ
انظر الى القلم الذي يجوي فقد　　صح الحساب بانهُ نفــاعُ

اراد ان لفظ القلم بالالف واللام يطابق عدد نفاع في الحساب لان عدد كل منهما مائتان وواحد وما احسن قولهُ (صح الحساب بانهُ نفاعُ) اي صدق الظن او صح الحساب في العدد ومن ذلك قولي في مدح كاتب

وكاتب ماهر بليغ　　شنف اذاننــا وقرّط
السن اقلامهِ تنادي　　ما شمتُ واللّٰه مثلهُ قط

ومما يتعلق بالكتابة قول ابراهيم افندي السفرجلاني في مليح في وجهه زهرة

كفوا الملام ولا تعيبوا زهرة　　في وجنتيهِ تلوح كالتطريزِ
فالحسن لما خط آس عذاره　　القى عليهِ قراضة الابريزِ

ولابن نباتة في المعنى

افدي سطوراً من كتابك اقبلت　　بعد الجفاء واذنت برجوع
قبلتها فاحمرَّ نقش حروفهــا　　فكانني رملتهــا بدموعي

وقلت في المعنى

لقد خطَّ في عارضيَّ الشابُ　　سطوراً أمالَتْ اليَّ الحبيبْ
فتبت يمينُ زمانٍ اتى　　فتربها بغبــار المشيبْ

وما الطف قول بعضهم

وجدْوَلٍ خُطَّ فيهِ　　سطر بكفّ القبولِ
بدا عليهِ ارتعاش　　كذاك خطّ العليل

اي لانهُ خط القبول والقبول ريح مهبها من المشرق والدبور يقابلها واذا ارادوا وصف النسيم باللطف يعبرون عنهُ بالعليل والنسيم اذا حرك وجه المآء والماء جارٍ كان كانهُ صحيفة من كف عليل يكتبها فترتعش . وقد حكي ان بعض الناس لما اراد ان يزوّر كتاباً على امير الموٴمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهُ وكان عثمان في آخر امرهِ ابتلى بالرعشة من الكبر فجآء المزور وجلس على حجر طاحونة ودار بهِ فكتب الكتابة في تلك الساعة فجاء كانهُ خط عثمان رضي الله عنهُ ومما يتعلق بالكتابة كافات الشتاء قال ابن سكرة

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبعٌ اذا القطر عن حاجاتنا حَبسا
كيسٌ وكنٌّ وكانون وكأس طلا مع الكباب وكُسٌّ ناعم وكسا

وقال آخر

وكافات الشتاء تعدّ سبعًا ومالي طاقة بلقاء سبع
اذا ظفرت بكاف الكيس كفّي ظفرت بمفردٍ يأتي بجمع

وقال آخر

قلت لها من اين يا منيتي قالت انا السادس في السابع

يعني انها سادس كافات الشتاء في سابعها (قلتُ) وقد كتبت بهِ الى خليل افندي المرادي

قدجاء فصل الشتا ومابرحت كافاتهُ عن حمايَ في شَطَطِ
يا ربهِ عجّل لنا بأولها حالاً وإن كان خاليَ الوسطِ

اردت باولها الكيس واردت بخلو وسطها حذف الياء منهُ لانها وسطه فاذا حذفت منهُ كان خالي الوسط وانتقل لسادس الكافات (وقلتُ) وكتبت بهِ الى عبد الرحمن افندي المرادي

قالت ارى لك ثروةً ممن ظفرت بها متى
قلت المرادي ابن الحسين اجلّ من امسى فتى
في الصيف اسعفني الى ان نلت كافات الشتا

وقلت امدح كاتبًا مليحًا

لله كاتبنا الذي انا رِقّهُ وهو الذي لا زال قرّة عيني
في ميم مبسمهِ ولام عذاره ما بات ينسخ بهجة الصّادين

المراد بالصادين الصاحب بن عباد والصابي ابو اسحق فالادباء يعبرون عنهما بالصادين وقلت اهجو خشفجيًّا

خشاف هذا الخشفجي يحكي الرحيق المُسلْسَلْ
فاشرب خشافًا خفيفًا من الخشاف المثقّلْ

المراد بالخشاف الخفيف غير المشدد فاذا شددنا شينهُ كان مثقّلاً وانتقل من معناهُ الى معنى آخر وهو الخفاش ويقال لهُ الوطواط لانهُ يقال لهُ خفاش وخشاف كما يقال بطيخ وطبيخ وسبسب وسببس للقفر وجذب الشيء وجبذه . والخفاش طائر ليلي شنيع

المنظر لا يبصر بالنهار وقد سموا من لا يبصر بالنهار بالاخفش اخذًا منهُ . ومن لطائف ابي العلاء قولهُ

بنا من هوى سعدى المليحة كاسمها اذا ذَايَلَتْهُ عين سعدى وسينها

مرادهُ ان بنا من هواها مثل اسمها اذا زالت عينهُ وسينهُ فبقي دآء

وقلت في ذلك

لقد قال لي مَن لاح سبت عذاره وقد كان لي من بين اصحابهِ قالي
لك الله ما هذا النبات الذي ترى فقلتُ لهُ هذا عذارٌ بلا ذالِ

وقلت ايضًا

قلت لخَوْدٍ تسبّ بعلا قد شاخ عن رغبة النسآء
لا تبغضيهِ فذاك قطب للناس في الارض والسمآء
قالت وما رغبة الغواني في قرب قطب بغير باء

قولي بغير باء فيهِ تورية لانهُ يحتمل الباء الحرفية وعليهِ فيكون القطب قطًا ويحتمل الباء الذي هو شهوة النكاح لانهُ يقال لها الباء والباه والباءة بوزن الحالة. ومنهُ حديث يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج وظاهر الحديث انهُ يطلق على النكاح نفسهُ

وقلت

عُرب البوادي شياطين الانام فلا تركن اليهم فهم عُربٌ بلا باء

والعرب بغير الباء يصير عر والعرّ الجرب قال الشاعر (كذي العر يكوي غيره وهو رائع)

وقلتُ

قالوا فلان داخلٌ يحكي اذا صدح البلابل
فسمعت نغمته فلم ارمنهُ الا نصفَ داخل

ونصف الداخل داء وقلت وهو في غاية اللطافة في مليحة اهدت اليّ حريرًا

ربّ هيفاء رداحٍ حيّرت عقلي وطرفي
ثم اهدت لي حريرًا حسنهُ اعجز وصفي
قلتُ يا منية قلبي نصف هذا كان يكفي

اردت بنصفهِ الحاء والراء وهو الحِرّ والحِرُ بكسر الحاء و بالراء المشددة وتخفف كما في المصباح فيستعمل استعمال يدٍ ودمٍ وهو فرْج المرأة واصلهُ حِرْحٌ حذفت منهُ الحاء بدليل جمعه على احراح وعوض عن حائهِ المحذوفة رآء ثم ادغمت في رائهِ . ومثل ذلك قول بعضهم

فخل بلاد الشرق عنك فانها   بلاد بلا دال وشرق بلا قاف

وقال آخر يذم اهل عصره

منهم صديقٌ بلا قافٍ ومعرفةٌ   بغير فاءٍ واخوان بلا الفِ

وكتب ابن نباتة لبعض الرؤساء

تعوّدت من نعماك احسن عادة   فاقبلت ارجو منك عادة احسان

وجئتُ وماعندي سوى نصف درهم   وان الرجا من سيدي نصفة الثاني

فانظر ما الطف قولهُ نصف درهم وهو الهمّ (وقلتُ) ما يحتاج الى التأمل وهو قولي

انا قدجئتُ الى الشا   مِ بدينارٍ وزادِ

فرأينا منك ما لم   نرمن كفٍّ جواد

وصرفنا ما تَفَضَّلْ   تَ علينا من ايادي

ثم ما اصبح عندي   غير دينار بلادي

مرادي بقولي دينار بلادي لفظة دينار بلا لفظة دي فيصير الباقي منهُ نار .

(نوادر) امتدح بعض بني امية خليفة من خلفاء بني العباس وكتب القصيدة في ورقة وكتب بعدها كنية الشاعر المعاوي يعني المنسوب الى معاوية فكشط الخليفة دائرة الميم من المعاوي ودفع الكتاب للشاعر فصار العاوي . ومثل ذلك ما ذكره الحافظ السيوطي في طبقات النحاة ان الزمخشري لما اطلع على امثال الميداني حسده عليها فكتب قبل لفظة الميداني نونا فصار نميداني ومعناها بالفارسية لا تعرف شيئًا فكتب الميداني على بعض كتب الزمخشري نونًا بدل الميم فصار زنخشري ومعناه بائع زوجتهِ لكن تعقب السيوطي علي جلبي في حاشيتهِ فقال ما قالهُ من ان معنى الزنخشري بائع زوجته لا يصح الاّ على عدم الخاء بين النون والشين فالصواب ان يقال معنى الزنخشري امرأة غير جيدة عند الاعجام الذين لا اصلاح لهم فالمنسوبة اليهم غير صالحة اه (قلتُ) ومثل ذلك ان الشاه اسماعيل الرافضي لما قويت شوكتهُ ارّخ عام ظهوره فجاء تاريخهُ مذهبنا حق فافتخر الشاه بهذا التاريخ فاطلع عليهِ بعض اهل السنة فلم يزد فيهِ ولم ينقص وانما فصل الباء من مذهب عن النون فصار مذهب نا حق يعني ليس بحق في لغة العجم ومثل ذلك ان احد الملوك فعل امرًا فجاء تاريخهِ الخير فيما وقع فرأى التاريخ بعض البلغاء فقلب ما فيهِ من الايجاب بالسلب ولم ينقص من حروفهِ ولم يزد وانما جعل الالف واللام في الخير لا فقال لا خير في ما وقع . وحكي ان شعبان الاثاري قال لهُ فاضل من

بيت الخراط انت شعبان ولكن بلا حلاوة فقال له شعبان وانت خراط بلا طاء ومما اتفق لابن عمي الفقيه . والناظم الناثر النبيه . الشيخ علوان . واصل الله علية سحائب الرحمة والرضوان . انه رأى يوماً على حائط شعراً مكتوباً مكسوراً ملحوناً ورأى مكتوباً تحتهٔ كتبهٔ قيّم الادب . فكتب الشيخ علوان بعد لفظة الادب لفظة خانه فصار قيم الأدب خانه ومن ذلك قولي

قال لي اهل اللطافة　　لم لا تهوى الكنافة

قلت لا اصبو لشيءٍ　　فيهِ للآكل آفه

وهنا انتهى جوادُ القلم الى غاية الكتابه . واشتهى ان يدخل في ميدان المنطق فنفتح لهٔ ابوابه . فجال فيهِ وقال

﴿ مطلب تعلقات علم المنطق ﴾

اعلم ان الشاعر كما يحتاج للعلوم التي تقدمت فكذلك يحتاج الى المنطق . وهو علم باصول تعصم مراعاتها الذهن من الخطاءِ في الفكر فهو يمنع خطأَ الافكار والاذهان كما يمنع النحو من خطاءِ اللسان ومباحثهُ خمسة الجنس . والنوع . والفصل . والعرض العام . والخاصة . وبيان احتياج الشاعر اليهِ انهٔ لو لم يكن عنده المنطق فكيف يتأتى لهٔ ان ينظم او يفهم مثل قول بعضهم

مَا لِلْمِثَالِ الذي لازال مشتهرا　　للمنطقيين في الشرطيّ تسديدُ

اما رأوا وَجه من اهوى وطرتهُ　　الشمس طالعة والليل موجودُ

وذلك متوقف على مقدمات وهو ان البرهان عندهم ويقال لهُ الحجة لابد ان يكون مركبًا من القضايا جمع قضية وهي الخبر المحتمل للصدق والكذب ثم القضية عندهم تنقسم الى صغرى . وكبرى . وحملية وشرطية . والحملية شخصية . ومهملة وكلية وجزئية . وكلها سالبة وموجبة . فالقضية الصغرى ما كان فيها الموضوع والكبرى ما كان فيها المحمول وما كان مكرراً فيها يسمى الحد الاوسط فالموضوع هو المحكوم عليهِ سمي موضوعاً لانهُ وضع لان يحكم عليهِ والمحمول هو المحكوم بهِ على الموضوع واهل المعاني يعبرون عن الموضوع والمحمول بالمسند اليهِ والمسند والنحاة يعبرون عنهما بالعامل والمعمول وذلك كقولنا كل انسان حيوان فالانسان موضوع هذه القضية لانهُ المحكوم عليهِ بالحيوانية والحيوان هو المحمول لاننا حملناه على الموضوع وهو الانسان فاذا قلنا بعد ذلك وكل حيوان متحرك فالحيوان

ايضاً موضوع القضية الثانية والمتحرك محمولها وما احتو ياعليه من المكرر وهو الحيوان هو الحد الوسط وهم يحذفونهٔ بعد تركيب القضايا وما بقي منها بعد حذفهِ يسمونهٔ بالنتيجة وفي مثالنا تكون كل انسان متحرك لاننا حذفنا المكرر وهو الحيوان فكانت النتيجة ما ذكرنا ثم اذا ركبوا قضيتين انقسمتا بحسب ترتيبهما في التركيب الى اشكال اربعة فان كان محمول الصغرى فيهِ موضوعاً للكبرى سموه الشكل الاول كقولنا كل جسم مؤلف وكل مؤلف محدث فهذا جعلوا فيهِ محمول الصغرى وهو المؤلف موضوعاً للكبرى وهو كل مؤلف . وان اتحدا محمولاً فهو الشكل الثاني كقولنا كل انسان حيوان ولا شيءَ من الحجر بحيوان . وان اتحدا موضوعاً فهو الشكل الثالث كقولنا كل انسان حيوان وكل انسان ناطق . والشكل الرابع هو عكس الشكل الاول وهو ان يقع فيهِ موضوع الصغرى محمولاً للكبرى كقولنا كل انسان حيوان وكل ناطق انسان وما عدا هذه الاشكال الاربعة غير منتج عندهم ويشترط لانتاج كل من هذه الاشكال شروط ذكروها في كتبهم وكل ما قدمناه من القضايا عندهم تسمى القضية فيهِ حملية وهي ما لم يذكر فيها اداة الشرط فان ذكرت فيها اداة الشرط فهي الشرطية كقولنا ما دام الليل موجوداً فالشمس غير طالعة اذا عرفت ما تقدم عرفت معنى قول الشاعر المتقدم

(ما للمثال الذي لا زال مشتهرًا) البيتين وان مراده تزييف هذا القياس الشرطي لانهُ يدّعي ان وجه حبيبه شمس وان طرتهُ وهي شعره النازل من راسهِ على جبينهِ ليل وقد اجتمعت الشمس والليل فكيف تقول المنطقيون ما دام الليل موجوداً فالشمس غير طالعة ومما يتعلق بالمنطق قولهُ

لحاظك اسياف ذكور فمالها كما زعموا مثل الارامل تغزل
وما بال برهان العذار مسلمًا ويلزمهُ دور وفيهِ تسلسل

المراد ببرهان العذار ما تقروءه العشاق من حروفه وكان مسلّمًا لانها سلمتهُ قيادها والبرهان هو الحجة وايضاحها ونونهُ زائدة لانهُ مشتق من البرهرهة وهي البيضاء من الجواري كما اشتق السلطان من السليط وهي الاضاءة وعلى هذا فلا يقال برهن الرجل وانما يقال ابره اذا اتى بالبرهان كما قالهُ في المصباح وقد اقتصر الجوهري على ان النون فيهِ اصلية والزمخشري على انها زائدة وذكر الازهري القولين فقال في باب الثلاثي النون زائدة وقولهم برهن فلان مولد وقال في الرباعي برهن اذا اتى بحجته فالشاعر يقول كيف سلمتم برهان العذار وفيهِ الدور والتسلسل وكلاهما محال وقد اراد بالدور

دوران العذار على الخدين وبالتسلسل التجعد يقال شعر مسلسل اي جعد والجعد خلاف السبط المسترسل لان الجعد ما فيهِ التواء واما الدور عند المناطقة فهو توقف وجود الشيء على نفسهِ اما بمرتبة او بمراتب فاذا فرض ان زيدًا اوجد عمرو وعمرًا اوجده زيد اوان زيدًا اوجده عمرو وعمرًا اوجده بكرٌ وبكرًا اوجده زيدٌ سمي ذلك دورًا لان الحكم فيهِ بالايجاد دار الى زيد في الاول بمرتبة وفي الثاني بمرتبتين فان كان وجود بكر يتوقف على آخر غير زيد المذكور والآخر يتوقف على آخر وهلمّ جرا الى ما لانهاية لهُ فهو التسلسل وهو محال ايضًا لانه يقتضي دخول ما لا حصر لهُ في الوجود والحال ان الداخل في الوجود محصور ومثل ذلك قول الآخر

مسألةُ الدور جرت ... بيني وبين من احب

لولا مشيبي مــا جفا ... لولا جفاه لم اشب

معناه ان جفاه متوقف وجوده على مشيبي ومشيبي توقف وجوده على جفاه فوجد الدور والجواب ان هذا الدور يقال لهُ دور معيٌ لان الجفا والشيب وجدا معًا والدور المعيّ ليس من المحالات ومثلهُ قول الآخر

علّة شيبي قبل إبّانه ... هجر حبيبي في المقال الصحيح

ويجعل العلة في هجره ... شيبي وفي ذلك دور صحيح

ومما يتعلق بالمنطق ما ذكر الشهاب الخفاجي في سوانحهِ وهو عند اهل البديع نوع منهُ يسمى بالمغالطة وعند المناطقة يسمى بالسَفسطة لان الحجة عندهم تنقسم خمسة اقسام وهي البرهان . والجدل . والخطابة . والشعر . والسفسطة . وقد مثلوا لذلك بقول ابن الرومي

احل العراقيّ النبيذ وشربه ... وقال حرامان المدامة والسكر

وقال الحجازيّ الشرابان واحد ... فحلت لنا بين اختلافهما الخمر

والمعنى ان العراقي وهو ابو حيفة احل النبيذ مالم يسكر وحرّم الخمر مطلقًا والشافعي وهو الحجازي حرّم النبيذ فقال النبيذ كالخمر في الحرمة كثيره وقليلهُ حرام فاخذ الشاعر قول ابي حيفة في حل النبيذ واخذ بقول الشافعي ان النبيذ كالخمر وركب من ذلك قياسًا منطقيًا من الشكل الاول وهو قولهُ الخمر كالنبيذ والنبيذ حلال فانتج الخمر حلال وهذا مغالطة لان ابا حنيفة قال بحلّ النبيذ اذا لم يسكر والشافعي قال النبيذ

كالخمر في الحرمة لا في الحل فارتكب الشاعر المغالطة (قلتُ) ومثل ذلك في المغالطة ما كتب بهِ الصلاح الصفدي للامام السبكي فقال

مقدمتان سلمتا يقينا ولكن انجبا ما لا يصيرُ
تقول البدر في فلك صغير وذلك في كبير يستديرُ
فيلزم ان بدر التم ثاوٍ بمنزلة الكبير وذا الشزورُ
فاوضح ماتقاعس عنهُ فهمي فانت بحلهِ طب خبيرُ

فاجابهُ بقولهِ

مقدمتان شرطهما اتحادٌ بأوسط ان يفت فات السرور
وهذا منهُ فالانتاج عقمٌ واعقبهُ عن التصديق زور
وذلك ان قولك في صغيرٍ هو المحمول ليس هو الصغير

وحاصل الجواب انهم اشترطوا في الحد الاوسط وهو المكرر الاتحاد لينتج صادقًا وإلاَّ كان عقيماً وهنا لم يتحد لان حدهُ الوسط هو قولنا في فلك صغير فكان القياس ان يقول وفي فلك صغير في فلك كبير وهو تركيب فاسد من مناجاة المغالطة ولنا في هذا المعنى

توقَّ اناساً بات باب ودادهم لنا مرتجًا والِمْ بهم غير مرتجي
فمنطقهم عذب قضاياه لفقت من الكذب يلفى شكلها غيرَ منتجِ

ومما يتعلق بالمنطق قول العز الموصلي

رشاءٌ لرسم الحسن لامٌ بخده يعرّفها بالعارض الطيّب الشمّ
فأنباعن المحبوب بعض لوازم وهذا هو الحد الملقّب بالرسمِ

ذكر فيهِ الرسم والحد والتعريف لكن مراده بالرسم الخط و بالحد الحاجز بين الشيئين و بالتعريف التطيب من العَرف فالمعرّف عند المناطقة هو الموصّل للمجهول التصوري بما تكون معرفته سبباً لمعرفتهِ و ينقسم عندهم قسمين قسم يسمونهُ الحد وهو ان كان بالجنس والفصل القريبين كان حداً تاماً كتعريف الانسان بالحيوان الناطق او بالفصل القريب وحدهُ كتعريف الانسان بالناطق فقط او بهِ و بالجنس البعيد كتعريف الانسان بالجسم الناطق كان حداً ناقصاً وقسم يسمونهُ رسماً وهو ان كان بالجنس القريب والخاصة سمي رسماً تاماً كتعريف الانسان بالحيوان الضاحك وإن كان بالخاصة وحدها كتعريف الانسان بالضاحك او بها مع الجنس البعيد كتعريفهِ بالجسم الضاحك سمي رسماً ناقصاً ولم يعتبرا المتقدمون التعريف بالعرض

العام وحده او مع غيره كتعريف الانسان بالمتنفس او بالجسم المتنفس وخالفهم محققو المتأخرين قالوا لان التعريف بالعرض العام يفيد التمييز العرضي في الجملة وشرطوا في المعرف للشيء ان يكون مساويًا لهُ ما صدقا اي يصدق كل منهما على ما يصدق عليهِ الآخر وان يكون اجلى منهُ واوضح فيمتنع ان يكون اعم منهُ او اخص او مباينًا لهُ او مساويًا لكنهُ اخفى منهُ لكن اجاز المتقدمون في التعريف الناقص حدًّا كان او رسمًا ان يكون اعم او اخص بناء على اكتفائهم بافادة المعرّف التصور بوجهٍ ما وهو الصواب عند المحققين كما ذكره ابن عبد الحق في شرح النقاية واجاز بعضهم في التعريف اللفظي ان يكون اعم او اخص لانهُ بهِ تتعين صورة من بين سائر الصور ومثل البيتين المتقدمين قول ابن الوردي في مليح رسّام

موضوع محمول غرامي على رسّامكم انتج لي سهدي

انظر عذاريهِ واجفانهُ تفرق بين الرسم والحدِّ

ومن المنطق قول بعضهم

سلب القوى مني بايجاب الصبا فاعجب لجمع السلب والايجاب

مراده بالسلب الاخذ و بالايجاب الابرام من قولك اوجبت البيع اذا امضيتهُ والزمت بهِ غيرك والسلب عند المناطقة هو رفع الحكم كقولهِ زيد لم يقم والايجاب اثبات الحكم كقولهِ زيد قام فالحكم اما ان يكون مسلوبًا او موجبًا ولا يتأتى الجمع بين السلب والايجاب فلذلك قال فاعجب لجمع السلب والايجاب وقد عرفت مقصوده ومن عرف السبب انتفى عنهُ العجب ومن المنطق قولهُ

قلت لما سمعت منهُ حديثًا عرضٌ ذا الكلام وهو جواهر

دار وجدي مع العذار وجودا وانعداما برغم كل مناظر

فتحققت انهُ علة الوجـــ ـد فمالي اراه وهو الدائر

وفي ابيات هذا الشاعر شيئان عجيبان عند المناطقة الاول كون الشيء الواحد عرضًا وجوهرًا لان العالم كلهُ عندهم اما جوهر وهو ما قام بنفسهِ او عرض وهو ما قام بغيره وقد حصروا جملة الاعراض في مقولاتٍ تسع جمعها الشاعر في قولهِ

زيد الطويل الأزرق ابن مالك في بيتهِ بالامس كان متكي

في كفهِ غصن لواه فالتوى فهذه عشر مقولات سوى

قلت ذكر انها عشرة لانهُ ذكر معها الجوهر وهو زيد في. اول بيت وثاني العجيبين

اللذين ذكرهما الشاعر كون الشيء علة لشيء ومعلولاً له وذلك لانه جعل عذار محبوبه علة وجده واذا كان علة الوجد يكون الوجد دائراً معه وجوداً وعدماً دوران المعلول مع العلة فكيف كانت العلة وهي العذار دائرة مع المعلول وانعكس الحكم ومراده بدوران العذار احاطته بعارض محبوبه ومن المنطق قول ابن نباتة

تركت الهوى في حبه متفلسفاً فاصبح عشقي قائلاً بكمونه
وعاينت في خده خط عذاره فاقسمت في صحف الجمال بنونه

قوله فاصبح عشقي قائلاً بكمونه فيه اشارة الى مذهب الفلاسفة لانه اشار اليه بقوله متفلسفاً ومذهبهم زعمهم ان الاعراض كانت كامنة في الجوهر فهم قائلون بكمون الاعراض ولا يخفى ان الوجد من الاعراض فلما كتمه كمن في جوهر ذاته وهذا الكتم لا يقال له كمون عند المناطقة لان الكامن عندهم ما لا يظهر اصلاً والوجد اذا كتمه صاحبه خفي لكن عن غيره لا عنه هو فلم يكن كامناً وانما هو متوار واهل السنة عندهم القول بالكمون باطل وان العرض لا يبقى زمانين وابطلوا دعوى الكمون بانه لو وجد للزم منه اجتماع الضدين في محل واحد كالصحة والمرض . والموت والحياة وهو باطل ويقال لهم ايضاً انكم لم تدعوا الكمون الا لدعواكم قدم العالم فلو كانت الجواهر قديمة وكانت الاعراض كامنة فيها لزم من قولكم ان كمونها قديم ووجب دوام كمونها لان ما ثبت قدمه . استحال عدمه فكيف انعدم الكمون القديم بالظهور المشاهد ومن المنطق قولي

مذ حل تحت روان كالسفين على نغلين اشبه كل منهما فيلا
انشدت والناس مذ انشدت تسمعني سبحان من صير الموضوع محمولا

وقلت ايضاً

تركت من اجلك البرايا فبت القي عليك كلي
والكل ان لم يكن لجزئي في وقت ضيقي فات كلي

في البيت الثاني الكل والكلي والجزئي وفي قافية التورية لا يصح ان يكتب فانت كن لي والكلي عند المناطقة هو الحكم على كل فرد من افراد العالم والكل هو الحكم على بعض افراد ذلك العالم . مثال الاول كل انسان ناطق اي كل فرد منه محكوم عليه بالنطق . ومثال الثاني كل رجال البلد يحملون الصخرة تريد بعض الرجال لان فيهم من لا يقدر على حملها فحكمت على المجموع لا على الجميع فان حكمت على الجزء فقلت زيد يحمل الصخرة فهذا هو الجزئي . ومما يتعلق بالمنطق قول بعضهم

تعس القياسُ فللغرام قضيةٌ ليست على حكم الحجا تنقادُ
منها بقاء الشوق وهو بزعمهم عرضٌ وتفنى دونه الاجسادُ

مرادهُ تزييف المناطقة لان عندهم العرض لا يبقى زمانين وان الذي يبقى هو الجوهر وهذا الشاعر يقول قد وجدت عكس ذلك وهو فناء ما وصفوهُ بالبقاء وهو جسمي وبقاء ما وصفوهُ بالفناء وهو وجدي . ومن ذلك ما تسميهِ اهل البديع بالمذهب الكلامي وهو الإتيان بحجّةٍ مستلزمة للمطلوب ومنهُ قولي

قلتُ لذي لحيةٍ تمادت تميسُ بالريح ايَّ ميْسِ
لو كان للحية اعتبارٌ ما خلقت لحيةٌ لِتيسِ

وهنا انتهى الكلام على المنطق

❋ مطلب تعلقات علم الهندسة ❋

ومما يحتاج اليهِ الشاعر علم الهندسة وهو علمٌ يعرف بهِ خواص المقادير الخط والسطح والجسم ولواحقها واوضاعها وفائدتهُ معرفة كمية مقادير الاشياء وقد جمع شيخنا الشيخ احمد السناني الدمياطي رحمهُ الله مباحث هذا العلم في ابيات من نظمهِ فقال

جسمٌ وسطحٌ وخطٌ جوهرٌ فردا كلٌّ تركّب مما بعده وجدا
فالجسم ما يقبل التقسيم منهُ الى طولٍ وعرضٍ وعمقٍ حسبما وردا
والسطح يقبلها مما عدا عُمُقًا والخطُّ طولاً فقط والجوهر انفردا

وقد نقل الشهاب الخفاجي عن بعضهم ان علم الهندسة مشار اليهِ في كتاب الله تعالى بقولهِ إنطلقوا الى ظلٍّ ذي ثلاث شُعَبٍ لأَن هذه الاشارة الى شكل من اشكال خطوط علم الهندسة وهو الشكل المثلث وهذا الشكل ظلهُ لا ظليل ولا يغني من اللهب ومن ذلك قول بعض البلغاء في مليح مهندس

محيطٌ بأَشكال الملاحة وجههُ كأَنَّ بهِ أُقليدِسًا يتحدّثُ
فعارِضهُ خطٌّ استواء وخالهُ بهِ نقطةٌ والشكل شكل مثلثُ

اي ان عذاره شكل مثلث والمثلث ما تركب من ثلاثة خطوط متساوية وللشيخ سعد الدين بن الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سرّه في ذلك

دبَّ العذار بعارضيهِ وانني لَأُحِبُّ ديباج الخدود بسُنْدُسِ
أَرأَيت خطًّا لا انتهاء لحسنهِ ولقد تحيَّر فيهِ كلُّ مهندسِ

وقال آخر مما يتعلق بعلم الهندسة

محبتي لا تنتهي　　لعلة تبطلها
كانها دائرة　　آخرها اولها

ومن الغايات في البلاغة قول بعضهم

برهنَ أُوقليدِسُ في فنهِ　　وقال في النقطة لاتنقسم
ولي حبيبٌ فمهُ نقطةٌ　　موهومة تُقْسَم اذ يَبْتسِم

واُوقلدس من اكابر الحكماء وهومخترع هذا الفن . يقول هذا المحب ان ذلك الحكيم نصب الادلة على ان النقطة لاتنقسم واعظم الأدلة عندهم على وجودها وعدم انقسامها الكرة لانها اذا كانت كرة ووضعت على مكان مستوي الأجزاء في انبساطهِ فانها لا تستقر عليهِ وذلك لانها تلاقيهِ بجزء لاينقسم لانهُ لو انقسم لاستقرت وما انتقلت وقد قلت مما يتعلق بعلم الهندسة

قد قال لي من دار في خدّهِ　　عذاره ذو البهجة الظاهره
في سطح خدّي من عذار بدا　　خطٌ وخالي نقطة الدائره

وقلت ايضاً

انا كالبلكار نصفي　　ثابتٌ والنصف دائر
ففؤادي عندكم وال　　جسم في البلدان سائر

والبلكار من آلات الهندسة معروفة ولم يقع في شعر قديم ولكن قال الدينوري انهُ معرب فلكار فعلى هذا تكون العرب عربتهُ واستعملتهُ والعامة تقول لهُ البيكار وعلى هذا المقدار نكتفي من علم الهندسة

﴿ مطلب تعلقات علم النجوم ﴾

ونشرع في علم احكام النجوم وما يتبعهُ من الميقات لانه مما يحتاجه الشاعر . فعلم احكام النجوم علم باصول يعرف بها الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية وفائدتهُ العمل بما ظهر بالاستدلال وقد اشير الى هذا العلم في كتاب الله تعالى فقد رأيت العلامة الشيخ اسماعيل النابلسي والد استاذنا الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره ذكر في شرحه الذي شرح بهِ الدرر ان بعض المفسرين قال في قولهِ تعالى ولقد زينا السمآء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين . ان المراد بالشياطين من ينظرون

في النجوم وإن قوله رجوماً جمع رجمٍ وهو الظن بلا دليل ولا برهان ومنهُ قوله تعالى رجماً بالغيب ويكون المعنى وجعلنا تلك المصابيح وهي النجوم ظنوناً للشياطين (قلتُ) ويكون الحق تعالى سمّاهم شياطين على هذا التفسير لانهم شاركوا الشياطين في تطلبهم الاطلاع على المغيبات (قلتُ) وما احسن ما قال بعضهم

أحُسّاب النجوم احلتمونا على علمٍ ادقّ من الهبآء
كنوز الارض قد خفيت عليكم فكيف عَلِمتمُ ما في السمآء

وقال منصور بن الفقيه

من كان يخشى زحلاً او كان يرجو المشتري
فانني منهُ وإن كان ابي الادنى بري

وقال آخر

تدبّرَ في النجوم وليس يدري وربُّ النجم يفعل ما يشاء

واتفق ان هارون الرشيد مرض فاتي بمنجم فأخذ المنجم لهُ تقويماً فرآهُ هارون وقد تغير وجههُ فقال لهُ ما بالك تغيرت اصدقني بما ظهر لك ولك الامان مني فقال ظهر انهُ لم يبق لأمير المؤمنين غير ايام قليلة فاضطرب هارون غاية الاضطراب فدخل عليهِ جعفر البرمكي وهو في تلك الحالة فاستدعى جعفرُ المنجمَ وقال كم عمرت من العمر قال ثلاثين سنة فقال لهُ خذ لنفسك تقويماً وانظر كم بقي من عمرك فأخذ التقويم ثم قال لهُ بقي من عمري ثلاث وثلاثون سنة فقال جعفر يا أمير المؤمنين مر بقتلهِ في هذه الساعة فامر هارون بقتلهِ فلما قتل قال جعفر يا أمير المؤمنين لو كان صادقاً لصدق في امر نفسهِ فانبسط هارون وكأنما نشط من عقال وعاش بعدها مدة طويلة وعد الناس هذه لجعفر من اعظم الفطنة والذكاء . ومن النوادر ان منجماً صلب فمر عليهِ بعض اصحابه فقال لهُ اما كان يظهر لك انك تصلب فقال كان يظهر لي انني ارتفع ولكن ما علمت ان ارتفاعي يكون على خشبة . واعلم ان الفلك هو مدار النجوم من السمآء وعندهم الافلاك تسعة منها سبعة للكواكب السيارة والثامن الكرسي وهو فلك النجوم الثوابت ويقال لهُ الفلك المكوكب والتاسع وهو العرش ويسمى الفلك الاطلس من الطلسة وهي الظلمة او من قولك ذئبٌ اطلس وهو ما لا شعر لهُ قيل للعرش اطلس لخلوهِ من الكواكب ثم افلاك السماوات السبع لكل منها كوكب من الكواكب السبعة السيارة فزحل للاولى . والمشتري للثانية . والمريخ للثالثة . والشمس للرابعة . والزهرة للخامسة .

وعطارد للسادسة . والقمر للسابعة . وقد نظمها بعضهم في بيت على هذا الترتيب فقال

زحل شرى مِرّيخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الاقمارُ

ثم لهذه الكواكب في الافلاك ابراج وهي اثناعشر برجًا فبعضها له منها برج والبعض له برجان مثل المريخ له الحمل والعقرب وزحل له الدلو والجدي والقمر له السرطان والحوت وهذه البروج منقسمة الى نارية وترابية وهوائية ومائية . والى صيفية وخريفية وربيعية وشتوية . والى شمالية وجنوبية ومرتفعة وهابطة . وسعيدة ونحسة . وقد جمعها بعضهم فقال

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدي نزح الدلو بركة الحيتان

ثم منازل القمر ثمان وعشرون منزلة يحل كل يوم من الشهر منها منزلة ويستتر ليلة تسع وعشرين وليلة ثلاثين ان كان الشهر كاملاً والله اعلم . واعلم ان من اعتقد تاثير الكواكب في شيء ما بطبعها فهو كافر اجماعًا واختلف في كفر من اعتقد تاثيرها بقوة اودعها الله فيها واما من يراها من الاسباب العادية التي يخلق الله عندها الاشياء لا بها وان العادة قد تختلف بان تجري العادة بان قران هذا الكوكب بذاك الكوكب يخلق الله عنده من الحوادث كذا وقد لا يخلق فهذا موءمن بالله حقًا . واعلم ان الكواكب السيارة عندهم منقسمة الى سعد ونحس وممتزج وقد ذكروا ذلك في بيتين وهما قول بعضهم

شمس نقمر والمريخ يطلبة عطارد يشتري من زهرة زحلا

سعد وسعد ونحس ثم ممتزج سعد وسعد ونحس حسبا وجلا

اشار الى ان الشمس والقمر والمشتري والزهرة كواكب السعد . والمريخ وزحل كوكبا النحس . وعطارد سعد ممتزج ولكل نجم من السبعة شرف في المنازل فشرف زحل في احدى وعشرين درجة من الميزان . وشرف المشتري في اربع عشرة درجة من السرطان والمريخ في ثمان وعشرين درجة من الجدي . والشمس في تسع عشرة من الحمل . والزهرة في سبع وعشرين من الحوت . وعطارد في عشرين من السنبلة . والقمر في الدرجة الثالثة من الثور . وللشمس والقمر اسماء عند العرب كثيرة (فمن اسماء الشمس) الجارية . والمهاة . والبيضاء . والغزالة . والسراج والشرْقُ بالتسكين والتحريك . وذُكاء وبراح كقطام . وبُوح بالباء الموحدة وبالياء المثناة . ويُوحَى . والعين . والعُجوز والبُتَيْراء .

والصقعاء . والفحج بالكسر (ومن اسماء القمر) الباهر لانهُ يبهر النجوم بضوئهِ والأبرص . والزَمْهَرير . ومنهُ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً على بعض التفاسير ومن الشواهد على ذلك قول الاعرابي

وليلةٍ ظلامها قد اعتكر سهرتها والزمهرير ما زهر

اي ما ابيض جرمه . ومن اسمآئهِ الزِبْرِقان . والسِنِمَّار . والطَوْس . والو باص كشداد . وابن ملاط ككتاب . وسمي القمر ليلة ابداره بدراً لانهُ يبادر الشمس في الطلوع . وسمي الكوكب السابع زحلاً من قولهم زَحل البعير اذا ابطأ في مشيهِ وذلك لبطوئه في سيره لانهُ يقطع الفلك كل ثلاث وثلاثين سنة مرة واحدة وهذه المسافة يقطعها القمر في شهر . وسمي الكوكب السادس المشتري لانهُ اشترى الحسن لنفسهِ قيل لبعض المنجمين ما الدليل على سعد المشتري فقال حسنه . وسمي الكوكب الخامس مريخاً من المَرْخ وهو شجر يوري ناراً وذلك لان لون المريخ احمر كانهُ يوري ناراً والمرخ والعفار شجرتان اذا حك غصن من احداها في غصن من الاخرى وهما اخضران خرجت منهما نار وهما المشار اليهما بقولهِ تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا انتم منهُ توقدون

وقد اتفق لي من التورية بالمرخ فقلت

وقائلة لمّا رأتنيَ عاجزاً متى صار ذاك النسر في الضعف كالفرخِ
فقلت لها والله من عهد ماذوى عَفار الصبا المُخْضَلّ من ذلك المرخِ (نخي)

وفي المعنى قولي

قالت الغادة التي منحتني زورة والوشاة عنا نيام
كيف بالله ذلك الشيء امسى كل ليل سهرت فيهِ ينام
قلت لا تجرحيهِ بالقول قالت ما لجرح بميّت ايلام

وسميت الشمس شمساً لانها كالشمسة اذ هي بين ثلاثة كواكب علوية وهي زحل . والمشتري . والمريخ . وثلاثة سفلية وهي الزهرة . وعطارد . والقمر . وسميت الزهرة زُهَرَة بفتح الهاء من الزاهر وهو الابيض . وسمي القمر قمراً اما من القمرة وهي البياض او من القمار كما تقدم . ولهذه الكواكب السيارة اسماء اعجمية نظمها الشاعر في قولهِ

لا زلت تنقى وترقى للعلا ابدا ما دام للسبعة الأفلاك إحكامُ
مِهرٌ وماهٌ وكيوانٌ وتير معاً وهِرمسٌ وانـاهيـدٌ وبهرامُ

فمهر بلغة الفرس اسم للشمس . وماه اسم للقمر . وكيوان اسم زحل . وتير المشتري

وبسمى ايضاً ببرجيس . وهرمس اسم عطارد . وإناهيد الزهرة . وتسمى ايضاً بيداخت .
وبهرام هو المريخ . وقلتُ من التورية باسماء البروج

امسى يبالغ في الصدود وفي الجفا   يا ليتهُ تبع التوسُّط واقتصد
لدغت عذولي الثورَ عقربُ صُدغهِ   ورَمى بقوس جبينهِ قلبَ الأسد

وفي البيت الاول التورية في قولي واقتصد لانك اذا فصلت التاء عن الصاد صار وقت صَدّ اي وقت صدوده وقد رشحت لهذه التورية بقولي قبل ذلك يبالغ في الصدود ويصح ان يراد واقتصد من الاقتصاد وهو التوسط في الامور وقد رشحت لهذا المعنى بقولي تبع التوسط وقلت ايضاً

لقد اسبلت شعرها فوقها   فقبّل من كعبها أسفلَه
وزاد لهيب غرامي لدَى   حلولِ الغزالة في السنبله

تقدم ان من اسماء الشمس الغزالة وقد شبهت شعرها بسنبلة الزرع والسنبلة من بروج الشمس ايضاً واذا حلت الشمس السنبلة كانت اشد ما تكون في الصيف حرارة ولذا قلت وزاد لهيب غرامي عند حلولها في السنبلة ولابي الفتح البستي

وقد تدني الملوكُ لدى رضاها   وتبعد حين تحتقد احتقادا
كما المريخ في التثليث يعطي   وفي التربيع يسلب ما اعادا

وقال

وقد يَفسُد المرءُ بعد الصلاحِ   فسادَ الأماكن والشرُّ يُعدي
كما يقبل النجمُ طبعَ البروجِ   اذا كان في موضعٍ غيرِ سعدِ

وقلت

مُهفهَفٌ عقربُ اصداغهِ   قد حلّ في بدر محيّاهُ
فاعجب لشيءٍ ما رأت مثلهُ   عين امرءٍ عمر دنياهُ

وذلك لان القمر هو الذي يحل في العقرب وهذا المليح حل عقرب عذاره في قمر وجهه وهو امر عجيب وقلت

لما بدى العارض في خده   لنا سمعنا هاتفاً مطربا
لا ترحلوا فالبدر من وجهه   قد حل من اصداغه العقربا

المراد لا تنتقلوا عن محبتهِ لان بدر وجهه حل في عقرب عذاره . فالنقلة والحالة هذه غير محمودة فمن المأثور عن الامام علي رضي الله عنهُ قولهُ لا ترحلوا اذا حل القمر

في العقرب وأهل النجوم ينهون عن السفر وعن تعاطي كل شيء كالتجارة والعمارة وطلب الحاجة وغير ذلك ما دام القمر في العقرب وهو يمكث فيهِ كل شهر يومين وثلث يوم ومعرفة ذلك متوقفة على معرفة برج الشمس دائمًا ومن اللطائف ان احد الملوك جهز جيشًا واراد ان يسير بهِ فدخل عليهِ منجم وقال لهُ امنع عسكرك عن المسير فقد حل القمر في العقرب فعظم ذلك على الملك والعسكر فبينما هم في تلك الحالة واذا غلام مليح من غلمان الملك قد دخل وهو متوشح بقوس فرآه بعض الادباء فتقدم الى الملك فقال ان رأى الملك ان يأمر عسكره بالمسير فعل ان شاء الله تعالى فقال لهُ الملك ان القمر في العقرب فقال ايها الملك انهُ قد حل في القوس فنظر الى الغلام فأعجب الملك منهُ ذلك وتفاءل بقولهِ وامر عسره بالمسير فسار فحصل لهُ الظفر ورجع سالمًا غانمًا ومثل ذلك ما حصل لابن مياده وكان لهُ غلام مليح يحبهُ فدخل عليهِ يومًا وفي يدهِ قوس فانشأ ابن مياده يقول

نهانيَ لما بدا عقرب على خده أن اروم السفرْ
فقلت وفي يدهِ قوسه اسيرُ ففي القوس حل القمرْ

ومن التورية بالمنازل قول بعضهم

بتُّ وبدر الدجى ضجيعي وهو موآتٍ بلا امتناعِ
فقلت للحاسدين موتوا اشرقتِ الشمس في الشعاعِ
القلب والطرف منزلاه وهو الى الآن في الذراعِ

ذكر في هذه الابيات ثلاث منازل وهي القلب . والطرف . والذراع

وقلت في ذلك

النجم في وجنتهِ نابتُ والبدرُ في جبهتهِ ثابتُ
وفي ظلام الليل من شعرهِ امسى يضل المهتدي القانتُ
ظبيٌ فلولا انهُ نافرٌ ما كان فينا يشمت الشامتُ

والشاهد في البيت الاول في قولي والبدر في جبهتهِ لان الجبهة احدى المنازل وفي البيت شبه مراعاة النظير وهو ذكر النجم مع البدر لان المراد بالنجم النبات الذي لا ساق لهُ واردت نبت العذار غير ان ذكره مع القمر يوهم ذكر النجم الفلكي ومما يتعلق بالنجوم قول ابن الرومي في ربيع الزمان

فتجلى عن كل ما يتمنى موضع الكد خداه والهيلاج

قال الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل الكد خداه والهيلاج كوكبا المولود الاول لرزقهِ والثاني لعمرهِ فان ولد في صعوده كان زائداً فيهِ وان كان في هبوطهِ كان بعكسه وهذا ما ذكره الحكماء والمنجمون وارباب المواليد وعربوه قديمًا اه ولابي العلاء المعري

لا تطلبن بغير حظٍّ رتبة　　　قلمُ البليغ بغير حظٍّ مغزلُ

سكنَ السِّماكان السماء كلاهما　　　هذا لهُ رمح وهذا اعزلُ

السِّماكان نجمان في السماء مثنى سِماك احدهما هيأتهُ كرجل معهُ رمح ويقال لهُ السماك الرامح والثاني كهيأة رجل بلا سلاح ويسمى السماك الاعزل والاعزل من لا سلاح معهُ ومن ذلك قول ابي العلاء ايضًا

قران المشتري زحلاً يرجّى　　　لإِيقاظ النواظر من كراها

يشير بهذا البيت الى حكم بعض القرآنات والتشكلات الفلكية وان حكم هذين الكوكبين اذا اقترنا ان يوقظا اهل الغفلة من نوم غفلتهم لما يتوارد عليهم من الحوادث ومنهُ قول المتنبي

فكنتُ كأنني فيهم سهيلٌ　　　طلعت بموت ابناء الزناء

(قلت) وموت اولاد الزناء بطلوع سهيل مما تنكره المنجمون ولا يعرفونهُ ولذلك اختلفت اقوال شارحي ديوانه في تفسير هذا البيت فمن احسن ما قيل فيهِ ان الهوام يُقال لها اولاد الزناء واذا طلع سهيل مات كثير منهم ومما قالهُ المنجمون ان نور القمر والنجوم مستفاد من نور الشمس وان القمر جسم اسود مصقول كانهُ المرآة فبمقابلة الشمس يزداد نوره حتى يعود بدرًا والى ذلك يشير صاحب البرأة بقولهِ في مدحهِ صلى الله عليهِ وسلم

فانهُ شمس فضل هم كواكبها　　　يظهرن انوارها للناس في الظلم

ثم قالوا ان البدر مع استفادتهِ النور من الشمس يحول بعض الاحيان بينها وبين الارض فيكسفها (قلتُ) ونظيره من الانسان اللئيم وذلك لان المعروف يستحيل عنده لؤمًا كما يستحيل الطعام النفيس في معدة الانسان المريض خبثًا ولذا ورد في الحديث اتقِ شر من احسنت اليهِ قال شراحه اي من اللئام لا من الكرام وانشدوا في ذلك

ارى الاحسان عند الحرّ دَينا　　　وعند النذل منقصةً وذمًّا

كغيثٍ بات في الاصداف درًّا　　　وفي بطن الافاعي صار سمًّا

وقلت في ذلك

رأيت الكرامَ اذا اصبحتْ نقوّي اللئام على ضعفها
كطيرٍ رمت ريشها السهامِ فطارت ومالت الى حتفها

ومن التشبيه البليغ قول عائشة الباعونية

كانما الخال تحت القرط في عنق بدا لنا من محيًا جل من خلقا
نجم بدا في عمود الصبح مستترًا تحت الثريا قريب الشمس فاحترقا

ولابن التلميذ

اشكو الى الله صاحبًا شكِسًا تحبّهُ النفس وهو يتلفها
فنحن كالشمس والهلالِ معًا تكسيهِ نورًا وهو يكسفها

ولابي الفتح البستي

فان يكسفونا على ضعفهم وفازت قداحهم بالظفر
فقد يكسف المرء من دونه كما يكسف الشمسَ ضوءُ القمر

وللارجاني مما يتعلق بالفلك قوله

أسعى اليكم في الحقيقة والذي قد صدَّ عنكم فهو سَيْرُ الدهر بي
انحوكمُ فيردّ وجهي القَهْقَرى عنكمُ فيسري مثل سير الكوكبِ
فالقصد نحو المشرق الاقصى لهُ والسَّير رأي العين نحو المغربِ

يقول ان قصده دائمًا في سيره الوصول الى احبابه وان الدهر يمشي بهِ الى غير مقصده وذلك كحالة الكوكب لان سيره من الجنوب الى الشمال والفلك الاعلى يسير بهِ من المشرق الى المغرب وذلك كراكب سفينة كبيرة يمشي على ظهرها من الجنوب الى الشمال وتسير هي بهِ من المشرق الى المغرب وقال آخر

الحمد لله كم اسعى بعزميَ في نيل العلا وقضاء الله ينكسهُ
كانني البدر يبغي الشرق والفلك الـ اعلى يعارض مسراه فيعكسهُ

ولابن نباتة

فهو كالشمس بُعدها يملأُ البد رَ وفي قربها مُحاق الهلال

(قلتُ) وذلك لانها في حالة بعدها نقابلهُ والمقابلة خير من المقاربة ولهذا اختير للمتعلم ان يجلس مقابلاً لمن يتلقى عنهُ ليستفيض من انواره استفاضة البدر من الشمس

وللوداعي قوله

اعيذ ظبيَ الترك بالرّوم ِ والصُّدغ َ مع فيهِ بحاميم ِ
فخدُّه المشرق قد صح في عذاره المعوجِّ تقويمي

جعل خدَّ حبيبه كوكبًا وعذاره آلة التقويم ووصفه بالمعوج لانهُ كالواو واللام كما تقدم ولبعضهم في عكس ذلك

يا عارضًا نفسهُ وعارِضهُ يضربُ دون الوصال بالحُجُبِ
جعلت منهُ لسلوتي سببًا يا هاجري قبل ذا بلا سببِ
فالْقَ بهِ قطعَ كلِّ ذي صلةٍ هذا كُسُوفٌ بعقدة الذنبِ

القطع والمقطوع عندهم عبارة عن مدة النحوسات وعندهم اذا كان الكسوف بعقدة الذنب كان نحسًا ومن ذلك قولي

إلتحى الامردُ الذيـ كان للعقل قد سلَبْ
قلتُ لما رأيت من فضةِ الخد ما ذهب
كان بدرًا وقد غدا نجم نحسٍ له ذَنَب

وقلت امدح كبيرًا قد سمح

لقد حوى مغنم الدنيا وجادبها فالأجر والشكر من دنياهُ مغنمهُ
وقد تسامت الى الافلاك همتهُ فالشمس ديناره والبدر درهمهُ

وقال بعضهم

انظر الى الروض النضيـ ـرِ فحسنهُ للعين قرّه
فكأن خضرتهُ السما ءُ ونهره فيها المجرّه

المجرة هي البياض المعروف في السماء والمعرة ما وراءها من جهة القطب الشمالي سميت معرة لكثرة نجومها لان اصل المعرة محل العرة وهي الجرب ولذا سموا السماء بالجرباء تشبيهًا لها بجلد الاجرب ولنجومها بالجرب . ومن اللطائف أن قتيبة ابن مسلم لما دخل سمر قند اعجبته فقال كانها السماء في الخضرة وكأن قصورها النجوم وكأن انهارها المجرة . ومثلهُ ما كتب بهِ ابن العميد وكان صبيا لبعض اصحابه يستهديهِ شرابًا وصورة ما كتب ياسيدي قد انتظمنا في سمط الثريا فان لم تحفظ علينا النظام . باهداء المدام . صرنا كبنات نعش والسلام . فوقعت الورقة في يد ابيهِ فدعا بهِ وقال يا بني قرت عيني بك فابشر بالوزارة ودفع اليهِ الف دينار (قلتُ وفي المعنى قول بعضهم

وكنا في اجتماع كالثريا　　فصيرنا الزمان بنات نعش

فالثريا نجوم مجتمعة والذي يظهر منها للناس سبعة انجم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد منها احد عشر نجماً وعكسها بنات نعش لانها نجوم متفرقة ولذا قال بعض البلغاء

تثرّوا في الشتاء اذا اجتمعتم　　وفي الصيف اجلسوا متنعشينا

اي كونوا في اجتماعكم في الشتاء كالثريا وفي الصيف كبنات نعش ولبعضهم

القبر اخفى سترة للبنات　　ودفنها يروي من المكرمات

اما رأيت الله جل اسمهُ　　قد وضع النعش بجنب البنات

ومما يتعلق بالفلك قول الارجاني

ودع التناهي في طلابك للعلى　　واقنع فلم ارَ مثل عز القانع

فبسابع الافلاك لم يحلل سوى　　زحل ومجرى الشمس وسط الرابع

اي اقتصد في طلب المعالي تكن كالشمس التي فلكها اوسط الافلاك ولا تكن كزحل الذي ارتقى لسابع الافلاك وهو نحس فلم يفده ارتفاعه شيئًا من السعد ومن هذا اخذ ابن الساعاتي يمدح عليا كرم الله وجهه بقوله

انظن تأخير الانام نقيصةً　　والنقص للاطراف لا الاشرافِ

او ما ترى ان الكواكب سبعة　　والشمس رابعة بغير خلافِ

ومن ذلك قول الطغرائي

وان علانيَ من دوني فلا عجب　　لي إُسوة بانحطاطِ الشمس عن زحلِ

ومنهُ قولي

ان لم اكن مقدّمًا　　فيكُمْ مع الرأي الأَسَدْ

فالثور في افلاكنا　　مقدمٌ على الأَسَدْ

ومن الغايات قول ابي عثمان الخالدي

ومُدامة صفراء في قارورةٍ　　زرقاء تحملها يدٌ بيضاء

فالراح شمسٌ والحباب كواكبٌ　　والكفُّ قطبٌ والإناء سماء

ومن التشبيه البليغ المتعلق بالفلك قول ابي العلاء المعري

وسهيلٌ كوجنة الحب في اللو　　نِ وقلبِ المحبِّ في الخفقانِ

وقلت وهو من الغايات

كأنما الفلك العالي بأنجمهِ والليلُ قد ظهرت منهُ دياجرهُ
بحرٌ طويلٌ عريضٌ غير مضطرب منكّسٌ ظهرت منهُ جواهرهُ

الغايات في قولي منكس لانهُ اذا كان كذلك ظهرت جواهره وهي نجومهُ المشبهة بالجواهر واحسن من ذلك قولي

كانما الشرقُ في إطلاع أنجمهِ والغربُ في اخذهِ منهُ الذي طلعا
شخصان ذا نفدت منهُ دراهمهُ وذاك يكنز ما في كيسهِ وقعا
والله عوّض ذا ما انفقت يده وضاع من ذلك المغرورِ ما جمعا

وقلت ايضاً

كأن الليل مع درر الدراري وقلب الصبح منهُ في اكنّه
جيوش الزنج قد حملوا سلاحًا فلاحت منهُ اطراف الاسنه

وقلت مضمنًا للبيت الذي سبق آنفًا

قال المنجم مذ رأى حسن الذي من حسنهِ قد زاغت الابصار
خال جبينٌ وجنة مع طلعة انف فم والوجه فيهِ عذار
زحل شرى مريخهُ من شمسهِ فتزاهرت لعطارد الاقمار

فيهِ تشبيه سبعة بسبعة وفيهِ التضمين وفيهِ اللف والنشر وفيهِ مراعاة النظير وفيهِ التلميح الى السواد الذي يرى في القمر بقولي والوجه فيهِ عذار وقلت

بأبي من زار وهو على هيأة الافلاكِ مشتملا
فأرتنا الشمسَ وجنتهُ وَأرانا خالُهُ زحلا

وقلت

تحققت ان حبيبي الغزالَ لمسك عذارٍ لهُ قد ظهر
ولكنني قلت ماذا العذارُ فقال السواد الذي في القمر

وقلت اهجو حاديا يحدو لجوار حسان من الرجز

عجبت من حاد ثقيل قدم يسوق غزلان النقا بعزم
سوقَ الرياحِ الموجَ فوق اليمّ كانهُ حادي قِلاص النجم

اي كانهُ الدبران وهو نجم نحس يسوق القلاص امام الثريا وهي نجوم عدتها عشرون نجماً تكون دائمًا امام الثريا وحاديها الدبران ذكر هذا ابن خالويه في شرح مقصورة

ابن دريد وانشد

اما ابن طوقٍ فقد وفّى بذمتهِ   كما وفى بقلاص النجم حاديها

وفي البيت شاهد لغوي وهو يقال وَفّى بالتشديد والتخفيف ومن النوادر ان الثريا كانت امرأة جميلة فزوجها والدها رجلاً من اكابر اهل اليمن اسمهُ سهيل فقال الشاعر في ذلك

ايها المنكح الثريا سهيلاً   عمرك الله كيف يجتمعانِ

هي شامية اذا ما استقلّت   وسهيل اذا استقلّ يماني

فانظر الى هذا الاتفاق العجيب الغريب ومما رايتهُ من الغرائب ان العرب تسمي سهيلاً هور ابن أُسيّه واغرب منهُ ما ذكره ابن السيد في شرح سقط الزند قال وفي الحديث اللهمّ ربّ هور ابن أُسيّه اعوذ بك من كل سبع وحيّه ذكره الخفاجي في السوانح وذكرته لغرابته . ومن الامثال مما يتعلق بالفلك قول بعضهم

ان الهلال اذا رأيت نموّه   ايقنت ان سيصير بدراً كاملا

وقال آخر

ان النجوم نجوم الليل اصغرها   في العين ابعدها في الجو اصعادا

وقال صاحب البرأة

كالشمس تظهر للعينين من بعد   صغيرة وتكلُّ الطرف من امم

وقال ابو الفتح البستي

وللنجم من بعد الرجوع استقامة   وللشمس من بعد الغروب طلوع

قوله وللنجم من بعد الرجوع اي من بعد رجوعه القهقرى كالمريخ فانهُ يرجع في شبه القهقرى ثم يستقيم في سيره ومن الامثال .

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل (ومنها) والشمس تنبيك [illegible]

ومنها

استغنت الشمس عن حُلْيٍ وعن حُلَلٍ   والشمس في كل برج ذات [illegible]

ومنها

لو زادت الشمس في ابراجها مائة   ما زاد ذلك [illegible]

ومنها (الشمس طالعة ان غيب القمر) ومنها

وفي السماء نجوم لا عداد لها   وليس يكسف الا الشمس والقمر

﴿ومنها﴾ كالشمس في كبد السماء محلها وشعاعها في سائر الآفاق
﴿ومنها﴾ اذا ورد الشتاء فانت شمس وان ورد الربيع فانت ظل
﴿ومنها﴾ الشمس نمامة والليل قواد
﴿ومنها﴾ وهبك كالشمس في حسن الم ترنا نفر منها اذا مالت الى الضرر
﴿ومنها﴾ وان صريح الحزم والرأي لامرىء اذا بلغته الشمس ان يتحولا
﴿ومنها﴾ الشمس تقبح في عيون الرمد (ومنها) وهل شمس تكون بلا شعاع

وقلت

اواه من جور الرقيب فانه داء عضال ليس منه شفاء
قتل الرقيب فكم يظل مراقبا شمس الجمال كانه الحرباء

وقلت

قلت لما بدت فغض عذولي طرفه واعتراه سوء ارتعاش
جلت الشمس ان تكون تراها وهي في البعد مقلة الخفاش

﴿ومنها﴾ والشمس لا ينبغي ان تدرك القمرا
﴿ومنها﴾ كالشمس يمتنع اجتلاؤه نورها فاذا اكتست برقيق غيم امكنا
﴿ومنها﴾ ما انت اول سار غره القمر
﴿ومنها﴾ وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان
﴿ومنها﴾ والكوكب النحس يسقي الارض احيانا
﴿ومنها﴾ وكنت الثريا حين عادت واشرقت امنا بها العاهات بعد حذارها

قالوا والمراد بالنجم الثريا لان بظهورها ينصلح الهواء الفاسد قيل رفع العاهات بظهورها عام وقيل يرتفع عن الزرع فيبدو صلاحه و يؤمن عليه الغوائل وقيل المراد بالنجم في الحديث الشعرى و بين طلوعها وطلوع الثريا شهران فطلوع الثريا في الخامس والعشرين من ايار

ومما يتفرع من علم النجوم ﴿علم الميقات﴾ وهو علم يعرف به ازمنة الليالي والايام واحوالها ومقاديرها وفائدته ايقاع العبادات في اوقاتها وقد قيل انه مشار اليه في كتاب الله تعالى بقوله تعالى رفيع الدرجات لان عدد رفيع ثلثمائة وستون وهي عدد درج الليل والنهار وهو من العلوم الشرعية التي لا يتم الواجب الا بها وقالوا من نظر في النجوم لغير الاهتداء او لغير معرفة اوقات العبادات فقد تعدى لان الله تعالى

لم يجعلها الا لهذين الشيئين قال تعالى و بالنجم هم يهتدون وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال تعالى ولتعلموا عدد السنين والحساب

ومما يتعلق بالميقات قول نصير الحمامي

رأيت فتىً يقول بشط مصر   على درج بدت والبعض غارق
اذا غطى لنا الدرج استقمنا   فقلت نعم وتنصلح الدقائق

وقلت من ذلك في مدح كبير

قم بنا نروِ من احاديث جدوا   هُ صحاحًا تواترت عن ثقاتِ
وأْت ساحاته ولوكان حبوًا   دائمًا سرمدًا بـلا ميقاتِ
وعِ واسمع دقائقًا منهُ تعلو   درجاتِ العلا مدا الساعات

وقلت ايضًا

رأيت جسمك راحًا   يشفُ عنها الجـامُ
ورقّ خصرك حتى   كانهُ البنكـامُ

والبنكام آلة من اوائل الميقات وهو بالباء الموحدة المفتوحة والنون الساكنة والكاف والميم بينهما الف لفظ يوناني وهو معروف عند الموقتين والعامة تبدل باءه ميماً وميمه باء فتقول المنكاب قال الخفاجي في شفاء الغليل ولم تذكره العرب في كلامها ومن ذلك قولي وهو من الغايات في التشبيه

لاح لي وسط حاجبٍ لك خالٌ   خلته وهو مدهش النظّارِ
فلكيًا من الهنـود تحرّى   في سنا الشمس نصف قوس النهار

وقلت ايضًا

ان اتقن الميقات في الدهر فلا   بدعَ وليست تنكر الخصائصُ
فوجهه مزولة خطوطها   عارضهُ والانف منهُ الشاخصُ

﴿ مطلب تعلقات علم الطب ﴾

ومما يحتاج اليهِ الشاعر علم الطب وهو علم يعرف بِهِ احوال بدن الانسان من صحة ومرض ومزاج واخلاط وغيرها مع معرفة اسبابها من الماكل والمشرب وغيرها وفائدته استعمال اسباب الصحة والاعلام بها وهو علم شريف شرعًا لان الاحاديث الواردة في الطب عنهُ صلى الله عليهِ وسلم تعرب عن كونهِ كان اعلم الناس بالطب وقد دونت تلك

الاحاديث لكثرتها وسموها بالطب النبوي وكانت زوجته عائشة رضي الله عنها اطب اهل زمانها ولأن الناس تحتاجه في كل وقت ولأن موضوعه جسد الانسان المكرم فثبت شرفه شرعاً وعقلاً وقد احتوت على جميع الطب آية من كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وحديث من كلامه صلى الله عليه وسلم وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء واصل كل داء البردة بفتح الباء والراء والدال وهي التخمة ومعناها ادخال طعام على طعام قبل انهضام الاول وقد افاد حجة الاسلام الغزالي في الاحياء ان ادخال الطعام على الطعام لايكون تخمة الا اذا كان بين الطعامين شراب فان لم يكن بينهما شراب كان الثاني ملحقاً بالاول وعُدّا طعاماً واحداً . واعلم ان استقامة الابدان وحفظ صحتها لايكون الا باصلاح اسباب تسعة ضرورية للانسان (الاول اصلاح الهواء) واصلاحه تعديله ان كان حاراً بالبارد وان كان بارداً بالحار وان كان يابساً بالرطوبة وان كان رطباً باليبوسة وان تفتح المنازل الشمالية عند فساده وان يدبر بما يناسب من التداخين مثل العنبر والعود والكندر وورق الطرفا أو ورق الريحان وعطر الصندل ورش الخل وغير ذلك وان يجلس الانسان وقت فساده في محل مرتفع او مستو لا في منخفض ولا في محل محبوس فيه الهواء فالحار من الهواء ضرره عام للناس الا مفلوجاً او متشنجا لانه يخف البدن و يصفر اللون و يعطش و يبلد الشهوة و يعفن الدم ويحمي القلب و يحدث الرعاف والحميات والنزف و يرخي البدن و يسيء الهضم فان كان الهواء باردا فاصلاحه بالحار . (الثاني اصلاح الغذاء) واصلاحه ان يكون ملائماً لمرض المريض ومزاج الصحيح . (الثالث اصلاح الشراب) واصلاحه ما يصلح به المأكول . (والرابع . والخامس) الحركة والسكون فالحركة تسميها الحكماء بالرياضة واصلاحها من اقوى الاسباب في منع تولد الفضلات الباقية بعد كل هضم من الهضوم الاربعة فان الغذاء يبقى منه بعد كل هضم فضلة فاذا تركت كثرت وتولد منها فضلات ضارة بالبدن وان استفرغت بالادوية تأذى بها البدن لان اكثرها سمية فلا بد من شيء يمنع تولدها واقوى الاشياء في ذلك الحركة لانها تسخن الاعضاء وتسيل فضلاتها وتورث الخفة والنشاط وتمنع جميع الامراض المادية واكثر المزاجية كالبارد او الرطب او البارد والرطب . (السادس . والسابع) النوم واليقظة فاليقظة بالحركة اشبه والنوم بالسكون اشبه واصلاح النوم ان يكون ليلاً و بعد هضم الطعام ودخول الخلاء للتخلي من الغائط والبول وان يكون النوم معتدلاً بين الكثير والقليل لان كلاً منهما مضر

والنوم في النهار مكروه طبًا لمن لم يعتده وواجب طبا لمن اعتاده كما قاله ابن سينا نعم ان اراد تركه تركه بالتدريج لادفعة .(والثامن. والتاسع)الاستفراغ والاحتباس فيجب على من اراد حفظ الصحة ان يلين الطبيعة اذا احتبست ويحبسها اذا لانت. وقيل ان الطب معرفة الداء والدواء فمعرفة الداء تكون في احد اشياء ثلاثة وهي النظر في السحنة واعتبار النبض والنظر في قارورة المريض واعلاها معرفة النظر من السحنة واوسطها معرفته من النبض وادناها معرفته من القارورة ولكل من المذكورات علامات تدل على المرض يضيق هذا الكتاب عن استيعابها .ومعرفة مفردات الادوية منها ما عرف من جهة الانبياء بتعريف الحق تعالى ومنها ما عرف بالتجربة . واعلم ان النفوس تكره الدواء وذلك لانها مجبولة على بغض ما فيه النفع لها وحب ما يضرها ولذلك امرنا بمخالفتها وجهادها حتى تألف ما ينفعها ولذلك قيل لبعض العارفين متى تجد النفس فقال اذا صار داؤها دواءها مراده اذا جاهدها العبد حتى صار البغيض اليها حبيبًا بان تتلذذ بالبلاء كما يتلذذ غيرها بالعافية فعند ذلك يصير البلاء عندها شفاء كما قال مجنون ليلى

تداويت من ليلى بليلى من الهوى   كما يتداوى شارب الخمر بالخمرِ

وقال قبله الاعشى

وكاسًا شربت على لذةٍ   واخرى تداويت منها بها

وتبعهما ابو نواس فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

قيل ان المأمون قال يومًا لندمائه انشدوني بيتًا اوله ارسطاطاليس وآخره جالينوس فانشده احدهم بيت ابي نواس قلتُ وذلك ان مصراعه الاول فيه حكمة وهي ان لوم الشخص يكون اغراء لاسيما اذا كان في ملإٍ من الناس فمن رأى منكرًا واراد تغييره لا يأتي مرتكبه من طريق اللوم وانما يأتيه من طريق الملاطفة فمتى رأى منه الانس به تدرج قليلاً قليلاً في اثناء تلطفه بما يتوصل به الى مقصوده والحكمة في المصراع الثاني من البيت هي قوله(وداوني بالتي كانت هي الداء)لانه يشير الى ما قدمناه من ان النفوس لا يصير لها الشفاء الا اذا صار الداء عندها الدواء ومن المشهور عند الاطباء ان بعض الامراض يكون دواء لبعضها قالوا فالمفلوج اذا اعترته الحمى خلص من الفالج والى ذلك يشير بعضهم بقوله (وربما صحت الاجسام بالعلل) بل قد وجدت لذلك اصلا في السنة فقد ورد في الحديث ان الزكام يدفع الجذام والسعال يدفع الفالج فهذي

امراض يداوي بعضها بعضاً و يشمل هذا الامر قولهُ تعالى وعسى ان تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيهِ خيرًا كثيرًا وما الطف قول بعضهم

لاتجزعنَّ لحادثٍ فلربما كان العسير بهِ يصير يسيرا

بقميص يوسف نال يعقوب العمى وبريحهِ من بعدُ عاد بصيرا

لطيفةٌ دخل على الصاحب بن عباد صديق لهُ و بيد الصاحب دواء يشربهُ فقال لهُ الصديق كيف اصبح الوزير اطال الله بقاءه فانشأ الصاحب يقول

اصبحت في دار بلياتٍ ادفع آفاتٍ بآفاتِ

ومما استعملتهُ الشعراء من الشعر في الطب قول صاحب الهمزية

هذه علتي وانت طبيبي ليس يخفى عليك في القلب داء

وقوله في البراءةِ وهو من الغايات

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حميةَ الندم

ذكر فيهِ مما يخص الطب الاستفراغ و يكون بالمسهل و بالمعرق وبالقيء وبالفصد وبالحجامة و بالجماع و بالسعوط و بغيرها وذكر الامتلاء وذكر الحمية وهي كما تقدم في الحديث رأس الدواء وجعل النظر الى المحارم بمنزلة الاخلاط التي يجب استفراغها عند الامتلاء فاذا امعنت النظر في هذا البيت وجدتهُ ملىءٌ حكمةً وطبا و بلاغةً وفصاحةً و بديعا ومن ذلك قول ابي الفتح البستي في نونيتهِ

فلا تكن عجِلاً في الامر تطلبهُ فليس يحمد قبل النضج بحران

والبحران عند الاطباء هو مغالبة الداء للطبيعة فان غلب البحران قتل وان غلبت الطبيعة حصل البرء او كادَ . وقد شبه الحكماء البدن بالمدينة والطبيعة بالسلطان الحامي لها والمرض بالعدوّ الباغي والبحران بالقتال فقولهُ فليس يحمد قبل النضج بحران يريدان العجلة في الامور لاتحمد كما لايحمد البحران قبل نضجه فاذا نضج فتارة يحمد اذا قهرت الطبيعة المرض وتارة يذم اذا غلب المرض الطبيعة والبحران التام لا يجوز ان يعالج فاذا استعجل الطبيب وعالجهُ بترعيف او ادرار اخطأَ وخيف على المريض وذلك مثل من استعجل على الشيء قبل اوانه لانهُ كما قيل انهُ يعاقب بحرمانهِ ومن لطائف الشهاب الخفاجي قولهُ

يا أخلايَ والزمان لئيمٌ اطلقوني من سجن هذي الدارِ

في طباع السخاء قبض شديدٌ اطلقوه بشربة الدينارِ

وشراب الدينار عند الاطباء معروف وقلت

قلت يوماً للحب عندك ماءٌ ... قال لي وهو مائلٌ مترنحْ
ليس عندي سوى الرضاب شراب ... قلت هذا هو الشراب المفرّحْ

ولابن نباتة

عهدت فوادي ملآن من ... شجوني فلا موضعٌ لازدياد
الى ان تعشقت حلو اللمى ... وللحلو زاويةٌ في الفؤاد

قالت الحكماء الحلو كالملك فاذا دخل المعدة وكان الطعام فيها مزدحما فسح له حتى يجلس في الصدر ولذا قالوا ينبغي ان يقدم الحلو على الطعام لانه اذا كان بعده لزم ان يخترق الطعام كله حتى يصل الى قرار المعدة ولابن حجة

كم طب في الملك من داء بحكمته ... وكيف لا وله فيها الحميات

ولابي الفتح البستي

وقد يلبس المرء حمر الثياب ... ومن دونها حالةٌ مضنيه
كما يكتسي خدُّه حمرةً ... وعلتها ورمٌ في الريه

وله ايضا

واني لاخلص بعض الرجال ... وان كان فدماً ثقيلا عباما
فان الجبنّ على انه ... ثقيلٌ وضيم يسمى طعاما

وهذا مثل قول الآخر (ولا بد للصياد من صحبة الكلب) والجبن بضم الباء وتشديد النون هو ما يؤكل أدماً وفيه لغة اخرى وهي تخفيف النون واسكان الباء ولما دخل بن حجة مصر اكثر الدعوى فيها فقال فيه بعض شعراء المصريين

زاد ابن حجة في الاسهال من فمه ... وبات يسلح منثوراً ومنظوما
وظن ان قد تنبا في ترسله ... لو صح ذلك قطعاً كان معصوما

والمصريون يسمون من يبست طبيعته معصوما وقلت

يامن يسائل عن فساد زماننا ... وبنيه في طول الفساد وعرضه
مرض الزمان فلم نجد من اهله ... بقراط يعرف داءه من نبضه

في البيت الثاني ذكر المرض والداء والنبض و بقراط ولابن دانيال

كانما النيل الخضمُّ اذا بدا ... يروي حديثاً وهو ذو تسلسل
لما رأى الارض بها شقيقة ... ضمخها بمائه المصندل

قوله لما رأى الارض بها شقيقة مراده لما راى الارض تشققت من حر الشمس وبعدعنها الماء فضخها بمائهِ الذي يشبه ماء الصندل في لونهِ لانهُ اذا زاد كان ذلك لونه وفي قولهِ المصندل مع ذكره للشقيقة اوهم التورية بالشقيقة المعدودة من العلل وهي وجع في احد شقي الرأس فان كانت في الشقين فهو الصداع وقلت

نيلُ مصرٍ طبَّ ما　　أضعفهُ الحرُّ وأمرضْ
بعدما قد جَسَّ نبض الـ　　زرع باللطف وريَّض
واقتفى ما ذهَّبتهُ الـ　　شمس بالنور وفضض
وعجيب ان نيلاً　　صبغةُ تلقاه ابيض

ولابن نباتة

رب سوداء مقلة هيجت بي　　داء فكرٍ اعظم بهِ من داء
ليت رمان صدرها كان يجني　　فهو نعم الدواء للسوداء

وقلت

سلبت فؤادي بالبها حبشية　　ابهى من الدينار عند الرائي
ان غبت من وجدي اقول لصاحبي　　غلبت عليَّ حرارة الصفراء

وقال آخر

اسقني قهوة بنٍّ　　وامزج القهوة عودا
فهي للصفراء والبلـ　　غم تجلو وهي سودا

وقال آخر

ما للحشيشة فضل عند آكلها　　لكنهُ غير مصروفٍ الى رَشَدِه
صفراء في وجهه خضراء في فمه　　حمراء في عينهِ سوداء في جسدهِ

وقلتُ موجهاً باسماء كتب الطبّ من قصيدة مدحت بها كبيراً

وبعثت بنت بديهتي لرحابهِ　　تنبيه ان الحال بات على شفا
هذَّبت موجزَ مفردات نظامها　　لتكونَ تذكرةً لقانونِ الشفا
لا زال كعبتنا التي نسعى لها　　مازمزم الحادي بما يدعو الصفا

في البيت الثاني الموجز والمفردات والتذكرة والقانون والشفا وجعلت الممدوح قانون الشفا لان معنى القانون اساس الشيء ويقال له الضابط والدستور ايضاً وقال بعضهم يهجو طبيباً مع التضمين

اقول لنعمانٍ وقد ساق طبهُ نفوساً نفيساتٍ الى باطنِ الارض
ابامنذرٍ افنيت فاستبق بعضنا رويدكَ بعضُ الشر اهون من بعض

وقال آخر

لنا طبيبٌ لم يزل طبهُ يستجلب الداء الى طالبه
ما فيهِ من عيب سوى انهُ مسهلهُ صعب على شاربه

وقلت

لنا طبيب جاهلٌ تحكي القرود سحنته
اذا رأى قارورة الـ ـمريض هزَّ لحيته

وقلت مضمناً

. يجاهد في الاسلام هذا بطبهِ وينذرُ مايعطاه اجرًا لديره
وينشد ان اعطى المريض دواءَه ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

ولابي النور من المعنى

رأيت طبيبًا موذيًا بدوائهِ فقلت لهُ والشرُّ غالبٌ خيره
دواؤك غير السيف اذ كان قاتلاً ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

ومنهُ ايضاً

طبيب نحس نرى في هجره منفعه
اذ لم يجئ لمريضٍ الّا وعزرئيلٌ معه

وقلت

لنا طبيبٌ من النصارى امسى لهُ في العلاج صيتُ
لكن رأيناه ضد عيسى فذاك يحيي وذا يميتُ

وقلت

وقالوا اشتكاهذا الطبيب من أستهِ وخادمهُ قد بات فيهِ يبولُ
فقلت يمين الله لم ارَ قبلهُ طبيبًا يداوي الناسَ وهو عليلُ

وقلت مضمناً

تقول مرضى دمشق حين عالجها ذاك الطبيب بما يستعجل الاجلا
لولا عقاقير هذا التيس ماوجدت هذي المنايا الى ارواحنا سبلا

❊ فائدة ❊ قال الزمخشري داء الظبي الصحة . وداء الذئب الجوع . وداء الكرام

الفقر . وقال غيره داء المترفين النِقرِس . وداء المتكبر بن الابنة . (قلتُ) وداء الاقارب العداوة . وداء الجيران الحسد . وداء الضرائر الغَيره . وداء الاغنياء الطغيان . وداء الفقرآء الاحزان . والحرص والطمع وحب الرياسة داء كل انسان . وليكن الاختصار من الطب على هذا المقدار

❋ مطلب في علم تدبير المنزل ❋

ومما يحتاجهُ الشاعر . علم تدبير المنزل وهو علم باصول تعرف بها الاحوال المشتركة بين الرجل وزوجته وولده وخادمه وفائدته انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن من كسب السعادة العاجلة والآجلة وهو المشار اليو بقولهم التدبير نصف المعيشة . ثم من جملة هذا التدبير اشتغال المرء بصنعة او حرفة والفرق بين الصناعة والحرفة ان الانسان اذا سعى في تحصيل ما يعيش بهِ جعل لهُ سبباً من الاسباب فان كان السبب عمل يده فهو الصناعة والا فهي الحرفة . فالصناعةُ مأْخوذة من قولك امرأة صَناع ككلام اذا شغلت يدها بالعمل ويقال لضدها الخرقاء وهي صاحبة البطالة . والحرفةُ مأْخوذة من الانحراف لان صاحبها ينحرف اي يميل الى جهة تحسين ما ينظم بهِ معاشه واختلف في جواز اطلاق الصّانع على الله تعآلى والمعتمد الجواز لحديث ان الله صانع كل صانع وصنعته وهو معنى قولهِ والله خلقكم وما تعملون . وقولهِ تعآلى اللهُ خالق كل شيْءٍ . وقوله تعآلى انا كلَّ شيءٍ خلقناه بقدر على قراءة من نصب كل وهذه القراءة حجة اهل السنة على اهل البدعة القائلين ان الانسان يخلق افعال نفسهِ . واعلم ان الحرفة نصف المروأة كما يشهد بهِ ان النبي صلى الله عليهِ وسلم لما اتاه وفدُ عبدِ القيس قال لهم ما المروأة عندكم فقالوا الحرفة والعفة ذكره الراغب في المحاضرات وكان عمر رضي الله عنهُ اذا نظر لرجل قال لهُ الك حرفة فاذا قال لا سقط من عينه وقالوا الناس اربعة ذو إمارة وذو تجارة وزراعة وصناعة وما سوى ذلك يُغَلُّون الاسعار ويكدرون المياه ورأى تلميذ من تلامذة سيدي الشيخ ابراهيم المتبولي قدس سره بومةً عمياءَ في مسجدٍ خرب فخطر ببالهِ انها من اين ترزق فرأَى صقرًا قد اتاها بصيد والقمها اياه فتعجب من ذلك ثم تركها واتاها اليوم الثاني والثالث فرأي مثل ما رأى في الاول وكان التلميذ ذا حرفة فصمَّم على ترك حرفته قائلاً ان من رزق البومةَ العمياء لا ينساني من رزقه ثم اتى شيخهُ فاخبره بما رآه ونواه فقال لهُ شيخهُ يا بني كن صقرا يطعم غيره ولا تكن بومة يطعمها غيرها

فعدل عما كان عزم عليهِ (قلتُ) ويؤيد ما ذهب اليهِ المتبولي ما ذكره الراغب في محاضراته عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم على النبي صلى الله عليهِ وسلم قوم فقالوا ان فلانًا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر. قال ايكم يكفيهِ. قالوا كلنا. قال كلكم خير منهُ. وفي الحديث ايضًا خيركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه وفي كتاب الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا وفيهِ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه. وقال ابو الدرداء رضي الله عنهُ اعمل لدنياك كانك تعيش ابدًا واعمل لآخرتك كانك تموت غدًا. وقالوا الفراغ من شأن الاموات والاشتغال من عمل الاحياء وقالوا من لم يحترف لم يعتلف. ومن سعى رعى. ومن نام. لا يرى الاَّ الاحلام. ومن الحكم الالهية ان كل متقدم في حذقه. متأخر في رزقه. ولذا ترى الحذاق في صناعتهم محرومين. ومن الحظ والجد مصرومين. وانما لم يجتمع العلم والمال. لعزة الكمال. فالكمال لله وحده. والعبد اذا طلبهُ فقد جاوز حده. قال الشاعر

كل ما يصلح للمو   لى على العبد حرامُ

لكن قالوا لا يكسد رئيس صناعة الا في شر رجال. ومملكة انذل سلطان وقبلٍ من الاقيال. وقالوا إنَّ المتناهي في حِرفته. متناه في حُرفته. والحرفة بالضم ضيق المعاش يقال حورف الرجل فهو محارف ولا يقال لها حرفة الادب لانها لا تفارق الادباء وينبغي للحران يتخيَّر لنفسهِ من الصناعات والحرف اشرفها. ويجتنب اخسها واكثنها. فان الله تعالى يحب معالي الامور واشرافها. ويبغض سفسافها. فان لم يمكنهُ تحصيل نفيسها. فليرتزق من خسيسها بحيث يكون مجانبًا للحرمة. ولا يعد ذلك مسقطًا للمروأة والحرمة. قال ابو العتاهية

ولا تَدَعْ مكسبًا حلالا   تكون منهُ على بيان

وقال آخر

الا انما التقوى هي العز والكرمْ   وحبك للدنيا هو الذل والندمْ

وليس على عبد تقيٍّ نقيصة   اذا صحح التقوى وان حاك اوحجم

وحُكي عن الاصمعي قال مررت يومًا في شدة البرد بكناس يكنس كنيفًا وهو منغمس في النجاسة الى عنقهِ فسمعتهُ ينشد

واكرم نفسي انني ان اهنتها   وحقك لم تكرم على احدٍ بعدي

فقلت لهُ واي اهانة اعظم مما انت فيهِ فقال سؤآلك وسؤآل امثالك من اللؤماء. فاعتقل لساني ونكست رأسي وانصرفت

ثم اعلم ان اشرف الحرف ﴿ التجارة ﴾ وحسبها شرفاً ان اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم اتجر في مال زوجته خديجة رضي الله عنها وقال ان الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح لانهُ حكيم ذكر الحديث الراغب في محاضراته والتجارة معناها لغة تقليب المال لاجل الربح وهي بكسر التاء وكذا كل صناعة كالكتابة . والحجامة . والضيافة . والقيافة . والصرافة . والكهانة . والسباحة . وكذا كل ولاية فانها بكسر الفاء كالنقابة . والامارة . والوزارة . والخلافة . والنيابة . وصاحب التجارة تاجر وجمعهُ تجار فان ضممت تاؤه شددت جيمهُ وان كسرت تاؤه خففت جيمهُ فالاول كفاجر وفجار والثاني كصاحب وصحاب ويجمع التاجر ايضاً على تجر كراكب وركب . ومن لطائف المجاز قولهُ تعالى في حق الكفار اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ولامامنا الشافعي رضي الله عنهُ

احب الصالحين ولست منهم ... وارجو ان انال بهم شفاعه

واكره من بضاعتهُ المعاصي ... وان كنا سوآء في البضاعه

فلما سمعهُ الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهُ قال

تحب الصالحين وانت منهم ... محب القوم يلحق بالجماعه

وتكره من بضاعتهُ المعاصي ... حماك الله من تلك البضاعه

ومما يتعلق بالتجارة ايضاً قول بعضهم

وقائلةٍ مالي اراك مجانباً ... اموراً وفيها للتجارة مربحُ

فقلت لها مالي بربحك حاجة ... فنحن اناس بالسلامة نفرحُ

ومنهُ قول الآخر

اذا آب من قد غاب للأهل سالماً ... فنعمتهُ الكبرى وان فاتهُ النجحُ

اذا كان رأس المال للمرء باقياً ... فلا تنبغي شكواه ان فاتهُ الربحُ

وقال آخر

اذا تمنيت بتّ الليلَ مُغْتبطاً ... ان المنى رأس اموال المفاليس

وقال آخر

وليل كأنّ الله قال لهُ استطل ... فطال الى ان مدّ للحشر باعَهْ

كأن عمود الصبح اثقل ظهره ... فعرّضهُ للمشتري ثم باعهْ

وما احسن التورية بالمشتري وهو النجم وما الطف قول بعضهم في الغزل

ساومتهُ نهلة من ريقهِ بفمٍ　　وليس غير خفي اللحظ سمسارُ

قولهُ ساومتهُ اي طلبت منهُ تقول سام المشتري السلعة اذا طلب شراءها وسامها البائع اذا طلب بيعها واما قول صاحب البرأة

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت بهِ　　الا ونلت جواراً منهُ لم يضم

فمعناه ما اولاني واهانني . وتقول سامت الماشية اذا رعت الزرع بنفسها واسامها الراعي اذا عرضها على المرعى وقال آخر في مليح تاجر

لما رأى الناس على حسنهِ　　لها ازدحام ما لهُ آخرُ

قال على ماذا ازدحام الورى　　قلت على عينك يا تاجرُ

قولهُ على عينك يا تاجر مثل للعوام يقال عند فعل الشيء مجاهرة تقول فعلت كذا على عينك يا تاجر اي جهراً لا سرًّا وقال آخر

ولما رأيتكَ لا خير فيكَ　　ولا نفع للصاحب الماجدِ

اتيت بك السوق سوق الهوانِ　　فناديت هل فيك من زائدِ

على رجلٍ غادرٍ بالصديقِ　　كفورٍ لنعمائهِ جاحدِ

فما جاءني رجلٌ واحد　　يزيد على درهمٍ واحدِ

سوى رجل حان منهُ الشقا　　وحافت بهِ دعوة الوالدِ

فبعتك منهُ بلا شاهدٍ　　مخافة ردِّك بالشاهدِ

وأبت الى منزلي سالمًا　　وحلَّ البلاء على الناقدِ

وقلت من الهجو

وَفَدْمٍ بليدٍ اذا ما حكى　　سمعت حمارًا غدا ينهقُ

اراد التوجهَ من حرصهِ　　لبحرٍ مؤمِّلهُ يغرقُ

فقلت لهُ طِرْ الى بابهِ　　لعلك في سوقهِ تنفُقُ

يقال نفقت السلعة تنفق نفاقًا وهو من باب قعد اذا راجت وهذا المعنى القريب وهناك معنى بعيد وهو الذي اردتهُ بقولي لعلك في سوقهِ تنفق اي تموت وتهلك لانهُ يقال نفقت الدابة من باب قعد ايضًا لكن مصدره نفوقًا اذا ماتت وقد رشحت هذه التورية قبلها اذا ما حكى سمعت حمارًا وقلت ايضًا

ارى التجَّار سكارى　　مِن سكرهم ما أفاقوا

وليلنا اسودَّ منهم　　واحمرَّت الآفاقُ

فالخسر عدّوه ربحًا غدًا اليه يُساقوا
وسوقهم بات فيها ماء الحياء يراقُ
للصدق فيها كسادٌ وللنفاق نَفاقُ

وقلت ايضًا

ابناء دهري طلقوا الأُخْ رى وما ندموا عليها
واذا رأوا تجارةً أو لهوًا انفضوا اليها

وقلت ايضًا

يا تاجرًا لايزال يرجو ربحًا ويخشى من الخساره
عبادة الله كلّ حينٍ خير من اللهو والتجاره
فاعبد مادمت واخش نارًا وقودها الناس والحجاره

﴿ تنبيه ﴾ ما اشعرت به آية واذا رأوا تجارة او لهوًا انفضوا اليها من ذم التجارة محمول على تجارة تشغَل عن امور الدين وتَصرف عن امور الآخرة وتحمل على الاقبال والانهماك على الدنيا كما يشير الى ذلك قوله تعالى انفضوا اليها وتركوك قائمًا واما اذا خلت عن ذلك فهي ممدوحة كما تقدم فذمها عارض وعلى ما ذكرنا يحمل حديث التجار هم الفجار كما حمل حديث اذا زرعت هذه الامة نزع منها النصر وحديث الذل في اذناب البقر المشعرَين بذم الزراعة على زراعةٍ تحمل الناس بالاشتغال بها على ترك الجهاد في سبيل الله بالكلية لانها اذا فعلت ذلك هجم العدو عليها في اوطانها وهي على غير اهبة له فينا لها بذلك الذل وتحرم النصر على العدو واما اذا جمعت بين الزراعة والجهاد . فبالسنة اخذت لان خير المؤمنين كما تقدم من لايترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا بل يأخذ منهما كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا .(فائدة) قال بعض الافاضل قد اشارت آية ولا تنس نصيبك من الدنيا الى النّهي عن تركِ اذّكار الموت لان نصيب المرء من الدنيا هو الكفن كما قيل

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها سوى بالقطن والكفن

﴿ عجيبة ﴾ كان توران شاه من ملوك الاكراد موصوفًا بالكرم فلما مات زاره بعض من كان يحسن اليه في حياته ورثاه بأبيات فلما نام رآه في كفنه فقام وتجرد من الكفن واعطاه لذلك الرجل وانشد يقول

خذ ما منحتك واعذر ميتا درست آثاره وعن الدنيا وعنك فني

اني خرجت من الدنيا وليس معي ❊ مما حوتهُ يدي منها سوى الكفنِ

فانتبه الرجل بحفظ الشعر و تعجب من تكرم هذا الكريم بكفنهِ واعتذاره من الاكرام باعظم منهُ لقصور يده عن ذلك

واعلم انهُ وقع الخلاف في التفاضل بين التجارة والزراعة فقال بعضهم هي افضل من التجارة ولذلك اعقبتها بها ❊ فالزراعة ❊ صنعة الزرّاع والزرع انبات الحب وتنميتهُ تقول زرع الله الحب اي انبتهُ وزرع زيد الحب انبتهُ فاسنادها الى الله حقيقة والى العبد مجاز عقلي وهو التجوز في اسناد الفعل الى غير فاعلهِ الحقيقي كقولهم انبت الربيع البقل وذلك في اسناد الفعل الى السبب . قال الزمخشري في الاساس العبد يحرث والله يزرع ينبت وينمي أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونهُ ام نحن الزارعون قال ومن المجاز زرع الله ولدك للخير . واستزرع الله ولدي للبر واسترزقهُ لهُ من الحل . وزرع الحب لك في القلوب كرمك وحسن خلقك و بئس الزرع زرع المذنب اه والمزرعة محل الزرع وكما ان الزرع هو المصدر فكذلك يطلق على ما يستنبت تسميةً لهُ بالمصدر ومنهُ يقال حصدت الزرع اي النبات قال في المصباح قال بعضهم ولا يسمى زرعاً الاّ اذا كان غضا طريا اه ويقال للزرّاع كافر لانهُ يستر البذر بالارض واصل الكفر ستر شيءٍ بشيءٍ ولذا قيل الليل كافر لانهُ يغطي الاشياء بظلمتهِ ومن ذلك قولهُ تعالى كمثل غيثٍ اعجب الكفار نباتهُ اي الزراع ❊ واما (الفلاحة) فهي معرفة احوال النبات من حيث تنميته بالسقي والعلاج وفائدتها معرفة احوالهِ من نموهِ وغيره فالفلاحة هي العلم بالنبات والزراعة هي العمل فيهِ فقد يجتمعان في شخص وقد ينفرد كل واحدٍ منهما في شخص وما احسنهما اذا اجتمعا وعليهِ فبينهما العموم والخصوص المطلق لاجتماعهما في مادة وانفراد كل في اخرى فمن المنظوم المشير الى صناعة الزراعة قول بعض الاعراب

انا أكل الجراد حروث قوم ❊ فحرثي همهُ أكل الجراد

اراد بحرثهِ زوجتهُ و بالجراد الفسّاق لوجود الفساد في كلٍّ وقد بالغ في وصف زوجتهِ بالصيانة فجعلها يخشى على المفسدين منها ولا يخشى عليها منهم لشدة حصانتها وصيانتها وشبه زوجتهُ بالحرث لانها مستقر نطفتهِ التي هي بمنزلة البذر للحرث في انبات الولد ونموهِ لان اصل الحرث مصدر قولك حرثت الارض اذا اثرتها للزراعة ثم اطلق على محل الحراثة وهو الحرث تسمية للمحل بالمصدر ولا يكون حرثا الا موضع نبات الزرع ومثل بيت الاعرابي المتقدم قولهُ تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم اي من

اي جهة اردتم بعد ان يكون المأتي محلا واحدا وهو القبل لانهُ هو محل إلقاء البذر لاغيره لان غيره وإن القي فيهِ البذر لا ينبت لانهُ ليس معدًا للإتيان وإنما هي بمنزلة الارض السباخ يشير الى ذلك قولهُ تعالى فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم لانهُ اراد بما كتب الله الولد اي باشروهن واطلبوا الولد وذلك لايكون الا بإلقاء النطفة في القبل لا في غيره فمن اتى زوجتهُ في غير محل الولد عزر في مذهبنا التعزير اللائق بهِ ومن الابيات البليغة المتعلقة بالزراعة قول بعضهم

وما نصادف مرعىً ممرعًا ابدا ... الاّ وجدت بهِ آثار ماكولِ

قولهُ ممرعًا كمكرم اي مخصبًا بكثرة النبات من قولك امرع الوادي وفيهِ لغة اخرى وهي مرع بضم الراء بلا الف مراعة فهو مريع كفعيل وجمعهُ امرع وامراع كيمين وايمن وايمان وفيهِ لغة ثالثة كما في المصباح وهي من باب تعب كقولهِ مرع يمرع مرعًا فهو مرع واراد الشاعر من نكد الدنيا وخستها لا ترى فيها شيئًا كاملاً بل لا بد ان يعتريه النقصان من طرف من الاطراف فان كان رجلاً من كرام الناس شبه بالمرعى الممرع وجدت فيهِ آثار آدمي او حيوان ماكول اكلتهُ السباع المفترسة فعندها تخشى على نفسك ان يصيبك مثل ما اصاب ذلك الماكول فتترك التردد على ذلك المحل الممرع وهذا كما قيل وكل روضة لنا في وسطها خنزير ومن الامثال الشعرية قولهم (من يزرع الشوك لم يحصد بهِ عنبًا)

وما احسن ما قال بعضهم

اذا انت لم تزرع وابصرت زارعًا ... ندمت على التفريط في زمن الزرعِ

وقال آخر

اذا زرعت جميلاً فاسقه غدقا ... من المكارم كي ينمو لك الثمرُ

ولا تُشنهُ بمَنٍّ منك تتلفهُ ... فعادة المنّ ان يؤذى بهِ الشجرُ

قولهُ ولا تشنه بمن اراد بالمن تعديد النعم على المنعم عليهِ فانها تهدم الصنيعة قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى واراد بالمنّ الثاني دودًا صغيرًا يتولد في الشجر فياكل اورقها و يضعفها و يؤذي بعضها فيتلفها ثم المنّ يطلق على معان أُخر منها الانعام ومنهُ قولهُ تعالى فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ومنها القطع ومنهُ وإن لك لاجرًا غير ممنونٍ اي غير مقطوع وسميت المنية منية لانها تقطع الآجال ومنها اذهاب المنة بالضم اي القوة تقول ركبت البعير حتى مننتهُ اي اذهبت قوتهُ كما ذكره في الاساس ومنها المنّ الذي انزلهُ الله مع السلوى على بني اسرائيل ومنها الوزن المعروف يقال

منٌّ بتشديد النون و يقال له منًا بالتخفيف فهذه سبعة معان للمنّ ومما يتعلق بالزراعة

قول الحريري

ما انت اول سارٍ غره قمرٌ ورائدٍ اعجبته خضرة الدِمَنِ

وخضرة الدمن هي النبات الذي يروق للعين و يعجب النفس لحسنه لكنه نبت في المزابل لان الدِمَن جمع دِمنة والدمنة هي المزبلة وفي الحديث اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وذلك لان الشيء يعود الى اصلهِ ان طيبا فطيبا وان خبيثًا فخبيثًا فان كان الاصل خبيثا فلا يغرك حسن فرعه فان العار كامن فيهِ والشنار. ولا تفي جنة الفردوس بالنار. قال الشاعر

للقمة بجريش الملح آكلها ألذ من تمرة تحشى بزنبور

وقال آخر

فيا لها سكرة حلوة قد نغصتها لوزةٌ مره

ولا تنظر الى قول من قال

كُلِ البقل من حيث تؤتى بهِ ولا تسالنّ عن المبقله

بل كن كمن قال

اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى ولكنّ نفس الحر تحتمل الظما

قال تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب وقال الشاعر

لا تعجبنّك حمرة غرارةٌ تبدو ففي الياقوت طبع الجلمد

فالياقوت وان عز لطافةً وشفافة وحاز لون الحمرة الذي هو الحسن بتمامهِ. وغدا كل جوهر بالنسبة الى حسنهِ كخادمهِ وغلامهِ. فقد ورث من اصلهِ وهو الجماد القسوة حتى صار اقسى الاحجار. واصبح لا يتاثر اذا القي في النار. ولله در من قال

اذا طاب اصل الشي طابت فروعه ومن عجب جادت يد الشوك بالورد

وقد يخبث الفرع الذي طاب اصله ليظهر صنع الله في العكس والطرد

اشار الى ان القاعدة هي قولك اذا طاب اصل الشيء طابت فروعه وهذا هو طرد القاعدة وعكسها قولك اذا خبث اصل الشيء خبثت فروعه وقد يستثنى نادرا من طرد القاعدة وعكسها فيطيب الاصل ويخبث الفرع. ويخبث الاصل ويطيب الفرع وقد اجتمعا في يزيد بن معاوية وذلك لانهُ خبيث خالف اصله في الطيب وخالفهُ فرعه وهو معاوية الصغير في الخبث لسرٍّ اقتضتهُ الحكمة الالهية ومما يتعلق بالزراعة مواليا منسوب لجناب سيدي حضرة

قطب العارفين الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره وهو قوله

بالله عليكم حبائب بالجفاء من شار ۞ ما تعلمون ان المحبة في الحشا منشار

في سفح قيسون والربوة مع المنشار ۞ لؤلؤ بذرنا مدامع ياترى من شار

وقد ذكرته لان كثيرًا من اهل البلاغة سألوني عن معنى القرينة الرابعة منه فاجبت ان الشيخ قدس سره شبه دموعه باللؤلوء وشبه ذلك اللؤلوء بالبذر الذي يلقى في الارض للاستنبات وانه اراد بقوله ياترى من شار اي من جمع ما بذرنا من اللآلئ واستخرجه من الارض التي بذرناه فيها مأخوذ من قولك شرت العسل اذا اخرجته بالمشوار من خلياته وجمعته ويحتمل انه اراد معنى بعيدا غير هذا وقريبًا منه وهو انه اراد بقوله ياترى من شار ياترى من حرث وشق الارض التي بذرنا بها تلك المدامع وذلك ان المولدين يسمون شق الفلاحة من اوله الى آخره شورى و يقولون شار الفلاح الارض اذا جعل فيها تلك الشور فالشيخ سأل عمن شق هذه الارض وصيرها صالحة لان تبذر فيها لآلئ مدامعنا وعلى هذا يكون في قوله تجاهل العارف وهو من انواع البديع لكن لا يؤتى به الا لسبب من الاسباب وهو هنا التوله والحيرة في الحب كما قال مجنون ليلى

بالله ياظبيات القاع قلن لنا ۞ ليلاي منكن ام ليلى من البشر

فالظاهر ان الشيخ قدس سره حين انشأ المواليا كان في مقام الحيرة وهو مقام المنتهي المشار اليه بقول ابن الفارض قدس سره

زدني بفرط الحب فيك تحيرا ۞ وارحم حشىً بلظى هواك تسعرا

ومما يتعلق بالزراعة قول امرأة عربية تهجو قومها بقولها

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ۞ فباعدكن الله من شجرات

شبهت قومها بشجرات ليس لها ظل ولا ثمر ومن ذلك قول بعضهم

و بت اشبه كمونًا بمزرعة ۞ ان فاته الغيث اغنته المواعيد

يشير الى نكتة عجيبة وهي ان الكمون اذا عطش ورآه اصحاب الفلاحة وعدوه بالسقي فيروى بالوعد وتظهر عليه نضرة الري ومثل ذلك نبات يسمونه البَرْوَقة حكي انها اذا حصل غيم في السماء بلا مطرٍ رويت منه وظهر ذلك عليها وللثعالبي يمدح ابا الفضل المكيالي بقوله

يابدر صدر سنيسا بور مطلعهُ ۞ وبحر جود لاهل الفضل مشرعهُ

سقيت كرميَ ماءً فيه اربعة ۞ من المياه وخير الماء انفعهُ

ماء الحياة وماء الوجه يشفعهُ　　ماء الشباب وماء الورد يتبعهُ

وقلت من ذلك

يازارع الارض وهو يرجو　　من زرعها الريع والنمآء

ازرع جميلا بارض مثلي　　تحصد بهِ الاجر والثناء

وقال ابن النكنك

قالوا عشقت صغيرا قلت ارتع في　　روض المحاسن حتى يبلغ الثمرُ

ربيع حسن دعاني لافتتاح هوىً　　لما تفتح فيهِ النور والزهرُ

وقال الصاحب ابن عباد

لما بدا العارض في الخدِّ　　زاد الذي القاه من وجدي

وقلت للعذال من ذا رأي　　بنفسجا يطلع من وردِ

وقلت

زارت بنهد مثل جوهرةٍ　　تبدي نباتًا ظن مرجانا

فهل سمعتم بانةً حملت　　في الدهر عنابًا ورمانًا

ومن الالغاز في الفدان والسكة والحراث قول بعضهم

ومدفونة تمشي وفي الارض نصفها　　يدب دبيب النار في الزرجونِ

لها ست ايد عندها ست ارجل　　وآذانها ست وست عيونِ

المراد بالايدي والارجل والآذان والعيون اعضاء الفدان والحراث ولابن نباتة وقد كتبهُ على اناء مطعم بالفضة

تشبهت بالغدران والروض حولها　　فاصبحت ملهى الناظر المتوسمِ

وانبتُّ بالتطعيم اشجار فضة　　وما احسن الاشجار كلٌّ مطعَّمِ

وقلت من الغزل

لمّا تورّد خدهُ　　عوذته من كل عين

وطفقت انشد قائلا　　والدمع ينبع مثل عين

هذي المنازل قد خلت　　يامنيتي من كل عين

فامنن عليَّ بشم ما　　غرستهُ في خديك عين

وقلت

ان كنت قد اذنبت فارفق بي ولا　　تجعل عقابي قطع رزق يحمل

وإذا حلا غيري ومرّت صحبتي فبعلة التفاح يسقى الحنظل

ومن الحرف الممدوحة حرفة ﴿ الخياطة ﴾ ففي الحديث عمل الابرار من الرجال الخياطة ومن النساء المغزل ذكره الراغب في محاضراته وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان ادريس عليه السلام خياطًا وكذا هود ولقمان عليهما السلام (قلت) فلو لم تكن حرفة محمودة لما اختارها الله لبعض انبيائه لان النبي معصوم مما ينفر شرعًا وطبعًا وهذا مما يجب على كل مؤمن اعتقاده. والخياطة فاعلها الخياط وهو الذي يصل بعض اجزاء الشيء ببعض بالخيط تقول خاط الثوب من باب باع فالثوب مخيط على النقص ومخيوط على التمام والخياط والمخيط ما يسلك فيه الخيط وهو الابرة كلحاف وملحف وازار ومئزر والخيط ما يسلك في المخيط ويسمى الخيط ايضًا النِصَاح ونصح الخياط الثوب اذا جاد خياطته ولم يترك فيه فتقًا شبه ذلك بالنصح ومن المجاز خيط الليل وخيط الفجر ومنه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ويقال فلان ادق من خيط باطل وهو الهباء المنبث في الشمس وقيل لعاب الشمس وقيل هو الخيط الخارج من فم العنكبوت الذي يقال له مخاط الشيطان وخيط الرقبة هو النخاع وخيط النعام جماعة النعام تقول العرب سرب من القطا وقطيع من الغنم وثلة ايضًا بفتح الثاء ورعيل من الخيل ورجل من الجراد وكل ذلك يقال للجماعة . وخيط النعامة طول قصبتها وعنقها كانها خيوط ممدودة وقيل هو ما فيها من بياض في سواد . وخيط الشيب في رأسه ولحيته اي جعل فيهما شبه الخيوط وخيط رأس زيد كقولك نور الشجر ورّد وخاط فلان خيطة اذا امتد في السير لا يلوي على شيء وهذا مخيط الحية اي مزحفها وقد خاطت الحية وخاط بعيرًا ببعير اذا قرن بينهما ذكره الزمخشري في الاساس فمن الشعر المتعلق بالخياطة قول ابن سنا الملك

اجفان عينيَّ ما خيطت على سنة هذا وقد عدت الاجفان كالابر

ولابن عبد الظاهر يمدح قومًا بالشجاعة

لله در فوارسٍ يوم الوغى تهوى الخياطة لو اليهم تنتمي

ذرعوا الفوارس بالرماح وفصلوا بالمرهفات وخيطوا بالاسهمِ

وقال آخر

كأنيّ ابرة تكسو اناسا وجسمي من ملابسهم سليبُ

وقلت في خياط مليح

ان خياطنا على ما حواه من كمالٍ قاد الهلال لنقصه

أبد الدهر مولع بخلافي ماثل السمع للعذول وخرصه
انا امشي مشي الخياط دوامًا وهو يمشي لكن كمشي مقصه

اي انا دائمًا امشي في الوصل وهو يمشي في الفصل والخرص الكذب ومنهُ قتل الخراصون وفعله من باب قتل وقلت اهجو شخصًا

وسفيه قوم قد تحكك بي على ما فيهِ من عيب يلوح اذا نطف
فصلت مجمل ما يرى من عيبهِ وشللت كف اذاه مذ طالت فكف

وقلت ايضًا

رب شخص يقص ماخاط مما حاكه الزور من مشاق الخساسه
لست اصغى لما يفصل علما ان تفصيله بلا هنداسه

ومن الصناعات ﴿ الحياكة ﴾ وهي نسج بعض الخيوط ببعض على هيأةٍ مخصوصة وفاعلها حائك وجمعهُ حاكة وحوكة وفعلها كقال وآلتها يقال لها المنوال واذا اردت وصف شخص بالتفرد بالنفاسة او الخساسة قلت هو نسيج وحده بالاضافة وجر وحده ولم يستعمل مجرورًا الا في هذا الموضع لانهُ دائمًا وابدا منصوب على الحال كلا آله الا الله وحده ومن المجاز حاك في مشيتهِ اذا حرك منكبيهِ ومشى مشية الافحج وهذه المشية عيب في الرجال مدح في النساء لدلالتها فيهن على اللفف وتقول ضربتهُ بالسيف فما حاك فيهِ اي لم يؤثر فيهِ ومثلهُ كلمتهُ فما حاك فيهِ كلامهُ وما حاك في صدري منهُ شيءٌ ومنهُ حديث والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليهِ الناس ومن المنظوم المتعلق بالحياكة قول ابن نباتة

قفوا وانحوا من هامل الغيث انهُ لاعجب شيء يعجب العين والفكرا
يمد على الآفاق بيض خيوطه فينسج منها في الثرى حلة خضرا

وقلت مشيرًا الى قوس الله الذي يقال لهُ قوس قزح

هذي الرياض قد اكتست من نسج جارية الغمامه
والجو نشر بالربيـ ع فجاءه طوق الحمامه

وقال بعضهم

اعملت فكري في السماء وقد بدا فيها هلال جسمهُ منهوكُ
فكانما هي شقةٌ ممدودة وكانهُ من فوقها مكّوكُ

وقال الاخر

اقول للحائك الظريف وفي بنانهِ طاقة يخلصها

هل لك في ودّ مهجة لفتى　　ليس له طاقة يخلصها

مراده بالطاقة الاولى الشقة وبتخليصها تطيبها للحياكة و بالطاقة الثانية القدرة و بتخليصها انتزاعها ممن اخذها قهرًا وقلت

ياحلة آلى الزمان بانهُ　　في الحسن لم ينسج على منوالها

البستني ثوب الضنى وهو الذي　　غزلتهُ لى عيناك يوم وصالها

وقلت

ياحائكًا لمحبهِ ثوب الضنا　　اقصر فقد طولت شقة بينهِ

ومللت شقةوصلهِ فقطعتها　　واخذت ياخلي الكرى من عينهِ

وقال الشهاب المنصوري يعتذر لكبير عن عدم قيامه لهُ بكبر سنه

وما ذهبت بلحمتهِ الليالي　　ايمكن ان يكون لهُ قيام

المراد بالقيام هنا السدى والمراد باللحمة ما قابل السدى وهو بفتح اللام كما في المصباح وغيره و بهذا صحت التورية في اللحمة وفى القيام ولابن حجر العسقلاني قوله

وخيوط هذا الشيب لاتنسج بها　　حلل المعاصي فهي ما خلقت سدا

وقلت

قالت وقدا بصرت للشيب يلمع ما　　هذا الذي هاج مذ ابصرتهُ حزنى

فقلت هذي خيوط لم تلح لفتى　　الا لينسج منها حلة الكفن

ومما يناسب الحياكة ❊ القصارة ❊ وهي صناعة القصار وهو الذي يقصر الثياب اي يبيضها من قولك قصرت الثوب قصرا بيضتهُ و يقال للقصر ايضًا التحوير تقول حورت الثوب تحويرا اذا قصرتهُ وفاعل ذلك محور وحواري ولذلك تسمى اصحاب عيسى عليهِ السلام حواريين لانهم كانوا قصارين ومنهُ يعلم شرف هذه الصناعة و يقال لشدة بياض العين مع شدة سوادها الحور وسميت الحور العين حورًا لوجود الحور في اعينهم والحور واحدتهن حوراء و يقال لاتكون المرأة حوراء الا اذا جمعت بين الحور والبياض وسمي الشجر المعروف حورا لشدة بياض ساقهِ دون الاشجار وهو نوع من شجر الدلب وهو بتحريك الواو و بالفتحة كما ورد عن العرب وتسكينها لحن كما قالهُ في المغرب واستشهد لهُ بقول الراعي (كالجوز نطف بالصفصاف والحور) وذكر ابن سينا في القانون انهُ يقال ان صمغ الرومي منهُ وهو الكهربا (واعلم) ان القصارة بالكسر كما تقدم في اخواتها من الصناعات واما القصارة بالضم فهي ما يبقى من الحب في السنبل بعد الدياسة و يسمى ايضًا القصري

بوزن القبطي كما ذكره صاحب مجمع البحار فمما نظم فيما يتعلق بالقصارة قول ابي الحسين الجزار

احمل نفسي كل يوم وليلة　　همو ما على من لا افوز بخيره

كما سود القصار في الشمس وجهه　　حريصاً على تبييض اثواب غيره

وقلت اخاطب صديقاً كان غائباً

قد تعطلت في مغيبك عني　　وأراني الزمان شدة بأسه

كنت مثل القصار في الحزن لما　　غيب الله عنه طلعة شمسه

وقلت متغزلاً

وقالوا كستهُ الشمس حسناً وسوّدت　　وجوه سواه من بني النوع والجنس

فقلت لهم من عادة البدر أنه　　يزيد جمالاً في مقابلة الشمس

وقلت ايضاً

عجبت من قمرٍ والشمس تخفق في　　جو السماء فلم تدرك له اثرا

فقلت طال عناها كيف تدركه　　والشمس لا ينبغي ان تدرك القمرا

ومن الصناعات ﴿ الجزارة ﴾ وهي صناعة الجزار . والجزار من يذبح الحيوان من الجزر وهو الذبح ومنه سمي ما يذبح من الابل جزوراً والذبح قطع الحلقوم والمريء من الحيوان فمعنى الذبح والجزر القطع ولذا سميت قطعة الارض في البحر الجزيرة لانها قطعت عن البر بالبحر ويسمى ايضاً الجزار قصاباً من القصب وهو القطع كما ان القضْبَ بالضاد القطع فيكون بمعنى الاول او انه سمي قصاباً لانه ينفي القصب بضم القاف واسكان الصاد المهملة وهو المعاء اي المصير الذي جمعه مصران . وفي الحديث رأيت عمرو بن لحي يجر قُصْبه في النار اي لانه اول من علق الاصنام على الكعبة وهو احد العشرة الذين ورد النص بدخولهم النار كامرئ القيس وحاتم الطائي ومن المجاز قصب زيد عمراً اذا عابهُ ومعناه قطع لحمه بالذم ومنه قولك فلان لم يقصب اي لم يختتن ولم تقطع غُرْلَتهُ وذلك لان القصب معناه الحقيقي كما تقدم قطع مخصوص من الحيوان وهو الحلقوم والمريء فاذا استعمل في قطع غيرها كان مجازاً لانه استعمل في غير ما وضع له .

واعلم ان الفلاسفة يحرمون ذبح الحيوان واكله زاعمين ان ذلك لا يجوز عقلاً لان الحيوان جنس الانسان والذبح تعذيب له ولا يجوز للجنس تعذيب جنسه ويرد عليهم بان الحيوان كما انه جنس الانسان فكذلك النبات جنسه لانه الجسم النامي فكيف ابحتم

احراق الاشجار واكل البقول والثمار حتى ابحتم ذلك لدوابكم فان قلتم ان الحيوان جنس قريب والنبات جنس بعيد قلنا العقل الذي ارتضيتم تحسينه وتقبيحه يأمر باكرام الجنس البعيد كما يأمر باكرام القريب فما الذي رجح احدهما على الآخر عندكم هذا من حيث العقل واما من حيث الشرع فالله تعالى خلق الحيوان لاجل الانسان كما قال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون فاباح لنا اكلها ولا يتوصل اليه الا بالذكاة الشرعية وقد ثبت ان من وصفه تعالى بالرأفة والرحمة في قوله بالمؤمنين رؤف رحيم كان يذبح اضحيته بيده الشريفة وورد انه في عيد الاضحى ضحى بكبشين املحين فذبح احدهما وقال اللهم هذا عن محمد وذبح الثاني وقال اللهم هذا عمن شهد لي بالبلاغ لكن قيل ان من جعل الجزارة حرفةً له قسا قلبه وممن كانت الجزارة حرفته من رؤساء الادباء والبلغاء ابو الحسين الجزار الشاعر المجيد . والبليغ الذي القت اليه البلاغة بالمقاليد . وقد عارض المتنبي في بيته الذي قال فيه

فالخيل والليل والبيداء تشهد لي   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

بقوله

فالذبح والسلخ والسكين تشهد لي   والقطع والفصل والساطور والوضم

الساطور آلة للقصاب معروفة يفصل بها اجزاء المذبوح والوضم هي الخشبة التي يوضع عليها اللحم لاجل تكسير ما فيه من العظام وما احسن قول صاحب البرأة في وصف شجاعته صلى الله عليه وسلم

ما زال يلقاهم في كل معترك   حتى حكوا بالقنا لحماً على وضم

ويقال فلان لحم على وضم اي ضعيف جداً ومنه حديث النساء لحم على وضم ثم ان ابا الحسين الجزار ترك الجزارة واشتغل بصناعة الشعر فرأى كساده في سوق ابناء زمانه . واعراضهم عن دره الثمين ومرجانه . فندم على ترك الجزارة . وشكى ما لقي في صنعة الشعر من الخسارة . حتى قال

وبها كانت الكلاب تُرجّيـ   ـني وبالشعر بت ارجو الكلابا

اي بالجزارة كانت ترجوني الكلاب لانها لا تفارق الجزار لما تستفيد من عظم ونحوه فلما جعلت الشعر صناعتي انعكس عليّ الحال فصرت بسبب الشعر اترجى الكلاب فأي الصناعتين اشرف قلت فلله دره فما اجمع هذا البيت لذم اهل زمانه ولو كنت سمعته حين انشاه لقلت له مسليا

فالأسد تفترس الكلا ب اذا تعذرت الغنم

ولا نشدته ايضاً قول الآخر

(ولا بد للصياد من صحبة الكلب) (والدهر يرضي الاسود بالجيف) (ومن لم يجد ماء تيم بالترب) وعند الضرورة يوئتى الكنيف) وقد اشار السراج الوراق الى معنى بيت الجزار بقولهِ يرثي الجزار بعد موتهِ حين دخل عيد الاضحى فلم يرمن ضحى الا قليلاً

يا عيدنا الاضحى سقى صوب الغمام ابا الحسين

لو عاش فيك لقد غدا يشكو بوار الصنعتين

مراده بالصنعتين الجزارة ونظم الشعر لانهُ شكا بوار صنعة النظم في بيتهِ المتقدم فلو انهُ عاش الى هذا العيد ورأى قلة الاضاحي فيهِ شكا بوار الصنعة الاخرى

وللجزار يلمح لبيته المتقدم

الا قل للذي يسأ لُ عن قومي وعن اهلي

لقد تسأل عن قومٍ كرام الفرع والأصل

ترجّيهم بنو كلبٍ وتخشاهم بنو عجلٍ

بنو كلب و بنو عجل قبيلتان من العرب ومراده بني كلب الكلاب و ببني عجل البقر وفيهِ اشارة الى ان آباءه كانوا جزارين مثلهُ وقلت

عجبت لشاعر فطن ظريف وآخر ينبع الاموات سعيا

فهذا صار في الاحياء ميتاً وهذا صار في الاموات حيّاً

وقال الجزار يمدح بعض الكبراء

لو يقنص الجزار ارواح العدا في يوم عيدك كنت اول قانص

لكنهم امنوا مِداي لعلمهم ان الضحيّة لا تكونُ بناقص

قولهُ امنوا مداي السكاكين بكسر الميم جمع مدية كسدرة وسدر وهي سكينة الجزار بهذا القيد في المغرب فيكون استعمالها في سكينة غير الجزار مجازًا فتنبه لذلك والتضحية لا تجزىء شرعاً بناقص وهو ما كان فيهِ عيب ينقص بهِ اللحم كالعوراء والعرجاء . لان الاولى لا تبصر المرعى . والثانية لا تقدر عليهِ فيكون كل من العيبين سبباً لنقص لحمها الذي هو المقصود الاعظم من الاضاحي ولا تجزىء المريضة البيّن مرضها ولا يضر شق الاذن ولا تناثر اسنانها . وحكى ان الصاحب ابن العديم كان صديقاً للجزار فحسد الناس الجزار على صحبته فكتب بعضهم لابن العديم يقول

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة　　وغدوت تحمل راية الادبار

ما ان رأيت ولا سمعت بمثلهِ　　نيسًا يلوذ بصحبة الجزار

ومدح الجزار بعض الامراء فامر له بجائزة فبينما هو عنده اذ دخل عليهِ بعض اتباعه فقال له يا سيدي قد جئت بخمسمائة كبش من الغنم فلمن تأمر اسلمها فقال له الامير سلمها للجزار واراد الامير جزاره لا ابا الحسين فلما سمعهُ ابو الحسين نهض على اقدامهِ وتوجه نحوه وقبل يده مغالطًا له وقال ياسيدي ما تفضلتم بهِ يكفي ويزيد فما هذه الزيادة فقال له خذها واذهب فاخذها بالمغالطة ومن حكم الشعر قول بعضهم

الناس في غفلة عما يراد بهم　　كانهم غنم في بيت جزار

وفي المعنى قول الآخر

تساق بنو الدنيا الى الحتف عنوةً　　ولا يعلم الباقي بحال الذي يمضي

كأنهم الاغنام لم يدر بعضها　　بما صار من سفك الدماء على البعض

وقال آخر

لا تحسبوا ان رقصي بينكم طربًا　　فالطير يرقص مذبوحًا من الالم

وقلتُ

ان اعدائي وان بلغوا　　منتهى الاعداد كالعَدَمِ

انا كالجزار بينهمُ　　لا أُبالي كثرة الغَنَمِ

وقلت

لي صديق ظلَّ صحبتهِ　　نور شمس العقل ينسخهُ

فهو كالجزار ينفخ من　　رام منّا ثم يسلخهُ

ولبعضهم يهجو صاحبًا يؤذي الصحابة ولا تفارقهُ المسبحة

سبح الله ولكن　　شتم الناس وقبّح

فهو كالجزار فينا　　يذكر الله ويذبح

وللمعمار من الغزل

رب جزار هواه　　صار لي دمًّا ولحما

فزت بالَّلية منهُ　　وامتلى قلبيَ شحما

وقد احسن احمد بيك الكيواني حيث قال في جزار مليح ذبح ذبيحة ثم وضع السكين في فمهِ وامسكها باسنانه

يا واضع السكين بعد ذبحهِ ... في الثغر يسقيها رضاب لماتهِ
عاود بها المذبوح ثاني مرةٍ ... وانا الكفيل لهُ بعود حياتهِ

وقلت

وغادة بعد ذبحي من لواحظها ... بسيف سحر جفون كم دم سفكه
قالت ارى حركات فيك باقيةً ... فقلت لا بد للمذبوح من حركه

وقلتُ

اقول ذبحت الصب بالصد فارفقي ... بجسم سقيم عاد بالسقم كالفرخ
فقالت وما رفقي بهِ بعد ذبحهِ ... وهل بالم المذبوح من الم السلخِ

ومما يناسب الجزار (الطبّاخ) وهو صانع الطبيخ والطبيخ فعيل بمعنى مفعول وهو الطعام المطبوخ ولا يسمى طبيخًا الا اذا كان مع مرق . قال في المصباح قال الازهري قال بعضهم لا يسمى الطعام طبيخًا الا اذا كان بمرق (قلتُ) وظاهر عبارتهِ انهُ لا يشترط في تسميته بذلك الا المرق فقط سواء كان معهُ لحم او شحم ام لا وقال في المغرب قال الكرخي لا يسمى الطعام طبيخًا الا اذا كان بلحم او شحم وكان معهُ مرق اه وعليهِ فمثل المزوّرة لا يقال لها طبيخ عند الكرخي لعدم الشحم واللحم ويقال لها طبيخ عند الازهري لوجود المرق ومثلهُ الطباهج بفتح الهاء وهو طعام من بيض ولحم ولا يقال لهُ طبيخ عندهما لخلوهِ من المرق ويسمى الطباهج زُماورد ايضًا كما قالهُ في القاموس قال والعامة تقول لهُ بَزْمَاوَرْدٌ ويسمى المثلث بالفتح وبالضم وبضمتين كما في القاموس قال في المغرب ويسمى بالفارسية نُواله اه (قلتُ) فعلم ان لهُ سبعة اسماء كلها اعجمية قال في المغرب ويسمى المُيسَّر لتيسر عملهِ اه والمطبخ محل الطبخ وهو بفتح الميم قال في المصباح وقد تكسر ميمهُ تشبيهًا لهُ بالآلة . والطباخة صنعة الطباخ والطبخ مصدر قولك طبخ كقتل والمنصب بكسر الميم وفتح الصاد ما ينصبهُ الطباخ لوضع القدر عليهِ وما احسن قول الصلاح الصفدي فيهِ

كلفي بطباخٍ تملك مهجتي ... فعذاب قلبي في هواه مؤبّدُ
فكانما انا منصب قدامهُ ... نارٌ تشبُّ وزفرةٌ تتوقدُ

وقد تظرف في قولهِ وزفرة تتوقد والطف من ذلك قول ابن تميم في معزول

قد قلت لما فار غيظًا وقد ... أُزيحَ عن مَنْصِبِهِ المعجبِ
لا تعجبوا ان فار من غيظهِ ... فالقلب مطبوخ على المنصبِ

والمائدة ما يوضع عليها الطعام عند اكلهِ قيل هي من قولك ماد زيد عمرًا اذا اعطاه فهي مائدة فاعلة بمعنى مفعولة لان المالك مادها للناس اي اعطاهم اياها وقيل المائدة من قولك ماد اذا تحرك لانها تحرك عند وضعها وعند رفعها فهي فاعلة على بابها وفيها لغةٌ اخرى وهي حذف الالف فيقال لها ميْدة وما الطف قول بعض الظرفآء في قامات الملاح

ويعجبني بين الانام تطفلي عليها اذا ابصرتهن موائدا

(لطيفة) دخل بعض الشعرآء دار كبير فطالت مجالستهُ فجاع ورأَى صاحب المنزل يذهب ويجيء بغير طعام فانشأَ يقول

يا ذاهبًا في بيتهِ راجعًا بغير معنىً و بلا فائدة
قد جن اضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة

فحضرت المائدة حالاً ومثل ذلك انني كنت في دار صديق لي يسمى صادقًا فطال بنا المجلس حتى صاحت عصافير امعائي من الجوع فانشأْت اخاطبهُ بقولي

يا صادق الوعداني انبيك ما في ضميري
قد كدت اهلك جوعًا فهل ترى من فطورِ

فلما سمع ذلك اعتذر من غفلته . وحضر الطعام بعد طول غيبته . والسفرة هي الجلدة التي يوضع طعام المسافر عليها وسميت الجلدة سفرة مجازًا لان اصل السفرة هي الطعام الذي يصنع زادًا للمسافر وقد استعملتها الناس بمعنى المائدة لطعام المقيم. والمرجل كمنبر قدر من نحاس وقيل كل قدر يطبخ فيها (وقلتُ) في ذلك من الغزل

لريق طباخنا المفدّى حلاوةُ القطر وهو سائل
قالوا عجبنا لهُ غزالاً يفترس الليث وهو صائل
فقلت لا تعجبوا اذا ما كانت لطباخنا مراجل

والمراجل عند العامة عبارة عن صفات الشجاعة وقال بعضهم موريًا باسماء الحلاوات

وجه الحلاوي قد حلا اعيذه بالمرسلِ
لهُ نباتٌ عارض وريقهُ من عسلِ
عاشقهُ مكفنٌ قتيل تلك المقلِ
وسهمهُ مسيرٌ من طرفهِ المكحّلِ
وسكب مدمعي غدا كسكب غيثٍ هطلِ

قلبي عليهِ ناطف　　　يا ليتهُ قد منّ لي

وكنت يوماً جالساً في دمشق عند اديب من الاصحاب فمر بنا غلام مليح حلاوي ومعهُ حلاوة يضاف اليها ماء الليمون فقلت لصاحبي اريد ان امازح الحلاوي فقال شأنك وإياه فناديتهُ فلما اقبل قلت لهُ اتبيعنا من حلاوتك . قال لا . قلت لماذا . قال انها حامضة عليك وولّى فاستظرفت منهُ ذلك الجواب اللطيف

وقال بعض اللطفاء في الكنافة

اليكِ اشتياقي يا كنافة دائماً　　　اذا ما رأتكِ العين ينشرح الصدرُ

فلا زلت اكلي كل يوم وليلة　　　ولا زال منهلاً بجرعاتك القطرُ

وقال نصير الحمامي ملغزاً في الكنافة

يا سيداً في عصره بمصره　　　ومن لهُ حسن الثناء والسنا

تعرف لي اسماً حاز ذوقاً وغدا　　　حلو المحيا والجنان والجنا

والحل والعقد لهُ في دسته　　　ويجلس الصدر وفي الصدر المنى

ان قيل يوماً هل لهُ من كنية　　　فقل لهم لم يخل ذاك من كنا

اي لان لفظة الكنافة محتوية على الكنا وقلتُ ملغزاً فيها

احب اسماً خماسياً يغطّى　　　ولذة كل نفس في انكشافه

لهُ كاف باحرفه ونون　　　ولكن نونهُ في وسط كافه

اي ان نون كنافة في وسط كافها (اعلم) ان اللوزينج هي القطائف المحشوة باللوز والجوزينج المحشوة بالجوز وهما اسمان اعجميان عربتهما العرب بابدال جيم كل بقاف كما ذكره ابن خلكان ومما قلتهُ في القطائف ملغزا قولي

ما اسمٌ أبانوا رأسهُ　　　وعليهِ دهري قد سطا

فغدا علينا طائفاً　　　وسعى هناك بلا خطا

واذا قلاه المرءُ ولى　　　صلهُ وبالغ في العطا

هو في الحلاوة صادق　　　اذ كان اكثره قطا

القطا نوع من الحمام تضرب العرب بصدقها المثل فيقولون اصدق من قطاة وذلك لان القطا اذا صاحت تقول قطا قطا فهي بهذه صادقة لانها تدل بصياحها على نفسها وتصدق ومن اللطائف ان بعض البلغاء مر بالقطيفة فحصل لهُ اذى بليغ من بردها

فقال هاجياً لها

هذي القطيفة التي   لا نشتهي حشوًا ونقلا

حُشِيَت ببرد يابس   فلاجل ذاك البرد نقلا

والقطيفة مصغر القطيفة كعجيبة وهي واحدة القطائف كما ان العجيبة هي واحدة العجائب واما قول العامة واحدة القطائف قطائفه فغلط بالغ وقال بعض الادباء في العجة واجاد

وجاءتنا بعجتها رداح   لها في القلب حسٌ ايّ حسِّ

فلم ارقبل رؤيتها رداحًا   تصُوغ من الكواعب عين شمسِ

آكل بعض الندمان مع بعض الملوك بيضا فشرع الملك يأكل الصفار ويترك للنديم البياض فقال النديم ذكر الله العجة بخير فما اعدلها اي لان صفارها لا يميز من بياضها وقال بعضهم في البيض

وصفٌ على الكانون بيض كأنهٔ   فرائدُ درٍ سل من صدف البحر

وكتب ابو الفضل لبعض اصحابه يطلب بيضا بقولهِ

لابي الفضل اذا هَـــمَّ بما يهوى لجاجه

ولهُ عندك مــأ مو   لٌ ومطلوب وحاجه

درة ليست من البحـ   ـر ولكن من دجاجه

ولابن الرومي في هريسة

هلمّ الى من عذبت طول ليلها   بأضيق حبس في تنانير تسجرُ

وقد ضربت حدين وهي بريئةٌ   فقوموا الى دفن الشهيدة تؤجروا

(حكمة) طلب ابو مسلم الخراساني من طباخه هريسة فاجاد طبخها وقدمها اليهِ فاعرض عنها ولم يأكل منها فاعاد طبخها لهُ ثانيًا وثالثًا وهو يعرض عنها فقال الطباخ ايها الامير قد طلبت مني الهريسة وقد احكمتها لك ثلاث مرات ورأيتك اعرضت عنها فقال نعم وجدت نفسي شرهت الى تناولها فاعرضت عنها خوف ان تغلبني نفسي على شهوتها (قلتُ) فلله در ابي مسلم ما كان اشرف نفسهُ فان الحر يمنعهُ زمام حكمته ان يكون عبدا لشهوته قال الشاعر

وانك مهما تُعْطِ بطنك ما اشتهى   وفرجك نالا غاية الذم اجمعا

ومن كلام الحكماء من كانت همتهُ فيما يدخل جوفهُ فقيمتهُ ما يخرج منهُ . البطنة

تذهب الفطنه . اذا امتلأت المعدة . نامت العبرة وخرست الحكمة . وقعدت الاعضاء عن العبادة . لا تدعوا بطونكم خزائن الشيطان يَدَعْ فيهما ما احب . لا تجعلوا بطونكم قبوراً للحيوان . ونظر حكيم لرجل يكثر الاكل فقال لهُ احذر ان ياكلك ما تاكله وقالوا ربَّ اكلة منعت اكلات وفي الحديث حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبهُ (وقلت) كثرة الطعام من صفات الطَّغَام . وكثرة الاكل تفسد العقل . وكثرة الغذا تورث الاذى . وكثرة العشا تورث العَشا . وكثرة المطاعم من طباع البهائم . والعاقل ياكل في معاء واحد من امعائهِ . والجاهل يعتني بمل انائهِ منهُ ووعائهِ . وكل كثير عدو للطبيعة والعدو اذا تمكن يقتل والحكيم من اكل ليعيش لا من عاش لياكل . ومما يتعلق بهِ من المنظوم والمنثور ما قيل في جَدْي مقلي وضع على مائدة

لم انس لا انس طول الدهر مائدة ظلنا الديك بها في اشغل الشغلِ
اذ اقبل الجدي مكشوفًا ترائبهُ كانهُ متمطٍ دائم الكسلِ
قد مد كلتا يديهِ لي فاذكرني بيتا تمثلهُ في احسن المثلِ
كانهُ عاشق قد مد بسطتهُ يوم الوداع الى توديع مرتحلِ

ومما قيل في اللوزينج المار ذكره

مستكثف الحشو ولكنهُ ارق ذاتا من نسيم الصبا
تخال من رقة خرشائهِ شارك في الاجنحة الاحدبا
لو انهُ صوّر من خبزه ثغرا لكان البارد الاشنبا

ولابن الرومي في مليح يقلي زلابية

يلقي العجين لُجينًا من انامله فيستحيل شبابيكا من الذهبِ

وقلت

وطباخ سبا الالباب منا بعين قد حكت عين المهاة
لها غزل لطيف بات احلى لروح الصب من غزل البنات

وما الطف قول بعضهم في مليح رآه يمشي في جامع بني امية

تمشّى بصحن الجامع الرشأ الذي على قده اغصان بان النقا تثني
فقلت وقد لاحت عليهِ حلاوة الا فانظروا هذي الحلاوة في الصحنِ

وقلت

الا انني قد همت في حسن جلق ومسجدها الاقصى الجميل بناسها

ففي صحنهِ من مر يلقى حلاوة وجارية تسقي الندامى بكاسها

(لطيفة) لما عمر الامير تنكز جامعهُ بدمشق واتمهُ جعل لهُ خطيباً يلقب بالكشك وكان بين الكشك وبين رجل من الفضلاء عداوة فاتفق للفاضل المذكور انهُ دخل فرأى في صحنهِ الامير تنكز فلما رآه الامير نهض وتلقاه ثم لما جلس معهُ قال لهُ ما يقول شيخنا في هذا الصحن فقال لهُ ليس لهُ نظير غير ان الامير حفظهُ الله تعالى زفره بالكشك ففهم الامير وضحك ثم نزع الكشك من الخطابة وقال كشاجم يهجو رجلا كوفيا بقولهِ

شيخ لنا من مشايخ الكوفه نسبتهُ للمريض معروفه

لو حول الله قمله غنما ماطمع الناس منهُ في صوفه

قوله نسبته للمريض معروفة اراد انها مزورة والمزورة مرقة يطعمها المريض وقال آخر

وعرضك اوسخ من مطبخ واذهم من شقة المائده

قوله واذهم اي اشد زفرة من المائدة ومن الامثال (كل شيء سواك يالحم زور) لم تشتر الناس ولا باعوا . خيرا من الخبز اذا جاعوا . وان الظرفا يسمون الخبز ابا جابر وعاصم ابن حبه . والتمر ابن نخيلة . والسكباج ام القدور . والخل ابا عامر الغضبان . والخيار ابا الاخضر . والقثاء ابا القرون . والبصل ابا القمصان . والدجاجة ام حفصة . والفراريج بنات المؤذن . والسكر ابا شيبة الخرزي . والعرب تسمي الجوع ابا عمرة ذكر ذلك كلهُ الراغب في محاضراتهِ (لطيفة) كان الحجاج طائفاً بالعسس ذات ليلة فرأى غلامين يمشيان في الظلمة فقبض عليهما واراد قتلهما ثم سأل احدهما فقال ابن من انت فانشأ يقول

انا ابن من دانت الرقاب لهُ ما بين مخزومها وهاشمها

تأتي اليهِ الملوك طائعـةً ياخذ من مالها ومن دمها

فقال للآخر وانت ابن من فانشأ يقول

انا ابن الذي لاتنزل الارض قدره وان نزلت يوماً فسوف تعودُ

ترى الناس قصاداً الى ضوء ناره فمنهم قيـام حولها وقعـودُ

فلما سمعهما الحجاج ظن احدهما من اولاد الملوك والثاني من اولاد امراء العرب فاخر قتلهما فلما اصبح استدعاهما واستقص السوآل عنهما فوجد احدهما وهو المنشد الاول ابن حجام والآخر ابن طباخ فعفا عنهما وقال لجلسائهِ علموا اولادكم الادب فانهُ ينجي من القتل ومن اسماء الطباخ الطاهي كالقاضي والجمع الطهاة كالقضاة مأخوذ من الطهو وهو انضاج

اللحم واجادة طبخهِ واحكامه تقول طهوت اللحم اذا فعلت بهِ ذلك

ومن الصناعات ﴿الصباغة﴾ وهي صناعة الصباغ والصباغ هو الذي يلون الثياب بغير لونها واللون عرض يقوم بالجسم ليحصل ادراك الجسم بحاسية البصر فلولا اللون ما ادركت الاجسام بالابصار ولهذا لا نبصر الهواء لانهُ لا لون لهُ فان قلت قد قالوا ان الماء لا لون لهُ ونحن نرى الماء قلت قد رايناه باللون العارض لهُ الذي اكتسبهُ من انائهِ لانهُ جسم لطيف سيال يتلون بلون انائهِ فان قلت نحن ندرك الماء وان لم يكن في انائهِ قلت المحل الذي تراه فيهِ فيكون هو اناؤُهُ فيتلون بلون ذلك المحل فتراه وان لم يكن في الاناء المعروف عندك كما ان الهواء يتلون في بعض الاحيان بتلون الافق الذي هو كالاناء للماء يقال فيهِ ريح احمر وريح اسود (واعلم) ان امهات الالوان كلها البياض والسواد اذ جميع الالوان تميل الى احدهما كالزرقة والحمرة والخضرة والصفرة اذا شبعت مالت الى السواد واذا لم تشبع كلون السماء والورد والفيروزج والكهرباء والليمون مالت الى البياض واختلف هل البياض اصل للسواد او فرعه والمعتمد ان السواد اصل البياض وسابق عليهِ في الوجود لان الله جلت قدرته خلق الظلمة قبل النور والظلمة لونها السواد واعلم ان العرب تطلق السواد على الخضرة فيقولون روض كثير السواد اي الخضرة ومنهُ قولهُ تعالى ومن دونهما جنتان ثم قال مدهامتان فوصفها بالسواد والمراد بهِ الخضرة يرى من بعد اسود ومنهُ قولهم دخلت سواد العراق اي خضرتهُ (فائدة) النظر في البياض يفرق البصر. ولذا جعل الحواجب السود فوق البصر لتجمع نور البصر والنظر في الاسود يجمع البصر وفي الاخضر يقويهِ ويزيل الهم والحزن وفي الاصفر يجلب السرور ومنهُ قولهُ تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقال ابو نواس في الخمر

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها ... لو مسها حجر مستهُ سراء

وارسل الى بعضهم بعض الكبراء دنانير فكتب اليهِ

سيدي جاءني نوالك يسعى ... فتلقاه من عبيدك شكرُ
ولعمري هي الدنانير جاءت ... بسرور وجوده مستمرْ
فاراني علمت علم يقين ... ان لون الصفار لون يسرْ

وقلت

ارى الناس قد زهدوا الانتسابَ ... الى كل جدٍ شريف سري
واصبح معظمهم ينتمي ... لديناره الاصفر الابتر

فلا تطمئنن الى ودّهم   فقد اصبحوا من بني الاصفرِ
وكما يجلب النظر الى الاصفر السرور فالنظر الى الاحمر يهيج الغلمة وهي شهوة النكاح ولذا قالت العرب الحسن احمر قال شاعرهم يصف نوقًا بقولِهِ

هجان عليها حمرة في سوادها   تروق لها العينان والحسن احمرُ

وحكي ان مسيلمة الكذاب لعنهُ الله تعالى لما جاءتهُ سجاح قال لقومه اضربوا لها قبة حمراء فلعلها اذا نظرت اليها تحركت غلمتها وكان الامر كذلك وما الطف قول الحكيمة وذلك حين قيل لها اي الالوان احب اليك قالت الحمرة لانها لا توجد الا في وجه المستحيي ولذا كان احب الالوان الى الشياطين لون الحمرة وقد ورد في الحديث الامر باتخاذ الحمام المقاصيص الحمر في البيوت قالوا وحكمة ذلك ان الشيطان يحب الحمرة فاذا رأى الحمام الاحمر في بيت اشتغل بهِ عن اذى اهلهِ ولهذا قالت الحكماء ان من الخواص لدفع الطاعون عن دخول الدار ان يجعل في تلك الدار الحمام الاحمر (قلت) وحكمتهُ ما تقدم لانهُ ورد في الحديث ان الطاعون وخز الجن فاذا دخلت بيتًا لوخز اهلهِ ورأت الحمام المذكور اشتغلت بهِ عن قصدها. والعرب كما تطلق السواد على الخضرة فكذلك تطلق الصفرة على السواد (تنبيه) افضل الالوان في الدنيا البياض لحديث البسوا البياض وكفنوا بهِ موتاكم وافضل الالوان في الآخرة الخضرة قال تعالى في وصف اهل الجنة يلبسون ثيابًا خضرا من سندسٍ واستبرقٍ وحكمة اختيار البياض للدنيا ان الدنيا دار تكليف واهلها مكلفون والمكلف مأمور بالتنزه من النجاسة في جسدهِ وثوبه والنجاسة في البياض اظهر للعين من كونها في الخضرة فلما انقطع التكليف بالموت وكانت الجنة دار طهارة لا نجاسة فيها كان افضل الالوان فيها الخضرة . وقالوا البياض نصف الجمال وقالوا البياض افضل . والحمرة اجمل . والسواد اهول وعندهم شدة البياض ممدوحة الا في الانسان لانها اذا اشتدت في الانسان تكون مجردة عن الحمرة وعندهم افضل الوان الانسان ان يكون ابيض مشربًا بحمرة كلون الورد لا شديد البياض كلون الجص واذا اشتد بياضهُ يسمونهُ الامهق والمرأة مهقاء يقال في فعلهِ مهِقَ من باب تعب (فائدة لغوية) العرب لها الفاظ تشير بها الى خلوص الالوان و بلوغها الغاية فيقولون ابيض يقق بفتح القاف الاولى قال في مجمع البحار وقد تكسر و يقولون اصفر فاقع . واخضر ناضر . واحمر قاني . واسود حالك . كل ذلك معناه خالص (فائدة اخرى) الاسود لا يزيلهُ شيءٌ من الالوان لانهُ كما تقدم الاصل في الالوان والابيض يزيلهُ كل لون فهو

ضد الاسود قال الشاعر

وبياض السواد صَعبٌ على الصا نع لكن سهل سواد البياضِ

وقلتُ

قيل لي الاسود لا يمْـكن أن يصبغ ابيضْ

قلت ذا اكذب زعمٍ هوَ ردٌّ ومعرَّضْ

فانظروا اسود شعري كيف قد اصبح ابيضْ

وما احسن قول بعضهم

وبياض العذار بعد سوادٍ كسواد العذار بعد بياضِ

ومثلهُ في الحسن قول الآخر

ولي خط وللايام خط وبينهما مخالفة المدادِ

فاكتبهُ سوادًا في بياض وتكتبهُ بياضًا في سوادِ

ومثلهُ في اللطافة قول صاحب البرأة في براعة استهلال قصيدة دالية

كتب العذار بأبيضٍ في اسودٍ بغضاء ما بيني وبين الخُرَّدِ

وقد سمعت قول بعضهم في اهل مصر

ان في مصر وجوهًا نفض النيل عليها

فرددت عليهِ بقولي

لئن عبت مصر وسكانها بما خصت في النيل من غرتك

ففي بولك انظر تجد لحية بهِ قد تدلت الى سرتك

ولا تبتهج فيا طالما نفضت على الناس من جهرتك

الجهرة صبغ اصفر وهي ايضًا هيأة الانسان ومنظره كما يؤخذ من الاساس (فائدة اخرى) اللون من الالفاظ المشتركة لانهُ يشترك في ثلاثة معان الاول احد الالوان الذي هو عرض يقوم بالجسم كما تقدم . والثاني النوع تقول اطبخ لنا لونًا من الطعام اي نوعًا وجاء بألوان الطعام اي انواعها . الثالث نوع من النخل يقال لهُ لون وقيل النخل كلهُ ما عدا البرني والعجوة تسميهِ اهل المدينة الالوان ومنهُ قولهُ تعالى ما قطعتم من لينة لان اصلها لونة كما ذكره في مجمع البحار (واعلم) ان الالوان لا تنشأ الا عن الصباغ وهو الصبغ والصبغة ما يصبغ بهِ ويسمى الزيت والخَلُّ صبغًا وصباغًا لان الخبز يغمس فيها ويلون بهما ولا بد ان يكون ما يصبغ بهِ مائعًا كما في المصباح (قلتُ) وقد يستعمل

في غير المائع مجازاً ومنهُ قولهُ تعالى صبغة الله ومن احسن من الله صِبغَةً لان المراد بالصبغة في الآية دين الاسلامْ وسماهُ الله صبغة مشاكلة لتسمية النصارى ماء المعمودية صبغة وهو ماء تقدسهُ كبراؤُهم يغمسون فيهِ الاطفال و يزعمون ان الانسان لا يصير نصرانيًا الا بعد الانغماس فيهِ والانصباغ بهِ حتى ان بعض امهات الاطفال لا ترضع طفلها الا بعد انغماسهِ فيهِ كانها تتبرأ منهُ قبل انغماسه فخاطب الله المؤمنين بقولهِ صبغة الله اي الزموا صبغة الله ولا تغترُّوا بغيرها وعلم بما قدرتهُ ان صبغة منصوب على المفعولية وبما قدمتهُ ان علاقة المجاز فيهِ المشاكلة كما قال الشاعر

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخهُ　　قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

ومن المجاز ايضًا وصبغ للآكلين وقولهم صبغ فلان يده بالعمل وبفن من العلم ونصبغ في الدين اذا احسن دينهُ وصبغت الرطبة اذا لونت وصبغت الابل مشافرها في الماء اذا غمستها فيهِ وقد صبغوني في عينك اي غيروني عندك باساءة قولهم فيَّ ويقال انفلت فلان وهو اصبغ كاحمد اي لثق الذنب من الفزع ومعناه انهُ احدث فزعا وصبغ الحدث ذنبه بلون يخالف لونهُ من قولهم طائر اصبغ اذا خالف لون ذنبهِ بقية لون بدنه كل ذلك من كتاب الاساس وقال في المغرب يقال اصبغ الرجل اذا ابيضت ناصيته وهو اصبغ وبهِ سمي والد تماضِر بنت الاصبغ اه ومن تشابيه العرب قول العجاج

بطعنةٍ نجلاء فيها ألمه　　يجيش ما بين تراقيه دمه　　كمرجل الصباغ جاش بقَّمهْ

قولهُ جاش اي علا وارتفع من شدة غليانهِ والبقم صبغ احمر مائل الى السواد قيل عربي وقيل معرب ومما قيل في الصباغ من الغزل

يا من يجود بموعدٍ من وصلهِ　　ويصدُّ حين اقول اين الموعدُ

ويظل صباغ الحيا في وجههِ　　يعيا يعصفر تارة ويوردُ

رفقًا بمن اشبعت صفرة جسمهِ　　بسواد عين ما رآها المرودُ

وقلتُ

زرقة النيل في يديْ من سباني　　بقوامٍ يفوق سمر الرماحِ

مثل فيروزج السماء تبدّى　　سنا الفجر في عمود الصباحِ

وقلتُ

شغفتُ بصبَّاغ بلوّن قولهُ　　ويخلف في وعدي ويبدي اعتذاره

فقلت وما التلوين يوماً فقال لي فديتك كيف المرء يترك كاره

وقلتُ

انظر لصباغٍ بليت بحبه وبهجره وبصده وببعده
نفض البنفسج لونه في كفه لما رأى لون الشقيق بخده

وقلتُ

زارني مَن لون خديه سبا بالبها كلَّ فتاةٍ وفتن
قلت يا بدر الدجى ما خضرة ظهرت في وجنة الوجه الحسن
فامنن امنن بجوابٍ قال لي ذي تسمى صبغة الله ومن

قولي ومن فيه تورية لانها تحتمل الاستفهامية ويكون في البيت الاقتباس والاكتفاء ويحتمل ان من فعل ماض يعني ومَنَّ بالجواب ورشحت لهذه التورية بقولي فامنن فتامله فانه لطيف وقلت

ما لاح ريحان العذا رِ وآسه من فوق ورده
بل ذاك مخضر السما ءِ يلوح في مرآة خده

وقلتُ في المعنى

أفدي الرشا رب الجمال الذي باللحظ كم اوحى الى عبده
قابل مرآة السما وجهه يشف للناظر عن ورده
فاخضر آس الصدغ من لونها واحمرت الآفاق من خده

وقلتُ اهجو صباغاً

لا غرو ان اخلف صباغنا في الوعد وهو الثعلب الرائغُ
فأكذب الناس كما قد اتى في السنة الصباغ والصائغُ

وفي الحديث اكذب الناس الصباغون والصياغون قالوا المراد من يصبغ الكلام بصبغة الكذب والزور ويصوغه . لا من كانت الصباغة والصياغة حرفته

وقلتُ

لله كم في مصر من روضة قد البسنها ظلها الضافي
وازرقَّ من كتانها زهره لشربه من نيلها الصافي

وقلتُ

صبغ الخضبُ شيبه بسوادٍ للغواني عسى اليه تميلُ

صبغة مثل وده يعجب النا　　س ولكن في ليلة يستحيل

(قلت) الخب بفتح اوله وتشديد ثانيه الماكر المخادع من قولك خب من باب قتل اذا مكر وخدع والخبّ هو المصدر سمي الماكر به . والخب بالكسر المكر . وفي الحديث المؤمن غر كريم . والمنافق خب لئيم . ومن الغايات قول بعض الاكابر

يا من يخضب شعره بسواده　　لعساه من اهل الشبيبة يحصلُ
ها فاختضب بسواد حظي مرة　　ولك الامان بانهُ لا ينصلُ

ولبعض اللطفاء

اربع بربع للربيع وكن له　　ضيفًا تكن ندماءك الازهارُ
من قانيء في ناضر في ناصع　　في فاقع صباغها الجبارُ

ومن الصناعات صنعة ❊ الصرافة ❊ وهي صناعة الصراف ويقال له الصيرف والصيرفي وجمعهُ صيارفة وهو فاعل الصرف والصرف بيع الذهب بمثله او بالفضة او بهما وصاحب هذه الصنعة لا تجب عليه الزكاة لان شرط وجوبها الحول وما في يد الصراف لا يمكث في ملكه اسبوعًا بل يبيعهُ وهكذا الى آخر السنة فلا يصدق عليه انهُ ملك نصابًا عامًا كاملاً ولذا ورد بشروا الصيارفة ان لا زكاة عليهم ومما يحتاج اليه الصراف معرفة النقد والنقد تمييز رديء الدراهم والدنانير من جيدها وفاعله نقاد

وقال ابن النبيه

والموت نقادٌ على كفه　　جواهر يختار منها الجياد

ولبعض العارفين من مشايخ الصوفية يخاطب بعض تلاميذه بقوله

الم تعلم بأني صيرفيٌّ　　احك العالمين على محكّي
فمنهم من يقابلني بزيف　　فانفي زيفهُ منهُ بسكي
ومنهم بهرج لا خير فيه　　فابعده واهملهُ بتركي
وانت وجدتك الذهب المصفى　　بتزكيتي ومثلي من يزكي

وقال آخر

قال المحك اذ غدا　　يظهر عيب الذهب
والله لست عائبًا　　الا لمن يحنك بي

ومنهُ قول بعض الفضلاء يهجو بعض الناس بقوله

مضى في الصرف نقد العمر منهُ　　وما عرف الرصاص من النحاس

وقال آخر

قد كنت نقدًا فصرت زيفًا وانكر الغانيات نقشي
وكنت امشي ولست اعيا فصرت اعيا ولست امشي

وقال الآخر

ان قلت انك تبر فما بذلك نعرف
وما نرى لك نفعًا حتى تُصَكَّ وتصرف

وقلتُ من الغزل في مليح

لي صيرفي لم يلق بالـــسغضاء الا من احبه
قيراط عنبر خاله لم يبق مني وزن حبه

وقلتُ

لما رأى الصب صدَّ عنه وكان نبت العذار عذره
قال له انظر ربيع خدي فقد حلا نضرة وخضره
ولا تكن مثل صيرفيٍّ يميل ميزانه بشعره

وقلتُ

ولم ار في البرية مثل شخص اذا برطلته اصلحت شانه
بخردلة كميزان اللآلي تميل كفتاه لنا لســانه

وقلتُ

لي صاحب لا كان من صاحب كالدرهم المضروب في وصفه
الضربُ في امساكهِ دائمًا والنفع كل النفع في صرفه

وقلتُ

وصيرفيٍّ رآني عنه منصرفًا فقلت اسمع من بالفضل يعرفني
لولم آكن عنده نقدًا بلا زغل ما كان مع علمهِ بالنقد يصرفني

وذلك لان الصراف لا يصرف الا ما كان جيدًا من النقد واما الزيف فلا يصرفه

وقلت

قالوا فلان في النقادة ماهر وسواه نقاد وليس بنابه
قلنا صدقتم ان عنيتم انه في الدهر انقد ما يكون بنابه

يعني صدقتم ان اردتم انه انقد الناس بنابهِ اي الدغهم لانه لا ينقد بنابهِ الا الافعى

تقول نقدت فلانا الحية اذا لدغته ونقد الطائر بمنقاره اذا نقر به كما في الاساس وهذا نوع من البديع يقال له اسلوب الحكيم وهو ان تحمل كلام مخاطبك على غير مراده كما قيل لحكيم هل بقي من الناس ما يلقى قال نعم في البئر وكقول بعض من يزعم انه مطرب لبعض اصحابه أفادخل قال في جهنم وكما قيل لمن دخل على امير هل ولّاك الامير شيئًا فقال نعم ظهره ومثل ما تقدم قولي

قد قيل ان فلانا بات اشعر من قيس بعبس وما ادراك ما قيسُ
فقلت هاتيك دعوى لادليل لها الاّ اذا ما اردتم انه تيس

يعني اذا اردتم بقولكم اشعر اكثر شَعرا بفتح الشين فيكون مرادكم بذلك انه التيس لان التيس اكثر الحيوان شعرا

﴿ومن الصناعات الكحالة﴾ وهي خاتمة هذا الكتاب . وانما جعلتها خاتمة رجاء ان يجلو الله تعالى عين بصيرتي بنور الهداية . ويكحلها بكحل العناية . لتدرك في مجاز دنياها حقائق الاشياء . وتذهب عنها غشاوة الاهواء . وتنجي من انسانها نقطة غينه . ليشاهد عين حقيقته بعينه . ويسلم مما تخيلة الاوهام . مما هو كاضغاث احلام . ويرتاح من الخلق الجديد الموقع في اللبس . ويخرج الى فضاء الانوار من دوائر ظلمات النفس . ويتبدل فلزّهُ بخالص النضار الإبريز . وما ذلك على الله بعزيز . اللهمّ يامن يرجو كل عاص مراحمه . امنن على عبدك الضعيف بحسن الخاتمه . واغمسهُ في بحر العفو والجود والكرم . واغفر له ما جرى بهِ القلم (اعلم) ان الكحالة صناعة الكحال والكحال صانع الكحل ويقال له ايضًا الكاحل وفعله كحل العين من باب قتل وقولهم كحلت الرجل من مجاز الحذف والتقدير كحلت عين الرجل حذف المضاف واقيم المضاف اليهِ مقامه لفهم المعنى ولهذا يقال عين كحيل فعيل بمعنى مفعول يعني ان الدليل على ان المقصود من قولهم كحلت الرجل كحلت عينه قولهم عين كحيل وذلك لان التاء من فعيل لاتحذف من وصف المؤنث الاّ اذا كان بمعنى المفعول كعين كحيل واذا كان كحيلا بمعنى المفعول علمنا ان العين هي التي وقع عليها فعل الكحل في قولنا كحلت الرجل لا الرجل المذكور . واعلم ان فعيلا يستوي فيهِ المذكر والمؤنث اذا كان في المؤنث بمعنى مفعول فتحذف منهُ التاء واما اذا كان بمعنى الفاعل ووقع وصفَ مؤنث اتي فيهِ بالتاء فمن الاول قوله تعالى عجوز عقيم لانه فعيل بمعنى مفعول من قولك عقمت المرأة بالبناء للمفعول فهي عقيم ومن الثاني قولك امرأة خلية من موانع النكاح بمعنى خالية فان قلت يرد على هذه القاعدة

قوله تعالى وما كانت امك بغيا لانهٔ كان على هذه القاعدة من حقه ان يقال وما كانت امك بغية بالتاء لانّ فعيلاً فيهِ بمعنى فاعل (والجيب) بانّ بغيا اصله بغويا بوزن فعول وفعول يستوي فيهِ المذكر والمؤنث سواءكان بمعنى فاعل او بمعنى مفعول فلما استثقل النطق بهِ ابدلوا واوهُ ياءً وادغموها في الياء فصار بغيا . والمكحل والمكحال كمفتح ومفتاح المرود والمكحلة آلة الكحل وهي بضم الميم وكان قياسها الكسر لانها آلة لكن هكذا استعملتها العرب مع احرف اخرى ضموا ميمها مثل المنخل والمسعط والمدهن والمغزل في لغة والمشط واستعملوا ايضًا كلمات بفتح اوائلها على غير القياس كالمنارة والمنقل وهو الخف ومحمل الحاج في لغة . والكحل ما يوضع في العين لمداواةٍ او زينة واما الكحل بفتح الكاف والحاء فهو من المحاسن لانهٔ سواد يعلق بالجفون خلقة تقول كحلت المرأة من باب تعب فهي كحلاء والرجل اكحل. ومن الامثال الشعرية قولهم

(ليس التكحل في العينين كالكحلِ) . اي ليس الشيء المكسوب . كالشيء الموهوب . ولا المصنوع كالمطبوع . ورحم الله المتنبي حيث قال

حسن الحضارة مجلوب بزخرفة　　　وفي البداوة حسن غير مجلوبِ

يعني وشتان ما بينهما فمما قلتهُ من الغزل في مليح كحال

ولم انس كحالاً اذا مدّ ميله　　　اراك انضاح الفجرِ من قبضة البدر

اقول وقد شاهدت ذرّ عذارهِ　　　وذرّ بعيني الكحل رفقًا اباذر

اي ارفق يا ابا ذر والمراد بهِ ذر عذاره وهو صغير النمل او ذر كحل في العين اي وضعهُ فيها باطراف الانامل وقلتُ ايضًا

وشادن في سلمه لم يزل　　　يستل من جفنيه سيفينِ

ما اكتحلت عيني بكحل الكرى　　　في حالة القرب او البينِ

الاّ اتاني طيفه في الدجى　　　يسرق كحل النوم من عيني

هذا مثل تضربهُ العامة اذا بالغوا في وصف لص قالوا هو يسرق الكحل من العين اي يتلطف في سرقته حتى يبلغ مراده وقلتُ

ان نسألوا القلب عن هيامي　　　في حب كحالكم فراسخ

فكم قطعنا اليهِ ميلا　　　وكم مشينا لهُ فراسخ

وقلتُ

ولما رأيت الدمع باح بصبوةٍ　　　اكتمها في القلب خوفا من العذلِ

ملأت بكحل الشم اجفان مقلتي لأوهم ان الدمع يجري من الكحلِ

وقلتُ

لا كان كحالا يكحل ارمدا فرضَ الجهاد على العيون وسنّةُ

قد كلّ سيف لحاظه وبكحله بعد الكحول جلا صداه وسنّهُ

وقال السراج المحار الحلبي يهجو كحالا

اعمى صديقا لنا كحالكم عبثًا ياصاحبيّ فعن دكانهِ زولا

قد كان يبصر بُعد الميل ناظره فعاد من كحله لا يبصر الميلا

وقلتُ اهجو كحالا

ذكا كحالنا فاجاد كحلا لطيفًا للعمى اضحى مجرّب

فكم بالكحل اذهب عين شمس واطلع في سواد العين كوكب

اردت بالكوكب النقطة البيضاء في العين التي تسميها العامة بالبياضة

وقلتُ

كحالكم كفه مباركةٌ بانت تقود العمى بأرسانِ

كم اتلفت في دمشق انملها انسان عين وعين انسانِ

وقلتُ ايضًا

عجبت من كاحلٍ تصدى الى العلاء وهُوَّ سافل

فقلت مهلا فلن تساوي روٴس دهري وانت كاحل

قد تقدم انهٔ يقال كحال وكاحل والكاحل معروف في الرِّجل وهو الذي اردتهٔ

وقلت امدح كحالا

عجبت لكحال تراه لحذقه اخف يدا ممن اظلتهم الزرقا

فكم مقلة بيضاء عاد سوادها باكحاله حتى حكت مقلة الزرقا

الزرقاء امرأة مشهورة كانت ترى الاشياء من مسافة ايام فلما قتلها اعداؤها اخرجوا حدقتها فوجدوا داخل عينها مملوًا بالاثمد فعرفوا ان شدّة إبصارها كانت من الاثمد ولذا ورد في الحديث عليكم بالاثمد فانهٔ يجلو البصر ويُنبت الشعر والمراد بالشعر شعر الهدب الذي في الجفن الاعلى والاسفل من العين ونباته في الجفن الاسفل مخصوص بالانسان دون الحيوان (وقلتُ) متضرعًا الى من يجيب المضطر اذا دعاه . ويجيبهٔ اذا ناداه بلبيك وان اتى منهٔ وعقهٔ وعصاه

الهي أعف عما قد جنيت وعافني   بطبك لي ياخالق الارض والسما
فمن لم تطببهُ فياطول دائهِ   ومن لم تكحل عينهُ لقيَ العمى

وقلتُ ايضاً

ياخالق الخلق ايقظ قلب ذي سنةٍ   عساه يصبح بعد النوم منتبها
يارب واغمس بكحل النور ميل هُدًى   واكحل بهاعين قلبي كي اراك بها

والحمد لله الذي تم بهِ العمل . وانتهى اليهِ الامل . اسألهُ دوام سلامه وصلاتهِ . على اشرف مخلوقاتهِ . وعلى آلهِ وصحبهِ . وعترته وحزبه . وان يغفر لي ما احاط بهِ علمهُ مما فرط مني من الجهل . وان لا يحرمني الدخول في سعة رحمته وان لم آكن لها اهلاً فهو لذلك اهل . فقد رفعت اليهِ اصابع الضراعة العاطلة من التقوى والمكارم . اسألهُ ان يحليها وجميع احوالي واحبابي بحسن الخواتم . وان يطيل عمر الفضل والكرم . ومحاسن الافعال والشيم . ببقاء ذات من أُلف هذا الكتاب باسمهِ . ورسم بشريف رسمهِ . من فاخر ميدان دمشق بهِ حلب الشهبا . وعبق في الكون طيب ذكرهِ شرقًا وغربا . وجرت سحائب اياديهِ في جنان دمشق انهارًا . وتجسمت اخلاقه في رياضها فكانت وردًا وازهارا . وفاخر كل كريم جوهر ذاتهِ فصار عند الفخار فخّارا . واسطة عقد بني العظم . فارس ميدان النثر والنظم . ولما تم هذا الكتاب الذي هو للظرف ظرف . في اواخر سنة خمس وعشرين ومائتين والف . جآء تاريخهُ نثرًا

تـم كتاب الأرب والافاده ﴿سنـة﴾
٤٤٠ ٤٢٢ ٢٢٤ ١٢٨ ١٢٢٥

فزان تاريخـهُ جمال محمد بيك عظم زاده ﴿سنـة﴾
٧٤ ٩٢ ٢٢ ١٠١٠ ١٢ ١٢٢٥

وجاء تاريخهُ نظماً

لله روض ابرزت اوراقهُ   ثمرًا لفكر المجتني والمجتلي
شرح جليل حين تم لنا اتى   تاريخهُ قولي انهى الشرح الجلي

سنـة ١٢٢٥

فالبيت الثاني فيهِ من انواع البديع التاريخ وفيهِ التورية لان قولي الجلي يحتمل ان معناه الظاهر ويحتمل ان المراد بهِ لفظة الجليل من باب الاكتفاء وقد رشحت التورية بقولي قبل ذلك شرح جليل وعُلم ان في البيت الاكتفاء وقلت ايضاً

قد تم والمسك من ختمه ضمخه احسن تضميخ
فاعجب له لما انتهى جاءنا تاريخه اجود تاريخ

سنة ١٣٣٥

وقلتُ ايضاً

قد انتهى شرحي اللطيف الجلي لبيتي العلامة الموصلي
فجاء شرحاً وافياً وافراً مفصلاً للأدب المجملِ
يغنيك عن روض اريض وعن مافيه من زهر ومن جدولِ
وعن طيورٍ مطربٍ شدوها وعن نسيم طاب من شمألِ
وعن نديم داخل فاضل صب نبيه كاملٍ امثلِ
وعن مليح مطمعٍ مؤنس الى ظريفٍ احور اكحلِ
بدرٌ وشمسٌ الراح في كفهِ تبدي نجوماً قط لم تأفلِ
يسقيك طوراً من لما ثغره وتارة من راحهِ السلسلِ
فيا له شرحاً غدا حاوياً لبهجة الورد ولم يذبلِ
ريحانة فاحت لنا نفحة كنفحة العنبر والمندلِ
الفتة ممتثلاً امر من صفاته الحسناء لم تُجهلِ
بيكٌ سواه في الذي مرَّ من عمريَ لم يهنأ ولم يحلُ لي
ذو همةٍ كالسيف لكنها في الدهر لم تحتج الى صيقل
عَلَت به اوجَ السِّماكين في ذرى العلا الرامح والاعزلِ
وليس من بدعٍ علوّ امرىء مع جده كان ابوه علي
بيك غدت فطنة افكاره تحل عقد الحادث المشكلِ
آية فضل تركت غيرها حرف هجاء عندها مهملِ
فاقصد حماه تجد السرّ قد احاط بالسكّان والمنزلِ
ولا تمل نحو امرىء ساقط يعديك من داء له معضلِ
مديد طبع لو طلي طبعهُ بالذهب الابريز لا ينطلي
ولا تقل من ضجر كامن فيك كمون النار في الجندلِ
قد نخل الدهر دقيق الورى فاقنع بما ابقاه في المنخلِ
فان هذا البيك في عصرنا من الطراز السابق الاولِ

جاءت بهِ أُمُّ المعالي فتىً . وبعده حالت فلم تحبلِ
لا زال في عزٍ وفي نعمة تزداد في حالٍ ومستقبلِ
ما مال غصن البان في دوحة بنغمة الشحرور والبلبلِ
وما غدا بريرهُ قائلاً قد انتهى شرحي اللطيف الجلي

وقلتُ

بت دهراً آيساً من وصل ريّ بعد ما اوسعني خصباً وريّ
ولقد طال اغترابي وزقت هامة الهامة بالبين ضحي
واستحالت صعدتي قوساً لها وترٌ ما في يميني من عصي
والمها تترك من لاح لها فجره ترك كناس من ظبي
بكأيّن من ظباء صدتها وبودّي عود ما بعد كأيّ
غير ان الدهر قد حاربني فاستحالت قوتي ضعفاً وعي
وشموس الحسن لما اشرقت ليَ لم تترك لجسمي وسم فيّ
آه من صرف الليالي فلقد خطف اللذة من بين يدي
عبرة قد اوقفتني اليوم في حلبة السبق واجرت عبرتي
وصحابي اضمرتني وبدت مثل ما تضمر ان مع لام كي
فتركت العشق قرءً مثلما يترك الحائمُ نهلاً من ركي
وهجرت الشعر لولا منن اوجبت مدح كريم كلويّ
المعيّ الشام من مدحي له جرّ مدح الخلق في الدهر اليّ
وكبير لم تزل همته بيَ حتى ملكته اصغري
مدحه ما مر في افواهنا قطّ الا استبشعت طعم الأري
يكنا نجل عليٍ من له هيبتا عبد مناف وقصي
ما رأت عيناي بحراً مثله مفرغاً لؤلؤه في اذني
ذو الفقار العضب امسى عزمه والذي ناواه امسى كجبي
فاذا صال فما عنترة واذا طال فما حاتم طي
واذا ما وعد الناس وفا واذا اوعدهم يعروه لي
باسطاً كفاً اذا ما لمست نغناها ميت فقر عاد حي
فنسيب الفضل لولا ما انتهى لعلاه لغدا هيّ ان بي

جنةٌ في جنةٍ من جلق — كيف أشقى وهي احدى جنتي
روؑف ادركت من رأفتهِ — مننا لم ارها من ابويه
وتلاشى تعبي حتى غدت — بنداه راحتي في راحتي
اين شكري من اياديهِ التي — ابد الدهر لها فضل علي
فاذا الفت في مدحتهِ — صحفًا فالعجز منسوب الي
كعبة في حرم قد اصبحت — لي ملاذا وهي احدى قبلتي
صاح قم نستلم الركن اليما — نيَ منها ونَراها هيَّ هَيّْ
وتأدب وتهذب عندها — والى مدح اياديها تهيْ
واطّرح قول حسود غرّه — جهلهُ حتى اراه الرشد غي
واستعذ بالله من جهل يُري السـ — ـغيَّ رشدًا او يريك الرشد غي
ايها البيك الذي شكري لهُ — اكثر اللفظ الذي في شفتي
هاك بكرًا انت عندي كفؤها — طوت الناس الى لقياك طي
قد تحلت بمزاياك التي — زينتها حبذا ذاك الحلي
لو رأتها عين غيلان لما — كان يومًا هائمًا في حب مي
فارضها فضلاً ودم في دولةٍ — يتجلى سعدها في كل شيْ
ماغدا البربير يشدو قائلاً — بت دهرًا آيسًا من وصل ري

والحمد لله اولاً وآخرًا . باطنا وظاهرًا . على ما من بهِ من البدء والختام . حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده على الدوام . ما زمرت الرياح . وغنت قيان الطيور على العيدان في الادواح . ورقصت الاغصان . وصفقت الانهار والغدران . وما جرت الاقلام . وسعت الاقدام . وطارت كتب العشاق . باجنحة الاشواق مشحونة بالطف التحيات

والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدورنا شرحًا جليًا باتمام نعمه . واكرمنا بجعل افكارنا قافيةً في عروض فضله لرويٍّ كرمه . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي النبيه . والرسول الصفي الوجيه . وعلى آلهِ أئمة الدين . وصحبهِ الذين كرعوا من عين اليقين . (اما بعد) فيقول الفقير ابرهيم بن علي الاحدب الطرابلسي . اقبسهُ الله النور القدسي . ان الكتاب الموسوم بالشرح الجلي . لبيتي العلامة الموصلي . للعالم العلامة الاديب . والفاضل الفهامة الاريب . عالم دهره . وشاعر عصره . من جل عن الشبه والنظير . السيد احمد بن السيد عبد اللطيف بن احمد البربير . هو شرح جليل . وسفر اسفر لفريق الادب عن الوجه الجميل . جمع فاوعى من لوازم الشاعر . ما يحق ان يسير بهِ المثل السائر . ونقب عما يحتاج اليهِ كل نقاب من عصابة الادب . وارشف المطالع فيهِ باكواب الفكر ما هو احلى من ارتشاف الضرب . بحيث لم يدع صغيرةً ولا كبيرة من مادة الشعر الا احصاها . ولا نكتةً من نكاتهِ الا احرزها فيهِ ووعاها . حتى لم يبق في القوس منزع . وانسجم فيهِ رويٌّ النظم من براعة المطلع الى براعة المقطع . وحيث كان مصنفًا غريبًا في بابه وان جاء من اللغة بتأهيل الغريب . ورمى بهِ عن قسي افكارهِ اغراض الادب بكل سهم مصيب . اجتهد بتمثيله في الطبع الفاضل الاديب السيد الشيخ محمد افندي ابن السيد عمر افندي البربير . على نفقته ليعم نفعه ويرد من منهله الجم الغفير . وندب هذا الداعي الى تصحيحه . وتهذيبه وتنقيحه . وتحري ما هو الصواب . وتسهيل الدخول الى بيوته من الباب . فاجبت الى ما ندب . والتزمت فيهِ سلوك طريق الادب . فجاء حسن الطبع . جميل الحمل والوضع . يسر الناظر ويروق من هو بآدابه شاعر . ينفح تعريفه عن مآثر موءلفه المولى الهمام . الذي ما رأى احد مثلهُ في مصر وشام . وكان رحمة الله مولده في ثغر دمياط سنة ستين ومائة والف حيث كان والده بها يتعاطى التجارة ولما بلغ رشده واكمل اشده قرأ العلوم النقلية والعقلية على مشايخ عصره وحفظ القرآن المجيد وجملة من الاحاديث النبوية ونظم الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة وحضر الى بيروت وطنه الاصلي في سنة ثلاث وثمانين ومائة والف ثم توجه الى دمشق الشام ثم عاد الى بيروت فاكرههُ الامير يوسف الشهابي على تولية القضاء بها فقام باعبائهِ ثم استعفى منهُ لورعه وتقواه ثم عاد الى دمشق في سنة خمس وتسعين ومائة والف وسكن في الصالحية الى ان

توفي بها عقيمًا في ليلة الخميس لثماني عشرة ليلةً من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائتين والف ودفن في الصالحية في مدفن بني الزكي في جوار سيدي محيي الدين بن عربي قدس سره ومؤلفاته ذهبت بها ايدي الضياع منها هذا الشرح الجليل وكتاب في اقتباس آي القرآن ومؤلف باسم سليمان وشرح قصيدة سيدي الشيخ محيي الدين المشار اليهِ التي مطلعها

توضأ بماء الغيب ان كنت ذا سر   والا تيمم بالصعيد و بالصخر

ولهُ مفاخرة بين الماء والهواء وجملة من الرسائل والمقامات والمقالات وقصيدة بديعية ونشطير البرأة وقد جمع احد افاضل الشام جملةً من شعره وفي هذا الكتاب ما يستدل بهِ على فضله في الصناعتين طيب الله ثراه. وجعل في اعلى عليين مأواه. ولما تم طبعه في اوائل شعبان المعظم سنة ثلاث وثلاثمائة والف هجرية قلت في تقريظهِ مؤرخًا

نفح نشر الروض قد طاب انتشاقا   عطر الكون وفي الآفاق فاقا
ونسيم ضاع من نفحتـهِ   عرف زهر للحمى يهدى الرفاقا
سحرا هب فاهدى طيبهُ   للشجي نشرًا الى الاحباب شاقا
فدعا الصب الى القصف وقد   شمر النرجس عن ساق وساقى
وعلى الاحداق قد اجلسهُ   ولهُ كل المنى والانس ساقا
وغصون البان قد صاغ لها   من غوادي المزن في الروض نطاقا
وخدود الورد قد نقطها   عارض القطر وقد ابدى اندفاقا
شقت الاكمام عنها فحكت   وجنة ريحانها طاب انتشاقا
حسنها قد رق كالشرح الجلي   فغدا يقصدها العاني انطلاقا
وهو شرح شُرِح الصدر بهِ   بعد ما أحرج بالهم وضاقا
حيث قد افرغ بالطبع وقد   فاق فيهِ مَن مِن الجهل افاقا
ارشد الشاعر في ابداعهِ   لامور وصفها بالشعر لاقا
فتح الابواب للنظم وقد   شاد قصرًا مد للشعر طباقا
من فنون قد دنت افنانها   بثمار للذي قد كان ذاقا
ومعان من يعاينها غدا   سابقًا من كان لا يرجو لحاقا
احمد البربير قد ابدعـه   كأس راح لأُولي الشعر دهاقا
سيد قد سعـد الدهر بهِ   وارتجى السعد لعلياه استباقا
قد غدا علامة العصر فمن   امهُ النى بهِ بحرًا ولاقى

قد صفا منهلهُ من كدرٍ ... والى ورد لهُ الشاعر تاقا
لفريق الشعر قد اوجده ... غادة ترجو لهُ الشكر صداقا
مد للقوم بهِ مائدة ... ذات الوان لقد طابت مذاقا
ولقد رق بلطف طبعه ... وبهِ السوق لقد راجت نفاقا
فيهِ قد دققت مرمى نظري ... فرأيت البدر لا يشكو محاقا
ولقد سماه بالشرح الجلي ... وهو شرح مد للقوم رواقا
فلهذا بالثنا ارخت شر ... حٌ جليلٌ رق بالطبع وراقا

وقد قرظ هذا الشرح وارخ اكمال طبعهِ ايضاً جناب الاديب الكامل والاريب الفاضل السيد خليل افندي ابن السيد عبد الرحمن البربير فاحببت ادراجه تلو تقريظي وهو هذا

شرح حالي في الحب يحلو مقالا ... رق متناً في من يحاكي الغزالا
قادني للهوان فيهِ غرامي ... واراني صدوده الاهوالا
رشأٌ عز حسنه مثلما قد ... عز فينا الشرح الجلي مثالا
كنز فضل حوى من الدر اسنا ... هُ واغلاه قيمة وجلالا
بل هو البحر قد حلا فلهذا ... طاب منهُ للواردين انتهالا
فيهِ يهدى لكل قول صحيح ... للتأويل كان فيهِ احتمالا
ولكل الفنون فيهِ اتصال ... لا يرى للكمال عنهُ انفصالا
فعليهِ عول بما ترتجيهِ ... تلق فيهِ مناك والآمالا
حبذا حبذا كتاب ارانا ... من بديع البيان سحرا حلالا
رق لفظاً وراق معنى بديعاً ... (هكذا هكذا والاَّ فلالا)
ومعانيهِ اعربت عن علامن ... بسماء العرفان كان هلالا
احمد الفضل ذو البراعة من كا ... نَ اماماً وجهبذاً مفضالا
المعيٌ على المعارف منهُ ... دل هذا الكتاب يبدي كمالا
(ان آثارنا تدل علينا) ... حكمة لم تدع لقول مجالا
فلهذا قصرت طول ثنائي ... وبمدحي لهُ اختصرت المقالا
رحم الله روحه وحباه ... في جنان النعيم ما عز حالا
ما جلا شرحه الجلي علينا ... بدر تم على الدراري تلالا
وبهِ قلت للمطالع ارخ ... قد تسامى الشرح الجلي جمالا

